

سقوط الخصلة

كولن ويلسون

دار الآداب

كولن ولسون

سِقُوطُ الْحَضَارَةِ

نقله إلى العربية

أنيس زكي ميسن

منشورات دار الآداب - بيروت

حياتي الخاصة

مقدمة كولن ويلسون

كان «اللامتني» كتاباً ناقصاً، وكنت حدثت منه الى ذكر وتسبق دقائق مسألة أبعدها لاسباب شخصية ملثة جداً : مسألة الحرية الذهنية أو نصف الجنون .

ومررت سنوات ، وأصبح الشخص الفائق الذي سمجته «اللامتني» بطل عصرنا. وكنت انظر الى حضارتنا نظري الى شيء رخيص تاله ، باعتبار انها تمثل انعطاف جميع المقاييس العقلية ، وبمعكس ذلك فقد لاح لي اللامتني الرجل الذي يشعر لاي سبب كان بالوحدة وسط جمع من الذين لا يلفون منزلته . وكان اللامتني ، كما تصورته ، اما ممنوناً يضع مكينا في حقيقته السوداء ويفخر بأنه عديم الضرر ، طبيعي بالنسبة للآخرين ، أو قديساً أو حالماً لا يهتد الا ان يحصل على لحظة واحدة يستطيع فيها ان يفهم العالم ويكتشف امرار الطبيعة والله .

وكنت كلما تغلغت في دراسة اللامتني شعرت بأنه ليس غير عرض من أعراض هذا العصر . فأما من حيث الجوهر فهو عاصم ، وأما سبب عصيانه فهو انعدام الجانب الروحي في حضارتنا الفنية مادياً . وتعتبر الكتب التسعة الأولى من «اعترافات القديس اوجيبلين وثائق لانهائية»

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

وكان القديس أوغسطين يعيش في مجتمع روماني متحلل . ولم يكن أمراً شديداً المهمة أن استنتج أن اللامتني هو عرض من أعراض تدهور الحضارة . لأن اللامتنين يظهرون كالبثور على جلد الحضارة المتحضر . ويحيل الإنسان إلى أن يكون على طبيعة عيطة ، فإذا كانت الحضارة مريضة روحياً فإن الفرد يعاني من المرض ذاته ، وإذا كانت صحته الروحية تساعده على تحمل آباء الكفاح فإنه يصبح لامتني .

وتعتبر دراسة الفرد المريض روحياً من اختصاصات علم النفس ، إلا أن دراسته بالنسبة لعلاقاته بحضارة مريضة تعتبر أمراً من اختصاصات التاريخ أيضاً . ولهذا فإن هذا الكتاب يسير في اتجاهين في وقت واحد ، أن يتغلغل عميقاً في اللامتني نفسه ، وفي الوقت نفسه أن يبحث في التاريخ عن مشكلة تدهور الحضارات . ويلتزم الطريق الأول إلى الدخول إلى الصوف ، وأما الثاني فإنه يقود إلى الخارج ، إلى السياسة . ولأنه لاحظ لا أجد نفسي ميالاً إلى الشؤون السياسية العملية ، ولهذا فيقتصر هذا الكتاب على الدين والفلسفة ، فإذا تاملت الطريق في محافل الفكر السياسي فإني أتركة أملاً أن يقوم كاتب آخر لا يكره السياسة كما أكرهها باستكمال ما تركته من جوانب المشكلة .

ولقد أعترض مختلف النقاد - ولم يعض الحق في ذلك - وقالوا أن مصطلح « اللامتني » مضلل غير محكم . وأن الكلمة التي يمكن أن يوصف بها بوجه ونحسكي ، وفوكس وغوردويت ولورنس ، وفان هوخ وساذر ، لا بد أن تكون كلمة لا تعني شيئاً . بيد أنني تقصدت القوض حين استخدمت كلمة « اللامتني » . وأما السؤال الذي يمكن وراء اللامتني فهو : في رأيي ، كما يلي : كيف يستطيع الإنسان أن يوسع مدى إدراكه ؟ التي أعظم بأن البشر يعيشون في مدى من الحالات الذهنية ، وهذا المدى ضيق لا يزيد على التواتر الثلاث الوسطى في اليانوس . أعتقد بأن مدى الحالات الذهنية يمكن أن يشتغل على جميع مقاييس

اليانوس ، وأعتقد أيضاً بأن هدف الإنسان الوحيد وشغله الشاغل هو توسيع مداه من التواترات الثلاث إلى التواترات كلها . وكان يجمع بين الأفراد الذين يحتتم في « اللامتني » أمر واحد : معرفتهم القطرية بأن هذا المدى يمكن أن يتسع ، وعدم قناعتهم بالمدى الذي تنصف به خبراتهم العادية . ويجب عليّ أن أقر بأن هذا هو ما يدفعني إلى التفكير والكتابة ، والتي لأذكر ذلك هنا لتلا يبقى أي شك في ذهن أي قارئ بخصوص المسائل التي يبحثها كتابي هذا .

وقد أتاح لي نشر « اللامتني » فهم بعض الأمور الطريفة ، فقد نال اهتماماً لم تكن أنا والناسر نتوقعه ، وفيما وجدته نفسي وسط بحر من مختلف أنواع الصعوبات . وظللت بضعة شهور بعد نشره لا أجد فرصة يمكنني أن أعترف فيها إلى نفسي ، لأنني كنت محاطاً بمخبري الصحف والإذاعة ومطالبا بالقاء المحاضرات وقراءة الرسائل والأجوبة عليها وتلبية دعوات المشاء وهكذا . وكانت النتيجة ما كنت أعتشه بالضبط ، إذ وجدت أنني كنت أفتقد الأسس التي دفعتني إلى كتابة « اللامتني » ، وبدأ الغرباء الذين كانوا يدعون بأنهم لامتنيون يكتبون إليّ رسائل طويلة يشرحون لي فيها أعراضهم ويسألوني النصيح ، حتى لقد شرمت بأنهم إنما يسبحون مني . وفي وسط هذه اللوامة اكتشفت أنني لم أجد أحسن حالات الإدراك التي تمكن وراء التواترات الموسيقية الأثني أو الثلاث التي أملكها بصورة اعتيادية ، ولو أردت أن استعمل مصطلحاتي قلت : أنني بدأت بالتحول إلى متعم .

التي أذكر هذا لأعطادي بأنه ضروري جداً بالنسبة لموضوع هذا الكتاب . فإن معظم الأفراد الذين أعرفهم يعيشون هكذا بصورة طبيعية . هم يعملون ويسافرون ويأكلون ويشربون ويتمدنون . كما أن مدى التعالية المادية في حضارة حديثة يعني جداراً حول حالة الإدراك العادية ويشغل النظر إلى ما هو وراء ذلك مسعياً ، وإن الظروف التي تعيش

فيها نفعل ذلك بنا ، وهذا هو ما يحدث في أية حضارة صاحبة كالدينامو لا تنجح نجاحاً للدعة والشامل . ويبدأ الناس بفقدان الشعور الخاصي (يشكك الكينونة المعروفة) ومعنى المذهب الذي يمكن أن يجعل منهم أكثر من مجرد خنازير كفتوة جداً . وهذا هو الرعب الذي يثور اللائمتي ضده .

لقد عثرت منذ بضع سنوات على كراس في كاتدرائية ولستر ، وكان بقلم من البوت ، وكان ذلك الكراس يضم كلمة ألقاها البوت في الكاتدرائية ، ولما نتوانه المذهب فهو : « فائدة الكاتدرائيات في انكلترا » . ويتحدث البوت في ثلاثة أرباع الكراس وكأنه غيبس من لماسة الريف الغربيين بالدراسة الدينية عن علاقة الكاتدرائيات بالابرشيات ، وفي النهاية يتحدث عن مصعب الأسقف الثاني والقس . ثم يصبح الكراس فجأة دعوة حاسية إلى الفراخ في أية حضارة حديثة . ويهاجم البوت الرأي القائل بأن عمل الأسقف والقس ان يتفلا هنا وهناك وان يعطى الناس في أنحاء الابرشية ، ثم يؤكد قائلاً ان التضخم اللاهوتي للمسيح يتطلب الدعة والشامل ، ويضرب نفسه مثلاً ليفوي حجة ، فقد عمل كنائس دائماً ليصبح لنفسه المجال الضروري للكتابة (وهو يدعي بتواضع) بأن قيمة مؤلفاته تعود إلى الله كعب ما أراد ان يكتب دون ان يكون مضطراً إلى ارضاء أحد غير نفسه .

وأذكر ان ذلك قد أعجبني كثيراً في حينه . وكانت دي لورنس قد ذكر هذا أيضاً في كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » :

« ويجب علينا ان نختار من قطبي الفراخ والعمل من أجل الميثاق قطب الفراخ .. وأن نعمل العمل .. وقد يكون هناك البعض من الذين لا يتميزون بأية موهبة خلاقة والذين يكون فراغهم قاحلاً .. ولكن فعالية هؤلاء هي مادية وحسب .. ولم يكتب البشر شيئاً من حسده الاعمال الشاقة » .

أما أنا فقد وجدت ان أفضل العمل في الخطط الطوف وحمل العجوز إلى العمل في المكاتب . وبالرغم من اني لا أجد في نفسي أكثر من كراهية الانسان الطمعية لله في ذلك ، إلا اني أشتي حشية حقيقة من ذلك النوع من كسل الاعصاب والمسرات التي يجم من المال والضيقة وخضوع الانسان لاحتقاره نفسه . كنت ألتصق الظروف بمرشاة مثله صم يوم ما ، حين ذلك لي ثياب كثر باوح عليه انه كان مغرماً بوطيدة الدابة .

أمر يدعى الروح . أليس كذلك ؟

وهذه هي عبارة عادية . إلا اني لم أكن قد سمعتها من قبل . وقد استعذرت في ذهني وكأها نظام . انه ليس تدبر الروح . والحماة يدعي الحقيقة ان الروائع التي تحدث من حدود قوة الحياة غلبه الروائع المنسقة من الماء الراكد ، وهكذا يتسم الكيان كله . وكان ذلك الموطات . واسمه ديموند - بارح كفتاً أيقاً دائماً ، ولم أراه فقد سيطرته حل أعصابه مرة . أما أنا فقد كنت أشعر عند البداية بالضيق والعماس والشقاء . وقد دفعني ذلك إلى تنسج الناس إلى طليقتي أولئك الذين يكرهون أنفسهم . وأولئك الذين لا يكرهون أنفسهم . وكره الطلقة الأولى الثانية أشد من كراهيتها لنفسها .

كانت هذه الحبرات ومثيلاتها الأسمر الذي بيت عليه تحليلاتي ولقاء الاطلاق . وانصرفت بعد ذلك بكل أنكاري إلى اكتشاف حل ما يكون في وضع أولئك الذين يكرهون أنفسهم ان يخلدوا الأساها أو الوسائل - التي يستطيعون بها ان يتغلبوا على اضطار النفس دون ان يشعروا القناعة الدائمة . وقد سميت أولئك الذين يكرهون أنفسهم « اللائمتي » . وكانت أعرف ان الغنى والمثلل كانا من طاعت سبالية أكثر ما يحتاج اليه الانسان في حياته العادية . أما الحل فهو سلطة يلجس في جميع فضاء الإدراك ويملك الحواس

الانفعالات وحث العقل على العمل ، حتى تدخل الحياة مناطق أخرى من مناطق الادراك ، بحيث يجري الدم مرة أخرى في الساق التي كانت مشلولة من قبل .

كانت هذه هي نقطة الانطلاق وحسب ، إذ لا يمكن أن يحصل الإنسان على الفراغ ، لأن الفراغ هو مفهوم سلبى ، وهو المجال الواسع الواضح الذي يستطيع الإنسان أن يتي قيسه يوماً جديدة بعد أن يقوم بهدم الآلة . أما الخطوة التالية فهي عملية البناء ، وكنت أجسد العمل في مصنع أو محفل لتنظيف الملابس أمراً متباً جسدياً ، وكنت أحمّد أولئك الذين يكسبون عيشهم من الأعمال التي يحبونها . بيد أن اتصالى بأمثال هؤلاء الناس - الكتّاب أو الفنانين أو الصحفيين - أثبت لي أنهم قد همزوا زخافاً ليبنوا آخر - بطن طليلاً مع أدواقهم ، إلا أنه ما يزال زللاً على كل حال . ولست أعتقد من حيث الصحة الروحية أن هنالك أي فرق بين العامل الذي ظل يعمل في مصنع واحد أربعين عاماً والذي جف وزل روحياً نتيجة لذلك ، وبين القاص الذي قل يكتب القصص المتشابهة أربعين عاماً أيضاً رغم أنه يحكّ قصراً في الربيع .

ويظهر التبدل في مصنع واحد أربعين عاماً أمراً غير طبيعي ، ولكنه لا يزيد لي لاطمينة عن المولد ، إن الطليحة ميتة ، وكل عمل إرادي هو غير طبيعي ، عند الطليحة ، ولكن كلما زاد كفاح الإنسان زادت حيويته . ولهذا استقرت مشكلة الحياة ، بالنسبة لي ، في مسألة اختيار العقبات لحث إرادتي . ثم أدركت أن حضراتنا تسير في الاتجاه المعاكس وإن كل لغائنا وعلمونا متجهة نحو تمكيننا من ممارسة أقل حد ممكن من إرادتنا . لقد تم تهويل كل شيء ، فلماذا وجدنا بعد أسبوع من العمل الروتيني في الدوائر والذهاب والإياب في الباصات أننا ما تزال في حاجة إلى أن نفعل شيئاً آخر لتصرف طاقات أخرى فيما بقي وسعاً أن نستمتع

بالألعاب المخططة التي تشتمل على العقبات المصطنعة ، حيث نمارس الإرادة في التغلب على فريق آخر في لعبة الكريكيت ، أو كورة القدم مثلاً ، أو نصارع ذلك المخلوق الخيالي النامض الذي يعد حقل مسابقة الكلمات المقاطعة في الصحف . وقد اخترعنا أيضاً شكلاً من أشكال التفكير يتناسب تماماً مع هذا التنازل عن الإرادة ، وأنها الفلسفة التجريبية التي هي من حيث جوهرها نتاج الحضارة الغربية .

لقد كان في اللائمتي شيء من الاعترافات الخاصة بتأرجعي الشخصي . وذلك واضح لأنني أعتقد معظم صفحات الكتاب هاولاً أن أتم في الأشخاص الآخرين على ما يبرهن على معتقداتي . وكان يمكن خلاف نقاش الكتاب اعتقادي بأن الفلسفة الحقيقية يجب أن تكون نتيجة تطبيق القابلية التحليلية - القابلية الحسابية - على تجارب الإنسان الخاصة . إن عدداً كبيراً من الخبراء يتدقق علينا كالماء في قناة صابرة ، وهذه الخبراء لا تعني شيئاً بالنسبة لي ، فهي لا تبرزنا ، كما أننا لا نتركها . وكنت لسنوات عديدة قبل تأليفي اللائمتي ، قد احتفظت بسجل المذكراتي ، وكنت أهتم لي بتطبيق التحليل الحسابي على تجاربي الخاصة ، وكنت كلما عثرت على أمر مشابه لما كان يشغل بالي سجلته في الحمال . وقد تجمعت هذه المذكرات بطء ، بيد أنني كنت ألتصّد في جمعها ، وقد استطعت أن أنقل معظم تلك المذكرات إلى الكتاب ، بيد أنني جردتها من المصير الشخصي بالطبع .

إلا أن الوقت قد حان الآن لكي أوضح علاقتي بذلك الأسس قبل البدء بتحليل كتاب كيرين . وأود الآن أن أسجل وصفاً دقيقاً بقدر الامكان أوضح فيه كيف بدأت مشاكل اللائمتي لتعمل بالي . بل إن هنالك بعض الدلائل الصلبة التي سيحدثها الفوائد في مئات الصفحات

القائمة من هذا الكتاب والتي ستكون خلاصة أشد الغوص بدون هذه
المقدمة . وبالإضافة الى ذلك فإن أسس وجودي تتطلب هذا .
ولست الفلسفة شيئاً أن لم تكن محاولة لوضع تجارب الانسان الخاصة
تحت المجهر .

• • •

أعطاني جدي - جيل كنت في الحادية عشرة من العمر - مجلة قصصية
عامة عتيقة بمزقة الغلاف وكان ذلك في السنة الثانية من سنوات الحروب
ولم أكن قد رأيت مثل هذه المجلة من قبل ؟ واكتشفت في هذه المجلة
اسماً لم أكن قد سمعت به : ألبرت آينشتاين . وقد صعب عليّ أن أعرف
من تلك القصص ما لخصه البروفسور آينشتاين بالضغط ، إلا أن كل كتاب
من كتاب تلك المجلة ذكره مرة واحدة على الأقل ، وكانت رسائل القراء
حافلة بهذا الاسم ايضاً .

ولقد أدهشتني القصص التي قرأتها أكثر من أي شيء آخر كنت
قرأه في السابق . وكانت في معظمها تدور على تجارب علمية قد
الغيا سيطرتهم عليها . كانت هناك مثلاً قصة المعلم الذي صنع نفقة
سمراء من البرونوبلازم وقذف بها الى البحر فنت وكبرت وصارت
تأكل الامملاك . وأخيراً تحولت الى مخلوق ضخم يفرغ المسافرين بالونير
ويطرد السكان من الجزر الصغيرة . وهناك مثلاً قصة المعلم الذي صنع
ناراً ذرية لا يمكن ان تنطفئ ، وكيف ان تلك النار ظلت تحرق ما
حولها حتى صارت تهدد باحراق العالم كله .

ولم أكن قد قرأت شيئاً مثل ذلك من قبل : وقد كان ذلك يحير
أمرأ ذهنيّاً عالياً ، تقارنته بالكتابات التي تروى للحيات . وصرت أشعر
بمسائل أخطر وأهم من القصص النافذة على كرم القلم أو العصب
والسخرية في اللاورغوت : « أمضى بها قلبي » ، ولا أخبرت كيلشي
المعجوز ؟ وقد وجدت في تلك المجلة حديثاً عن الفيزيولوجيات

والسايكولوجيات والنظرية الاحتمالية . فضلاً عن ذكر البروفسور
آينشتاين .

وهوت على كرمس آينشتاين : « النسبية » النظرية الخاصة والعامة ،
وانصرفت أدق في رموزه وحساباته مثلاً عما كان يعنيه « بوليمير
الصلاطات » ، بيد اني وجدت البر جيس جيتز أسهل منه ، لأن
توضيحه لشجرة ميتشلسن - ميرلي بسيط كل شيء . وبدأت أشعر بالتي
فهمت النسبية . ولت احترام زملائي في المدرسة لاني كنت أغير
استاذ الفيزياء بالاسئلة المعقدة عن سرعة الضوء في نظام متحرك متبادل ،
وصار زملائي يسموني « البروفسور » ، وصاروا يمشدون عليّ في تضييع
كل ما كان في امكاني تضييع من محاضرات محاضرات الفيزياء ، وذلك
الغرضي على المدرس وقولي بأن يهون يعتبر من الامور القديمة التي لا
يمكن ان يوش بها . الا اني كنت في قرارة نفسي معجباً ببيرون ،
لاني كنت اراه في ذهني يجلس بين العظام - ارمهندس وغاليليو ونيوتن
ولانك وآينشتاين - الذين قد أدخل في حياتهم يوماً .

الا ان قصوري لم يكن مقتصرأ على المسائل العلمية الخاصة ، لأن
البر جيس جيتز يبدأ كتابه « الكون اللامض » بمقدمة كان يمكن أن
تكون موعظة لا تختلف في شيء عما كتب باسكال :

« برعني هذا الصمت الخالد الذي يتصف به هذا الفضاء الالهي .
وقد احاط بهذا الفصل ، ويفصول أخرى مماثلة ، غموض لم يكن في
وسعي استياله فكنت رسالة في عشرين صفحة الى المر آرثر ايندكنتون
أسأله فيها أن يشرح لي مشكلة الكون . وسألت موقعة المكتبة المحلية
عن عنوانه الا انها أخبرني بأنه كان قد مات في بداية ذلك العام .

نظرية الاحتمال The Theory of Probability

لقد كان لا بد من مقدمة كهذه ، وانما هي ليس مقدمة كالتة او اجملة عظيمة الهبة
المترجم

ولكني لم اتحر بالحيية تماماً، لأنني استجيت لله هو نفسه لم يكن يعرف الجواب. وكان ذلك في عام 1922.

وهكذا أبعد الآن ان جيتز وديلتون كانوا مسؤولين عن بقطي الدينية الخاطئة في سن الثانية عشرة. وكنت اعتبر آينشتاين أستاذي، وكنت أؤمن بأنه قد علمني استحالة الوصول الى أي قرار نهائي بخصوص أي أمر، وحاولت ان أوضح لأصدقائي في المدرسة ان التقضاء لانهائي وأنه محدود مع ذلك. ولاح لي أيضاً ان امكانيات الحياة الانسانية هي لانهاية أيضاً رغم كونها محدودة كذلك، وأنه يمكن فعل أي شيء ضمن نطاقها المؤلف من التكرار اللانهائي. ومرت خمس سنوات ثم قرأت، وهكذا تكلم زرادشت، واكتشفت ان ليشتة أيضاً قد أدرك تكرار الحدوث المتفاد باشاره اسماً للفلسفة متفائلة من حيث الجوهر.

يبد ان هذه التكرة كانت في الميزة التالية من الاهمية بعد فكرة ارادة القوة. وتعتبر الفكرة الاخيرة محركاً لطريقي في التفكير. ولهذا يجب علي أن أوضح شيء من التفصيل كيف بدأت أفكاري حول هذه المسألة نشط بالي.

كنت قد قرأت في كتاب سبب مدرسي مشهور من كتب علم النفس خلاصات لنظم فرويد وبيونك وأدلر. وكان تأكيد فرويد على تأثير الطفولة والدوافع الجنسية بلوح لي حتى في ذلك الحين أمراً صحيحاً. كما لاحظت في نظرية بولك عن التماذج عديدة الجدوى كذلك. يبد ان فكرة أدلر عن فريزة القوة هيئت علي حيوياً للأفهام. ولاح لي أنها كانت تربط كل ملاحظاتي عن البشر ونصيف النملة الاخيرة على ما كان آينشتاين قد بدأه.

يضيع جانب كبير من فترة الطفولة هذه في المعاداة الاعادة التي يلتصقها الطفل وفي حيرته بين ما هو صحيح وما هو خطأ. وفي ملاحظته انه بالرغم من أن جميع البالغين يلجؤون للحوادث المتشابهين في الأثران وصره

تقرارات الا ان هناك البعض من يسمح بأنهم أموراً ميتة. ومن يقولون منهم انهم انهم مختلفون غير اساء أو حتى. وهذا كله غير عدا. وهو خود الطفل الى إدراك انه لا يستطيع أن يتذكر امر اصدقاء القراوات لعلم القاتلين. بالياً. ماذا حاول مثل هذا الطفل ان يظهر لمواقفه نفسه على الحيرة الحقيقية تبدأ بالافهورة هنا. ويلاحظ له انه لا فرق هناك بين الناس في معظم الأمور. لان المسألة لا توقف حل ما هو صحيح وما هو خطأ. وإنما على الامداد وعلى اراءهم المروعة في التأكيد على الذات. وهكذا كانت الحصة المولفة هكذا: «الصحيح» و «الخطأ» هما مصطلحات مسيئة ليس لها معنى نهائي. اما الحقيقة الكاملة وراء الفهم الانساني فانها تشمل في الرغبة في التأكيد على الذات. ولا يوجد هناك من هو على صواب او خطأ. وإنما يريد كل فرد ان يعترف الآخرين مقبلاً.

وقد روجني مصطلح أدلر «خطة التقوى» بالفكرة الاساسية. فقررت ان أرغب كل انسان هي في الظهور بقدر الامكان. ولما كانت آراء الناس تارة في الطريقة التي ينظر بها الى أنفسهم، تارة تحاول ان تحتفظ بقناصها القلبية من طريق كسب احترامهم أو سعادتهم. وهناك وسيلة أخرى طمناً. ان يبتعد الانسان نهائياً عن آراء الآخرين ويبني جداراً حول احترامه نفسه. وشعرت بان المصروف الذي يديني بأنه المادونيون او المبرمج قد مثل ذلك. والفرق الوحيد بين المصنف والمائل هو ان المائل يريد من الآخرين ان يتعاونوا معه من اجل الذات اوهاهم.

واستلكت بالظلم يوماً وليلة ان اكتب مقالة عن هذه الامتيازات في وقت جديد من «التنوير المدنية». وكنت قد كتبت على الجوانب الداخلية من مقالة. كقولني واليوم «الصف الثاني» وكنت اسفل ذلك لم. فكرة مطروحة بالآخر. وارتدت هذه الامتيازات على المفهومة السببية لاشأين. مظهر. لم أفسس السويدي لآلر. أدلر. ولم يكن

للقالات ونحوه دائماً : ان البشر آلات تحركها الانفعالات ، وان الرغبة في الحقيقة هي دائماً دافع صادر عن امور غير مشرفة تحفيها الانفعالات ، وان الحقيقة هي حقيقة القابلة بالنسبة للبشر ، تماماً كالحكيات بالنسبة للبقرة .
وانني لأجسد الآن ان الدفترين الصغيرين اللذين كتبت فيها : المقالات الدالية ، بقبضان بالانراضات عن طبيعة الدوافع الانسانية ، كما انني ارى الان ان تلك الانراضات كانت محاولات لتعقب عنصر الإرادة الحرة في الانسان . وقد قلت في مقالتي عن الجنون ان الجنون هو أمد المخوفات حلاً ، لانه سوف بأشد الأوهام تركيزاً . وكنت قد رأيت في كتاب ما - واعتقد انه كان « مبادئ التاريخ » لويلز - التائيل المصرية المصنعة لأمتحوتب الثالث والتي تدعي تماثيل ممنون ، وقد رأيت فيها رمزاً لفيلسوف الحقيقي في نظري : الرجل الذي يستطيع أن يقول ان الانفعال لم يؤثر على اتزان العقل ، الرجل الضخم الأعشى الذي لا يستطيع الحركة . وشعرت بأن الموتى فقط هم الذين لا تربطهم الانفعالات ، ولهذا أمكنني ان اقول ان الموتى وحدهم هم العقلاء . وقد قلت في بعض تلك المقالات ايضاً ان الإرادة الحرة قد تكون موجودة ، إلا ان وجودها ضعيف من الصعب اكتشافه . ووجدت نفسي أمام دافع ملجأ يدفعني الى تحليل الطريقة التي كنت أتبعها نحو الحقيقة . وانتهى بي الأمر الى ادراك ان الحقيقة ليست ضرورية لبقاء على قيد الحياة .

كانت هناك أشياء أخرى تشغلي عن التنازول النهائي عن الإرادة ، وقد وجدت نفسي ، مثلاً ان كنت في الحادية عشرة ، حولاً أشد التوكل بالفيزياء والكيمياء ، أما في سن الثانية عشرة فقد حولت الشرة الاصافية في البيت الى غير كنت الضفي فيه معظم امياتي وعطلات الاسبوع . وكنت اتفق النفود التي كنت أكسبها من بيع قصص في شراء المواد الكيميائية .

وفي عطلة آب من عام ١٩٤٤ فكرت في تأليف كتاب المصير في

كل قواعد العلوم ونحوها وكل المعارف التي تعلمتها في الكيمياء والفيزياء . وقد سحرتني الفكرة فدررت ان أجعلها أكثر طوحاً وذلك باضافة فصول في الفلك والجيولوجيا وعلم النفس وعلم الانواع البهوية والفلسفة والرياضيات . وكنت قد اشتريت من سوق اقامته الكنيسة ستة مجلدات من الكتب الممنوعة لي بريندون الدواضة بدون علم ، وكانت تلك المجلدات تبحث في جميع تلك المواضيع . وبدأت المحاولة بمعرفة هذه الكتب وكتب أخرى استعرتها من المكتبة المحلية ، وحاولت ان تلخص جميع المعارف الانسانية . وكنت اسجل هذه الاشياء في دفاتر يضم كل واحد منها خمسة عشر الف كلمة . وولمحت ستة من هذه الدفاتر قبل أن يحين يوم العودة الى المدرسة . وكان ذلك هو كتابي الأول ، وكنت قد انكبت عليه باستمرار وبظام معين - الأمر الذي يعتبر أفضل تدريب لأي كاتب .

كان المؤثر الاول على التفكير في السنوات التي كتبت فيها تلك المقالات الدالية هو برنارد شو . وكنت قد رأيت فيلم « بصر وكتبنا » و « ثابرييل باسكال » ، إلا انه لم يؤثر لي السي وانما ذكرني أكثر بما يحسد بشكبير الذي لم أكن حيالاً الى قراءة مسرحياته . ولكنني عانيت اندراج في إحدى الامسيات من الاسبوع الاول من المنهاج الثالث للدراسة البريطانية وصحت صوت المتر ايسبي برسي وهو يقول بصوت مسرحي :

« أيها الاصدقاء والزعماء من أفراد العصاة اإني أود ان انقدم بالفرح معين في هذا الاجتماع . لقد قضيت حتى الآن ثلاث أسابيع في بحث ومناقشة السؤال التالي : هل هناك القوضيون أو الاشتراكيون القديسون أعظم الشجاعة ؟ وقد نعتفنا في شرح أصول القوضوية والاشتراكية الديمقراطية ، وقام القوضوي الوحيد بيضاء بتمثيل القوضوية لثلاثاً كادلاً ونعم انه لا يعرف ما هو معنى القوضوية » (١) .

في تلك الأيام أشعر بأنك ذهني بغير جولاب عقلي . وكنت معتاداً على التحول بين المكتاس والدخول في مناقشات مع القاصوة عن وجود الله وحذف الحياة . وكانت المناقشات تطول أحياناً فاعادركيكية وأنا أشعر براسي عجم . وأحسن إحساساً أكيداً بأن السطاة والقصامة هما المظهران اللذان لا يمكن التخلص منهما في الحياة . وكانت فترات الكتابة تبوم إلهاماً في بعض الأحيان . (وقد نصحتني أحد هؤلاء القاصوة كما اذكر بأن لا أقرأ شيئاً غير الصحف لمدة عام . وقال لي أنني كنت اعاني من عسر حفظ عقلي لأنني كنت أقرأ أكثر مما يجب . وقد اغضبت بعد ذلك حين لارأت في مذكرات لوكس عن قص مائير الذي نصحت بأن يدخن وأن يشد التسايح) .

وكنت قد اجتزت فترة الالحاد العنيف . ولم تعد فكرة عدم وجود الله تبني أي شعور بالحرية . وقد كنت في طفولتي معتاداً على نوع من الصلاة الذهنية أثناء عيولالي هنا وهناك ، وكنت لربما ، بل أنني كنت حين أجد نفسي وجيداً أتحدث وحدي معتبراً إلى الله من الصرات التي كان يشغلني فيها شيء . ما من تلك الصلاة القعية . أما بعد ذلك مسك كان يسعدني أن أصلي - لولا أنني كنت متأكداً . وباللأسف . من أن ذلك لن يكون غير انفعال مزيف . وكنت في تلك الأيام قد بدأت بقراءة شعرت . من اليوت ، لأن امتداد الترتيبية آثار اعياكي معين قال أن شعرة عامش . واذكر أن الايات الأولى التي قرأتها له كانت :

• أنني أصلي لكي أنسى

هذه الأمور التي أبعثها مع نفسي أكثر مما يجب

• يستطيع القاري أن يطر على عبارات كثيرة على طه في قصة • الانسان الصمد • لودويجسكي التي لتت يوجتها إلى شريعة والتي صحت في مشورات دار علم هلاين • بيروت - المترجم .

• • • للاعتصم • الفصل الثاني من ٢٥٣ .

واوضحها أكثر مما يجب .

و :

• عظمنا ان نكثر ولا نكثر

عظمنا ان نجلس مذكرين • (٣)

وشمرت مباشرة بالتي كنت أعرف ما كان يتحدث عنه اليوت . ثم أصبحت أعيد يعني وبين نفسي • أوبقاء الرقاد • وكأني صارت صلاتي ظلية لاني وجدت فيها تزيافاً ضد الكتابة والإلهاك ، ذلك التزياف الذي لم أجد عند برنارد شو .

وتركت المدرسة وأنا في السادسة عشرة بعد أن اجتزت الامتحان النهائي . وكنت احاول ان أبحث عن عمل ليكون في وسعي أن اواصل الدراسة واحصل على بكالوريوس العلوم • كنت ما ازال املح إلى أن أكون عالماً) ولوه الحظ كان الامر يتطلب أن احصل على خمس شهادات أخرى بالإضافة إلى الشهادة الثانوية العامة ، ولم تكن لدي من هذه الشهادات غير اربع ، وكان علي أن اجتاز امتحان الرياضيات مرة أخرى . وفي هذه الأثناء حصلت على عمل في أحد المخازن . وكان العمل في ذلك المخزن يشتمل على وزن بالالت المصوف الواردة إليه ، وكانت هناك بعض العمليات والأفلات ، وبعد أن يتم تحويل المصوف إلى خيوط يوزن مرة أخرى . ولم تكن أشعر بالتماسة ، إلا أن ساعات العمل كانت أكثر مما كنت معتاداً عليه من قبل - كانت من الثامنة صباحاً حتى السادسة مساءً . بما في ذلك فترة قصيرة لفناء - وكان العمل شاقاً جداً ، وبدأت أشعر بالأم . وحاولت أن العمل كل ما في وسعي لأقاوم كراهتي للعمل . فقرأت عدداً كبيراً من القصائد لاني كنت أجد شيئاً من الانتاش في قراءة الشعر . ووضعت أسس بعض القصص القصيرة وأساساً لفكرة طويلة اناء ايهياكي في العدل . وكنت أكتب تلك القصص في الاميات . وبعد شهرين تمت في امتحان الرياضيات وتركت العمل في المخزن حسب قس لاني كنت

أكره العمل الشاق .

أما عمل كمساعد للمختبر في مدوني الفدية فقد كان يستمر حطفا طويلا بالنسبة للعمل السابق، به الذي اكتسفت أنني قد عدت ولدي شائقة في العلوم . وكانت قد أجزأت ثلاثة فصول عن مسرحية ضخمة أودتها أن تكون مكملة لمسرحية شو والامسان والاسيان مثالي . وكانت مفتعما بأنني استطع أن أعيث من الكتابة . وفي ذلك الحين نشرت أولي قصص القصيرة - وكان ذلك في مجلة أحد مصانع يوركتاير - وكان أحد اعمامي في دورهام قد أرسل تلك القصة الى المحرر الذي كتب يقول اني أمتنع بوجهة وانه يتوقع ان أرسل اليه بعض الاناخيص الاخرى . ولكن المحلة توافقت عن الصدور بعد شهر واحد - على اني واطقت على التأليف لكتبت ست قصص قصيرة وبعض المسرحيات ذات القصل الواحد ، وكتبت أيضا حوارا ثانيا طويلا يجري في معبد بالنفس بين المسيح حين كان في السادسة عشرة من العمر وبين أحد قضاة اليهود ، ولقد جعلت المسيح ينطق بالانكليزية وجعلت القاضي ينطق بوجهة نظر القساوسة اللذين كانت نافستهم من قبل . وقد نبت هذه المسرحية الطويلة في أحد الباصات مباشرة بعد انتهائي من تأليفها ولم أهرع عنها بعد ذلك .

وكان اساتذة العلوم في المدرسة يزدادون استياء مني شيئا فشيئا . وكانت المضي معظم اوقات الدوام المدرسي في المكتبة لأكتب قصص والمسرحيات . وكانت اتفق حصص الفيزياء والرياضيات في قراءة كتاب ه اوراق بيكويك ه الذي كنت انطيه تحت المنضدة . وكان مدير المدرسة صبوراً عطوفاً بحيث انه لم يستعني الي الا حين ظهرت الامتحانات النهائية انني قد فقدت الرغبة في العلوم هائياً . ولكنني حتى في ذلك الحين حاولت ان اصليح الامر وقتت انني استطع ان أبقى في المدرسة ، ولكنني أوضحت انني كنت اريد ان أصبح كاتباً . بيد ان مجلس المدرسة

لم يوافق على خالي في المختبر . رغم انه متحمي واليب شهيدين .

وقد يكون من الخطأ ان اجعل القاري يعتقد بان الفترة التي قضيتها على كمساعد للمختبر كانت فترة راحة وسلام : لانني كنت اجد انني اوسع امراً يبحث على السام أكثر من الصراخ القصير . وكنت اهي حذاء لاجل الاساتذة لانه كان يجي دائماً ويترني أشد الانارة . كنت احصل على بعض الاجازات بعد ان ادعي المرض والاضيقا عني ولا على مراجعة في وارويك أو مانلوك أو بوشكهام لأستخذ طائفتي الزائدة من حاشيتي . وكانت قرات الكتابة شاجيتي دائماً وتضمن طويلا . وبدأت بكتابة مذكراتي . وقد دفعتني الى ذلك ما سمعت من مجلة الادامة : طلبة يوماً عن عاري باشكيتريف . وصرت اسأل الصفحة تلو صفحة كل مساء معداً عن استياني وسألي وملتصاً للكتب التي سمعت اقراءها . وكنت قد بدأت بقراءة اسن وبيرفاليدو وجويس . ولقد قرأت ه بوليسيس ه ه كما كنت اعبر عن مشاعري ضد الناس الذين يحب اكرههم . وقد حدث مرة ان سحر اسناد الهم من موضوع اشبه صد الفهوم العام للامانة في مسرحيات شكسبير ، غلات عشرين مائة من مذكراتي قبل ان انقض عيطي بحيث شكاني ان انا . وكنت اذكراتي وانا والى من انها ستنتشر . ولم أكن اشك في ان كل ذلك انتش لكنها ستكون شديدة الإهمية بالنسبة للتلاميذ يوماً ما . ومر عام أو أكثر قليلاً وملائت عشرة دفاتر بذلك المذكرات . الا انني مرقتها صعباً ذلك يوم في فترة من اوقات الامتنان .

ه ذلك قد كنت أيضاً معداً كبيراً من القصص القصيرة والمسرحيات التي رصدها الناثرون والتي توافقت عن ارسالها اليهم بعد ذلك لانني صهرت عن احوال بشرها الضميف لم يكن ليحد كآتي في كل مرة كانت تصاد الي فيها تلك المؤلفات مرهم حدة . وكان شعوري العميق انما هو ان يراك في ذلك الحين أهم مثالي . ولما كانت المسرحيات ذات

الفصل الواحد التي كتبها من نوع الكوميديا ، أما قصتي القصيرة فلم تكن لتختلف بأسلوبها عن «أوراق يوكويك» . ولم كرم قصتي لاني كنت اكتب مثل تلك الانبياء . اما محاولتي في الكتابة على طريقة «بر» فقد أدت بي الى الشعور بما هو اسوأ من ذلك . كنت اكتب وانا كاره ، مشتت من الوسط الذي كنت اخلق قصتي فيه . وكنت قد حفظت كثيراً من شعر ت. س. - البوت . الا انه لم يؤثر على اسلوبى تأثيراً ملحوظاً .

وعاشت في عطلة عام 1948 الطويلة من أسوأ الأمور التي ومعها ادراكي ، فقصص كنت اقرأ كتاب ياكوب لافرين الصغير عن الادب الرومي ، ولم اكن أستمتع بذلك الكتاب . وكان حدث قصص شيفوف وقصة «عائلة كروبولوف» لسانتيكوف و«أوبولوف» لكونشاكوف . وذهبت الى المطبخ وهددت بذهبي الى اقرب الكهربياني لأولئك الموقد الكهربياني والى بالظلام بهم ان كان فجأة . واحسنت باحساس غريب . ووقفت وانا في كامل ادراكي . وكنت اغضب على الموقد ، وكان الظلام شديداً جداً حولي . وغمرت بما يشبه التيار الكهربياني في ذهني . وكنت مشغولاً كل الاستعداد للاعتقاد بانني كنت قد صحت بالكهرباء . واحسنت بتي . يظن في احماتي . وبدأت أشعر بالناحية الاخرى من الادراك . ولاح لي تلك وكأنه لم أجد ، ثم ثلاث رؤياي ، فأشعلت الموقد وضيت الى الغرفة الاخرى . ولم اكن متأكداً من الأمور التي رأيتها . الا انني كنت انشغلاً . لقد لاح لي انني كنت غمر بحر . وان التيار كان يتدفق بالأم ، واعضدت بانني كنت قد رأيت للحقيقة النهائية : انه الحياة لا تنود الى اي شيء . واما هي هرب من شيء ما ، وهذا الشيء هو الرعب الذي يمكن في الناحية الاخرى من الادراك . وقد استطعت ان أتهم ما كان كثر غداً في «قلب الظلام» . ولاح لي ان جميع الشكوك ليناغيزيكية قد تجتمعت بعد دهر طويل في نقطة واحدة .

في ادراك واحد : ما هي ثلاثة مثل هذه الحقيقة ؟ وضعت في التيار التالي أنشغل قصتي بالتجول على الدراجة ، ولاح لي ان كل مظهر كنت اراه من مظاهر الحياة كان يعمل طابع السخرية . وتذكرت آيات البيوت في «الارض القفر» :

« على رمال ماركييت . استطاع ان اربط
«اللاشيء» باللاشيء »

الاطالفة المعطاة للأبدي القدرة . . . (4)

وكنت شيئاً عن هذا في مذكراتي بعد ذلك ، وغمرت عن شعوري بأن انشغلي قد تكاثرت الان حتى صارت حلقة . لاني كنت حتى ذلك الحين اجد كتابة المذكرات الامر الوحيد الذي لم يكن يحمل معنى ابداعاً . أما بعد ذلك فقد صرت اصر عن تأكيد من أن انشغلي كانت لتسلي كل شيء ، بيد انني كنت ذلك مرغماً لشعوري بأن كل شيء يجب ان يقال .

وأعتقد انني كنت أدرك كم كان مصدر تلك الفترات من الالهة باماً من دوافع جسدية ، ولاح لي ذلك سبباً آخر يدعو الى اللامعانة العدمي . كذلك كل شيء يعضد على الطاقات الجسدية . ولهذا لم تكن هناك ارادة .

كنت قد رأيت «الصانية» في كتاب ما . وسألت امتداد اللغة عما لصية هذه الكلمة فقال لي انها : الإيمان بلا شيء . واعتدت حالا بانني قد غمرت على كلمة تصعب حالتي الذهنية . ولكن حالتي لم تكن تتصل في انعدام الإيمان بأي شيء ، وانا كانت انحاساً قطعاً بلا شيء . ولا استطاع ان افهم الاداء المبدول الذي كانت تحمله لي كلمة «لا شيء» . الا انني اذكر كيف انني غمرت على التاوتي شعبي في كتاب ضخيم اسمه «اعبى العالم» وقرأت فيه .

« هالك شيء . طبعي مودت »

كان موجوداً من السماء والأرض

وعد ما كان لا عتق له

وحيد لا يسي

يقصد الى كلى شيء ولا يعنيه الإتيان أبداً

ويمكن إظهاره أم الكون

يبدى اني لا أعرف اسمه

ولو اضطررت الى تسميته

قلت انه تاور : وانه سام

ولهذا يعني انه مستمر على المضي

والاستمرار على المضي يعني المضي بعيداً

والمضي بعيداً يعني العودة ،

ولهذا فان التاور سام ، وللهاء سامية ، والأرض سامية ، والإنسان

سام أيضاً

هناك أربعة أشياء سامية في الكون، والإنسان هو أحد هذه الأشياء . (٥)

كنت متأكداً من ان : تاور : كان جدي الانتخابي في اللاشعيرة .

وقد فهمت : : والمضي بعيداً يعني العودة ، باعتبار انه يعني ان تفكر

كذلك انما يتبع ذلك : حيث قرأت : أما بخصوص القسم الأخير : بما فيه

من ان الإنسان سام ، وان الأفكار التي تمثلها من قرائتي بلوماتان

سوفت من حافة وثقافة البشر قادني الى تقرير ان : الإنسان : هو

ترجمة خاطئة للكلمة : التاور : وان لاوتزي إنما كان يبر عن علم

قدرته على الحرب من الإيمان الكامل بفكرة ان الخرافات هي التي لوحيده

المعروف او الوجود . ولم استطع - بل لا يمكنني أبداً ، ان أتقبل

الترجي الناقل ان التاوية هي عبادة السانية .

كنت قد آمنت بهذه الجوفية الدائمة ، بعد ان قرأت بركلي وعبوم

Sufism .

الإنسان هو أحد هذه الأشياء . (٥)

كنت متأكداً من ان : تاور : كان جدي الانتخابي في اللاشعيرة .

وقد فهمت : : والمضي بعيداً يعني العودة ، باعتبار انه يعني ان تفكر

كذلك انما يتبع ذلك : حيث قرأت : أما بخصوص القسم الأخير : بما فيه

من ان الإنسان سام ، وان الأفكار التي تمثلها من قرائتي بلوماتان

سوفت من حافة وثقافة البشر قادني الى تقرير ان : الإنسان : هو

ترجمة خاطئة للكلمة : التاور : وان لاوتزي إنما كان يبر عن علم

قدرته على الحرب من الإيمان الكامل بفكرة ان الخرافات هي التي لوحيده

المعروف او الوجود . ولم استطع - بل لا يمكنني أبداً ، ان أتقبل

الترجي الناقل ان التاوية هي عبادة السانية .

كنت قد آمنت بهذه الجوفية الدائمة ، بعد ان قرأت بركلي وعبوم

الإنسان هو أحد هذه الأشياء . (٥)

كنت متأكداً من ان : تاور : كان جدي الانتخابي في اللاشعيرة .

وقد فهمت : : والمضي بعيداً يعني العودة ، باعتبار انه يعني ان تفكر

كذلك انما يتبع ذلك : حيث قرأت : أما بخصوص القسم الأخير : بما فيه

من ان الإنسان سام ، وان الأفكار التي تمثلها من قرائتي بلوماتان

سوفت من حافة وثقافة البشر قادني الى تقرير ان : الإنسان : هو

ترجمة خاطئة للكلمة : التاور : وان لاوتزي إنما كان يبر عن علم

قدرته على الحرب من الإيمان الكامل بفكرة ان الخرافات هي التي لوحيده

المعروف او الوجود . ولم استطع - بل لا يمكنني أبداً ، ان أتقبل

الترجي الناقل ان التاوية هي عبادة السانية .

كنت قد آمنت بهذه الجوفية الدائمة ، بعد ان قرأت بركلي وعبوم

الإنسان هو أحد هذه الأشياء . (٥)

كنت متأكداً من ان : تاور : كان جدي الانتخابي في اللاشعيرة .

وقد فهمت : : والمضي بعيداً يعني العودة ، باعتبار انه يعني ان تفكر

كذلك انما يتبع ذلك : حيث قرأت : أما بخصوص القسم الأخير : بما فيه

من ان الإنسان سام ، وان الأفكار التي تمثلها من قرائتي بلوماتان

سوفت من حافة وثقافة البشر قادني الى تقرير ان : الإنسان : هو

ملهيها ، وكنت أشعر بنقل في معدتي . وفي تلك اللحظة أدركت فجأة إدراكاً سامياً ان ما كنت أريده ليس حياة أكمل وإنما مزيداً من الحياة . وكان إحساسي بطعم الحامض قوياً الى درجة اني كنت أشعر وكأنني كنت قد شربت بالفعل ووضعت هناك لحقة والقيئة في يدي ، إلا ان التجربة كانت من الروعة بحيث لاح لي انها لن تنهي إلا بعد ساعات . ثم شعرت بأنهم يقف بجاني فوضعت القليلة جانباً بحركة غامضة وكأنني قد تناولتها غيباً ، ثم تناولت صبة اللبليل الحمراء ، وفي لحظة واحدة قسبط استطعت ان أرى الشيء ، قلبي ما يزال أطول منه ذلك الحين ان أراه ثانية .

ولكن فترة هذا الادراك الذي حصلت عليه في ذلك المساء لم تسلم طويلاً ، ولعل ذلك كان يعود الى شغفي الشديد بالتسلق بذلك الادراك . وما أزال أفكر استيعاظي المفاجيء على امكانية تحقق فكرة ارادتي والحلم الذي لصع ذلك المساء كله . صلي اني لم أحاول ان أكتب شيئاً من ذلك حين بلغت البيت ، لاني كنت قد حصلت لأول مرة على شيء هو أكثر سطحية من ان يكون في مستطاعي ان أكتب عنه . وما أدركت بعد ذلك ان أحصل تلك التجربة في مذكري وجددت اني صرت انظر اليها كأي تجربة أخرى حدثت لي في السابق . إنما افرق بينها وبين غيرها بالدرجة وحسب . ولم اكتشف جبرمان عيسى إلا بعد ست سنوات من ذلك . والتي لوائت الآن من التي لو كنت قد اكتشفت عيسى في ذلك الوقت لصارت قصته « ستيفن وولف » انجيل فترة مراهقتي . ان عيسى يعتبر هذا المد والجزر من الحلالات الادراكية . لذلك اني تتألف منها حياة الفنان . ولو كان أحد قد سألني في فترة مراهقتي عما هو عليه هدف الحياة النهائي ، لأجبت دون تردد : البصيرة المذكورة . غير ان الامور التي بحثتها بعد ذلك جعلتني أقل ثقة فيها الرأي . كانت السنوات التي قضيتها مؤلفاً مدنياً أشد سنوات حياتي الماضية

... وقد كتبت في مذكرياتي أقول ان أهم خصائصي محصل الضراب من التلقائية على الظاهر بالعمل . وكنت أكره الظاهر بتسويق الاختيارات السريعة بالفالج الرسمية من نوع « أ » لاني كنت أعرف ان تلك الخارج لم تكن في حاجة الى اختيارات . وقد حصلت شو حين قرأت في كتاب هكيت يوم من عنه انه كان كقولاً جداً - بين كان يعمل في حذاء مستقيماً في إحدى الدوائر الى درجة ان رؤسائه وافضوا قبوله مسالكه . كنت ، بصراحة ، غير كمال في عملي . وكنت مشهوراً ... على قسطل . وكنت أعمل ستة كتب الى الدائرة في كل يوم وأرسلت بعد الانتهاء من تسليق الاختيارات . وكنت أذهب في ساعات الخروج الى المكتبة المحمية وأقضي فيها ساعات طويلة بصورة مستمرة . وكنت متخففاً شيئاً جدياً ، وكان مدير الدائرة لتدلياً طيب القلب في منصبه الأمر . فاذا فرغ من العمل في بعض الأحيان طلبني الى مكتبه ، وتحدثت معي في الفلسفة . وكان ذلك يعني ان يقص علي حكايات طويلة . و... من حياته ليوضح لي خلاله الواقع . وكانت أيام كثيراً على الاحباط التي كنت ارتكبتها . وكان المدير يحيل الامر الى مساعده المبدأ . لما حدث هذا ، وكان هذا المصاحف رجلاً لطيفاً منزلاً اسمه صيكون . وكان يرافقه بي كثيراً ، وبعد ستة أشهر قضيتها في دائرة الضراب ادخلتني اشتركت في امتحان البوطيمه العالم . وما أزال حتى الآن أذكر أنني الشايد حين استلمت رسالة التهيئة بالبحاث في ذلك الامتحان . واستعنت بشي في الوثيقة بكتابة قصة طويلة متشائمة تدور على راية الدول . وأحفظها في جاسه واحدة استقرت ثمانى ساعات صغر يوم ... ولم يحبه أحد بالصفة فرفضوا بعد ذلك . لأنها كانت بعد ان قد حيدوا الكوكبة و لوبار .

ولعل أحدث الوحيد الذي تم خلال العام الذي قضيته مؤلفاً ... التي انتهت الى ان أفكر لا يشعرون ان «هون سيداً سجين

الكتاب . وفي ذات يوم وجدت نفسي في أسوأ حالات تضييق والاضطرار .
بدأت بكتابة قصة بأسلوبه ، تبار الأمرك ، أو ، القضي المحر .
ولما وجدت أنني قد استطعت أن أثير بها عن القمائل تعبيراً ممتازاً صد
واظيت على كتابتها في الفترات التي أحقت ذلك .

وكنيت دائماً أكره التفكير في خدمة العلم . إلا أن القصة التي
كنت لخصيتها في سلاح الطيران كانت تمثل بالغة في شيئا من الاحتمال .
إذ مرت الأسابيع الثمانية الأولى في مخاير شاقة لم تنجح لي وقتاً للتفكير
قط . وقد استمتع ذهني بذلك المعطلة كثيراً ، وأعجب ذلك شهر مص
قضيت في معسكر برمتكهام للتدريب حيث لم يكن لدي ما أصله غير
التدريب على الأعمال الكتابية العامة . ولم أشتغل هذه الأعمال بنضي
- الأعمال الكتابية - لأنني كنت أكرهها أشد الكره . وأتعباً ثم أومالي
إلى محطة تقع بالقرب من برمتكهام ونصصت لي طائرة انقضرت فيها
وحدي . ولكنني شعرت فيها بآلم لم يكن ليقل من آلمي في دائرة الضراب
وفي ذات يوم كنت مستاء أشد الاستياء فاصطدت بضابط الماعد عثونة ،
وأكنه بدلاً من أن يستدعي الحرس سألني بلطف . لماذا كنت أكره
العمل إلى ذلك الحد . وكان يأمل في نقلني إلى إحدى الوحدات الفطية
حيث يمكنني أن أظهر عدم كفايتي بين جمع من المتهربين من الأعمال
والمظاهرين بالمرض . وقال أنه كان سيء الحظ لأن جميع الكتاب
الذين عملوا معه لم يكونوا أكفأه . وأنهم قد سبوا له كثيراً من الثياب
مع القيادة العامة . وأضاف قائلاً أنه كان يأمل في الحصول على كاتب
أفضل مني أو أسوأ . بيد أنه كان حزيناً جداً في الكتابة عني بحيث أن
وجدت نفسي بعد شهر من ذلك متجهاً نحو البيت وقد أحل فورون مصلي
من الخدمة . ولا يمكنني أن أقص الحكاية كلها هنا . وغادرت سلاح
الطيران وأنا أدرك بأخطائني أنه قد يكون خلاص المرء كلفاً في الملوك
اشفاق الميطر وفي الألائ تكرات النتائج . وكانت تلك هي المرة الأولى التي

وجدت فيها نصيحة المتر بولي . وقد نجحت تماماً .

وسرعان حين تركت سلاح الطيران بانعتاق عاطفي . وقررت ألا
أبقى أية دائرة حكومية بعد ذلك . وارسلت استغاثتي إلى إدارة
الخدمة القديمة . ولكنني استلمت منها رسالة طويلة تؤمني فيها بخلورة
الخدمة علي . بأن أعيد النظر في الأمر . ولكنني بقيت في البيت
والتفت إلى ذلك الفصل الذي كنت قد استلمته ، فغادرت البيت وأنا
أحس أنني كفتي حبة صغيرة شأني شأن الذين يطوفون العالم مشياً على
الأقدام . وانتهت محالاً . وكنيت ابني أن أعث عن عمل . ولكنني
وجدت نفسي كارهاً أن أبدأ أي شيء . بحيث أنني انقضرت حتى فلتد
أنه كان معي من ففود وعدت إلى البيت ثالثة . وكنيت خلال
الأسابيع الثمانية ففيتها متجولاً قد سألت أنني عشر مصراً أن يتاح
لي الدور على تمثيل بعض المشاهد . بيد أنه لم يطق لم يكن أي
... منها في حاجة إلى خدمائي . واشتغلت أثناء بقائي في البيت مدة
أربعة أسابيع عمال أثناء ثم انقضت من جديد . متجهاً إلى الجنوب هذه
المررة . وفوت أن أقضي ليلة في مترونيج - دون أن يكون لدي سبب
معي . ثم أتلقى أن سواتامسون حيث كنت أؤمل أن أحصل على
مطاب في خدمة ذائعة إلى الطرد . ورآني حذبان من الضباط سلاح
الطيران . كنت خارجاً لتأتي من حكومة كبيرة من القش وأنا أرتدي
باله . خاصة بسلاح الطيران (دون أن تكون على كفتها أية علامة)
فقدما علي . وأوصفت لها أنني لم يكن هارباً من الخدمة . ولكنني لم
أكره ذلك أوتافاً خاصة بإكمال الخدمة العسكرية فلم يستغاني . ووجدت
له في ... مرة أخرى . واشتغلت في أعمال مختلفة بصورة متناوبة ،
ولم منها بمصر ذات أربع فيه نطاقات بالذهب . والفتت دناءة
لدي . في ... ذلك العام . وكانت تلك أولى مخايرتي
... وقد أدرك أن اشتداد حالة الشلل التي عانيت منها كثيراً في

ذلك العام . واشغلت مرة ثانية في أعمال البناء . وكان العمل الذي
 لمعده به يشتمل على دفع ألف حربة صغيرة عملة بالامتياز في كل
 يوم عبر اكوام من نشارة الخشب وخندق الى بناء جدار كامل . وتركت
 هذا العمل بعد اسبوع وحصلت على عمل آخر في مشروع حكومي
 لتدريب الفلاحين . وعملت بصفة ذلك الصيف في حقول متعددة
 في لايسترشاير ، وتعلمت حلب الاجار - كهربائياً وبشياً - واعداد
 الثمن وتحويل فضلات الاجار الى المراص لتقود وتسرج الخيول
 وذلك امرجها . وتعلمت أيضاً كرامية قريب الانكليزي بنفس .
 ولحسن الحظ لم تصد كراميتي للربف الفترة التي قضيتها عملاً في
 الحقول .

كنت قد انقطعت عن قراءة الكتب ، بل اني تركت كل مؤلفاته ،
 وكنت اقول لنفسي انه كتيب ضد الحياة . وحلت بدلاً من ذلك
 كتاب منج وقرأت مبرك وابلية وبركاشير وبلوك - وبرنارد شو
 بالطبع . وقد فطنت بطل جويس (بالك موليان) على ستيفن ديدلوس .
 وصارت المقارنة الدينية تلك لي . فقرأت الكتب القوية والمندوبة لأون
 مرة . وكانت المرة الاولى التي قرأت فيها كتاباً كاد كيتا شديدة الاحمية
 بالنسبة لي حيث اني حملت نسخة منها معي وكنت ألقيها بقطعة من
 الجبل . وبدأت تفتني فكرة الاهتمام الى احد الادباء ، ولم يكن ليمني
 كون الدين مسيحياً ام لا ، لاني لم اكن احب نفسي مسيحياً مفهوم
 المسيحية الذي يمتدح حل فكرة الخلاص بواسطة المسيح . كان هير
 يعني بالنسبة لي الهدوء والمجال الذي يتبع لي التامل . كان هير
 المكان الذي وصفه ينس :

« برج المراقبة العظيم

الذي تصاحبه الموصف »

وكانت اشد مشاكل تشتمل في حاجتي الى اكتشاف طريقة الخلاص

للمسلم والخلاص من الحاجة الى الطعام والشراب وتغيير الملابس .
 بدأت اعلم اصول الكاثوليكية لاني كنت اعرف ان دخول الدين كان
 من ان اكون كاثوليكياً . بيد ان ما كنت اراه عن الحياة
 ماضي في الاديار جعلني اراجع عن هذه الفكرة : بالإضافة الى انني
 فشلت في حل نفسي على الاعتقاد بانني في حاجة الى ان يخلصني المسيح .
 كانت اهم الحاجة الى الله والحاجة الى الدين . بل اني كنت اعطيت
 على غير كرسوا انفسهم مثل موسو او القديس فرنس الذين حاكوا
 عرفت الاوامر حول الصليب والمسامير وبقيت الرموز التقليدية . الا انني
 لم اسلم ان اتبع نفسي حاجتي الى شخص ليقتني . وكان الانسان
 عذره خلاص في زمن ومكان معين يلوح لي نوعاً شديد السجادة من
 انواع حنج صحائف الانسان على الله ، تماماً كمنعولة رسم حلبة وشعر
 انيسر للاوتري اللاتني .

كان الحل يلوح لي ابسط من ذلك كله . كنت مرافقاً وكان يجرني
 وبخس شعوري بان البصرة والرؤيا الفاضلين - ما يدعوه وودزورث
 روعة وصفاء الحلم - لا يمكن ان يستغاد مارادة الانسان . ونضع
 الودع والمندوبة بعض الصالحات التي يمكن ماثاها الحصول على ذلك
 القسومات . وقد سهل علي ان اقرر نفسي بعد ذلك الى معظم البشر
 حياة كريمة من الدرجة الثانية لانهم لا يعرفون مفهوم النظام
 القوي والذهبي . وحتى اولئك الذين يتحدثون عن ضرورة وجود
 النظام لا يراولون ذلك ، وعلى اي حال فقد كان ذلك هو ما كنت اشعر
 به في ذلك الحين .

كنت بعد مضي سنة اشهر على تركي الخليفة العسكرية وعودتي
 الى اعادة الحياة قد بدأت ادرك مشاكل الخاصة بوضوح اشد . كان
 «الم » ان اصادني في السابق . وكنت اظن انني قد عثرت على

الحل حين تركت سلاح الجرافة ووضعت حبيتي على كفتي وانطلقت
من وندور الى لندن . وكانت بعض آيات روبرت بروك تنوارد
على ذهني .

شكراً لله على انتهاء ذلك .

سأبشر في الطريق

وأعبر شامبي وأيجرك

سأبشر في الطريق الروماني الى وندور

حاراً يترنح وللي هرو .

كما يفعل أي انسان حر . . . (٦)

ولاح لي فجأة ان الحل يكس في الاستمرار على الثقل وفي عدم
البقاء في أي مكان فترة طويلة لئلا يتأخر . انعام . وشعرت بأنه لم
يكن هنالك شيء أهم من تحقيق الرؤيا المكررة . وكنت أعرف ان
الوسيلة الوحيدة للحصول على هذا هي في الانهماك به دون أي شيء
آخر . والاستعداد بالتضحية بأي شيء من أجل هذه المثل الاصل .

ولم أعمل . وكان يجياني قد حياي . الفكر بالقد أكثر مما يجب .
وقد حولت ذلك حياتي الى سلسلة من الثقل . بل ان حياتي تلك لم تكن
لنقل سوداً من تنرف الحيوية في الاعمال الحكومية كنت أريد ان احصل
على فرصة استطيع بها ان التأمل . وفي اكتب . الا ان التجويز لم ينجح
لي وقتاً ولا حوية في التأمل . في حين ان العمل الثابت كان يخطم في

• اصبري بعد ان كنت هذا التي حشرت على حزامك كسها فتنت في Worgengröße
وعبر انها بالعبث عن هذا الشعور منه .

وسأعبر وأحاول ان اكشف شيئاً لاظفر جديدة . وفوق ذلك سيقولون ان يكون
فسي . وأبشر سكتي كما تجدني على اليسوعية . وقد نجيت كلفتك الوهم
وأما ما كنت ناموت لم كنت لسوا الامور المفضلة . ولا اريد مريدة من هذا
لغيت هذه الاعتراف والكرامة والبيان .

الحل الى التأمل . وكانت كل الحظوظ الاخرى صمومة ايضاً .
كنت في نهاية الصيف ان مشكلة البشيش القاسية ما تزال غير حلولة .
كنت متأكداً من امر واحد : انه لا قائمة هناك من يقالي في البيت
. ان في الاحلام . كان علي ان ابر اراحتي دائماً بالتحديدات الجديدة .
في يوليو من عام ١٩٥٠ فررت ان اذهب الى فرنسا . ولم اكن ابني
. اقول الكتابة في شرفة تطل على الضفة اليسرى . او ان ابحث عن
الغيباء البوعيمية خارج طريق . رودى ماك . كما فعل مبرجيه . لان
عن في الكتابة كانت قد ثلاثت تقريباً . وشعرت بان الثقافة كانت
محصلاً حدي عن الحياة . ولم اكن متأكداً عما كنت أمل ان اجد في
فرنسا . ولكن اي انتقال كان افضل من الحضور في لايسر . وانطلقت
حاملة حقيبة متاعي على كفتي الى دومر-واشفت بالفرح من كاتربري
في انقطاع حقائق فتعلم في صناعة البيرة . ثم اشتعلت لمدة اسبوعين
فرب دومر في الجيش لاستخراج البطاطا . وسمح لي الفلاح بالدوم في
دوم . ولم كان يشجعني لحزن البطاطا وشملت غرفة نائج في اعلى الكوخ
. انعام في احسدي روابعا لان تلك الزاوية كانت تقع في الزاوية
حوادث لقصه . وكانت الاوضاع مهددة في معظم الاجزاء الباقية من
القرية المعروفة . وكنت انام قبل غياب الشمس ولا افاقر مكالي في
لها حنية ان امقط في المخزن . وفي نهاية الامر عجزت الفلاح
في فرنسا

و . انصبت حلاله الشهرين اللذين قضيتهما في فرنسا بأن الحياة بدون
. ومشت في باويس . حلاً من الزمن في
. ايسادور المرافقة
. وكان يطلع فصائله الي
. انهم صها لا لحوم
. انهم يورك

وكان يشد شعره الأشيب الطويل بمصاية حول جبهته ويرتدي ملابس رومانية ويرتدي صندلاً ويشر بفانقة بجميعها ، القلعة الصلية ، وكانت مزينة من الروسية والأمور الجميلة التي يتطوعها العصامي في حياته ، العصامي الذي كان يوماً ما مليونيراً ، وكان يكسب عيشه - كأي صانع ماهر من صنائع القرون الوسطى - من صنع الأشياء بيديه ، ويعلم ثلاثيه (اللذين كنت أحدهم) أن يظفوه في ذلك . وكان يظننا بأن الشاعر يكون أفضل إذا كان يستطيع أن يصلح انبوب حوض الصبيل أو أن يحضر خذلاً بالمحلول .

وساعدته بضعة أسابيع في طبع صحيفته . وكان يعطيني مقابل ذلك ثلاث وجبات من المصروفات في كل يوم وممريراً (وكنت أحمل الطبق معي) ، إلا أنه سرعان ما اكتشف امرى - وعرف أن الوجبات الثلاث كانت تعني بالسبب لي أكثر مما كانت تعني بمخاضاته التي كان يلقبها مرنين لي الاصبوغ على من يخادهم من ثلاثيه . فحمل على حلفاءه وقال أنني مفاسر بخادع . وأهلهني أربعا وعشرين ساعة لأجسد مكاناً آخر . ولم يشعرني ذلك بأي استياء . لأن معاصبي كانت تختلف من معاصبي بالفضل . تلك المفاهيم الاملاطوية المعروفة التي كان يشر بها . وكنت حين جئت ، الاكاديمية لأول مرة أمل في أن يعجب دنكان بطريقتي . إلا أن ذلك كان عتياً . وكان هادي الطبع صعباً ، إلا أنه كان صبوراً . وكان اكبر من ان يهتم بي . واكبر منا من ان يتحدث معي بضيع دقائق ، ولهذا فقد بدأ ضميري يؤنبني لأنني كنت استغل ضيافته ولقد سرني بعد ذلك أنه طردني .

ورسحت إلى ستراسبورج . وكان لي فيها صديق من اصداقاء الرسالة كنت اتبادل الرسائل معه منذ كنت في الرابعة عشرة ، إلا أن سوء الحظ لازمني هناك أيضاً ، لأنه كان منذ رأيت آخر مرة قد انضم إلى الحزب الشيوعي . وكنت قد عرفته قبل ثلاث سنوات في انكلترا طائفاً غزفاً .

انتهت وأوكيت صارت في سنوات ثلاث درعاً قوياً حوله ، في حين سكوني الذي كان قد تطور أيضاً . ونجدنا أولاً عن بقائتي في لندن وعن اشتغالي مع ايبه - وكان تاجراً للملابس المستعملة . انتقلنا لاشتد بيتنا وصار أقل روية ، فتناهى تلك الفكرة ، ولم يصح اسوداد حتى لم يعد أحدنا يعمل الآخر . وفي ذات يوم حمسي (عاش شياش بيتنا إلى درجة حيثة فذهبت إلى التوصلية البريطانية واستندته في ذلك المثل لأعود إلى انكلترا . وفي نهاية اليوم التالى وجدت نفسي في لايبز - ثانية . وكان ذلك قبل عيد الميلاد بضعة أسابيع .

عاشت الأيام في الشهور الثلاثة التي قضيتها متجولاً ، واحسنت نفسي من الحرية . ولكنني كنت أعرف أنني لم أحل أية مشكلة من مشاكل ولاي لي اكتسبت الحرية بأن أكون شاعراً . وكنت خلال الصيف سابق . حين كنت أعمل في الحفول . فقد فكرت في بعض إصدارات ج . وصعدت معينة من هينواي - حادثة ابل سورودو مثلاً . فالحشي رؤيا خاصة بالخيال عن الحرية - وكان ذلك يتمثل في شعوري بأنني كنت أستطيع أن أعرب من حين شخصيتي في لاشخصية الاماكن الأخرى . في آخرية العلم .

الآن رؤيا رومانتيكية - وكانت تدنين بشيء للصفحات الأخيرة من يوم . حين تصبح اللبنة بلوم فعند الأرض الدائرة حول الشمس . وتحدث عن الأوهام التي يصرها الفئاق على صدورهم . ولم يكن هناك على أن أحقق ذلك بالمرور إلى فرنسا دون أن أحمل مالاً . بيد أنني جئت على الأقل أنني أستطيع أن اكتشف الحرية بالتأمل الذاتي . لذلك في وسط الحفوة . من أجل استعادة الحوادث التي كانت في وقتها . فحينئذ - كقراءة الفيديو الماء حارة على جالب الطريق قرب . فحينئذ لم نرسلوا في انتظار أن نقابل سبابة مجازاً . وشعرت فحمه أسابيع . كأي . أروور لاسستر لأول مرة . وهكذا في شعري

المكان بالسام .

ولكن ذلك لم يتم طويلاً لأنني كنت في حاجة إلى عمل . وقد بقيت
أيضاً على عاصفة طويلة لامي فيها على تضييع وقتي في الأعمال البلية .
وكان يعتبر استقالي من الخدمة المذلة أشد الأمور التي ارتكبها حماقة .
والمضطرت إلى المصروع لمسته فحصلت على عمل في إحدى الدوائر -
وكانت هذه المرة شركة كبيرة في لايسر . وكان أجري نافعاً ، ولم
تغض بضعة أيام حتى بدأت أكره العمل تماماً كما كرهته دائماً . لقد
جعلني البقاء في لايسر والذهاب إلى مقر عملي بالتناوب أشعر بأنني سمرت
لامادناً وبأنني قد فقدت كل معاني الحياة . ولست أشك الآن في أنني
كنت أود أن أعود إلى تلك الحياة التي كنت قد انصرفت بها في السابق ،
إلا أنها كانت قد تخطت مني خلال الفترة التي قضيتها في الخارج . الأمر
الذي آلمني جداً وأشعري بالاضطرار . ثم حاولت أن استعمل فرصة
الشركة . وكانت هناك محاولة محيولة تكبرني بعشرة أعوام . وقد لاذ لي
أن أجد نفسي قادراً على السيطرة على انفعالي .

كان العمل يجري على الوتيرة المألوفة . ومرة الأيام الأولى على -
فلك الأيام التي كنت احتشائها كثيراً - بسهولة لم أكن أتوقها . كان كل
شيء جديداً ، وكان المستعملون لطفاء . وكان جانب من عملي يتضمن على
التشبي في العمل الذي كان يشغل مساحة كبيرة - ووصول قوائم بالاضائع
إلى المستعملين المختصين في مختلف الشعب . وكنت أقد بمراقبة الحفيد
الأمر المحي حين تصفحه الطريقة البخارية ، وفضائه الضيقة حين يتم
تقطيعها إلى أجزاء صغيرة . وكنت أميل إلى مراقبة هذا المظهر بعد الغروب
بصورة خاصة ، حين تفتح بوابة القلوب الكبيرة وتعمل الكهف الأحمر
الرجال انصاف المرأة يلوحون في منحنى الجبل . وكنت اضطر إلى
الوقوف بالقرب من البوابة بعيداً عن المenden الأبيض الحار الذي ينفخ
في القلوب . لتلا يحرق رغافة ملاهي . وكنت في ذلك الحين أقرا كثيراً

الروايات بليك وكنت قد اكتشفته قبل ستة أشهر من ذلك . حين
أقرأ " قسم الحصان " لجويس كاري - وكان جو هذه الكتب
الانعام متفقاً كل الانفاق مع جو العمل لأنه كان يمدق أيضاً
أشياء عن المبادئ الدائمة والمطروق التي تصعب الحديد . وكنت أصغر
من بليك مني طيلة الوقت - وأعيد بيني وبين نفسي بينما كنت
أعني في أرجاء العمل :

لكن كل فراغ أوسع من القفلة المدراء من دم الانسان
دم بالرفق وتحتقه مطرقة لوس :

وآل فراغ أصغر من القفلة المدراء من دم الانسان يفتح على
الحديد الذي لا تزيد هذه الأرض الثابتة بالنسبة له عن ظله (٧)

...

وسواء الطاح مشددة في كائون الأول . وكنت في بعض الامسيات
أشعر في أرجاء العمل وانظر بين الضمبان الحديدية المألوفة تدف الطاح
العام . عجباً هو السطوع الأبيض الذي كان يتألق في ناحية القوالب .
وكان العالم يلوح لي صفاء غاموياً بالخمر . ليس غريباً عليّ كسها كنت
أشعر من قبل . ثم يتلأأ شجوري باضفاري نفسي .

ول أي حال فقد بدأت أكره عملي . لأنني ما إن تعودت عليه حتى
صارت أولوه بصورة اوتوماتيكية . وقد باسدت كثيراً ضد هذا الشعور .
وكانت أفضي الامسيات في فناء الشجر أو الكتابة والقول لنسي التي ادا
ال . على هذا المجهود العقلي الذي أستطيع ان أشتت السام ولا أتناول
تعمل في اليوم التالي . وأخيراً لم أكن أصعب قديمي في مدخل الدار في
صباح إلا وتأثير على الرائحة والمعلم المألوف وبصراني عن هذا الشعور
على المقطرة على نفسي . وكنت أوداد مألوف من العمل يوماً بعد يوم .
وصدأت صدوات الأعداء الساسي في فناء المدراء حاداً

يبدو ان أهم جزء في الانسان - الجزء الخلاق - هو طوعي. ولكي احارب من شعوري بانني كنت آلة - ولكي اعطس نفسي من تلك الحركات الاوتوماتيكية - بلدت مختلفه المحاولات : كنت استيقظ مثلاً في ساعة مبكرة من الصباح واركنس مرتلياً سروالاً قصيراً وحذاءً رياحياً ، أو اقام على الارض بدلاً من النوم في الفراش ، أو اسهر بعد منتصف الليل في غرفة لومي واجلس مرتباً محاولاً ان اذكر مشاهري حتى يتفرغ لي ان اسلم شعوري بانني لم اكن غير حيوان اجتماعي آخر ، أو ابقي في الخارج حتى الساعة الثالثة صباحاً وأهوى الى البيت راكضاً . ولكن الايام كانت تمر عليّ وأنا في ذلك العمل . وكان يصعب عليّ جداً ان احارب من الشعور المركب بانني قد صرت تماماً كما أراهم المجتمع ان يكون . مجرد انسان آخر في بيت النمل الانساني .

يبدو ان مشكلة الاوتوماتيكية هي مشكلة الحياة ذاتها . اننا نستجيب في الطفولة استجابة جديدة لأي شيء ، ولذلك فليس في تلك الفترة شيء . اوتوماتيكي ، ونكبر ، ونعتقد الحياة ، فيكون علينا ان نتخل من جانب من تعالينا وتقاليد الاوتوماتيكية . ان التجارب الجديدة تتعرفنا لأول مرة . وبعد ذلك لا تبقى هناك أية تجربة جديدة . وانما يسيطر عليها جميعاً التقاليد الاوتوماتيكية . وانني لاقنع بأن الناس يموتون لانهم يكونون عن رهبة في الحياة . ترى أي هدف هناك في الحبس حين لا يكون هناك أي تحد أو أي دافع ، وحين يقوم التقاليد الاوتوماتيكي بأداء كل شيء ؟

كنت في بداية فترة مراقبتي اعتقد اعتقاداً حفرماً بان الحكمة تعني التكبر في السن وفقدان الرغبة في الحياة وان الوسيلة الوحيدة التي تؤدي الى الحياة الطويلة هي في الطيش بحيث ان كل انواع الامور الشائعة تستمر على تحريض الانسان ودفنه بحر الفسوخة ، تماماً كما تثير الكبر خضوع العقل لآداب الطفل الصغير . ولم اخلص من هذا الاعتقاد الا حين لفت الثامنة عشرة وقرأت الحياة ككلادكيثا وأدركت ان صاحب الرؤيا بوجه

... ترى العالم دائماً وكأنه يراء للمرة الاولى .

مع ذلك فقد دحرني العمل ، ولم يكن في وسع أي نظام ان يتنبأ من الشهور بأحد الكتابة في الصفحة التي كنت ادخل فيها المصنع . وحتى صدفاتي مع المرحضة لم تعرضني عن ذلك . ولم تستطع ان تفعل ذلك . صفاً الفضة الطويلة التي كنت قد بدأت بكتابتها ، لاني أدركت حداثتها . في ... وروع وقلدت فيها همنغواي . ولم تغدني ايضاً المسرحية التي كتبتها والتي قلدت فيها مسرحية كرافيل باركر . الحياة البرية في التاريخ الادبية للثة الاخرى التي بدأت بالعمل فيها في ذلك الحين بالعمل الى ما بعد عيد الميلاد بقليل . ثم انقطعت الرؤساء على الاستقالة . وذهبت الى نقابة لايسر وحصلت عسل عمل آخر او اشتاء الطوف . وكان يشغلني على السفر امهالا طويلاً للذهاب الى ... على كل صباح ، والفوضى حتى وكنت في الوحل لاجل هذا الضاد . وكنت آمل ان يستعري تلك الماشق ، الا انني كرهت اعمال الطوف بعد يومين فقط . تماماً كما كنت اكره الاعمال الكتابية اوسد الطالة . وفي ذات يوم برق في ذهني ان اسأل نقسابة لايسر ان تسمح لي بالاشتغال لثلاثة ايام في الاسبوع فقط . ولاحت لي هذه الدعوة واضحة جداً ، وبالرغم من انها كانت تعني حصول عسل آخر قليل . الا ان فترة الطالة التي كنت سأمضع بها كانت متعوضي هي ذلك اكر تعرض . ووافقت النقابة في البداية . الا انها غيرت رأيا بعد ذلك وغالت الى الآخرين مبعثرين على ذلك .

والعصبي ذلك والشعري بالاشمئزاز فتجلبت عن ذلك العمل . وحصلت على عمل آخر في مصنع كيميائي .

... في ذلك الاثناء ود اعترضه على تزويد الشعر حلال العدل اول ان شعر . مع ولصيده . معارني التي تبدأ هكذا : في ...

مع بني شرمسة ..

كان ذلك يعبر عن سلوكي الجديد ضد العقل ، وكنت اقبل ايضا الى ترويد فصائد الحرب التي كتبها ونفرد اوين وخاصة ، التضييعة ، و « الظافة » . وكان المذاب الجسدي الاجتماعي الذي كان يمثل في تلك التصادمات يتعش مشاهري ويتفعل من التفاهات التي كانت تخفيها . وللبس ذاته صرث امعن النظر الى لوحات نان غوغ وأقرأ كلما كان يمين في عن حياته . وكنت اقرأ مذكرات نجسكي أيضاً باستمرار ، وبدأ مفهوم اللامعني ينلور في ذهني ، وصرت استخدم هذه الكلمة في مذكراتي ، وكان علي ان اركز تطاهري في فكرة المذاب وفرعب لاحصل على الخلاص من معنى الظافة والحفارة .

الا ان تعديلات جديدة بدأت تطرأ على حياتي وتغيرها عملاً . وانني لأجد الان انه صار يصعب علي ان اتص الحوادث كلها بصراحة ، لانها ، الى هذا الحد ، لم تعد تخصي وحدي ، وانما صارت تخصني وتخص زوجتي - وكنت قد تزوجت في حزيران من ذلك العام . ولكن زواجي - بذلك للعرضة - لم يهيء لي أي حل لمشاكلي ، وانما زادها حدة ، لانني صرث بعد ذلك مكلفاً باعانة زوجتي - وبإعانة ابني - بالإضافة الى نفسي . وليس في استطاعتي ان أروي تفاصيل زواجي . لقد عملت ثمانية عشر شهراً في مختلف مصانع لندن . وكنا ننقل من بيت الى بيت بروتيبة كتيبة . وقد دفعني شعوري الجسدي بالاطمئنان وبكوني متزوجاً واعيش في بيت مع زوجتي الى الكتابة . فصرت افضي معظم اوقات فراغي في كتابة قصة طويلة تدور على اثنين من اللامعنين يرتكز أولهما على نيشته وثانيهما على Jack the Ripper . وفي نهاية تلك الشهور انفصلنا ، مرفقاًء ريثاً اجديتاً آخر لنا ، الا ان حياة الانفصال طالت ، وكنت اتفق واقفي في كتابة قصة وصرحية بدلاً من البحث عن عرفة ، وكنت في ذلك الحين اشتغل عملاً في مستشفى يقع في فليهام .

وانني قد عرفت من جراء هذه الحفارة - التي كانت تشتمل على دفع وترجيح الاحياء الى القاعات والمرضى الادوية الى مشاوح البحث - ان ماريس ثمانية . بيد ان مشكلة العمل من أجل الميوس لم تحل الا في عام الثاني حين عدت الى لندن . اذ قضيت بضعة شهور منتقلاً الى لندن . ثم آخر بتتابع سريع - من عمل لعمال الملابس ، الى وظيفة في مصنع ، الى وظيفة في مصنع (فصلت منها معاً) ، الى عمل في البلاستيك ، الى عمل في مصنع . ثم خطر ببالي يوماً انني كنت اكتب عملاً اكثر من حاجتي . فاصبحت اكتب اربعة او ستة جزيئات في الاسبوع . وكنت ادفع عنها مائة وستة بائناً وجنيهن الطعام وارسل الباقي الى زوجتي او اوقفه على - والاصوات . وفلت لنفسي ان الطعام هو أهم عمله الانبياء وانني سمح ان أشترى خبزة تجبه ونصف لانام فيها ودراسة لتكنيني في - حساب . وفنتي فكرة الطبيعة ولاحت لي حلاً كاملاً . خلال العمل في - على الافضل . وهكذا تركت المرفق التي كنت اشغلها في - في - البيت طردني بعد موه تفاهم بيننا ، واشتريت حجرة . ولم أكل من - مباشرة . اذ كنت احصل على مقدار كاف من القود لاني - انشغلي بعد اوقات الدوام . ابغماً في مصنع البلاستيك في - في - وفنتي قيمة الانبعاث لاني صعدت حبيتي في ساحة - - - - - . وأدركت بعد ذلك ان عملية تصبب الخبزة وقامها في - كانت عملاً غير ضروري ، اذ كان يكفي كيمس للزوم لا - - - - - . ولشريت الكيمس وعراًتاً صغيرة وحشية بحكوبة كبيرة لاصد - - - - - . ودراسة مروودة عمالة في مؤخرتها . واستطعت في بضعة اشهر ان اكد - - - - - القود ما يكفي لكي اترك العمل مؤقتاً من اني لا ابيع - - - - - بضعة شهور . بشرط ان اترك بصرفاتي على حيتوني في الاسود . واضلعت من ساحة الاطباء الى هابستيد هيت . وكنت اعطي - - - - - . وذهب الى المحل البريطاني حيث اعمل من الساعة

صباحاً حتى الخامسة مساءً . وكنت عزمت على تقليب القصة القصحة التي كنت ببيتها على أحاسن Park the Ripper لكي تكون مباحة للنشر . وكان المصنف انقص ولسون الذي كان في ذلك الحين موظفاً في قاعة المطالعة بالتصحب قد لاحظ انهما في التشديد في الكتابة عفرض على انه يقرأ المخطوطة بعد انتهائي منها ويرسلها الى أحد الناشرين اذا اعجبه .

الا ان النوم في الطريق كان امراً عظيم الاعصاب . لاني لم اكن اجزأ على الذهاب الى منطقة نومي الا بعد منتصف الليل . لان المكان كان يبعج بالعشاق . وكان رجال البوليس يهيمون المنطقة ايضاً . وكانوا يلازمون الطرقات لفظ . ولكنهم كانوا يوجهون مصابيحهم القوية نحو المنطقة الجرداء التي كنت انام فيها في بعض الاحيان . وكنت اقام الى العاشرة احياناً . وكان المكان جهماً هسولاً غربياً في صباح يوم عطلة الاسبوع . ، وهاجياً ما كان يوظني كتب احصم حين يتم وجهي الطاهر من الكيس . او كانت نوظني الاصوات التي كنت اسمعها على مائدة .

وكنت اناول لظوري في مفهى محصص لعمال الباصات . وكان يقع أسفل على حافرسولة . وكنت اناول به قطعاً من الخبز والمربى وقطعاً كبيراً من الشاي مقابل بسين ونصف بسن فقط . وكان النهار يقضي بسرعة في المتصف . بيد ان الاصبيات كانت اصعب نوظني . لان جميع المكتبات تغلق ابوابها بعد الثامنة مساءً . ولم يكن هناك مكان دامي . يستطيع المرء ان يقضي فيه بضع ساعات حتى منتصف الليل . وكنت هناك في لندن في ذلك الحين فانه كنت قد عرفت في لايستر في عيد الميلاد السابق . وكانت تحفظ لي بكل كسبي وتخرج مني في بعض الاصبيات . بيد انني لم اكن اجزأ حل مطالبتي بالخروج مني في كل ليلة . وكانت مساعدتي في وعظتها على لايقدران بشن . الا انني كنت مع ذلك اشعر بالآهناك الشديد من جراء تجوالي المستر في شوارع لندن على درابتي المحملة بفراشي والكيس . كان تجوالي دون ان يكون لي هدف معين يبحث في اعمالي شعوراً غريباً .

لاسر لم اكن اعرف مكاناً اقضي فيه اميائي ، او اطالع فيه على الاطفال . والاصافة الى ذلك كانت صاحبات البيت الذي كانت تسكنه صديقي مدرس على دياراتي المذكورة لما . وقد اضطررتا بوجودي معي من اسكان الحمام وبضرووة مفادتي لبيت قبل العاشرة .

و كنت اظن في بعض الاحيان ، واضطر الى العمل بصفة اسايح . وقد اشعلت مرة في ليونز ومرة في مصبل لمنتجات الالبان في شيزوبك ولكنني اطمأ على تأليف القصة خلال الخريف . اما في اوائل تشرين الثاني فقد صار المراهق لا يرحم . حيث انني اضطررت الى استئجار غرفة في بوكروس . والفضل مرة اخرى في ليونز . وفي تلك الالاء كنت اقابل كائناً شاباً آخر يدعى سترووت هارولد . وكنت عرفت في العام السابق . وكان يتحدث حديثاً ماضياً عن عزمه على تأليف كسباب في القعد . وقد تصحني بان العمل مثله . بيد انني كنت مشغولاً جداً في ذلك الحين . لاني كنت احاول ان احصر القسم الاول من القصة (وكنت ازمع ان اجعلها في الالاء اقسام صغيرة) . وسكنت بعض الانشاعات عن قرب اطفال آتفس ولسون من المتصف . فكنت احاول ان اسلمه القصة مطبوعة على الآلة الكاتبة قبل انضاله . واشتعلت في عيد الميلاد في دائرة بريد لوغراندي في سان مارتن . وذلك بتصف بطاقات العيد . وكنت اشغل بعد اوقات القوام ايضاً بمصمم وهدرا من القود واشترت آلة كاتبة مستعملة وامتنعت بعد عيد الميلاد انه اذا طاع القسم الاول من القصة وحدي في لندن . ومراسم . واضطررت ان اعدلي مرة اخرى لان مشروعي فسد . وكان العمال مزدهرين امام مكاتبهم . ولم اقل هناك الا بعض الاحوال العادية . وقيام العمل الاول الذي حرص على انما اضعف ان اعمل دائماً . وحدثت تصدي اعمل في اليوم التالي في محل احسن الملاء في ديتنورد . وكان العمل باعناً على الاشهر . وظرووه ان به حاداً حيث لم يأت الى حول وصرت اقطع شوارع لندن على البراحة الى . واه حاداً من محل في احد المقاهي . ولم يرمي مثالي الاحتيل العمل

في عمل عمل : اللباس حين سرق ذلك مذكرا في من جبي مرة . وكان يحتوي على سجل لجميع أحداث السنة السابقة . وقد ألغى غضبي هذا في تلك الفترة . ولكنني سرت في اليوم التالي على عمل في مقدوني كان قد اتج منذ عهد قريب في الخماراكت (سوق القسي) . وكان علي منحصر في قمل الصبور والاعمال . وكانت ظروف هذا العمل أشد كثيرا من الظروف القاسية في عمل انجيل . لاد المطبوع كان حديدا برافا تحيط بدوائه للصفحة . لمدينة الخماراكت . وكان العلماء واهرا وثقارا . وكانت اعمل كل مساء من الخامسة والستة حتى منتصف الليل . وأتومر على الكتابة في النهار . وتنتهي من طبع القسم الاول من القصة في روبة محرومة من النشاط . وصلت الى آنفس في اليوم الذي قتل فيه من الضعف . ولكنني شرحت نحة بالقياع . لان القصة كانت قد شملت بالي سنوات عديدة . تلك القصة التي وحدها جدا لذهب من يدي . وفكرت في انه لو قال آنفس عنها انها ليست حلقة فان علي ان اعيد المجهود من جديد . وفي الوقت نفسه لم يكن في استطاعتي ان استمر في كتابتها ففكرت في الخرابه . وبدأت افكر في طريقة يمكنني ان افعل بها وفي في مرة المطالعة .

وفي تلك الفترة انني مشغولة هارولد على القصص الاول من كتابه المطروح من الفوضى . ووجدت نفسي افر على في . نحة . ومكرت في كتابة فصول في القصة مثله . لي تمجيد حيلة ما . وقتل انهمي اهو سانهي من ذلك سريعا وأعود الى كتابة القصة . وانتهت فقامت صراخ ان اضع خطة كتابه . اخلال نصف ساعة وكنت مزعما ان اسمه . اللامتنع في الأدب . وأردته ان يكون نحا لمخاضه انواع القلق الانساني . واعدت قائمة بانواع الناس الذين كنته اميل الى بعضهم . واختليت في الحال الى بعضهم . امثال هان تروخ . ومث . تي . اوراس وجورج فوكس وبرمه وجويس ونسكي . وكنت قد كتبت مقالة طويلة عن نكسكي في العام السابق وارسلتها الى زوجته . فاجابت يطلب علي رسالتي ونكتها لم نشر الى القالة مطلقا . وكان هناك طبعاً عدد كبير من مختلف انواع اللامتنع . كان هناك بعض المصلين بينهم . وكان

ان ايضا مليون نحا . وهكذا فكرت في انه سيكون باستطاعتي ان اكتب من اوتومر وفاملت وستين وارب بفل هيس وكاسي الكبير . جميعا . لانتين ضعفاء . ثم اكتب فصلا عن فاولت لغونه . دوو وستن لوماس مان وابان كوامازوف لدوسيفسكي . الذي . ان عه لوماس مان فصله الذي شرح فيه للشهيد بين لفر كين والشيطان . الذي . سمي ايضا ان شخص جانا من الكتاب للشخصيات الدينية : روه . و لوس ولووبومان ولوتر وويكليف . الذين كانوا جميعا عصاة ضد تقاليد . هكدا بنسب اللامتنع الى ناسيين . ناحة الضعف . هاملت . و ابراهيم . ثم اعطى بالوجودين القرنين امثال هايديغر وجاسوز . و كير نارد بالظيع . وكان ذلك كله يشير الى وجود صلة بنسبه . في حين ان هذه . الشاؤم تربط الموضوع بشوئهاووشنفلور . وبها كنت اسجل هذه الاسماء . احوال . ان اجد نظاما مطابقا لتيها ادر كنت بانها لا يوجد هناك أي نظام . في انه يحتويهم جميعا . وحتى اذا استطعت ان امد مثل هذا النظام فاد ان يكون من السهولة بحيث انه يتطلب عشرة اعوام من العمل المتواصل . ولم . في . وسعي ان احيط بالوضوع كله في تلك الفترة وانظر اليه ككل كما . ان ابدأ به . وكنت قد عانيت من ذلك في كتابة القصة ايضا . لاني . بعضه مليون كلمة . لي حين لم يكن جاهزا لدي منها غير مائة . ولكنني قررت ان ابدأ بنأليع ذلك الكتاب عصر ذلك اليوم في . فاد اعود الى الضعف تفكرت انني كنت قد قرأت اهلانا من كتاب . احادي طهات . النار . . . وكان . الجمع . لباريوس . ان ذلك لكتاب سيكون بداية طيبة : الرجل الذي ينظر الى الحياة من تحت في مدار على الكتاب في المجموعة وحلست اقرأة ونيت في ساعتي . ولم . في . على موعدا اطلاق الضعف . فاد ساعتي . واسكت بالقلم فجأة . ما . ما . اذكرها حتى الآن . وكنت انظر عنها . ذلك الكتاب : ا . طاج . في . ان الهواء الطلق . حاس . ما وعاصف انقل الموازين

والتبت لي حاج الكتاب انه كان علي ان اكمل كتابه وانشر فيه ضعف
المجهود الذي كنت بذلت . وكنت قد آمنت ايمانه قوياً بالكتاب . ولم اشك
لحظة واحدة في خطوريته . ولكنه مع ذلك كان بداية أول نحو خطوة أوسع .
وبعد ان سرتني كثيراً ما غرأته من مديح له . وما سمعت من ان اعطياته قد
انتهت وكلها تلح علي اعادته عليه . أدركت ما حدث للكتاب بالضبط .
فقد هنأني لثفاه لانني اخترعت لعبة جديدة حلت علي لعبة ناتقي معنود
« انت ولا انت » . تتل في « اللامتي أم المتني » ٢ .

واستمرت الضجة واعادة الطبع بضعة شهور . وأدركت فجأة انني
صرت عريفاً عن كتابي . وصار الأشخاص الذين يحتمهم فيه . والذين عشت
معهم زمناً طويلاً ، غرباء علي . ولم يعد يؤثر في منظر ومه فأن فوخ . كما
انني انقلعت عن قراءة مذكرات عنكي . وكان بلدي ان اجمع الناس
يتحدثون عني - تماماً كالفضل حين يمد نفسه وسط جماعة من الكبار الذين
يبدون به شيئاً من الاهتمام - إلا ان ذلك كان يعود الي انني كنت أثير
وكانني كنت أرى نفسي في مرايا مشوهة . ثم بدأ بعض بعد ذلك بهاجمة
الكتاب . وأعلنوا انه لم يكن غير غلظة كبيرة . وانني لم أكن « كاتباً شامياً
دا مستقيل مرموق » مطلقاً .

لقد كانوا محضين في ذلك بلا شك . وبالرغم من انني كنت استخدم
الكتابة لتصفية ذهني . فاني لم اعتبر نفسي كاتباً فقط . الكتابة هي وسيلي الي
الهدف الذي انشده وحسب . وهذا الهدف شخصي وحسني دون أي انسان
آخر . وانني لمقتنع « كاللاستي » بأن حياة كل انسان لم تكن غير فشل
وقد كنت في طموحي الفكر في الكبار الذين كنت اتابعهم وأقول لنفسي :
« لن أصبح حياتي كما بضميتها هؤلاء . وهذه المشكلة هي القوة الكاملة
في استمراريته علي العيش . وما الكتابة إلا أسلوب واحد من الأساليب التي
اتبعها في حلها . أما الجواب فيجوز انه كامن في تحقيق حالة ذهنية تدعى
« الرؤيا » . ولهذا فاني افضل ان أدرس قبل كل شيء مشكلة تفهيم البشر

« الرؤيا » : « رؤيا نيتك هي لغة التل » . وحقل الملاحظة الاخضر الذي رجمه
« فوخ » و « ذكريات » . بلسكال و « طبق القوة » الذي عرفه يومه . تلك
الصفات من تبصرة والادراك الرائعين الذين غطى فيها هدف الحياة . حل
« هذا هو بصورة نهائية الشيء » الوحيد الذي يستحق ان يحققه الإنسان . لقد
« ما نفس الحياة ياها » : « استمداد هائل شيء » لن يحدث له . إلا ان
الصفة التي نجف الانسان برأيا ذلك الشيء . تحول كل ذلك الاستمداد الي
سوء . « فمة وانجاز كامل » .

« كنت أجد دهن مشغولاً دائماً بله الزرق وبأولئك الذين رأوها .
واحد أعذب حل نفسي شيئاً من هذه الضجيرة في هذه الامور فقد سجلت تلك
الامور في « اللامتي » بقليل أو بكثير من النظام (في حين انني كنت
سجلها في مذكراتي كما كانت تمن لي) . وانني لا اعتبر « اللامتي »
والكتاب - الهائي امتداداً لمذكراتي وجانباً من السجل الذي ادورج فيه ملاحظاتي .
وانني لا ألتج بالشكر لأن نشر هذه الامور قد اتاح لي الحصول على المسال
لكي استمر في العمل بضع سنوات اخرى . إلا ان نشر هذين الكتابين لم
يحل سس هذي لانني لست كاتباً من حيث الأساس . وفي اللحظة التي تصبح
عها الحياة عديمة الجدوى كوسيلة أنضع بها حياتي وكسل فاني سأقتضي
« ما واصلت من وسيلة اخرى أكثر عمية » وأود ان يفهم الناس هذا لانني
أعده « ما اعتادي » « كاتباً شامياً » له مستقبل مرموق . أو مهاجني واعتاري
عذراً لم عموماً امور تدمر نفسي ببطء .

ان مجرد عكبري في اطاق حياتي من أجل ان أخصص لي بعض الصفحات
لي « ما أصبح شمرح للأدب الانكليزي » . يلوح لي أشد أنواع الروتية
الآن . وانني لأجد الآن ان علي ان أزيل كل الامور المعقولة التي غطت
حل عدل الحقيق والتي اتارها علاج « اللامتي » . وحلي ان أعود بعصي
الي الأيام التي سقت نشرها وأبدأ بالسجل من تلك القطعة « هي تلك الأيام
التي بعدت أحداث طفلة واحدة عدداً لشيء أساسي في القاء . عكبر ان « ما هو

مبولي الاصلية . ثم أيداً بعد ذلك بكتابة سلسلة من القصص والمسرعات لكي أبحث فكرة اللامتنس بكل ما تعنيه من مفاهيم وجودية . إلا أن فكرة الاستمرار على التأليف لمجرد أنني أصبحت « كاتباً » مشهوراً هي فكرة كثرية بالنسبة لي . كما أن مزاجي ما يزال متضام مع موفاليس ويسان بول وغيرهما من الذين يتكرومون ضوء النهار ، ولهذا فإن التفكير في أن أي شيء يمكن أن يتوقع مني أو أنني يمكن أن أطلب بفعل أي شيء أمر لا أحبه مطلقاً .

يجب عليّ الآن أن أقول شيئاً عن السلسلة التي اتبعها في هذا الكتاب الذي كتبت في تأليفه عناء أشد من العناء الذي كتبه في تأليفي « اللامتنس » . لأن موضوع هذا الكتاب هو أشد تعقيداً . هي الفصل الأول حاولت أن أحدد مظاهر اللامتنس في شكل مركز وإن أبيت ما أحنيه بالوجودية . وكيف أن مفهومي لما يشتمل على أمور أوسع من تلك التي يفهمها كيركغور أو هايدغر أو سارتر . إن وجودي هي أقرب إلى فكرة غوته في « القفص » للتربية . وقد حاولت أن أركز على هذا بدعم بحثي بتحليل تركيزه ورامبو وسكوت فترجعه . وخاصة الأخير لأنه يمثل إنسان القرن العشرين أصديق تحليل .

ولا تنفع فكرة الكتاب الأساسية إلا في الفصل الثاني : عبور الحضارة للبرية . ولهذا فإن هذا الفصل مخصص لبحث شينظر وتوينبي .

ويعود القسم الثاني من الكتاب إلى بحث مشكلة اللامتنس وماولتسه لكي يكون متنبياً بقول الجبل الديني . وقد بحثت في هذا القسم يومه وسومينبرغ وباسكال وديرار ولو ونيومان وكيركغور وبرنارد شو وهرست حولهم . وقد وضعت شر في قائمة اللامتنسيين الذين عمداً لكي أبين أنه لا يمثل ظاهرة وحيدة كما يعتقد نقاد البصر الحديث ولكي أوضح علاقته بغيره من المحكرين الذين وقفوا ضد المادية منذ القرن السادس عشر .

في الفصل الأخير . فإن اتجاهي البحث . الاتجاه الديني والاتجاه الدارجي . يتقاربان لبحث أفكار لبلسوفيت كثيرين من فلاسفة القرن العشرين . فمكتشبتان والهرود نورث وايت جيد . والتناقض الكامن في انفكشتاين أن لامتنس في حياته دون أن يكون كذلك في فلسفته . في حين أن وايت هذا . حاشي حياة تنائية واستطاع أن يخلق أول فلسفة لانتائية انكليزية .

ولا يمكن أن يكون هذا الكتاب أيضاً حلاً نهائياً للمشاكل التي تشغلي . ليعلم يكون ذلك ؟ بل أنه ليس غير شروع في اتجاه جديد يصاعف المشاكل التي استمرستها في « اللامتنس » . بيد أنني أكون على الأقل قد حاولت الإجابة على التهمة التي تقول بأن مفهوم اللامتنس ليس إلا فكرة ناعمة لا علاقة لها بالواقع في القرن العشرين . أما الاستنتاجات التي ينتهي إليها الكتاب فإلا مشددة بقدر ما للأمر من علاقة بالمشكلة البرية .

ولما كان العالم قد أصبح الآن مكاناً صعباً لتسايلك فيه الحضارات فإنه لمن الصعب . ثم إن أردته انشأؤمية يحيط بالبشر فاعلم . لأن هذا أمر يتحده المنطق . إلا أنه ما يزال لدي شيء من التنازل لم تقض عليه بعد هذه الأفكار . رغم أنني لا أعرف المر في ذلك . فكل هذه النتائج التي وصلت إليها لا تعد من النتائج الحظيية التي كان عليّ أن أخرج بها .

وعلى كل حال فإن وادجي واضح : وهو يخلص في أن أعرض رؤياي بأدنى ما ممكن من الوضوح . ثم أعود بمفهومي عن الخطورة والأهمية إلى جهاني الخاصة . وهناك جد لا يمكن أنه يتعداه التفكير الباحث . وقد بلغت هذا الحد الآن .

كلين ريلسون

الفصل الأول

تحليل الخيال

هناك حالة معينة في الخبرات الطبية ، لتأثير عن رجل النحر باحراق نفسه
حياً . وقد اضطلع على حشية من القش وأشعل تحتها شمعة ، وكان ينهض بين
الحين والحين ويسجل ما كان يشعر به على ورقة موضوعة فوق منضدة قرب
مائه . وتم العثور على ملاحظاته هذه في الصباح بجانب جثته المحترقة فوق
المنضدة التي كانت قد تحولت الى رماد . وقد قال في هذه الملاحظات انه أراد
البيان بان هائياً ان المتحرين ليسوا جبناء ، وانه اختار هذه الوسيلة لاثبات ذلك .
وهي صورة الالتمس : الرجل الذي لا يكف عن الرغبة في الملاحظة والتجربة
حتى اذا كان ذلك يعني تجربة الموت .

في الحياة السرية ، لكراتقيل باركر فنجد سترود يقتبس هذه الكلمات :
« يا إلهي . خذ حياتي . لانني لست أفضل من آباءتي . »
وعند في هذه العبارة تلخيصاً لكل أساة الحياة بالنسبة للالتمس . ان البشر
أم ، ويهيون . والمجتمعات تنقر . والحضارات تسوء ثم تنحط وتندهر ،
الإنسان يظلم ، ويسأل اليوت في كورس والصخرة :
« الحياة التي نعيشها في الميث ؟ » (١)

الإنسان في هذا الشر جعياً يضيعون الحياة حين يعيشونها .

حين يبدأ بالكشف نفسه . ان كونه هو امره ما يبرره . انه قد فعل صحيح ضد عالم من المرضى النصارى الرجال .

يبدأ ان هنا نظراً جليداً دائماً لمجد في « الامتسي » . ويمكنني اوضحه بالاشارة الى يتر كيفان . القس للامتسي . في مسرحية « جزيرة جون بول الاخرى » لشو . ويشد كثر القراء ان توم بروود ينت الذي تمثله المسرحية بورجوازي انكليزياً نموذجياً يذهب الى روسكولين في غرب ايرلندا ليستحوذ على بعض الاملاك لان صاحبها لا يستطيع ان يدفع قيمة المهن . ويجد نفسه في بلاد نوح باللاتمين في مراحلهم الاولى . ويعثر عوض شوشم رائماً ، لان دويل . شريك بروود ينت الايرلندي يوضح غائلاً :

« اذا كانت الحياة كثيفة هنا في انكثرا فانك تستطيع ان تكون كتيماً ايضاً دون ان يكون هناك أي ضرر في هذا (يفرق في حلم عميق) . بيد ان مسرحيتك لا يمكن ان تجد مجالا في ذلك الهواء الرطب الغادي . وعلى تلك الطرق البيضاء المثلثة ، وفي تلك الاعشاب الندية والمزجول قلابة ، في جوانب التلال التي تغطيها الصخور القرائنية والنباتات الحمراء . انك لن تجد تلك الالوان في السماء ولا ذلك الشفق في الامس . ولا تلك الكتابة في الاصابع . اوه ، الحلم ! الحلم ! الحلم ! الحلم المنضب الذي يصبر القلب والذي لا يسمع ابداً . الحلم . الحلم . الحلم ! (يصفى) لا شيء من ذلك الصبور الذي جعل من الانكليزي وحشاً غشياً يمكن ان يجرده من القيمة والقائد كذلك الحلم . ان حيلة الايرلندي لا تتركه وجيداً ولا تفته ولا تنجيه ولكنها تحطه لا يستطيع ان يولج الواقع ولا ان يمارسه او يستخدمه او يتطلب عليه . انه يستطيع ان يسخر من أولئك الذين يفعلون ذلك . انه يعلم والخيال وحيد . ولا يستطيع ان يكون متديناً . لانه يطرده وحل الكتيبة الملهمة الذي يعلمه حكمة الحياة ونهيته السلوك .

في حين ان قس القرية الصغير الذي يقدم اليه معجزة او قصة عاطفية من خديس يجد الشكوك واليات تبني له بافلاس القراء . وهو لا يستطيع ان يبحث في السياسة براحة ، وانما يحلم بما كان شأنه فان لوحته قد قاله في عام ثمانية وتسعين . هو لا يفكر ولا يبدل . ولا يفعل أي شيء حسداً التخييل ، التخييل ، التخييل ، وليس الحيات أمراً هنا . لانك لا تستطيع ان تحمله بدون الويسكي (مرتعداً يفت ، ويحترق لنفسه) وأخيراً تعرف انك لا تستطيع ان تفعل شيئاً واقعياً بالمرء : انك تفضل ان تجوع على ان تطبخ وجبة طعام . وتكون قهراً روث الثياب على العناية بملبوسك أو بتطافة جسدك ، وانك لتصعب وتثور في البيت لان روحك ليست ملاكاً . وهي تحترق لانك لست بطلاً . وهكذا تحترق كل من هم حولك لانهم جميعاً قراء عديمي الجدوى شياطين ذلك ... (٣)

ويصح من هذا وصف كامل للامتسي . كما نجلى في الفصل الاول من الامتسي : « لامتسي ياروجس . وآكسيل : وكل ما لي ، اوبلوموف » . « انك لست اوه » . « هاملت الروسي الذي لا يستطيع ان يفعل نفسه حل اداء أي امر » . « مثل ادم صاهويل بيكت من « مالون » ، والذي اعتبر اوبلوموف بيكت » . « في انتظار بروود » . « وهناك ايضاً شيء من سميات بينس في هذا الفصل من برفارد شو : بينس كما يتحل في « الارض التي يشتهيها القلب » وفي اوهس الاحلام التي تتحل في قصائدنا الاولى . وكان شو قد كتب هذه ... (ايضاً ...) (٤)

الامس . في روسكولين ، يتر كيفان . القس المصروف غرسه الامم الذي يقضي امسيته دائماً قرب الزواشمار . ويصبح الصراع بينها وبين المرحاة . والمرووس ان كيفان لوح « بوا » : « تقول المستورة ان ... » (٥)

فرائس الموت - فلما حصر الشيطان لياحه روح المخلد أعيد وأُس كيهان وأداره ثلاث مرات ثم وضعه على جسده مرة أخرى - وهكذا فقد ظل وأُس كيهان مداراً منذ ذلك الحين ؟ ونرى في المشهد الذي يتقابل فيه كيهان وبرودينيت لأول مرة ان دويل يسأل كيهان أن يروي له قصة الحفيظة تلك الاسطورة فيقول له كيهان :

« ... سمعت ان هناك رنجياً مختصر وان الناس كانوا يخافون ان يقرّبوا منه . ولما ذهبت الى المكان وجدت هندياً عجوزاً . وقد قص علي قصة حظه الذي وكيف ان القدر ظل يهبطه باستمرار ، ومع ذلك من الامور التي تجعل كلمات المراساة العادية التي يطلق بها انفس نحيب على شفيبه . الا ان هذا الرجل لم يكن يشكو من سوء حظه ، وانما قال ان سبب تلك المآسي التي اساطت به يعود الى خطأ سابقة كان قد اقترفها في وجود سابق . ثم مات دون ان يسمع كلمة طيبة هي . وكان مستلباً في موته اسلاماً لم استطع ان حياتي ان اعمل أي مسيحي مختصر على مثله ، وتركني جالساً قرب فراشه وأنا اشعر بغموض هذا العالم يتكشف في فجأة .

برودينيت : ان هذا يضرب شيئاً جديداً الى حيرة الفهم التي ينتبع بها رعايا الامبراطورية في الهند .

لاري : لا شك في ذلك . ولكن هل لنا ان نأخذ ما هو غموض هذا العالم ؟

كيهان : ان هذا العالم يا سيدي هو بكل وضوح مكان تطبيع وعقاب ، مكان ينال فيه الاحق كل شيء . ولا ينال فيه الطبيب والحكيم الا الكرامة والاضطهاد . مكان يعذب فيها الرجال والنساء بعضهم بعضاً باسم الحب ويستمد فيه الاطفال باسم الواجبات الابوية والبرية . ويسم في ضيق الاجساد باسم العناية الصحية . ويوضع فيه ضحايا التضحية في غناب الحزن المفرغ . لا الساعات بل لسنوات ، باسم العدالة . انه مكان يجتر فيه الصاء والشقاء الملائد الوحيدة من السأم والعرب الذين تصنف اللذة بها . ولا تؤدي فيه اعمال الخير الا

... وتخلص ارواح المفسدين والموظفين . والا يا صيغي فلان دوبي لا عرف ولا مكاناً واحداً للعرب والمسلمين . وهذا المكان هو الجحيم . ولما دله لمن الواضح ان ارضنا هي الجحيم واننا جميعاً هنا كيانا اخبرني ... ولعله ارسل لاختباري بذلك - نحن جميعاً هنا لتكفير عن جرائم ... لنا ان اقترعنا في وجود سابق ...

برودينيت : ان فكرتك واضحة تماماً يا حشر كيهان : بل انها رائدة ... الا انه يلوح لي انك تهمل التفكير في ان بعض الشرور التي وصفها خورودي للمحافظة على المجتمع . اما الشرور الاخرى فلا يشجعها الا الماحطون حين يكونون في الحكم . وانني لأجد العالم مناسباً لي . بل ان هناك يدعي في الواقع .

كيهان : فانظراً اليه بهيئة شبيبة : هل انت فاتح ؟

برودينيت : كرجل عاقل ، نعم . فليس هناك في هذا العالم ما يشعرون الطيبة طمأئناً لا تستطيع الحرية والاستقلال والنظام الا ... ان تصلح . وبك المثل ذلك لانني انكليزي وانما لان ذلك امر ... ف لكل انسان .

لاري : وهل ذلك فانت تحس بكامل حزينك في هذا العالم ؟

برودينيت : بالطبع . الا تحس انت ايضاً بذلك ؟

لاري : (من التسميم) : لا !

برودينيت : (بساطة) : حرب جوبوب القوسفور . التي استعملها

الاسم ... شبه تعمي ... (1)

هذه هذه السطور لقد ما كتبه برناردشو اهمة بالنسبة اليها . لانه ... الفرف ... بن موفف المشي وموقف اللامشي . وقد كان ... مثل دهن شو طيلة حياته (ومأحاول ان اكتب عن هذا في ... عام) . بل ان كلمة « اللامشي » (باللغة الذي المصنف) تظهر ... مرة عند شو في حقننته له اللانضوج . وأهم من ذلك كله

فكرة كيفان عن الجميع . فان عبارات كيهان : دحنا العلم ... هو بكل
وضوح مكان الطاب . كانه يمكن ان نوضح على ان ايضاً كراسا زوف
في نهاية ذلك الفصل المزع الذي يذهب فيه الطاب والاعمال الذين يعاق
منها الاطفال : بل ان الاعتقاد بان هذا العلم هو للجميع يقتضي كل الاتفاق
مع رؤيا اللامتنى له . وقد تحدثت عن هذا في « اللامتنى » حين كنت
ان رؤيا اللامتنى للعلم هي رؤيا الطاب والمرارة والشقاء والوثائق القاسية
وانعدام الشعور بالامن دائماً . (انظر مثلاً مقالات همنغوي و « الطاب »
و « الجرعة و الطاب ») ان كراهية اللامتنى لجسر واحتفاره « الحياة
التي مضى بها في العيش » لا يتعدان بالموضوعية حتى يدرك ان هناك شيئاً
مطلوباً في « الطريقة التي يعيش بها الناس » . ان وحل الانعزال القوي
والاستاء والسياسي لا يرون في الانسان مخلوقاً يتبع بالامكانيات . ونفساً
يرون الاخرين كما يرون انفسهم - محدودين - ضيقين - الا انهم قادرين على
تحقيق اشياء صعبة اذا توفر لهم التعريب الكافي وتنظيم اجتماعي افضل
وتربية اكثر صلاحاً . اما اللامتنى : بما لديه من طالع لطيف ينفذه الى
ان يكون اكثر من مجرد انسان وانما كما اراد الرجل الذي ترم منطاسياً
ان يكون اكثر من مجرد فرد . هذا اللامتنى بشر بالحاجة الى أن يتبع
الانسان لاسم لوحة اعظم من مجرد مخلوقات بشرية - وان يراه بالنسبة
لعلاته باسكاليته الروحية العظيمة . أما طغرات اللامتنى فانه ما انفصلها
عن النعاسة ويجعلها المقفات حتى تصبح طغرات المكتشف الروحي .
المصلح الروحي .

ان رؤيا برودينت هي رؤيا انسانية . وهو يفكر تصطلحات تجريبية
والتححرر - بالتقدم الانساني وسط الازدهار القوي . أما كيهان فهو متشكك
وهو يذهب ابداً مما يذهب اليه امتثلة الذين الذين يشربون على الناس
بانها حقيقة خاصرة ان بشري المرء العلم ويقعد روحه . في حين انه
يعلم انك اذا حصلت على العلم فقد حصلت على الجميع .

صحيح ان فكرته عن الجميع هي اقرب الى اليوقية منها الى المسيحية .
لان ... الخلية وحسب العلم في الحقيقة اليوقية هي ان يولد الانسان
في ... في حبة أخط - ان يكون فرداً مثلاً - وبين البودي في هذا
كده ان عدم واقع الطاب القضي . ويتمثل الجميع الروحي في وضع
ال... بتتبع عواصيه وقايلات كبيرة في وضعية يكون فيها مقبلاً
... ولا يستطيع ان يبر عن نفسه . وهذه هي وضعية اللامتنى
في العلم .

ان الحركة للجميع هي فكرة اساسية بالنسبة لطريقة اللامتنى في التفكير
وهو مش في علم من القرد الذين يشتر منهم . ويقال له ان المدينه
والد ... من اخبار كحب النسي وعمارته فضائل الصبر والطفه . في
... ان ما في وسع اللامتنى ان يقول هو ان يكره حساره اكثر
... ذاهبه لغه . ويلاحظ له ان معظم البشر حتى الى درجة انهم
... ولذا فانه لا يحصل اي « احترام للحياة الانسانية »
... الذي جعله المشين . اما عقيدته فهي تشبه في التعبير عن
... كان التعبير عن النسي يعني الحرب والقتل فانه لا يتردد في
... ذلك الى عقيدة السلام ومحبة الآخرين . وتعتبره القاييس الاجتماعية
... من الواجب قتله لصالح هذا المجتمع . وبعد
... هذا معبراً عنه بكل وضوح له « زواج الجنة للجميع »
لوام ياتك . في سارات مثل .

« انه عرفتك وعرفتك فوق عظام الموتى » و :

« ان ... بشتي دون ان يفعل شيئاً اما يتبع الطاعون » و :

« ان من طفل في مهد هو افضل من كبت وغيات غير محققة »
وهذه ال ... مثل ذلك ايضاً . باختلاف يسير في « الحكمة
والشبهه »

« الحق وحل تحمل طعنا حبيب الولادة الى قلبه وساله »

الغالبية) . أو اللامتعي في «سراحله الأولى» فإنه يفهم الجحيم أكثر من فهم الجنة ، وهو يفهم الجنون أكثر من فهم لجنون العباقرة السامي الذي هو الجنون الوحيد الذي يريد أن يفهمه بصورة نهائية . وهو يعتقد بأن جنون البروجوازيين ليس جنوناً حقيقياً ، وإنما هو كفاء المستنقع الآسن الذي يلوح هادئاً وقراراً في حين أنه ليس كذلك ، بيد أنه لا يعرف نوعاً آخر من الجنون .

ولا تتجلى أهمية مفهوم الجحيم إلا بمقدار علاقته بمفهوم الجنة . وكذلك فإن مفهوم الجنون مهم لأنه خطيرة نحو مفهوم الجنون السامي .

وسيتنصر القسم الثاني من هذا الكتاب بصورة رئيسية على تعريف فكري «الجنة» و«الجنون السامي» . إلا أن هنالك بعض المسائل الهامة التي يجب علينا أن نوضحها قبل ذلك . وأولها مسألة المعنى الحقيقي لفلسفة الوجود - المعنى الذي يربطه اللامتعي بها . ويجب علينا أن نقدر ثانية إلى الفكرة الاسامية القائلة بأن البشر جميعاً قد انحطأوا في عيش حياتهم : «يا أحمى» . لقد حياتي فأنني لست أفضل من آباتي . ولا يستطيع اللامتعي أن يتغلب عن اعتقاده بأن البشر لا يتعلمون بالتجربة - لا يتعلمون الأشياء المهمة فعلاً . ويوضح أن معظم الناس يبلغون سن الرشد فيصلون إلى درجة من التضيق يقفون عليها حتى يصيب فعاليتهم الخمود والانعطاط . وهنالك طبعاً البعض ممن يلوح أنهم يفهمون جوهر تجاربهم ، ويتعلمون بواسطتها : الشعراء والفنانون العظيم . وتمثل رباعيات تيهوفن الأخيرة خلاصة تجارب حسين عاماً ، وليس هنالك ما يدعو إلى عدم الاستمرار بصورة نهائية - بل لؤلؤ موسيقى أشد روعة كلما تقدم في السن . ولكن أمثال تيهوفن نادرون . بل أنه ليس قادراً وحسب ، وإنما هو فريد . كم من الفنانين الآخرين يا ترى يمكن أن يقال عنهم أنهم ظلوا يقضون حتى يوم موتهم ؟ إلا أن خلفاً هو جوهر فلسفة الوجود . إذ الفلسفة تعني تنظيم معرفة الإنسان لتكون . أما فلسفة الوجود فإنها تعني تنظيم معرفة الإنسان لكيانية العيش تحت ظل افسى للمقاييس وأشدها - مقاييس اللامتعي . ولا يمكننا أن نمزج الأعلى عند قليل من أولئك الذين يصلحون أمثلة على هذا التطور ، لأنه يتطلب نوعاً شاملاً من الامانة

ولم يكن بين الكتاب الحديثين إلا و. ج. بيكس وأندريه جيد وروبر مازيا وريكه من «موت علم هذه الامانة» . ويستحق وريكه بصورة خاصة كل العناية باعتباره «الكتاب الوحيد الذي أصدره» .

وريكه

١١. دراسة حياة وريكه تباحث لأنه كان يمثل الفصل بمختلف معانيه . أما بيكس وجيد فكانا «رجلين معقولين استطاعا أن ينجرا شيئاً» . ولم يتوفر لوريكه إلا «مربع قدميه يوماً» ، وقد ظل وحيداً غير قانع إلى النهاية . وادون ما نجس به المرء حين يقرأ لوريكه أنه كان شديد الحساسية ، ولا يجد الفارق لديه شيئاً من الانصراف التكري الذي يجده عند البيوت أو هنتواي . إنه يمثل بالضبط ذلك النوع من الرجال الذي سخر منه و. س. جيلبرت . ترى ذلك الذي نجس به المرء حين يقرأ شيئاً مثل هذا ؟ :

«... يحاول شاب أن يفتح أنفسه طريقاً بسيطاً وسط الجموع المزدهجة في شارع كراين (الشارع الرئيسي في براغ) ، وهو يرتدي سترة طويلة عتيقة الطراز وربطة عنق سوداء يشدها حول ياقة حنيقة أيضاً . وقبعة سوداء عريضة الحافة ، ويحمل هذا الشيخ في يده رهرة طويلة الساق بواقعة الألوان ، ويمسكها أمامه بوقار وكأنه كان يحمل شمعة في قفاز .. وينوح عليه أنه يبحث عن شخص لم يره أحد » في هذه الشوارع .. وفي إحدى زوايا الشارع يجتمع بعض الشباب الصغار ويتعلمون في هذا الرجل الذي يحمل الزهرة ، ويسمى أحدهم :

«موت هو روبر مازيا وريكه ..

«سم المسيح في سعادة» . (٧)

«سند» هو وصف لوريكه حين كان في العشرين ، كتبه شتاينر براغ .

الثالث الذي كان يحاصره . وبعض الطرق . فاذ من يقرأ رسائل ريلكه -
ومعظمها رسائل حارة متدفقة كتبها لـنساء يكرهه ساً - يشعر دون ارتدائه بان
ريلكه كان صبياً بين ذواحي امه ، وبانه لم يكبر من ذلك قط . ونحن يعرف
القارئ ان والدة ريلكه وبته وكانت كان فتاة ، وابنته ملايس الزبات حتى
دخل المدرسة ، وانها حتى حين دخل المدرسة كانت تلعب معه بعض الالعاب .
وكأنه كان « صوباً الصغيرة » (ابنتها الجميلة) ، فانه لا يبعد بدأ من
التراجع والعودة بسرعة الى الماضى منموتاتي التي يصصف فيها طفولته في
غابات مشيخان .

ولكن بالرغم من ذلك كان في ريلكه عنصر من الخشونة عريب عليه ؛
يشغل في قابلية بودليرية حل قبول آلامه وتغيير طبيعتها وتحليلها بطريقة
الابداع والخلق .

وكان والده موظفاً مديناً في السلك الحليدية ، عسافياً تحتفظ عائلته
بضاليد عسكرية مقيمة ، الا ان صحته لم تسمح له بالانخراط في الجيش .
وكان يريد ان يصبح ابنه ضابطاً ، وهكذا حصل ريتز من امه التي كانت تدله
وارسل وهو في السادسة عشرة الى المدرسة الحربية في سانت بولتن .
ولم يكن الى ذلك حين قد غلط غيره من الاطفال ، بل ان مربية خاصة
كانت تلعب به الى المدرسة وتبنيه منها . وقد عرف اقصى انواع النضج
في جو الاكاديمية الحشن القاصص ، ولعل ما زاد من تعاسة انه كان دائم
التكوى . وفي خمس سنوات في تلك المدرسة ، ووصف نفسه حين
تركها فقال انه كان « في اشد حالات الاحبال ، جشداً وعفلاً » . بل انه
شبه المدرسة بمسكن الاعتقال الذي وصفه دوستوفسكي في « ذمت الموتى ١ » :
ولا يمكننا ان نقرر ان كانت السنوات المفاجئة التي عرف فيها خشونة حياة
التلميذ الحربي قد اضرت به ام نعت . بيد انه اطلع في من السادسة عشرة
في مفادرة المدرسة باعتبار انه كان مريضاً - ولعل الانشطة التي تقول
انه قد هرب من المدرسة صبيحة ايضاً . وهو في الاكاديمية نحارة

١ . فتر فترة قصيرة . ولاح انه كان تلميذاً ممتازاً في تلك المدرسة ، ولكنه
لم ينجح في صبيحة حمة بعد ذلك وبدأ يدراسة القانون . أملاً في ان يخلط عمه في
دوره المحاماة . ولعله قبل بتوصية عمه لانه كان سيدفع نفقات دراسته فيكونه
مؤتمراً لتسل لأعائلة نفسه . ولاح ايضاً انه كان أملاً حالاً في جامعة براغ من
الأكاديمية . لان الحبة الجامعية أتاحت له الوقت الذي كان يشغله ليطرح
نقطة . إذ انه كان قد قرر في ذلك الحين ان يكون شاعراً ، وكان يحاول منذ
طفولته ان يكتب بعض الابيات ، وكان امراء بشيخانه في الفترة الأولى من صباه .
أما الآن وقد بلغ السابعة عشرة فقد بدأ يكتب صدىً كبيراً من القصائد
نوع . وأحب عدة مرات ، وكتب الى إحدى النساء اكثر من مائة وثلاثين
رسالة ، وقد باعت تلك المرأة رسالته بعد ذلك الى المصحف الرومي . (كان
يحتج مولماً بكتابة الرسائل الطويلة ، وتقع مجموعات رسالته في عدة مجلدات ،
وعبر كل رسالة من رسالته في اناقة الشعر) .

ليس المهم في ريلكه جوعة قصائده ، ولو كان قد مات في سن الخامسة
أو ثنتين لما تذكره أحد ، بيد ان اهميته تكمن في انه استغل ذاته بصورة
عديدة في تصور الذي ابع كمشاعر . ان حياة ريلكه تجبر مثلاً والعلماً
على الابداع الذاتي . وقد كان مثل معاصره العظيم سيلبوس في ان اعماله
الاه . كانت حالية من اية موهبة خاصة . ولم يكن يستطيع إلا الناقد الذي
يخرج بأقوى احوال ان يميز ريلكه من غيره من اشهره الشباب الذين زاملهم
١ .

وقد ظهر ديوانه الأول حين كان في التاسعة عشرة . وقد طبعه على
سنة ، وكانت الصبيحة الصغيرة التي كان يصورها باسم « الحدياء البرية »
في كتابه فيها الى المشتبهات والجمعيات الحبرية . ويمكننا ان نجد شيئاً من
الاشغال في المكرة الأخيرة : كتابه « أغاني الناس » وتوزيعها عليهم عاماً
في عصر شواوس الأخرى في السنوات التي تلت ذلك . بمعدل ديوان
واحد في العام . ولما دم الثانية والعشرين عمر على مؤامرات الخامس الداعركي

بينه وبين لو في هذه الرحلة فتركه وحيداً في بضميرغ . ولا يعرف أحد إن كان ويلكه عشيق لو إلا أنه من الواضح أنه تخلى من سيطرتها عليه بعد زيارته الثانية لروسيا . وقبل دعوة جاتيه من أحد أصدقائه لزيارة قريبة فورستفيلده . حيث وجد ويلكه مكاناً خاصاً أعد له صديقته الفنان الذي كان قد صممه جبال البراري الرصين . وهناك عقد ويلكه صداقة مع جماعة من الفنانين اللواتي كن يتدربن على الرسم والنحت . وكانت يتهنن كللوا فيستهدف التي أصبحت زوجته بعد ذلك بقليل . واستأجر الزوجان بيتاً ريفياً في تلك البراري ثم صار ويلكه أباً .

ولم تكن حالته المالية على ما يرام . وكان حتى ذلك الحين يستلم مساعدة من أبيه ، إلا أن أباه كتب إليه في تلك الأثناء يخبره بأنه لم يعد قادراً على إرسال المال إليه واقترح عليه أن يعود ليحصل على وظيفة في أحد المصارف . وافترعت الفكرة ويلكه فبدأ يكتب إلى أصدقائه سائلاً إياهم بحجة أن يملوه على مشروع ادبي مشر ، فطلب منه انهم ان يكتب سلسلة من المقالات عن فناني فورستفيلده . وهكذا استطاع ان يتجر وقتاً من رغبة من العمل من أجل العيش . ولكن الحياة لم تكن سهلة في البيت الريفي . كان الطفل يصرخ في الوقت الذي كان فيه ويلكه يحاول ان يكتب .

واخيراً - ولعل ذلك كان من خبطة ويلكه - وحلت زوجته لزيارة بعض الاصدقاء في هولندا ، ودعي هو لزيارة أحد الأصدقاء في قلعة من ضلاع هولشتاين . ولم يستقر ويلكه بعد ذلك مع زوجته إلا فترات قصيرة متقطعة ، وقد نصح في ذلك إلى حد ما ، لأن زوجته كانت تمنح بطبع مستقل . ولذلك فلم يحدث بينها أي شجار .

وفي عام ١٩٠٢ . وكان قد مر عام على زواجه ، طلب من ويلكه ان يكتب سلسلة من المقالات عن رودين ، فكتب يصف قلوب النحات الصبور لماريس . ثم ذهب لزيارته في تلك المدينة . ولكن ويلكه انماز من باريس لفرعه يؤسها وقرعها فكتب إلى لو سالومي عن دهشة المفزعة . وعن

أربعة من تلك الحياة المضطربة . لقد رأى باريس أرضاً غريبة لا تمنح لرضي . نجوش المحتضرين . شعب من الاموات . وكان الكتاب الذي تلاه ينقث التجارب . حاله لاورينز بريته . واحداً من أشد الكتب كتابة في العالم ، وهو يشبه فيلزل ليهنه . في انه قصة شاعر شاب ليس تحوياً القوة الثانية . وهذه القصة مكتوبة على شكل مذكرات . كما انها تضم عدداً من مذكرات ويلكه الشخصية الموضوعة في قالب قصصي . ولا يتعارض هذا الشاب إلا عدد قليل من الكتب الأخرى في الأدب الحديث ، لما فيه من حياة كنية بائسة .

وبالاضافة إلى ذلك كان تأثير رودين عليه لم يكن يقل عن تأثير روميا . وكان ذلك العجز - الذي كان في الثانية والستين في ذلك الحين - مثلاً حياً على التحمل والانصراف للعمل . وكانت روسيا قد أصبحت على أعماله . لكنه عاصراً صديقاً . أما رودين فقد أعاد ويلكه إلى الأرض فصارت له لسانه أكثر حدة ووضوحاً . وفي عام ١٩٠٥ قضى ويلكه فترة من الوقت في باريس لرودين . إلا ان هذا العمل ضابفه ولم ينج له الوقت الكافي للتأليف . ثم تألفت العلاقات بينها فافصلا . رغم ان الصداقة ظلت قائمة بينهما . ولعل رودين عرف ان ويلكه كان ضعيفاً شديد الحماسية .

أما في السنوات التالية فقد طاف ويلكه بأوروبا وقضى فترة طويلة في صياغة عدد من النبلاء . وكان ويلكه ميالاً إلى الطبقة ، وكان مجل إلى الاعتقاد بأنه كان يتحدر من بلاء بولندا . رغم ان أجداده كانوا في الحقيقة من الفلاحين الألمان . وأما تأليفه حاله يبطئ . وتم نشر هذا الكتاب في عام ١٩١٠ . ونجح ذلك عدد آخر من درواوين الشعر . وكان كتابيه . كوريت كرمشوف ويلكه . قد جاب له الشهرة في أوروبا كلها في عام ١٩٠٦ . رأى بعد بضع سنوات من تأليفه . أما دواوينه : كتاب الساحات . وكتاب الصور . و قصائد حديثة . فقد احتوت على قصائد كانت منسوبة اسم ويلكه إلى قائمة شعراء أوروبا العظيم . وكانت أهم صداقة

عقدتها في تلك السنوات صداقه مع الاميرة ماريا فون ثورن اوتت ناكس هوهنلوهر . وقد تقابلا في عام ١٩٠٩ مباشرة بعد زواجه . وكانت تكبر رينكه بعشرين عاماً ، وسرعان ما وجد فيها ملامح أمه . الأمر الذي دلها هي ايضاً . وغلت طيلة السنوات الاخيرة من حياته تحيطه بالمطف الذي كان في حاجة اليه - بالإضافة الى المضد الاجتماعي والمالي . وفي عام ١٩١٦ ، وكان في ذلك المين يحش في قصر الاميرة ، بدأ بكتابة الاقسام الاولى من أروع مؤلفاته « مدائح دوين » .

واندلعت نار الحرب ، واستدعي رينكه للخدمة العسكرية ، وكانت ثلاثة أسابيع من الحياة في المعسكرات كافية لانهاكه . فأعطى عملاً كتابياً في وزارة الحرب . وفي عام ١٩١٦ قدم حشد كبير من الكتاب الالمان عربضة طالبوا فيها باعفائه من الخدمة . فصاد الى ميونيخ . إلا ان تلك التجربة كانت قد مزقه ، لأنها كانت تشبه تجربته المبكرة في الاكاديمية الحربية ، كما ان رعبه من الحرب جرده من القابلية على الخلق والابداع . وما ان انتهت الحرب حتى هرع الى سويسرة حيث حل ضيفاً على بعض اصدقائه . واستطاع ان يستعيد نغواه شيئاً فشيئاً ، وكان ناشره يرسل اليه شيئاً من النقود - وكان يفعل ذلك طيلة السنوات الاثني عشرة السابقة - وانتقل رينكه الى باديس فترة من الزمن . ومنها الى قلعة آخاره اياها بعضهم لمدة ستة أشهر ، إلا انه انتقل بعد ذلك الى شافه دي موزو في وادي الرون . وهناك تلقى غداً بالبقية الباقية من « مدائح دوين المشر » ثم كتب « قصائد الى اورفيوس » التي يعتبرها البعض سيده مؤلفاته الثانية .

ولاح ان ذلك المجهود الضخم قد استفد غواه ، ولم يكتب خلال السنوات الخمس التي بقيت له من عمره إلا القليل ، إذ كتب بعض القصائد بالفرنسية وانجز بعض التراجم . وتدهورت صحته فمات في كانون الاول من عام ١٩٢٦ .
قد يسأل البعض ، بعد هذا الوصف الموجز لحياة رينكه : كيف كان رينكه لامتسياً ؟ الواقع انه لم تكن هناك مأس شاذة في حياته ، كالتقي التي

م فيها نيتشه وفلان فرخ و مت . ي . لورنس مثلاً . فاذا أراد المرء ان يكون دسياً عليه فانه يستطيع ان يقول انه قد حل مشكلة كسب العيش بحلوه « صيماً » على الآخرين ، وانه قضى حياته في القلاع والقصور التي كان سميرها من اصدقائه الاوسقراطيين . إلا ان البحث الدقيق يظهر انه كان من وجهة نظر شديدة العمق ، أشد لانهالية من نيتشه والآخرين . لأن أبسط طريقة لتعريف اللامتسي تتمثل في قولنا انه الرجل الذي يعتبر العالم ، كما يراه معظم البشر . أكادوية وغداً . ويعتبر بليك . بهذا المفهوم ، اللامتسي الاول . كما ان الحقيقة التي تشير الى ان البشر يحتاج بعضهم الى بعض ، وانهم يعيشون في اتصال وثيق . تعني انهم يفرضون طريقتهم في رؤية الأشياء على بعضهم بعضاً . وهذا يعني انه يبيها يكون الانسان خضوعاً في المجتمع فانه من المستحيل عليه ان يحقق أية رؤيا للعالم مختلفة جذرياً عن رؤى غيره من البشر . بل ان بليك . بما لديه من ادراك ناظم . وكرجل يرى رؤى . كتب يقول :

« وما يدريك . فكل كل طائر يشق الطريق الهوائي »

هو عالم واسع من النبتة ، تطبق عليه حواسك الخمس ! (٨)

وهذا فقد نفذ الى اعماق جذور مشكلة اللامتسي بطريقة لا يمكن ان يفعل ذلك بها إلا النابغة . ولا يستطيع الانسان ان يكون انساناً مثالياً في عالم القنود . امر المستحيل ان يكون الانسان عطفاً وسط الاقام . ومع ذلك فهذه المشكلة هي أهم ما يواجهه اللامتسي من مشاكل . ويقول رينكه في المقطع الذي انشده في « اللامتسي » من « ماله » :

« أم المستحيل انه لم يسمح احد أو ير أو يقل شيئاً مهماً أو واقعياً من الآن »

أجل - ان ذلك محتمل . (٩)

« يسأل ماله منه في هذه الصفحات الطويلة من الاسئلة والاجوبة »

هل من المحتمل انه بالوغم من اكتشافاتنا ونفدنا . خائفاً ما نزال على

« نيل الحياة » - بل من المنحصر ان نادى العالم كله قد اخطى - فهذه ؟

وهو يجيب على كل سؤال بقوله : « أجل - انه ذلك محتمل »

« الانزال الختام » - ذلك هو ما يريد اللاتمني - وهو يعرف انه اذا استطاع ان يحقق ذلك فانه سيقدر الى العالم بطريقة مختلفة تماماً مختلفة الى درجة انه يستطيع ان يقول ان العالم لن يكون نفس العالم - وتتمثل آخر مشاكل اللاتمني في انه يريد ان يرى رؤى - وأول خطراته وأوضاعها هي ان يفصل نفسه عن الآخرين ، لئلا يتأثر بطريقتهم في رؤية الاشياء - ويعتبر تساؤل ماله أساس هذا السلوك .

بل يمكننا ان نقول ان ريلكه صار شاعراً باوادته . وقد ذكرت اني ان قصائده الاولى لا تظهر أية موهبة « كما انه لم يستطيع ان يكتب قصائد ممتازة في من السادسة عشرة كما فعل رامبو أو هوغو غرون هوفمانستال . وقد استطاع ان يتلبس بلبوس مثله الأعلى للشاعر ، ثم صار يؤدي دور الشاعر مقتصداً ذلك حتى صار شاعراً بالفعل - ووسع من قوى احساسه . ولما حدثت تجربته المطبعة في روسيا كان مستعداً لها . طادت الازهار الرقيقة والغابات والكاتدرائيات والكنائس الصاعدة وشعوره بأنه وسط شعب لم تؤثر عليه المادية الغربية . أدت تلك الامور كلها الى تركيز حواسه فصارت « ذاهلة شوانة » . وبعد تجربته في روسيا صارت مؤلفاته مشبعة بالدين . وهو يسمي أول خمسين من ديوانه « كتاب الساعات » : « كتاب حياة الرهبنة » و « كتاب الحج » وهما يمثلان تأملات رابع روسي في « الله » والطبيعة ، والحياة الانسانية . وقد قال ج . ب . ليشمان ان كل شيء رآه أو شعر به ريلكه في روسيا كان من اعماء الله . ومن الواضح ان روسيا لاحق له وكتابتها كانت طوبائية روحية . في حين انه كان قد جاءها شاعراً شاكياً . لم يكن العلم بالنسبة اليه حتى ذلك الحين غير مكان كتيب معاد حافل بالمشاقفة . ولا شك في ان روسيا عام ١٩٠٠ لم تكن روسيا التي كانت تصورها ريلكه . وكان ما حصلت هو ان رؤيته لروسيا المتقسمة - بدلت من مجرد شاعر الى انسان رؤى - وهذا حدث

انه شاعراً أعظم .

أما التجربة العظيمة الثانية - بصرف النظر عن ألفتها عن « فتيات الزهور شابات » في فورستفيلد - وزواجه - فقد كانت يمسك ذلك تماماً . باريس - في الكتابة - حيث تطلق الاشباح على المارة في ضوء النهار . وبعد الساعات . وحي عاد الى القنص . ودارت العجلة مرة أخرى . وعادت الرؤيا الاحلية . فظهر - ونجد هنا ان آخر اجراء « كتاب الساعات » يدعي « كتاب اللؤلؤ » . ثوبت ، كما نعد ان اول عبارة في « مائه » هي :

« انني انظر هنا لكي يعيشوا ؟ بل انني اعتقد انهم يأتون لكي يموتوا » . وتحتوي « مائه » على كل ما كان ريلكه قد تعلمه في عشرين سنة عن « التحول الى شاعر » . وتحتوي ايضاً على نبذة للشهرة التي تحول اللاتمني الى نجم . وهو يجادل من الشهرة قائلاً :

« الشهرة - الدماء العام لكل من هو في طريقه نحو الصبرورة . حين يحل العوام أساس بنائه وينزلون صغوره .

« انني اشد في كل مكان الذين ينجم في اعمامهم شيء يجعلهم يرتعدون . انني اتعلم من حقيقة انه لا أحد هناك يرفقكم ! فاذا حارصوكم . وإذا « حارصوكم » فما هو هذا الخطر الواضح الذي يحفظكم متركزين في « تفارقه بالانحياز » بالمداء الحاذق للشهرة التي تترككم حديمي الضمور في فؤادكم » (١٠٦)

« مائه » كتاب عظيم . لأنه يصف وصفاً لادراً رجلاً وحيداً في الصراع بين ثقته بقوته كلامته . وبين شعوره بأن العدد المائل الى الصفر يمشي حول له وكأنه ليس موجوداً بينهم هذا العدد المائل ينفي « مائه » صفحات في الكتاب يلوح فيها مائه قادراً على تحقيق قرة « مائه » من شيف وولف طالع هيس وبين عجزه عن انجاز أي « مائه » في وصف فيها « مائه » مروره بالذات التي يرى فيها « مائه » النفس على أولها « مائه » غفلة غريبة انشلت من الس

تتسم في هدوء ، وبمثل ثنائيا وجه يتوحد ومن ارادة السيطرة :
 ١ . تلك القصة القوية من الطوائف المركزة ، وذلك الشاؤم في تلك
 الموسيقى التي تحاول ان تنطلق من الاسوار باستمرار ، وملاحح انسان اطلق اليه
 على فته لتلا يسمع غير انغامه ، وتلا فتوده الاشياء العابرة الى الضلال ...
 من الذي سيمتدح الآن عن أفئدة المشيعين ؟ من الذي سيعدها من
 قاعات الكونشرتو ، من جماعة العاصيين الذين في آذانهم دفر ... ٢ (١١)
 فإذا كان « مائه » كتاباً أقل كمالاً من « نيلز ليه » فذلك لأن ريلكه كان
 في حاجة الى الاستقرار وإلى عزل نفسه لكي يحصل من الكتاب قصة
 طويلة (بل انما نجد في « صورة » جويس - الذي يحمر بقرب المكتب
 الى « مائه » ان الصعوبات القليلة الأخيرة فقط تعتمد على أسلوب المذكرات ،
 ولذلك لماها تكثر اضعف المسام الكتاب .) ومع ذلك فانا نجد فيها
 تركيزاً فكرياً لاها ليست قصة الامر الذي يجعلها فريدة مثل « فنتيان » و « لاور » .
 ان النصب والحيلة اللذين يبرزان في « مائه » هما مرحلتان في طريق التحول
 عن شاعر الى انسان رؤى . وحقق ذلك الحين فان المطهر المسرحي الفني
 المجدد كون ريلكه شاعراً قد جسده مدركاً لنفسه الى درجة انه لم يسهل عليه
 ان يتخلى عن نفسه بسهولة لينتقل الى مراحل جديدة من الخروج . (وكما
 كان يحمل الزهور ويسير في الشوارع في شبابه المبكر انه صار الآن يرقص
 الصنوبريات الحزينة السوداء ، ويعطر نفسه بالكلونيا .) وطبقت شهرته
 كشاعر الآفاق . ولكنه لم يكن يملك وفقاً كافياً ليشفي بهله شهرة ،
 لأن ذلك كان يعني التوقف عن التطور .

وقد كتب اولي « مباحث دويتو » بعد عامين من انهاء « مائه » . وسوف
 الجميع القصة التي تروي عن كيفية امتحانه البيت الاول ، فقد كان
 وحيداً في قلعة دويتو التي تعود للأميرة هاريا ، وكانت تقع قرب تريسه .
 وفي صباح يوم ماضى اسلم ومائة اقلته ، وكانت تحقق بعض الامصال ،
 ولما كان شاعراً شديد الحساسية فقد سمح للمشكلة بسان فتوده الى باس

شديد . فخرج يتشقى في شرفات القلعة . وكان البحر يصخب اسفل الاسوار .
 « مهلاً لاح له وكان هذا البيت كان يبط عليه من السماء .
 « من الذي ، لو صرحت ، سيمسح في نظام الملائكة ؟ » .

٢ . فذلك هو باس الشاعر الذي كان يشعر بأنه يجب ان يكون هائل
 شلال ما من كونه ~~فذلك~~ أكثر من كونه كالقزود التي تنسى نفسها بشراً .
 « هذا دعا هذا « النظام السامي » من الكائنات « الملائكة » . رغم انه فانا
 استطاعه أن يدعوه الانسان السامي « كما يعمل شو وتيشه « أو الآلهة
 « كما فعل الاقدمون » . وصجل هذا البيت دوراً في دفتره . وتنامى الرسالة
 في أفئدة ، وجلس ليتم المديح الأول . ثم كتب الثاني بعد ذلك مباشرة ،
 « من المديح الأخرى في تلك الحلى من القوة الخلاقة . الا انه لم يتم المديح
 لأجله الا بعد عشر سنوات .

وعطراً الى ان « المديح » تعتبر اعظم مجموعة من القصائد عرفها العصر
 الحديث . فانه ليس من العدل ان نحاول اقتطاع شيء منها هنا . وقد اشتهرت
 هذه المديح واشتدت على البلدان التي يتحدث اهلها بالالمانية ثمناً ككتاب
 « الأرضي القفر » لاليوت على الكاترا وأميركا ، رغم انه من الأفضل
 مشاركتها « بالربايات الأربع » لاليوت . وترثكر فكريتها الاساسية على
 ذلك : ثقة ريلكه بالحاجة الى نظام اسمي من الوجود . (ومن الجدير بنا
 ان نلاحظ ان المديح نشرت في الوقت الذي ظهرت فيه « العودة الى
 « مديحنا » ، شو) . بل ان في بعض الابيات من القوة مما لا نقدها
 المترجمة روعتها :

« لان الحبال ليس الا

بدية الرعدة الذي ما مرال قادرين فقط على احياله . » : (١٣)

أما الصكرة التي تتحكم في « المديح » فهي مفهوم العنصر الانساني
 « مفهوم » . فربما نستطيع ان نحصل من القصائد الانساني ، أمراً لا أهمية
 له . وقد تطرق بيبي الى هذا صلة مرات في قصائده الأخيرة

« من طائ سيبي » لو صرحت « من صفوف الملائكة » (١٤) .

• الذي تبارأ من البرى

من الرجل العجوز في السماوات

... تتابع انه يلهب ذلك العذاب ويحجوه

أمر لا ينكره انسان مثقف حقاً ... (١٤٩)

واهم من ذلك ان • دين • ريلكه في • المذبح • هو دين فيثيه • وهو
يرجع هذا في رسالة بحث بها في البولندي الذي ترجم • المذبح • :

• وعلى كل حال • فلم يكن • الدين • بالمفهوم المسيحي • الذي تراجع
منه دراسة نشأت شيئاً قديماً • • • • • وإنما كلان ذلك صادراً من ادراك أوصى
خالص • أرضي عريق • أرضي سعيد ... (١٥٠)

كان ذلك في الحقيقة تأكيداً على رؤيا فيثيه على قمة التل • ولوحة
بان عوج • ليلة النجوم • • • • • والسمفونية التاسعة لنيهم • بالإضافة الى عنصر
من صورية غوته في آخر كلمات غاومث :

• كل الأشياء المنحلة

هي ظن وحجب •

والنقص في كمال الأرض

يسبق هنا الكمال ... (١٦٠)

وتظهر صولية الأرض في المذبح التاسع في السؤال التالي :

• ... هل نحن هنا فقط لقول : بيت •

جسر • يتجوع • بوابة • وعاء • ... • (١٧٠)

وفي :

• اينها الأرض • أليس هذا ما نريد • • البحث الجديد

اللامرئي فينا ؟ أليس هو حطمت

ان تكوني يوماً غير مرئية ؟ الأرض ؟ غير مرئية !

وما الذي تغلبه أبداً • غير التحول ؟

(١٨٠)

Ente, du liebt, ich will ...

ونحب على ان اترك العبارة الأخيرة بالألمانية : فاد ترجمتها بعبارة :

• اينها الأرض • الحب • سوف أفضل ! • نسلينا ما فيها من تأكيد نشوان

أما • لايات الأولى من المذبح العاشر فقلعها أعظم آيات • المذبح • :

• يجب على يوماً ما • حين انهي من هذه الرؤيا للفرقة •

ان أندق بالشكر المقبط للملائكة الصاعدة !

ولعله لن يستحب حق ولا أشد أوتار القلب تألوا

لانه يتصل بأوتار خاملة او مقطعة أو محاطة بالشك !

وقد تظهر روعة جديدة اكتشفها

في وجهي المتلقى ! وقد بشر البكاء الخاوي !

كم متكونين عزيزة على حينذاك • يا ليالي العذاب !

أوه • لا فناء • اينها الشقيقات المقصوعات • لم أركع بانعطاف أشد

لاستبلك • لاسلم نفسي الى جذباتك المنحلة ؟

نحن • علمين نقرط في الاحزان !

كم تحلق عائدتين بامصارنا في احتمال كتيب • الى ما وراءها

محلون ان نتكهن بالنهاية ! في حين انها ليست

غير أوقاتنا التي نخرج في الشفاء • وانضمرنا الدائم الهادي •

ليست غير فصل في عام كياننا الداخلي ... (١٩٠)

أما الفكرة التي بدأت تسيطر على ريلكه فهي فكرة الادراك السامي

واستخدامه الفعلي لتجربته في محاولة كاملة لاعادة بنسائه كيانه • ويحبر

المتنطق السابق قطعة أصيلة من فلسفة الوجود بالمفهوم الانثاني لانها تظهر

ويلكه وقد بلغ حداً جديداً من الادراك • وكانت وسيلة في ذلك انه عمل على

يجاد رابطة تشابه بين تجاربه الصحية • ويختفي خلف هذا المتنطق شعور بأن

النشر يضيء التجربة لأنهم يدبرون وجوههم عنها ويحمون رؤوسهم باليد •

وكانهم يحاولون ان يتجنبوا ضربة • نحن الذين نقرط في الاحزان • — نحن

الذين نقرط في الحياة • وهذه هي طريقة ريلكه في الاجابة أو في التعبير

عن سؤال الموت :

• ليس هي الحياة التي صبتها في العشر ٢ •

وينصح من البحث الدقيق ان فلسفة ويلكه النهائية هي فلسفة الارادة . لان جميع التجارب يمكن ان تستخدم كالتطابق لانه ادراك لروى . مما اذا كان هناك مجهود مدرك من اجل انجساد التشابه . وليست الاحزان وحدها هي التي تدفعنا الى ان نخلق عالمين بامصارنا في احوال كتيبة الى ما وراءها نحاول ان ننكح بانهاية . . . وانما بدفنا الى ذلك ايضا جانب كبير من تجربتنا . ولما لم تكن بشراً سامين لان عقولنا لا تصح لخلق كله في وقت واحد . ويجب علينا ان نختار ما نتذكره . ونحن لا نذكر الا تلك التجارب التي نسمع لها بان تغل في لا اكثرنا . ان . مدائح . ويلكه هي دعوة لاذل مجهود ارادتي لاجساد التشابه . دعوة من اجل اقل ما يمكن من اللااكثرنا . ولقد في المديح الرابع الكتيب :

• Wir sind nicht einsig •

الذي يعني : ان "كلاً" متا ليس واحداً . . . ونجد ان الفصل الذي كتبه ولين جيس بموان ، النفس المقسمة . . . يعتبر كله توضيحاً لهذا البيت . وقد شعر ويلكه . كما شعر هيس . بان البشر يتفقون حياتهم في حيرة دائمة . في سأم أو شقاء أو شك دائم . أما لحظات الانعزال السامي . حين اسمو على تجربتنا ونرى فيها بعض المضي . فلها لا تحدث الا نادراً . ونحن نشعر في تلك اللحظات بالانحداد . ويتوفر لنا احساس شديد باننا احياء . ولا يعود العالم بصدا علينا . وانما نشعر بالانساع . ونشعر بان العالم يقف حول ادراكنا . ومن الغريب ان الحيوانات تلوح واحدة . ولكن ذلك يرجع الى ان الادراك العالي يعرض تأزماً جديداً . وهكذا فان البشر الذين يعترفون بالوحدة . أو ت. ي. لورنس حين عبر عن حسله للجندي الذي كان يقاتل

• المحاصرة الثامنة من اوج التجربة للينيه •

كتياً . . . انهم يخشون ذلك الادراك تقريباً . انهم يخشون الجنون . بيد ان ذلك التأزم لا يحدث الا في منتصف الطريق . وقد ادرك ويلكه انه كان في حاجة الى بذل مجهود لتأكيد والاثبات . ومن الطبيعي ان يحس الانسان بالتأزم اذا كان يقف بين كرتين . لاد عليه ان يفرض على اي كرتي سيجلس . فاذا فضل الكرتي المنخفض (كما فعل لورنس) فيجب عليه ان يجلس على ذلك الكرتي . اما اذا قرر ان يجلس على الكرتي العالي فعليه ان يملك مجهوداً ارادياً ليحقق حالة الادراك الجديدة وليحاول ان يسيطر على تجربته بدلاً من ان يسمح لها بالسيطرة عليه . ولقد تكون هذه طريقة غير شمرية في التعبير عن الفلسفة الكامنة في " المدائح " (ولقد تكون بسيطاً أكثر مما يجب طبعاً) ، الا انها اللغة التي يجب ان تقدم الشروع بالعمل . ولهذا فان فشل ويلكه يمكن في انه لم يحاول ان يث الثمرة الواسعة بين الكليات والاعمال . ولعله كان يجب الكليات جداً . وبالرغم من ان هذا من مصححتنا . الا انه كان سيئاً في مأساة حياته .

ومع ذلك فقد كانت لحظات معينة من حياة ويلكه تقرب من التجربة الصربية . وقد وصف واحدة منها في قطعة ثرية سماها " التجربة " . وقد كان يشقى في حديقة غلمة دوينو وهو يقرأ في كتاب . ثم انطلق بين الحصان شجرة منخفضة . ثم شعر فجأة بأنه :

• قد تطفل في الطبيعة تماماً . في تأمل لا مدرك تقريباً . وبدأت مشاعره تنسقط شيئاً فشيئاً على احساس لم يبق له ان يحس به من قبل : اذ لاح له وكأن موجات لم يكن يفهمها كانت لتنتقل اليه من باطن الشجرة . . . ولاح له ان جلسه لم يتلي من قبل بمثل تلك التيارات الطيفية . بل ان جلسه لاح وكأنه صار روحاً . . . وقد .. تساءل عما حدث له في ذلك الحين . واستطاع ان يجد تعليلاً مقنعاً في الحال . اذ قال نفسه انه كان قد انتقل الى الناحية الاخرى من الطبيعة . . . (٢٠)

ولقد عرف لحظات تجربتي مثل هذه كالتجربة ذكرها في رسالة الى الأميرة

... وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي - ولم يكن أحد قد حضر بعد إلى غرفة الاستقبال الضيقة التي نزلت عن الجدار ، كنت أقرأ الحديقة لشاعر مجهول . وكنت مبتلأ بالتركي والمندوء الذهبي التي . وفي الخارج كانت هناك الحديقة . وكان كل شيء متفق الخمسة معي . وكانت تلك ساعة من الساعات غير المألوفة عظمتها . ساعة مدخرة جانباً . وكانت الأشياء تلوح لي وكأنها متصلة ببعضها تاركة حولها فراغاً . فراغاً لم يكن يخلقه شيء . فأما كياض الزهرة ... فراغاً . جدد الانسان نفسه فيه ساكناً هادئاً تماماً ... (٢١)

ولا يمكن ان تكون هذه التجربة الثانية تجربة « صوفية » بالمعنى المقهور . اما جوهرها فانه يكمن في عبارة « مبتلأ بالتركي والمندوء الذهبي التي » . وهي تشبه الحالة التي اراد شري راماكريشنا ان ينفذها بعزل نفسه وبمعصية ذاته ، الحالة التي يصحبها بلوغها في هذا العصر اخذت انشط . بيد ان الحالة التي يولد فيها الاحوال الصوري . وعليها ان غمض ما يحلأ اوسع عند تشا اسويديفريغ . ودمه في الفصول القادمة . واهم ما يجب علينا ان نعرفه هو ان التجارب الصوفية ليست تجارب من شكل آخر من الواقع . وإنما هي ادراك لهذا الشاغل نفسه : يراه الانسان في رؤيا واضحة ووضوحاً غير متأنف وفي در نير أشد .

ويعتبر الاستنتاجات التي استخلصها ويلكه من تجاربه « الصوفية » اعم من التجارب نفسها . ويكمن جوهر فلسفته في عبارة « الشكر والامح وغير كل شيء » . وتجري هذه الكلمات على جوهر عظمة ويلكه . وقد اصبحت شخصية رادلي . التي ، لانه راجع فيها الاختراز ويخلق منه شعراً . وتدور القصيدة على سبيل منبه رادلي في العالم . ولم تكن « رادلي » هي الشخصية التي ظهرت . حتى استخدم « رادلي » عبارة « الشكر والامح » مع رادلي .

مرة ، كما لم يكن متفاني قد بدأ بالتأليف بعد . الا ان هذه العبارة تظهر ايضاً عظمة « يولييس » و « دواع » لصلاح . اما في « يولييس » فلاننا نجد تعصلاً دقيقاً لكل ما هو تائه يثبت على الاختراز ، ولاننا فان القسم الاول من هذا الكتاب يثير الاختراز في نفوس القراء حين يتصفحوه لأول مرة ، في حين نجد في مشهد القلبة القليلة قوة مائلة تبدأ بالتدقيق وتتشرب على هذا التدقيق حين تظهر شيئاً فشيئاً في فصل التساؤل مسجورة دبلن كما يراها الله . ثم حين نعلم البلدة بلوم انبجاً بمشاكلها السابقين ويلوح عليها أنها تصبح الارض نفسها دائرة حول الشمس ، وهكذا يحدث التحول السامي : العمل العظيم الذي يؤكد على الحياة ، مع عبارة « اجل قلت اجل سوف أريد ، اجل » - التي نذكرنا بعبارة :

• Erde, du liebe, ich will... •

ولقد كان ويلكه قادراً على تصور هذا الفصل الذي يمثل فيه التأكيد الكامل ، لان بطله اورفيوس في قصته الى اورفيوس ، يفعل ذلك دائماً : « اجل هو الشكر والثناء » فقد جاء شاكراً وعاصراً . كالمعلم الخادم من المنجم الصامت ، جاء بقلبه : أوه ، العاصر العابر ، الذي يصبر على شمر حرراً لا ينضب معينا . لا يصحب عليه ان يشكر ويثني على الاشياء . حتى الاشياء التي لا يريق فيها . (٢٢)

بيد ان ويلكه لا يستطيع ان يدعي بذلك نفسه ، لانه لم يستطع ان يعم من شكره أو ثنائه على الاشياء ، التي لا يريق فيها . وقد ذكره دائماً . كما فعل بينس في شبابه . الفرح والتعاسة وكانت يدبر وجهه عنها دائماً . ولم يكن وراء المحدث التي عد فيه ما نجد من اساروب جيمس وسيلة يمكن ان نؤذي ان دحر الواقع . على سبيل المثال ان يتوقع من الشمر الغالي أن يفعل ما استطاع هو من ان يراه في « يولييس » .

كلما ، والواقع ان ريلكه ، على عظمته ، بلغ اعظم مدركاته نظريا ، لا
 عمليا ، واستطاع ان يرى في النهاية ، بكل وضوح ، ان الشاعر العظيم حقاً
 يجب ان يكون مثل أوديسيوس ، وان يعيش بتوكيز شديد بحيث ، لا يصعب
 عليه ان يشكر ويغني ... - على أي شيء . ولكنه لم يطق هذا في حياته .
 وقد حاول في « القصائد » ان يبلغ ما بلغه نيته من رفض لفرعة والقرار .
 وهو يطلب من قصيدة الرحمة في القصيدة الخمسة من القسم الثاني الا يغفروا
 بالسائينهم وبوسائل العذاب التي لم تعد في حاجة اليها ، لان البشر لم يصبحوا
 اعظم بكل هذه الرحمة وهذه الثقافة . ويتحدث في القصيدة الحادية عشرة عن
 القتل فيقول انه ليس الا « شكلاً » آخر من أشكال حزننا الشديد للشدة ،
 (ويظهر ترجمته الانكليزي حين يصل الى هذه النقطة يعطى على هامش
 ترجمته مثالاً) اذا كان المرء يستطيع ان يسبح هذا الشعور على التارخ حين
 كانوا يستخدمون مسكرات الاعتقال للامانة بالجملة (1) هذا هو زواشت
 بعينه طبعاً - الرجل الذي سما على ما يفيد ، السابغ التي هي انسانة اكثر مسا
 يجب ، من قهود بحيث لم يعد يفتره شيء . الا انه ريلكه نفسه لم يحقق مثل هذه
 الضيقة ، وانما كان يتقرب من قامة الى قامة ، ومن منزل الى منزل ، وقرأ
 القصائد السخيفة التي كانت تكتبها النساء المرفقات ، وبشر في « احاديث
 جديدة » مع مختلف الفيلاء لهناء القول . وكان بلوح في بعض الاحيان كميّاً
 كتابة مزمنة ، وبلوح في احيان أخرى شخصية مضحكة . والملاحظة انه حين
 يقرأ المرء عدداً كبيراً من رسائله أو واحداً من الكتب الكثيرة التي ألقت عن
 حياته فانه لا يمكن الا ان يبحث في الحال عن كاتبه مثل همنغواي لينال
 من الشعور الذي يشعر به ، همنغواي الذي يشعر بحب الجسد بخارته بريلكه
 الحساس .

ولست افصح من هذا نقداً أدبياً لريلكه ، لان هذا الفصل لا يدور على
 الادب ، وانما على الوجودية . وتقتصر أهمية ريلكه في انه تعلم بالفن اشياء
 كثيرة من حياته الخاصة ، ووصل الى نتائج اكلية تعتبر ، رغم انه لم يشهد

معه . ذات قيمة خطيرة بالنسبة لبحثنا في نسبة الامتصاص . ومن المهم ان نلاحظ
 اننا لا نستطيع ان نتحدث عن ريلكه الرجل وريلكه الشاعر باعتبارهما متجانين
 تماماً واحداً . لان الشاعر كان متصبداً ، أما الرجل فقد كان مسكناً . وقد
 كان ان الشاعر استطاع ان يحقق نوعاً شاذاً من السيطرة على النفس ، أما الرجل
 ، كان خاضعاً دائماً للغريبات العصبية والكتابة . وقد فرط في قراءه الحيوية
 من الفن والادب .

قد يقول الكثيرون من « الامتنان » ان هذا هو امر لا مفر منه - هوس
 ، الذي شعر بأن نحن « لحظات النبوة » يتألف من السام والطبيب ، أو
 من الذي كتب يقول :

« ان عقل الانسان مضطر الى الاعتبار بين كمال الحياة أو كمال
 العمل . » (١٣)

الا ان فكرة الانهيار بصورة عامة تمثل استجابة على هذا السلوك ، ولم
 يش هالك نبوءة من الانقسام في خوسر أو ليون أو رابينيه . ولم يكن
 هؤلاء مخافين ولا تعساء . لا هم كانوا قادرين على الخلق والابداع . وقد
 يكون تاريخهم عديم . الا انهم يارحون لما يفعل رجالاً عرفوا كيف
 ميته . تماماً كما عرفوا كيف يدهون . وقد تفرق حول ما يكون سراج
 في القامعة التي كتبها لقصائده الى هذه النقطة ولاح انه انتهى من امرها
 حين ذلك .

لقد استخدم عدد كبير من الشعراء المصنفين - امثال فيلون
 ، وديان وروجر جيانم الخاصة كإداة لاضادهم . وقد قرأ الشعر المكتوب
 به طرفة وحال انوياء والصومع ونفس حصار . ولم يقرأ جماعات مختبرة
 وحسب .

لقد كان الشعر في تلك الأيام رغبة حسنة أو شر . الا ان له بالذات
 وجوده هي التي جازت بالذكور . وليس هناك جدوى من انه أساس واضح
 من طين والذات .

.. ويجب على الشعر ان يعرف كيف يكون حيوانياً ، قبل أن يكون
الإنسانياً ثانية . (٢٤)

ويلوح من هذا أنه بالرغم من أن ستج كتبه قبل عشرين عاماً من نشر
« وداع السلاح » ، إلا أنه عبر فيه عن الوجودية التي أعادها مهنغري الى
الأدب ، أو التي خلقها جويس - دون أن يتعمد في ذلك طبعاً - في تلك
مولينان .

ويمكننا ان نتق بأفلسنا اذا قلنا ان شعر ويلكه - « شعر الشتاء والشمس »
هو أعلى من شعر هيريك وفيلون . وعلى هذا فيلوح أن الفرضية المقولة هي
ان فيلون وجد من السهل عليه ان يرقى بين حياته وشعره ، لأن شعره كان
أقرب الى الأرض ، أما ويلكه فقد كان عليه ان يبلل مجهوداً أعظم ليصل
غياته الى مستوى شعره ، وهذا أمر يزيل كابوس لامنتي هارپوس ، الذي
يوسح بأن الحياة تكون غللاً تفسأ بالنسبة للانسان الحساس الذي يرى « الحق »
وأكثر مما يجب .

أما السؤال الذي ما زلنا ملزمين بمواجهته فهو : كيف سيستخدم شاعر
مثل ويلكه ، حكمة ، الشعر لتوجيه حياته الخاصة ؟ انه السؤال الاعلالي
الذي يصبح سؤالاً وجودياً لصق المحاولة المخادقة الى الاجابة عنه : ماذا يفعل
غيباتنا ؟ ونحن نعرف ان مقاييس اللامتسي عالية دائماً ، يعني « النجاح »
و « الفضل » بالنسبة اليه معنيين جديدين تماماً . فالأما « النجاح » العادي فإنه
يلوح له مسموماً : نجاح مثل سبباني أو رجل أعمال أو مؤلف كتاب مشهور ،
لأن ذلك ليس إلا غرضاً في ثقافة العلم ونهضة لا مكتفية الرؤيا . يبدو ان
مسألة الهدف ليست مسألة أكاديمية ، وما اللامتسي إلا انسان عادي ارتفع الى
مستوى ضمير طبيعي من الإدراك . ولذلك فإن مفهومه للهدف يختلف عن
مفاهيم غيره من البشر . وهو يلووه في معرفة انجائية للحاجة الى فلسفة وجودية ،
ال علم للحياة . وعلى يعني « العلم » إلا محاولة تنظيم وتوحيد موضوع ما ؟
وهل تعدى طريقة العالم النعيف والمفارقة والتجربة ؟ انها طريقة اللامتسي

أيضاً : ما عدا ان موضوعه هو التجربة الحية ، أو المادة الخام التي يستعملها
الكاتب . ولماذا نجد اني لجأت في « اللامتسي » الى التضافات اشياء كثيرة من
غلاف القصص والمزاحيات والمذكرات - وخاصة المذكرات .

ان فن اللامتسي هو في جوهره حركة نحو علم الحياة . ولكنه حركة نحو
وحسب ، لأن الشعر لم يخلقوا مثل هذا العلم حتى الآن . ولكنهم قد يفسلون
ذلك . ولعل أغرب ما حققت الحضارة الغربية هو أنها جعلت الناس يدركون
هكرة فلسفة الوجود ، وليس هذه الفلسفة أي اتصال أو علاقة بأي علم موجود
في الوقت الحاضر . كما أنه لا علاقة لها « بالفن الادبي » أو بالفلسفة .

وكما اشهدت حيوية العقل : زاد ادراكه للفشل والتكرار والتفاهة . اد
الخادم والكثافة قائمان بتنظيف الغرف كل يوم . وهما واقفان من اسباب
سجيدان هذا العمل في كل أربع وعشرين ساعة . اما النابعة فإنه يريد ان
يؤمن العمل الذي يلقى فيه طاقاته أطول مدة ممكنة ، ونجد ان حديثاً
عادياً من احاديث جونس أو غوته يتميز بقيمة لا تزول بالنسبة للاجيال ،
ولماذا نجد ان أبسط ما يشغل اللامتسي يمثل في مسألة التفاهة : والتفيد
والهدف الداخلي . ونجد ان معظمنا مشغولون بمخاوف مادية وبالحاجة الى
العمل لتكسب العيش . وهذا بما اللامتسي ، بواسطة النجاح المادي . أو الخط
المتنازع ، من هذه القضايا الموقفة العرضية . فإنه يجد نفسه مضطراً الى مواجهة
معنى الهدف في نفسه بصورة أشد ، وإلى التفكير في كيفية استخدام الفرص
المتاحة له بأفضل الطرق .

وسيريد من حياته حين يواجهها في ذاته . أن يكون في وحسدة العمل
التي ، وان يكون فيها معنى ، لكي يكون في استطاعته ان يشير إليها عند
الاحتارة على السؤال التالي : « اين هي الحياة التي ضياعها في العيش ؟ » .

« ... هذا هو أشد ما تعاني من . يظهر لك ان مفهوم اللامتسي : أي المتأملات التي غام
ما حصل . صانه انما هو : وجود أدب . واجهته على هذا الأساس »

ويجب عليه ان يستقدم كل الحكمة التي تمنحها من التجربة لخلق حياته ، لا ان يجعلها في قصيدة أو قصة وحسب . وهكذا يلوح ان سبب فشل ريلكه يعود الى انه لم يستطع ان يفعل أي شيء غير ان يكتب الشعر (أي ان يستعمل « حكمته » ثم ينساها ، أو يحفظها في عمل يارو حتى يعود الى استعمالها حين يحسك بالقلق من جديد) . ولم تكن لريلكه الإرادة التي تمكنه من خلق حياته بتلك الحكمة . وقد فشل في تحديد هدفه ، ولم يقم بتكوين تجاربه إلا من أجل الفن ، والهدف الفني . لا من أجل تجارب الحق وأوسع . ويجدر بنا هنا ان ندرس شاعراً آخر في هذا المجال ، شاعراً كانت رؤياه في عيني ريلكه ، إلا ان مفهومه للعيش كان أشد إيجابية : انه آرثر رامبو .

- رامبو -

ولد رامبو في شارلويل بشمال فرنسا في عام ١٨٥٤ - أي قبل عامين من ولادة برنارد شو . وقد انفصل أبوه عنه حين كان في السابعة ، ووجدت مدام رامبو نفسها مسؤولة عن إعالة وتربية أربعة أطفال بايراد ضئيل ، وكانت امرأة قوية الشخصية ثابتة العزم . وانتقلت الى أحضر شوارع المدينة ، وابعدت عن جيرانها (ويلوح انها كانت تلبس والدة د . هـ . لورنس كما كنا يصفها في « الأبناء والعشاق » - ويلوح أيضاً انها كانت تتحدث دائماً عن الدين وكيفية السلوك في الحياة ، لان ابنها لقبها ساحراً لقب *Bouche D'ombre* . (فم الشبح) .

وكان آرثر في صباه حسن السلوك بصورة عامة ، تلميذاً ممتازاً في المدرسة ، ومطيعاً (ما عدا في الأوقات التي كان يلعب فيها مع الأطفال القلوب في الشارع ، الذين كانت تكرههم أمه) . وهناك صورة فوتوغرافية له حين كان في الحادية عشرة ، وهو يلوح فيها جليلاً جدي الملامح وسع العينين حدور الخدين ، وكان يقرأ باستمرار ، وقد تبنّى أساتذته في المدرسة

بأنه سيكون شيئاً عظيماً ، وقد كتب يوماً خلاصة التاريخ القديم ، بما في ذلك تاريخ مصر وسوريا وبابل .

ولما بلغ الخامسة عشرة جاء الى المدرسة استاذ شاب اسمه ايزابيوار ، كان يكبر رامبو بخمس سنوات فقط ، فوطد صداقته مع رامبو ، التلميذ المثالي ، وصار يقره كتب الشعر الفرنسي المعاصر . وصار رامبو يكتب الشعر وهو بعد في الخامسة عشرة - وكان شعره أقرب الى موسيقى الفترة الاولى من حياة موتزارت . وكان ايزابيوار هو الذي حثه على هذا النشاط التسلقي وكان رامبو يقرأ دواوين مولير فيكتب شعراً شبيهاً بشعره ، أو يقرأ دواوين بالتيل وغيره ليعقلها . وبالرغم من ذلك فان في قصائده الاولى هذه شيئاً من الرشاقة ، ونوعاً من دراسة النفس . ولقد كتب في الخامسة عشرة قصيدة تبدأ هكذا :

« لا يكون المرء جديداً في السابعة عشرة .

لبلة جميلة ، والبرة والليمون ،

والقاضي المضادة ، المشددة بالنور المثالي الساطع ،

والشمسي اللطيف تحت اشجار الليمون . على الرصيف .. »

ثم يستمر مضيقاً هذا البيت الجميل :

« وعلى شفتيك قبة خضراء .

تنفض كالمليون الصغير ، (٢٥)

وعاد رامبو للمدرسة في السنة التي كتب فيها هذه القصيدة . ومط حاله من النهائي والخطير . وذهب ايزابيوار الى بيته لتصاغ غطلة الصيف ،

« من انظر إليه يذكر حبات الألفا » (انكليز) . فـ « رامبولون » كشف عن طاقاته فدهشوا « أمه » « ديفيد » فاصاد على هذا الفيلسوف الموهب في سن الخامسة عشر - « إذ لم يـ « ديفيد » « ديفيد » من عهد أمه وسواء إلى حد نفسه أم - القديم

ياحزن رامبو لوداعه حزناً شديداً . وفيما انهم انغمسوا في التظلم للممتاز والابن لطيف في سلوك جديد . ولعل ذلك كان راجعاً الى القتل من الحرب ، لان الروسيين كانوا يقتسمون نحو شارلويل . ولأن اخاه الاكبر حرب لينحق بالجيش . وهكذا فر رامبو ايضاً من البيت وذهب الى باريس . وقضى عليه حين كان بهم بمغادرة القطار لانه لم يكن يملك نقوداً (أو انه هذا هو سبب الذي ذكره في رسالته الى ايزامبار) . وأرسل ايزامبار رسالة ونقوداً الى حاكم السجن وطلب منه ان يطلق سراح رامبو ويعيده الى شارلويل ، وإذا تعدد ذلك بسبب الروسين فألى دويه التي تقع على بعد مائة ميل الى الشمال الغربي من شارلويل . وذهب رامبو الى دويه بالعمل ، متعباً برؤية استاذة ثانية . ومسروراً لانه لم يعد الى البيت .

ولعل لمدام رامبو ان انها في أمان ، فكتبت في الحال لتطلب بعودته الى البيت . وقد ختمت رسالتها بموعظة دينية إذ كانت : « لعل الله لن يطاقيه الضباب الذي يستحقه اعتصامه في الحرب » . وأدت الحرب الى انقطاع المواصلات ثلاثة اسابيع . ولما عاد رامبو انصرف الى البيت لوت أمه اذنه بشدة وألقته داخل البيت بعنف ، ثم التفت الى ايزامبار فصب عليه جسام غضبها ، ولكنه كان قد اسرع بالعودة الى محطة القطار . بيد انه استلم رسالة من مدام رامبو بعد ايام قليلة تخبره فيها بان رامبو قد اخفي ثانية ، وتساءله العون . ولم يكن ايزامبار متحمساً للأمر ، بعد ما لقيه من مدام رامبو في المرة الاولى ، إلا انه ازعرد استيائه ومضى يبحث عن تلميذه ، وانتهى به البحث الى بروكسل ، ثم عاد الى دويه فاشلاً - ووجد آرثر جالساً في فناء بيته وهو بعيد كتابة قصائده . وكان رامبو قد استنح كثيراً بالاسبوعين اللذين قضاهما في نيواله الاخيرة ، وتروي قصيدته « بومبيتي » الحكاية كما يلي :

1 القضاة التي تبحث في جيوبى المزة ، وانطلق ،
وفي سترتي من القلوب أكثر مما فيها من القماش ، وأنا

بعد بين يدي الشعر تحت السياء الصافية .. (٢٦)

ولكنه لم يسطع البقاء مع ايزامبار ، وقضى عليه البوليس ، يطلب من ايزامبار ، وأرسل الى البيت ، لأن ايزامبار لم يشأ ان يجازف بالوقوف بنفسه امام مدام رامبو ، وكتب رامبو وهو في البيت ثانية .

« اني اموت وأفدوب بين الكتابة والمداولة والشرور التي نفيض حولي .
ولم تكن هناك مدرسة ما في ذلك الحين ، ففنى رامبو أوقاته بقراءة الكتب التي كان يستعيرها من مكتبة المدينة ، ويكتب بشعر من السأم والنعاسة . وكان البروسيون قد أحطوا شارلويل . وانصرف الشتاء ببطء ، وفي شباط من العام التالي فتحت المدارس ثانية ، ولكن رامبو كان قد قرر ان لا يعود الى المدرسة ، وكان قد كبر في السن قليلاً منذ ان ترك المدرسة في آب السابق ، ولم تستطع امه ان تقنعه ، لانه لاح وكان ذمته قد تضاعف فجأة . وكانت في باريس فلاقتل واضطرابات وثورات ، وكان رامبو متولفاً للاقتحام الى عالم الرجال والخلاص من عظم تلميذ المدرسة نهائياً . وهكذا حرب رامبو الى باريس مرة أخرى ، ولكنه لم يكن موفقاً في تجربته هذه توفيقه في سابقتها ، إذ تشرد في باريس لمدة اسبوعين بلا نقود ، وكان ينام تحت الجسور ، وبدأ كل طعامه من سلال الفضلات ، وقضى ليلة في ثكنة من ثكنات الجيش ، خرج منها بتأجيل ستة 1 ولم يعرف ما حدث له بالضبط ، إلا ان القصة التي كتبها بعد تلك التجربة تكشف عن انه خاف الأمرين على أيدي الجنود الذين استولوه جنياً . وتعتبر قصيدة « القلب الطائر » قصيدة شاذة ، لا يمكن ان نترجمها ، إلا اننا نحب ان نقتطع منها شيئاً :

« Mon triste cœur bave à la gouge :
Mon cœur couvert de caporal :
Il y laboune des jets de soupe .

« جوانغ التي لا أترجم بترجمة الشعر على الإطلاق ، ومن استطاع أن يطالع كل بر صراً ما لا من قصائده المترسة . روح ذلك فان كورن ولسون يمتطيان ، هذا الحين -

Mon triste cœur hève à la poutre,
 Sous les quolibets de la troupe:
 Qui pourrai-je être général,
 Mon triste cœur hève à la poutre:
 Mon cœur couvert de caporal
 Idylliques et pieux.
 Les quolibets l'ont dépravé:
 Au gouvernail on voit des traîtres
 Idylliques et pieux.

يحدثنا ان نطم بأن رامي لم يوله تحت يده ذلك ، ولا شيء ألقى على النافذة من
 ان يرى ان من يكبرونه سناً لا يرقون الى معواه من الادراك والشعور ، رغم
 ان في ذلك ما فيه من بحث ، لان الازدراء يحرضه ويثيره ، كما ان الضافة
 تكون بالنسبة الى قصته الاطلاق .

وعاد رامي مرة أخرى الى شاوليل ، ولكن امه لم تلو آذنه في هذه المرة ،
 ولم يكن قد مر أكثر من ستة شهور على طواره الأخير ، إلا أنه صار عنيداً لا
 يمكن ضبطه ، وقد جنته الأشياء التي رآها وشعر بها يتضح ويصبح حكيماً قبل
 الأوان . وقد عرف العنف والموت أيضاً :

• في منع أنظر ، حيث يعني نهر ،
 نائراً على الحشائش ندىاً يضاء كالنفس ،
 وتصب الشمس من علاها الثاني الروحة .
 ويتألق الراوي بالسياء ،

ويضطج جندي مفتوح الفم ، بلا قبعة ، جندي شاب ،
 حيث تبرد الزهور المائية الطرية الزرقاء وأمه العاري ،
 انه ينام ، شاحباً بين النور الذي يطر من السماء
 مشدداً على فرائش السندس الانعصر

تظلل قدماء وسط تلك الزهور المائية ، حيث ينام
 مبتسماً كالطفل المريض بين ذراعي أمه ،

انه باود - ابنها الأرض دقته ! وطمحه في المهد ليرتاح ؟
 هو لا يكثرث لظفر الذي يتدفق حول رأسه ،

وأنما ينحو في الشمس ، ويلوي رأسه فوق صدره الهادي .
 وفي جنبه الأيمن ثمرتا رصاصتين تنزغان . (٢٨)

وبدا رامي يبعث حبة تفصدة في عيها لها ليهن مدينة شاوليل . إذ رفض
 له حلق شعره ، وحقق يتجول في المدينة ، يلحن غليظاً كالأرامل تملج متبته الى
 الاسفل . وكان يقضي أوقاته في المقاهي ويدع ثمن شرايه قصصاً خبيثة ، أو

وكانت هذه القصيدة السبب في انفصال رامي عن ايزمبار ، لان رامي
 أرسلها اليه ضمن رسالة ذكر له فيها أهمية هذه القصيدة بالنسبة له . ولكن
 ايزمبار لم يتحمس للقصيدة ، ولم يدرك العوالم الجديدة التي حوّلها تلميذه منذ
 ان التقيا لأكثر مرة . فكتب الى رامي رسالة يسخر فيها من القصيدة ، وقال
 فيها : « وهكذا فأنك ترى ان كل انسان يستطيع ان يكتب سخفاً . » ولا

« رامي الى ترسة أطلعه الثمينة ، فأقبل ذلك لاميالي بأن لا يتم إلا من القصيدة السري
 « . الا انهم الاخرى التي يلقدها الطير في عرجته . وهكذا كان الترجمة المرحلة هذه
 للشعر »

• إن غلبني حزني ، يعلق على مؤخر القصيدة ،

غلبني الذي يلقي يدعان الجبع ،

إسم يلقوه قيد الصيد ،

إن غلبني العزيم يعلق على مؤخر القصيدة ،

بين حجرة السارة ،

فأذن يمسكون حبيماً ،

إن غلبني الحزين يعلق على مؤخر القصيدة ،

فلبس الذي يلقي يدعان الجبع !

لقد أسبغته نكاتهم ، سكات التكتكات الرابزة إلى الجسد

لما مل جوف غا لدى المرء غير مود التكتكات الجنية . . . (٢٧)

— التريم —

حكايات بهاجم فيها الكنيسة والدين . وكان يخرج أسافته السابقين في المدرسة
بجلوسه قرب جدارها حيث يراه كل دافاه القدامى . وضع الجميع بهذا التنوير
الذي طرأ على ذلك الشاب الذي عرفوه في السنة السابقة ملائكي الوجه ، مؤدباً .
يفوز في كل يوم بجائزة . ولكنه كان ما يزال يتفق وقتاً طويلاً في القرامة .
رغم انه لم يكن يقرأ في ذلك الحين غير كتب السحر الشيطانية ، أو شعر بودلير
وفيرلين . ومن الواضح ان ذلك كله كان رد فعل للسنوات التي قضاه مؤدباً
معتصماً من الجميع ، بالإضافة الى انه كان قد عانى من تلك التجارب الجنسية
المنهكة . وانتهت كل محاولاته التي أراد بها ان بعيد علاقته مع فتيات شارفيل
الى الفشل ، واحتظار النفس . وكان شديد الشهوانية ، تواتراً الى ان يصبح مثل
كازانوفافوة واغراء . ولكن الايام التي كان يكب فيها عن النساء بذلك
المرح وتلك الرقة التي انصفت بها كبحس مضت . كان قبل بضعة شهور من
ذلك يكب قصائد كهذه :

« ونشرت ثمانية ايام ، وامتلاء عطائي بالظوب على الطرق الوعرة .
وجئت الى شارلوا ، حيث أمرت في ، المهلى الانضمر .
باحضار شرائح الخبز والزبد واللحم الطري اللذي .
وبينما كنت جالساً هناك في قنطرة ، مددت ساقى تحت المنضدة الملوثة
وطفقت اأأمل قطع الورق الذي كان يتخطى الجدران .
ثم ، بالسموات ٢١ »

حضرت طاعة نارية المهنين ، ياورة النهدين
- ليست من النوع الذي يحبل من القبل أو جبر ذلك -
وقادني ضاحكة الى طبق كبير ملون
يفيض بشرائح الزبد واللحم الأبيض والاحمر ،
اللحم اللذيذ المطر بالثوم ،

ومن كاسها حبت في كاساً من البيرة تتدفق بالرغوة ،
البيرة التي يلوح انها اختلطت ألقاً من الشمس القنارية (٧٩)

وبدأت فكرة هيئة الشيطان والكفر تطلقه ، وكان يعتقد بأن بودلير استلم
الى بيت من بيوت الخطيئة ليحصل من نفسه شاعراً عظيماً . وسئم رامبو مس
مدينة شارفيل الصغيرة ، لانه كان يحلم بالاستمرار في تعمير حواسه بواسطة
الشهوة والمخدرات والخمر والصاب . كان يحلم بأي شيء يمكن ان ينقذه من
الدرجة الثانية في الحياة ، من الشعور بالركود والقفونة . أي شيء يمكن ان
يعيد تدفق الدم الى اجزاء روحه التي لاح له انها كانت تموت في سأم شارفيل .
ولم يلقه التكبر في انه قد يصبح حشاشاً متهاراً الصبغة مصاباً بالفلسف ، سكبراً ،
وانما لاح له ذلك كله تمويصاً مقولاً عن السأم .

وقد يكون في وسعنا ان نتخلف هنا قليلاً لنلاحظ أن ما كان يدور
في ذهن رامبو في هذه الفترة كان أنفطر حوادث حياته . ولم يكن مجرد
حدث حملي . ولقد ولد رامبو الحقيقي في تلك الايام التي كان يحل
فيها دور الفتى العابت في شوارع شارفيل . وانما لنجد القسنا ثانية في
الموقف الذي اوضحته في « اللامتني » حين بحث أمر ستيفن وولف .
فالمدور عن السأم والانحياز . أما النافع فقد كان كاساً في فكرة أنه لا
يدين وجود طريقة أخرى ليعيش هذه الحياة بصورة كاملة . ولذلك لم يكثر
رامبو لا قد يحجم من ذلك . وقد ظن انه وجد حلاً لدى بودلير - بودلير
الكبر الطشاش المذهب دائماً ، مثل دوستوفسكي . بضمفه وتروده . في
هذا الرجل ظن رامبو أنه رأى برجعاً هائلاً من القوة الشيطانية . وقد ظن
رامبو فترة من الزمن بشأن الاجرام ، والقنوة والصاب ، ولكنه كان
كأي شاعر عظيم آخر من « حزب الشيطان » . وقد بدأ يفكر الان
« جدي » بلع اللذة عشرة بالطريقة التي يمكن ان تعاش بها الحياة بصورة كاملة
ولنرجل شارفيل في وجودها لتزيد عن دير الرابع . الا انها كانت المكان
المثل لتكبر في امور عظيمة . وقد شعر رامبو ، كما شعر مستر بولاي .
بأن الناس يحباء في صحن جدوانه من الورق . يستطيون ان يلمعوا بياطة
اذا تفرغت لهم الشجاعة الكافية . واعتقد مثل بوفاليس بان الامر الوحيد الذي

يمنع الناس من ان يكونوا عابرة هو الكسل . وقد ذكر لايزاباري رسالة تتميز صراحتها بالروحانية : « يستهي بك الامر الى قاعة تافهة . ولن تحقق شيئاً ، لانك لا تريد ان تحقق شيئاً » . واستمر في تلك الاثناء على سلوكه القابع في شارلويل . وكان يحدث ان يحاول احدهم ان يخجله من شعره الطويل فيقدم اليه ثلاثة بنات ويطلب منه ان يذهب الى الحلاق . فيسخر رامبو بسخرية ، ويأخذ البنات الثلاثة ، ويذهب الى القرب محمل لبيع السجائر ليشري بها تبغاً . وكان يستمتع برواية القصص الخفيفة في المقاهي بصوت عال . وكان يفيض انتصاراً اذا نهض البعض من منضدة قريبة وانتقلوا الى منضدة أخرى . وكان يروي عن نفسه اروع الامور . ويقول انه يفضل صحبة الكلاب والقطط . ولكنه كان اذا خلا نفسه . طفق يتأمل في مشكلة اللانهاية . مشكلة عدم قبول الحياة على حلتها . مشكلة اطلاق القوى الخفية في نفس الانسان التي لا يحس بها الانسان العادي . وقد انتهى الى الاعتقاد بان الشاعر يجب ان يرى رؤى . ولم يكن يلوذ انه اغما كان يقرب من تفكير ولم يملك الذي اهم اهمياً كبيراً بالناحية الشيطانية من الموضوع ايضاً . ولقد شعر رامبو ، مثل بليك ، بان الانسان يستطيع ان يمد نفسه على رؤية الرؤى . « غرفة استقبال في قاع بحيرة ، وجوامع بدلاً من المصانع ... وان الشاعر يستطيع ان يرى الرؤى وذلك بتدبير الخواص تدبيراً طويلاً منظماً هائلاً » . ويمكن ان يحدث هذا بفضل النظام الجسدي والعاطفي وذلك بالانقباض المتعدد في تخمين طويل من الزهد أو الشرور . ولا بد ان رامبو قد أدرك ان هناك فترات يكون فيها الجسد ضعيفاً متعباً . بعد مرض طويل . أو هناك بسبب الخمر أو المخدرات أو تعب حقيقي . اذ يسيطر على الانفعالات سلام غريب . ويصبح الفهم حراً بطريقة جديدة . بدلاً من ان يكون قلقاً بحيث لا تبقى فيه فكرة واحدة على حالها أكثر من دقيقة واحدة كلى حين . وهكذا يراجع الدهر . ويصبح من السهل تطويعه . وتبدأ الذاكرة بالعمل في راحة تامة . واضح

ماضي الانسان - رائحته ومطاقه الاحمليان - عند حدوث أي انفعال أو فكرة عرضية . وقد جرب كل مريض وكل من عذب جسدياً وكل يالس هذا الشعور يوماً ما .

ولما بلغ رامبو السابعة عشرة كتب أروع قصائده « الزورق السكران » . وهي قصيدة طويلة تحتوي على أربعة وعشرين مقطعاً يتألف كل مقطع منها من أربعة أبيات - وهي اغنية غريبة تنفيها صغينة عاتلة بلا عسدي بعد ان قتل المرد المسمر بخارتها . وتكسدي لفتها المركزة الجسيلة الترجمة . كما ان في موضوعها وكلماتها الرائحة ما يذكر المرء حالاً بقصيدة « البحار القديم » الكولنج . بيد ان القارئة لا يمكن ان تظهر جوهرها القوي . وهي تعبر بالسة الى صي لم يعرف البحر في حياته مجهزة من معجزات الرؤى الخيالية .

واستطاع رامبو بواسطة هذه القصيدة ان يقابل بول فيرلين ، اذ انه ارسل القصيدة ضمن رسالة كتبها الى فيرلين في باريس ، واجسايه فيرلين برسالة مدحمة تحتوي على تذكرة بالقطار ودعوة له ليجلس مع عائلة فيرلين .

كان فيرلين في ذلك الحين في السابعة والعشرين من عمره . وكان قد اشهر كشاعر . وذلك بمجموعة قصائده نشرت حين كان في الثانية والعشرين من سابع قصائده زحلية . وكان عضواً في جمعية تتألف من شعراء كثر - دون انفسهم « الشعراء البرناسيين » (نسبة الى جبل برناس الذي كان هو الشاعر اليوناني) . وكانت لفيرلين مكانة كبيرة بينهم بالرغم من انه كان صغيراً مقصداً بالشدود الجسدي . وكان موظفاً حكومياً . الا انه فصل من وظيفته قبوله الثورة ولعدم كفايته . وقد تزوج من فتاة جميلة في السابعة عشرة من عائلته - ورواية غنية . وكان روجاً صالحاً خلال الظهور الاول . ثم اندفع الى حملات بالفتح الجسدية . وكان فيرلين صعباً شهوانياً . طيب القلب . وكان شعره رقيقاً غليظاً بنمير . بوضع متلاش رقيق - يشبه الى حد ما شعر دويسن الانكليزي .

ولما دخل . اسمه كان فيرلين قلقاً لان زوجته كانت تنظر حافلاً ،

وكانا يعيشان مع أقاربهما . وكان لغيرين قد فخر زوجته ووالدتها عيسى شاعر شارل فيل المدهش (ظاناً أن رامبو كان في مثل سنه) ، وبات الزوجان يظلمان لقاء هذا الاكتشاف الجديد ، بيد أنها دهشا دهشة شديدة حين دخل غرفة لاشتباه حببي فجعلوه طويل القامة ذو شعر طويل قدر وملابس رثة . وبالرغم من أن رامبو لقي ترحيباً حاراً من ليرلين ، إلا أنه أحس بنفور الآخرين نحوه . وكان معتاداً على اتباع سلوكه الذاتي كما شعر بأنه كان موضع الاحترار . ولم يخف احتقاره للبورجوازيين ، ولم يكن يريد أن يكون اجتماعياً ، وهكذا فقد بدأ بالسفرية ، وسرعان ما أصبح المكان غير مناسب لبقائه فيه . وانضم رامبو . وظل ليرلين حائرة بين محبة من أجل شاعر آخر . وبين مراعاة لمشاورة أقرانه ، إلا أن احتفاء رامبو جعله يميل إلى جانبهِ . فخرج يبحث عن الشاعر المفقود في كل مكان . والبعيداً عن رامبو بعد أسبوعين في أحد الشوارع - وكان رامبو منهوكة هائل المجهود بنام في الشوارع ويأكل طعامه من سلال المهملات والفضلات مرة أخرى . وبكى ليرلين واشترى له ربة طعام ووجد له مسكناً . بيد أن رامبو لم يستقر وأما عدا ذلك الشوارع نائية . وصارت عادته القدرة تغير الاختيار أيضاً ، ويقال أن زوجته ليرلين ذهبت لتبخر الأغطية في غرفة الطيوف فوجدتها مملوءة بالقتل ، ولما فخرت ليرلين بذلك قال لها : « أجل ، إنه يريها لبقها غسل القس من يغالهم في الطريق ! »

المركبة وحيداً . وبدأ رامبو يعمل تحت لواء اعتقاده بأن اثنين من اللاجئين
سيتبينان ان يقفأ بصورة اخرى ضد العالم . ولكنه أدرك بعد ذلك انه
كان غشياً . وكان رد الفعل المباشر الذي حدث في نفسه انه صار يعامل
هذين بشوة - ويخبرهم ويشتاجر مع . ولقد سأل رامبو فبرلين مرة أمام
عدد آخر من الشراء ان يضع يده على مائدة المقهى ، لما فعل فبرلين ذلك
أخرج رامبو مكينا وصار يظن المتفردة بين أصحاب فبرلين . الا ان
فبرلين قهر من مكانه وغادر المقهى ، وتبعه رامبو وظل يحاول ان
يبرحه بالكفن .

[illegible]

محاولاته . لينجس نفسه يرى رؤى . ولم تزد الشهرة القاسية التي نالها
في باريس . إلا إلى جملة كسولا . بلا هدف . ولكنه استطاع أن يفتق شيئا
من ذلك حين وجد نفسه وحيدا . إلا أن فيرلين سرعان ما أوصل في طلبه .
فعاد إلى باريس . إلى الثرور والعنف . إلى التمر . والشهوة الجنسي مرة
أخرى . ولاح أن على زوجة فيرلين سيرة الخط أن تحمل الكثير : بل أن
دوسته يسكي نفسه لم يكن قادراً على تأليف مثل هذه القصة القبيحة . وظلت
تحتل الضرب المرح والشائيم الكبيرة . بل المبيات بالسكين . وأخيراً انحصر
فيرلين مع لابه الشري . وذهباً معاً إلى بروكسل . فبقيت الزوجة . ولما
واجهها فيرلين تألم وأسف اسفاً شديداً . وتودد إليها وصلحها . فلما ارتدت
ملاها لالة غير رأيه من جديد . وصحبها حتى الحدود البلجيكية . وعاد
سرعاً إلى رامبو في بروكسل وانطلقا منها إلى لندن حيث عاشا في حي
سوء . وقد رسم لسان من اصداقها صورة لما لاح فيها فيرلين طويلاً متنصراً
البشرة ضحبت النظرة منهلك الشابين متهاكاً على ساقه . أما رامبو فانه
يقف خلفه متهازاً ويلوح وكأنه صبي عابس . يرتدي حزة طويلة وتنفر
بعض عضلات شحرة تحت قمته . ويمسك في إحدى يديه بالظليون المثلين .
وظللا يتجولان معاً في لندن ويغفلان المال الذي كان يرسل إلى فيرلين من
باريس . بصفيان الوقت بين الأيت أيت وشاطئ النهر . أو يخطان في المقاهي
ميلة النهار . وقد ولدت قصيدة فيرلين البديعة . شيء يتحب في قلبي . بعد
انفصال وحز من رامبو :

تساقت الدموع في قلبي

كالطر على المدينة

تري ما هو هذا الشور الكئيب

الذي يمزق قلبي

أوه يا صوت المطر الخافت

على الأرض وغرق الطرح

صوت المطر

القلوب المتعبة التي تتألم

ومع ذلك طان أشد الألم

هو ألا أعرف لماذا

دون أي حبه أو كره

أجد في قلبي هذا الألم . (٣٠)

وذهباً إلى بروكسل ثانية . وهناك حدثت المصاة . إذ هدده رامبو بأنه
سيهجره فأطلق فيرلين رصاصة من صدسه أصابت رامبو في ساعده . ولم يبد
على رامبو أن الرصاصة آلمته . ولكنه حاول بعد ذلك أن ينطلق نحو المحطة .
فصحب فيرلين صدسه ثانية . واضطر رامبو إلى الإتياء بأحد رجال الشرطة .
ولم تقض على فيرلين . وأرسل رامبو إلى المستشفى وقضى فيه اسبوعاً وهو
محموم . ولما خرج من المستشفى حوكم . وأظهر الكشف الطبي الذي أجري
عليه أنه كان قد استعمل جنسياً من عهد قريب . وكان القاضي رجلاً متصباً
محكم على فيرلين بالسجن سنتين . وكان الأمر كله خطأ رامبو . إلا أن
فيرلين هو الذي تحمل العقاب .

وعاد رامبو إلى شارلويل . ووصلها متعباً مشدود الساعد . فبكي حال
وصوله إليها . ولم يكن يتوقع العطف الذي أسبغته عليه أمه . بل أنها والمقت
في الحال على دفع نفقات طبع كتاب قال لها أنه سيحصل على أتمامه . أما هذا
الكتاب فهو . فصل في الجمجم . وهو أيضاً مزيج من الشعر والنثر . وهو تحت
في حيات المصاة وعلاقته بفيرلين والكبرياء الذي دفعه إلى التطرف . وقد ذكرت
شخصه أنه كان يسبه ويلعن وحيداً في غرفته حين كان منكباً على تأليف ذلك
الكتاب . ثم أصدر أتم الكتاب وطبع في كرامن صغر . وأرسل رامبو نسخاً منه
إلى صديقاته باريس . ثم ذهب إليها ليرى كيف استقبل الكتاب بها إلا أن

قصة استغلاله لغيره كانت قد سبقته الى باريس ، فصار الجميع ينظرون اليه باعتبار « الشرير الذي قضى على فيرين » ، وقرر منه كل الناس ، سواء الى شارل فيل غاضباً واهرق كل اوراقه وقصائده التي لم تنشر وكل نسخ الكتاب التي استطاع ان يثر عليها ، ثم ذهب الى باريس مرة اخرى ومنها الى لندن ، وساول ان يكتب عيشه من التدريس . ثم ذهب الى شوتنكارت ليستمع الالمانية . والحق به فيرين في شوتنكارت ، بيد ان لقاءهما الثاني كان فاشلاً . وكان فيرين قد حاول ان يفتح زوجته بان تصطحف عنه فلما فشل في ذلك اودع ان يدخل الى احد الاديار ، الا ان ذلك ايضاً لم يتوفر له فاقبل برامبو . وكان هنالك كالمادة شي . في فيرين اثار رامبو - ولعله خففه . وصار يتقلان من مقهى الى مقهى ، يدخان ويشربان خمر . واستطاع رامبو ان يجعل فيرين يكفر ثانياً بالدين الذي كان قد اعتقه . وفي ذات مساء تشابرا بقرب النهر فضرب رامبو فيرين واقامه ارضاً وتركه في ضجسته تلك فطاف الثور حتى الصباح التالي . ثم عاد فيرين الى باريس . بعد ان انفصل نهائياً عن رامبو لصالحها مماً ، وطلق فيرين يتخطى سنوات شبابه ببطء وهدوء ، واشتغل بالتدريس ثم بالزراعة . ولما ماتت والدته اطلق نفسه صنان الثور خلال السنوات العشرين التالية ، وكان دائم الدخول الى المستشفى ، دائم الؤم ، ولكنه كان مضطراً لطيفاً في كل الاحوال . ولما مات في عام ١٨٩٦ كان قد اسس لنفسه شهرة في جميع انحاء اوروبا ، وحتى الكثرة استقبلته بالاحترام اللائق بشاعر عظيم .

أما رامبو فلم يكتب شيئاً بعد « فصل في الجميع » - أو على الأقل لم يكشف احد شيئاً حتى الآن من أعماله التي تلت ذلك . فإذا كان « فصل في الجميع » آخر أعماله سقاً فان في ذلك شيئاً من سخرية القدر ، لان هذا الكتاب يمثل تراجع رامبو عن « اعطاله » الماضية ونية في ان يكون هذا الكتاب « فاتحة عهد جديد » (ويظهر هذا الكتاب على أعماله الشعرية شيئاً من التشابه مع شعر لوتر رامون - ايسيلو دو كاس ، لأن دو كاس اعتنق تلك الافكار التبشيرية ذاتها وغير عنها في تعبيره المنثورة الساذجة الطويلة « اغاني مالادو » . الا انه

ذكر في المقدمة التي صدرها بها انه سينراجع ويتوب عن هذه الافكار في دهران آخر لم يؤلفه وانما أعد فكرة قصائده قبل موته بفترة وجيزة .)
عاش رامبو ست عشرة سنة اخرى ، الا انه لا جدوى من متابعة تجواله بالتصنيف . وقد سار على لديه من شوتنكارت الى ايطاليا واشتغل عاملاً عادياً في ارضية ميناء ليورن ، ثم عاد الى باريس والتحق بالجيش الهولندي ليرسل الى جزائر فرنسا . الا انه فر وذهب الى سمطرة ثم الى جلاوه حيث عاش فترة بين الغابات ، ثم عاد الى قبرص حيث عمل في قطع الصنوبر ، ولكنه عاد الى انشبول فذهب الى الحبشة ليعمل في تجارة القهوة والسطور ثم الذهب والعاج ، وعاش مع الوطنيين فترة من الزمن . وكأنه واحد منهم ، ونجح في تجارته بحيث استطاع ان يترك العمل في عام ١٨٨٨ وهو في سن الرابعة والثلاثين ويشيد لصر في حرار ، ولأنه كان يلعب دوراً هاماً في المكائد الدولية خلال الماديين اللذين احبها ذلك ، وكانت له علاقات مع ملك شوا . وفي آذار من عام ١٨٩١ اصيب بمرض في ركبته فامسح بالعودة الى اوروبا لاجراء عملية جراحية ، الا انه لم يتعد عرسه حيث بترت ساقيه . ومات في المستشفى .

كان فيرين قد نشر قصائد رامبو في عام ١٨٨٦ . وكان رامبو في الحبشة علم يسبح بذلك ولم يعرف انه كان قد صار شهيراً في اوروبا . وساعد على انتشار شهرته ما كان يحف اسمه من غموض ، اذ لم يكن احد يعرف ما حدث له ، بل ان البعض كانوا يعتقدون بأنه قد مات . وتأثر عدد كبير من الكتاب الشباب باسلوبه (وأهم هؤلاء هو بول كلودل) ولم يعرف احد سر رامبو الى اليوم . وما تزال الآراء مختلفة بشأن « فصل في الجميع » . فمن قائل انه آخر مؤلفاته (في حين ان المس انيد ستاركس تعتقد بأنه ليس آخر مؤلفاته ، فإذا كان اعتقادها صحيحاً فمن المحتمل ان يظهر شيء من مؤلفاته من طلب المربى يوماً ما) .

لا تلك المرة حين يقرأ هذا عن رامبو الا ان يتذكره . ي. لورنس في الحلال . فقد عرفت حياة كل منها سنوات اولى من الابداع ومن التأمل الذاتي

وقوة الاداة والتطور السريع ، ثم حدثت الازمات ، وكانت بالنسبة لورنس تتمثل في حرب الصحراء . اما بالنسبة لرامبو فانها تتمثل في فترة علاقته ببرلين ، واعقب ذلك الحلية والبذ واختيار النيران المتعددة ، ونشراً لعب الإنسان ضحية الموت المرضي ، وكان الاقتدار لم تنص على قتلها في الابداع . وقد جمع الاثنان بين التحليل النفسي وبين العلة الذهنية التي يتدبرها رجل العمل .

لقد رأينا في «اللامتني» انه مفتاح حالة لورنس يكمن في انه كان يفكر أكثر مما يجب ، ولم يكن قادراً على الكف عن التفكير ، وقد جرده هذا التفكير من كل مفاهيمه المباشرة عن العالم وجعله غير قادر على تجربة أي كائن آخر طهر نفسه . فصار سجيناً في عقله .

ويصبح هذا على رامبو أيضاً ، ما عدا أن رامبو اعلن الحرب على عقله ، وكان ادراكه من نوع ادراكك بليك ، اذ انه كتب في احدى قصائده الأولى :

« Notre père raison nous cache Plafal »

« ان عقلنا الباطن يخفي عنا الأبدية »

كان العقل بالنسبة اليه ، تماماً كما كان بالنسبة لبيك ، يعني « الرؤيا الاحادية ونوم ليون » . وقد كان أكثر انجاشية من لورنس واقوى منه رغبة . وانطلق يتحكم في عقله هادفاً الى تركيز تجربته الذاتية وحسب :

« هودت نفسي على نوع بسيط من التخيل : وقد رأيت مسجداً في مكان كان فيه مصنع ، وملائكة يهربون على الطبول ، وحربات تسير على طرف عبر السماء ، وغرفة استقبال في قاع بحيرة . واشباحاً وغوامض » (٣٩) .

إلا ان السيطرة على العقل تتطلب ضبطاً ممتراً - خاصة اذا كان المرء ينتعج بالذكاء الفائق الذي انصف به رامبو ولورنس . وقد نجح رامبو في ذلك بضع سنوات ، ثم اجتذبت أهيامه المسائل العملية فخفف قبضته ، وعاد يشدد قبضته بانفازة في ممارسة الشهوات ، الجنس والظلم والمخدرات

- ولكن ذلك لم يكن كما حدث في شارفيل ، حين كان يقرأ كتب البحر . واعتبر لاحق انه استلم (رغم انه يجب علينا أن نلاحظ في قول ذلك تلا تكشف قصائد له في الحشة) ، واختضت الرؤيا الأولى ، واختضت اللغة الأولى أيضاً . وقد قيل ان كبرياء شيطانياً كان قد تحكم رامبو ، إلا ان ذلك لم يكن كبرياء خالصاً ، فقد كان نبلاء المصريين القدماء يفتخرون بصلاتهم بالآلهة ، وقد بدأ رامبو ايضاً يحاول ان يدع بهذه الثقة ، والمضاً أن يرضى بتقصيه العادي في الانسانية المجردة . ويلوح ان تجاربه القاسية كانت قد دمرت رؤاه فبدأ يفكر بنفسه باعتبار انه إله ، وانتهى الى اعتبار نفسه اساماً . وكانت تلك مأساته .

يبدانه حق شيئاً ، ويمكن تلخيص ذلك في عبارته هو : « ان الانسان يستطيع ان يجعل نفسه يرى رؤى ... » وكان في سن السادسة عشرة قد رأى الطريق كله الى نهايته ، الى الجواب النهائي ، ولكنه لم يبلغ ذلك الهدف قط .

— سكوت فتر جرد الد —

لقد اتينا نظرة على اثنين من اصحاب الرؤى ، وحاولنا ان نعرف سبب عدم كتابتهما . ولسو الحظ لا يمكننا ان نقول عن أيهما انه يمثل « شخصية القرن العشرين » ، بالمفهوم الذي يمكن ان يطبق على لوركا أو على جيمس جويس . وذلك لأن القرن العشرين جاء منه بمشاكله وتحدياته ، ولوق ذلك ■ . جاء مطروفاً جديدة تماماً بالنسبة للناحية . وقد نحصل على شيء من دواستنا لحياة لامنتي القرن العشرين . ونحن نرى ان حياة ف . سكوت هينجرالد تختلج أهياماً ، بمستوى أقل من مستوى حياة ريلكه رامبو . ان مظاهر جديدة للمشكلة .

ان حياة هنجرالد هي مأساة اللامنتي الرومانسي في حضارة ميكانيكية ،

فقد ولد موهوباً ، ومزوداً بنظرة مسرحية الى العالم لا يمكن ان يشفى منها
الانسان ، كما ان اللغة الرشقة حطت على شفتيه بالسهولة التي حطت بها
على شفتي اوسكار وايلد ، فكان يستطيع ان يوسي بالجو الذي يريد في
ضخ كلمات :

« وذات ليلة ... جلست في زورق بخاري متأيل بالقرب من رصيف
المطعم ، وبينما كان القصر يرصع صفحة الماء بهفاح اللعب سمعت يائرون
كبير بني الشاب وهو يسأل ماوي كوبر ان يتوجه ... » (٣٢)

وتتجلى قوله في اعتبار الكلمات في عباراته التي يصف بها زملاءه في ايام
الدراسة ، وقد وصفت هومي بيكر ، وليس فريق كرة القدم في برمنغتون ،
بأنه « نجيب يفيض بالتحدي » ، و « ذلك الرومانتيكي الذي رأته آخر مرة
عند المروب في يوم بارد من ايام ١٩١٥ وهو يضرب الكرة وراء خط هدفه
ويشد رأسه بعصاة مصبوغة بالدم » ويصف صديقه في الصبا ، ووين وارلر ،
بأنه كان جالساً « وكأنه غارق في الدحول » الى محطة القيادة في سيارته
التشوتزبيركات ، ثم يصف كيف انسه أراد ان « يتهلك متهاوياً على محطة
العبادة » في سيارة حالكة لبقده في ذلك .

وهذا هو أبرز ما يميز فتر جبال : الرومانسية العنيفة ، رومانسية شيلر
أو هوفمان ، واحتفاده بال « الحياة » ، يجب ان تقدم له شيئاً غريباً . وقد حقق
شيئاً من ذلك بالفعل ، خاصة في قصته الأولى « هذا الجانب من الجنة » ،
جلبت له الشهرة حين كان في الرابعة والعشرين . بل انها خلقت اكثر من ذلك ،
اذ صار يعتبر « الناطق بلسان جيله » .

وقد كتب تلك القصة في ظروف قاسية ، فقد تخلى عن عمله حين كان
في الثانية والعشرين ، وتقاعد ، كما قال هو ، ل « اعل ما كتبه » ، وانما على
دروني وبأمي « خطوبة مفسوخة » . وحاول أن يتخلص من الهم الذي يديه له
لشيخ الخطوبة ، فطلق سكران لمدة ثلاثة اسابيع ، ثم حذا ل « كيب » . وكانت
القصة قد تخلت عنه لانه لم يكن يملك نقوداً أو املاً . وكان مطمئناً بأنه كان

نايفة . وقد كتب « هذا الجانب من الجنة » في ثلاثة شهور وأرسلها الى أحد
النشرين . « وتم قبولها بعد اسبوعين ، فكان ذلك سبباً في غيظته الشديدة ،
بحيث انه طلق يركض في الشوارع ويوقف سيارات اصغاله ليخبرهم بأنه
قد ولى الى نشر قصته .

ولم يكن يبتك في ان الكتاب سيبب له شهرة واسعة ، ولم يخطر بباله
ان الناس قد ينوته في مدى اسبوع واحد كأي قصه حديثة اخرى . واخبر
ناشره بأنه لن يفتح إلا بعد ان يتاج ٢٠٠٠٠ نسخة من القصة - دول ان
يدرك انه يكون عطوفاً جداً لو بيع من قصته ربع ذلك المصد ، باعتباره
قاصاً ناشئاً . والواقع انها ظهرت الى الأسواق وبيع منها اكثر من ٤٠٠٠٠
نسخة في بضعة شهور الأمر الذي جعل اسمه يقفز فجأة الى الشهرة . لقد كان
متجر جبال هذه القصة مثل الجبل وطريقة جديدة في النظر الى الحياة - او ان
هذا هو ما قاله القراء على الاقل ، أما فتر جبال فقد قال :

« ... من المؤسف ، بل من المروع جداً ، ان تنحصر احبة القصة في
عالم الطبقة الثنية - اما بين الطبقات الأخرى ، فان القابيس السابقة ظلت
متحكممة حتى انتهت الحرب ، فكانت القبة تعني قول عرض الخطوبة ،
كما اكتشف بعض الضباط الشبان في أدف حين كانوا يعيشون في المدن
الغربية الاجبية . ولم يسقط القناع نهائياً إلا في عام ١٩٢٠ - حين كان عصر
الجار يوشك بالازدهار » (٣٣) .

ثم حدث أيضاً ان أعيد نشر قصة فتر جبال في عام ١٩٢٠ - حين انطلق
« الشبان الأنكليزي والأميريكي » المتعلقان بالعودة والظراف - الى ما سماه فتر جبال
« أعظم ونجح مرج في التاريخ » :

« شعبد برمه يؤمن نعداً اللذة . ويقرر الاستمتاع .. وكانت النتيجة
كحكمة الأطفال حين يقلدها « الكبار أيضاً » .. مما انتهى عام ١٩٢٣ حتى وحده

« ... »

الكدار أصعبهم وقد ضاعوا ذروفاً بالمراقبة والحذر فقط . واستغفروا ان الشرب
الشاب سهل على الدم الشاب . والحق الجميع بأنفسهم على الحذر في قرة
الحد . (٣٤)

وكانت فتزجرالد وزوجته التي كان قد تزوجها من عهد قريب أول الجميع .
وكان كل منها جميل المصيا . وشيخاً ذاتاً . وكان فتزجرالد يملك ثمانية
عشر ألفاً من الدولارات ليشتريها بلا حساب . فكانوا يركبوا سلة مطوح
سيارات الاجرة ويقفزان في الفتيات والبايع العامة ويضعن ملابسها في
اطعامهم . وانه ان تصد ساعداً في الابواب المدورة . ويشتريان كميات كبيرة
من اويسكي والشامانيا . ويذهبان من حطلة الى حطلة ومن مدينة الى مدينة
في كل من الخامسة ووسط حالة من احجاب الناس . وكأنيما كانا يسبحان في
حوض من الشرائط الملوثة التي تلقى في الاحتفالات . وانفق ذلك المبلغ كله .
وهو يصعب ذلك كائناً .

١ . بل ان الصراف لم يرحب بهي . وضربت فيه رسالته . كم غني لدي
من البغوة ؟ فنظر في سجل كبير وقال : لا غني . . .

٢ . كان ذلك كل ما في الأمر . ولم يكن هناك اوه ولا تعنيف ولا
سب . وكنت أعرف انه لا داعي للقلق . لأنني كنت نائباً راجعاً .
٣ . بعد بئس الكتاب المذبحون فابليهم إلا أن يوقعوا على الصكوك لم
أكن لفيماً - ولذلك لم يكن في استئذانهم ان يسخروا . (٣٥)

ونفذ فتزجرالد حاشته . وكتبه فقة أخرى بزنون . فليجلى والمعلوم .
فالت غلاماً مرموقاً ابعداً . وكان فتزجرالد قد كتبها مستخدماً تحاربه أيضاً
واحد في هذه المرة على تجاربه عند نشره . هذا لطاب من الجنة .
ولم يدهشنا ان يعرف ان فتزجرالد اعتم . بعد ذلك بشعوره بالكتابة في
هذه الجاز هذا

٤ . لقد . هذه وشجته وجعل . عمل على فقد آخر من المال . لأنه لم
يعمل غير أن يقول للناس انه شمر كما شمر . (٣٦)

كان هناك إمرأت في كل شيء . فعله فتزجرالد . فقد قال لجيمس
جويس انه سيقفز من اثنافقة تمسيراً عن اعجابه بجويس . ولم تكن
بوليسيه . لقد ظهرت في ذلك الحين . واستطاع جويس أن يعيده الى
هدوء . ثم قال عنه بعد ذلك بلفظ : لا بد أن يكون ذلك الشاب
مخوناً - انني لاعتقد ان يغسل شيئاً بغير به نفسه أشد الضرر . وكان
فتزجرالد يقوم بأعمال شاذة من بابه التكنيت . فقد ألقى مرة بوجهه ملوثة
بالانكسار والمهلات على سور حديقة اثناء حطلة لم تدعه اليها سيده من
سيارات المجتمع .

ومرت بقره امرأة هجوز تحمل صينية من الزهور الصناعية . وفقدت
بها من يدها . بضربة حرجة . ونزلت الزهور فتأثر بها وهالكه . يد انه
مر عن أسمه في الخيال وأراد ان يصلح الأمر . وتروى هو وويلدا يوماً أن
يشترى أحد الخدم الى نصعين بختار موصيني (لإبعاد الكرامة) . وحدث
يوماً أن أقيمت حفلة عشاء لوفاع التهمة السبالية غريس مور في الدجوان
له بان . إذ ففرت زبلفا قائلة : ما هي الكليات ؟ لم يقدم واحد منا
أية عتبة الى أبطالنا الراحين ليأخذوها معهم . ثم خطبت رداها الداخلي
تصنيق وألقت على المصنعة . لما كان من خطيبه غريس مور إلا ان قال انه
عليه ان يقرم بشيء بطولي جواهاً على هذا . ثم لقي بنفسه في مساء البحر
مصحفاً بالافقة . لما جفت اصوصاه والقطع الناس . ففاسهم شجوه التفسر
وواكونت ماري . عندما ما هذا ففهم من القشر . مسبحاً . وهو يسبح على
العدول وسجلت ان الممدى حيث تناول مفتاح عرته من الحائط وسار
عد عرته

٥ . فتزجرالد عن هذا الجو الذي تتميز به اشغالته الخاصة في كتيبه
وسير مائه بريق ساطع من المال والروحة . وقد جعل لمراده يظنون ان الناس
من الترمي التاسع عشر والعشرين عاشوا نفس الحياة المرححة الشاذة التي عاشها
. اهدى . هذه الجانبة من الحق . . . وتفسير ذلك كله شيء من الرواية . بطبيعة

الحلم : كالخلة التي بعضها مثلاً في الفصل الثالث من « كاتسي العظيم » :
« وكان هناك رجل نسخ في منتصف العمر يضع على جنبه نظارتين تشبهان
عينَي البومة » يجلس على حافة مائدة كبيرة ، ويلوح صكران ، وهو يحلق
في وغوف الكتب ..

« حقيقي بالمره - وهناك صفحات ، وكل شيء .. كنت اظن انها مجرد
أوراق ملونة تغطي الجدار ... صفحات و - هنا ! دعوني أركم .. »

ولاح عليه انه كان يعتقد بأننا لم نكن نصدقه ، فاندفع نحو الغرف ، وعاد
بالجزء الأول من « محاضرات شنودارد » وصاح بانتصار :
« انظروا ! انها قطعة أصيلة من الكلام المطبوع - أي كمال : أية واقعية !
لقد عرف ابن يكف أيضاً - لم يتر الصفحات .. » (٣٧)

اله مزيج غريب : شيء من خيالية حافلة الحقيقة في « الرجل الذي كان
الحبيب » يحتوي كشيء من الآلهة واللاشعورية ، تماماً كما في « القريب »
لكامو . ونجد ان كاتسي هو رمز للترجوالد نفسه ، وما حفلاته الرائعة إلا
للتأثير على فتاة كانت قد رفضته مرة ، وبذبل مفعج البطولة ، أما سكر فترجوالد
لقد كان بدلاً من المحبوبة ، وكان يستمر على السكر عشرة أيام في بعض
الاحيان ، ويستيقظ في حلبة خرية ، دون ان يتذكر شيئاً مما حدث له أثناء
السكر . وكان يحاول ان يظهر بظهر البطل العظيم . « كان دائم الشكوى من
الصداع والاعياء بسبب الخمر ، دائم الشعور بالقتل أو القتل بشأن المال الذي
كان ينفقه بالسرعة التي كان بها يحصل عليه من المجلات الأمريكية التي تدفع
بلا حساب ، وكانت جرثود شتان قد اخترعت عبارة « الجليل الضائع »
وصفت بها جيلي الجاز ، بيد ان فترجوالد لم يضع خلقياً ، وانما كان الواقعي
فقط . يستطيع ان يعيش كما عاش حوالي عام ١٩٢٠ . ولم يكن السأم أو اليأس
ما دفعه الى الاذعان على الخمر ، وانما دفعه الى ذلك قتل زوجته الشقية ، وكان
لأمره يمثل في مثالية غير متوازنة ، في ظلماً الى التجربة يتجلى في شعر
وبرت بروك وغيره من شعراء عام ١٨٩٠ وما تلاه من سنوات . كان ووبرت

بروك أيضاً ظاهراً في التجربة كلها :

« انه اليوم الذي أعاد الي كل ما لم أحصل عليه إلا نادراً خلال عامين ،
ذلك الجوع المزعج الى ان أعمل وأعمل وأعمل شيئاً . اني اريد ان
أسير ألف ميل وأكتب ألف مسرحية وأغني ألف قصيدة وأشرب
ألف وعاء من البيرة وأقبل ألف فتاة .. ان الريح يموضي من شدة
القهقة التي يمتلأ في نفسي ، فأسير في الطرقات وأنا ارتعد ،
يل انتحب من شدة القلق ... » (٣٨)

ويظهر هذا الجوع العام نفسه لكل التجربة عند توماسي وولف فيها بعد
١٩٢٥ - بطل وولف في « انظر ناحية البيت » ايها الملك « الذي بقى في
مكتبة الكونغرس ويتنهي ان يقرأ كل الكتب ويصرف كل الناس الذين يرون
في الطريق . وكانت قصيدة من قصائد بروك هي التي أوحى الى فترجوالد
بالسوان « هذا الجانب من الجنة » ، قصيدة تمثل ولها شهواته للجنة في إحدى
جزر البحر الجنوبي . وكانت الشهوة ذاتها الى التجربة والاشياء غير الملموسة
التي ساقى بروك من انكرا الى اسركا . ومن ثم الى البحار الجنوبية .
ونزكته « هوكاً دائماً » غنياً ابداً ، وأتمت ودمرت نوماسي وولف في أقل
من عشر سنوات بعد ان بلغ القهرة بكتاب ألفه في شبابه . ولم تترك فترجوالد
وزيلدا يستقران ابداً . وانما لتجد تشابهاً بين طبعي فترجوالد وبروك ، فان
رسائل كل واحد منهما تخفي بالسخرية والبطولات المضحكة :

« ارجوك . لا تقل انك لا تستطيع ان تحضر في الخامس والعشرين
وانك ستحضر في التاسع والعشرين من الشهر . انما .. فاشغل
الخاص في التاسع والعشرين . لانه يوم الذكرى السنوية للجناس
يسيا - من كان الرب المبارك . الرب المبارك . الرب المبارك .
الرب المبارك .. »

استدأ أدري اذا نعت هذه العبارة دائماً في هذا المكان .. » (٣٩)

أما بروك بعد كتب حين كان كان مراهقاً

والتي مشلول بقصة طويلة جداً ، وقد كتبت متاخمة فصول ، وهي تبدأ بتشبيه المشهور عن القمر ، كان القمر شبه قهقراً أصفر واسعاً على جلد مجنوم ، ولكنها تزداد خلابة بعد ذلك ، وقد سجلت أحد شغوصها الرئيس مجنوماً ، ليس له من الأعضاء والملاصق إلا كتلة حائلة من الودم . وهو يلوح وكأنه دعوة انسانية ضخمة ، وهو يتن ياغان مستهزئة من ... لم مستهزئ أصغر الشفتين ، وأما الإبطال الآخرون فانهم أقل شأنًا من هذا البطل . (٤٠)

يبد أن بروك كان يتميز بشيء من الجسدية في تفكيره ، وبشيء من الإدراك كان يؤمل منه أن ينقله من الأدمان على الحمر ويقويه في مواجهة الخيبة . وكان باستقامته أن يكتب لل ف . هـ . كيلنج مشغولاً عن صوفية الخاصة :

لها تتألف من انظر الى الناس والأشياء كما هي - لا باعتبارها ضيفة أو مخلوقة أو لبيعة أو شيئاً آخر ، وإنما ككائنات فقط .. التي يستطيع أن أراهم بالما كذاً في حربة غطار لمدة ساعات .. والتي لأعرف أن أفكار امثاله شريفة . إلا أنني أجسد نفسي مهنماً بوجودهم حالة فقط . فلا أكثرث بغير ذلك . وأؤكد لك أن

رجل أعمال من الدرجة الخاصة ، مريض بالأورام ، من أولئك الذين أتاح لهم قانون المساواة مجالاً في برمتهم ، مثلاً ، هو رابع ، خالد - وإنسان مرغوب فيه تماماً . (٤١)

لم يتح لفرجيرالد مثل هذا الإدراك ، فلما قد مثاليه شيئاً فشيئاً ، لم يق له ما يستضي به عنها . وأصبحت زيلدا بأزمة عصبية ودخلت مستشفى للأمراض العصبية فترة من الزمن . وصار فرجيرالد يكتب القصص القصيرة لتجارب التجارية ويسكر دائماً . وبالرغم من أن اللقطة احتدوا قصته الكبر ،

العبارة التي يجدها القارئ بحرف أسود في المقتطفات هي من إشارات على الأمر

« كاتبي الضلم » ، إلا أن النسخ التي بيعت منها كانت أقل مما توقعه . ومرت بضع سنوات . وبدأ أقبال المجلات الكبيرة على أنماصه بفتح شيئاً فشيئاً . وكان كتابه شيان قد ظهر : مثل اونست ممنغواي ودوس باسوس وولف . ثم فولكر . وأعقت ذلك فترة تباكي فيها على نفسه وأغنى يقوم على زوجته . وصور الوضع في نصته « جميلة هي الليلة » ، التي يتزوج فيها محل نفسي شاب ذو مستقبل من فتاة جميلة غنية . كانت تطبع عنه . وبقرق في عالمها المؤلف من الحفلات وغشاء الصيف في الفريغيرا . وينتهي به الأمر سكرافاً غاشلاً . وتتركه الفتاة لتتزوج شخصاً آخر . وكان فرجيرالد واقعاً بأن هذه القصة ستعيد شهرته وتظهره باعتباره أول كتاب عصره ، وهكذا فإنه لم يستطع أن يستعيد لفته بنفسه نفسه بعد فشلها البريع . وكان في ذلك الحين قد بلغ الأربعين ، وانفصل عن زيلدا . وكانت القصة التي أعدها إعداداً حسناً ودرسها درساً واقعياً لسد غثلت في اجتباب ربيع الفراء الذين أقبلوا على نصته الأولى التي كتبها بسرعة وبلا أكثرات . وبدأت طاقته العصبية ولفته بنفسه تبحران شيئاً فشيئاً . ورحمته وجد نفسه وجهاً لوجه مع مشكلة الالاميتي الاسامية - النضت والانبهار والتعظم . وهو يصرف ذلك في مقالة بعنوان « التعظم » : كيف أن طيباً طال له انه مشلول ، عذوب ليترج :

— وفيما . ويا للعنة . شعرت بالنحن .

— وكسحت كاللانة الحنين . حين سمعت الخبر .

كان ذلك دقيقة للتيك الذي أصابه خلال سنوات طويلة من النقل ،

هو حال ذلك مفعول .

و كنت . خال نيك الستين . لكي أحافظ على شيء . لعله الحدوء الداخلي . ولعله ليس كذلك — كنت قد أعدت نفسي عن الأشياء التي كنت أعها — وصار كل شيء لي حيائي . من تنظيم أساني في الصباح . إلى تناول طعام العشاء مع صديق . مثل مجهدوا فحماً بالسبة لي . ورأيت

التي قد ظلت فترة من الزمن لا أميل الى التمسك بالاشياء ، وانما كنت
أقلد الميل الاصطناعي المعروف . ووجدت ان حيي لأقرب الناس الى صلي
محاولة للحب فقط ، اما علاقتي العرفية الاخرى - مع عمراو بالبحر
سجائر ، أو طلل اسد الاصفاة ، فلم تكن غير محاولات لتقليد اشياء
كنت اتذكرها من ايامي الماضية . وصرت في عدي شهر واحد انصاف من
صوت الراوي . والاعلانات للملقة على المخازن ، وصوت المبيعات ،
وصوت الريف الميت - وكنت احضر نعمة الناس ، واتر مبياء بأشد
الانزعاج أمام المخاف ، (سراً) ، وصرت أكره الليل لاني لا أستطيع
النوم ، واكره النهار لانه يقود الى الليل ، وكنت انام على جانب القتب ،
لاني كنت أعرف اني لا اكاد اتعب من تلك الرضعية حتى نخل ساعة
الكايوس المباركة التي تساعدي . كالمرسجة التي تهدى الاعصاب ،
على مواجهة اليوم الجديد . (٤٣)

ويجب علينا ان نلاحظ ان هذه التجربة «منافضة تماماً» لما وصفه بروك
حين عبر عن شعوره نحو رجال الاعمال في القطار ، انها الجانب الآخر
من العملة ، الكره التام ، بدلاً من الادراك الحي . ولقد فخر فخر جerald
من رومانية وروبرت بروك الى قلق تشيخوف واقشاقه بالقتل والتمهورة ،
وهذا «دعسم انه يلوح انه لم يدرك ذلك ابدأ» هو سبب فشل «جميلة هي
الليلة» ، وسيكون أيضاً السبب في فشل قصته الانعبرة ، اذا توغر له ان
ينسها . وقد كانت قصته فياضة بالملاحظات الرائعة ، الا انها لم تكن قصة
ساعة . وكان فخر جerald خلال هذا قد وصل الى نافذة من طسفات الباب
والفشل ، وصار باستطاعة ان ينظر الى حياته الماضية ويقول :

« (كنت اعتقد) بان الحياة كانت شيئاً يمكنك ان تتحكم فيه اذا كنت
خبراً - وانها تسلم لذلكاء ولمجهود ... كانت الحياة قبل عشر سنوات
سألة شخصية وحسب . ويجب علي ان اجد توازناً بين مفهومي لتضاه
المجهود ومفهومي لحاجة الى الكفاح ، والاعتقاد بحسبة القتل . وعلاوة على

ذلك . بالتصميم على «النجاح» ... (٤٤)

لقد كتب فخر جerald هذا قبل اربع سنوات من موته ، وكان قد فقد سيطرته
على نفسه شيئاً فشيئاً . وقد كان الطريق طويلاً بين المؤلف الشاب الذي غزا
الاسواق في عام ١٩٢٠ (حين كتبت احدي صحف نيويورك عنواناً ضخماً
كان كنيا علي : فخر جerald يطرد الشرطة من الجنة) وبين هذا الرجل المتعب
المتحدر في عام ١٩٣٦ . وكان قد فسخ زواجه ، لانه زوجته كانت تتميز
بخط خاص ، وكانت تريد ان تصبح اكثر من مجرد زوجة مؤلف ناجح .
كانت تريد ان تنجح هي وان تكون موضع الاهتمام ، ولان دخله قليل
وصار ثلث ما اعتاد ان يكسبه في ايام مجاهه . وبدأ يشعر بأنه قد باع
نفسه للتجاري التجاري . وصار عصبياً شديد الانسياق بتشاخر دائماً ،
وحسب بالكتابة دائماً . ولاح انه لم يبق له شيء من حاسة وحيدة السنوات
التي اعتيبت عام ١٩٢٠ . وبدأ ، مثل لازلاف تخسكي ، يرى اليوم
والأساءة ايها اثار وجهه .

و وجدت في «الفترة» ان اولئك الذين كانوا يعاصرونني بدأوا
يحسون وسط العنف . ذ قتل احد زملائي في المدرسة زوجته ثم انتحروا في اولئك
البلد . ومقط آخر عرضاً من إحدى ناطحات السحاب في فيلادلفيا ،
واستطاع آخر منه محمداً من أخرى في نيويورك . وقتل آخر في شيكاغو .
أثر شجار نافع . وضرب آخر ضرباً مبرحاً في منرب سري في نيويورك
وحرق به الى نادي برستون ليموت هناك . بل ان زميلاً آخر احتجبت في
«صحة السجائر» مسحق احدهم جمجمته بلطفة كبيرة . وليست هذه مآمي
- - للبحث عنها في الطريق - لقد كان هؤلاء اصداقائي ... (٤٤)

يكتب نافضل ما كان يعمل في الماضي . وكان يعرف ذلك جيداً .
وقد كتب له صديقي رسالة قال له فيها : انك تكتب الان بأسلوب صبر
صفت اساء لك السابق . حين كنت انت انت راعياً ، من حيث
المادة . « كان صديقي يتحدث لي هذا عن « جميلة هي الليلة » . وفي

ذات يوم تضامني كثيراً من كاتب شاب كان يتحدث « هذا الجانب من الحياة .
 أمامه ، وقال له غاضباً : « اذكر هذا الكتاب مرة أخرى فاصطك » .
 وكان يبيع عشرة آلاف دولار في العام ، الا ان ارباحه السابقة التي اعتاد
 عليها جعلته يعتقد انه كان فقيراً . لقد شعر ، مثل أكسيل ، بأن العالم « عبد
 عجول يعد بمفاتيح قصر سحري ، في حين انه لا يقبض الا حفنة من الرماد » .
 كان المرح قد ذهب ، وذهبت زيلدا - زيلدا التي ألقت بضعا من فوق
 سلم عال حين أشارت ايسادورا فلنكان الى انها تتلفف الى مرافقة سكوت
 الى فراشه ، زيلدا التي كانت رمز شبابه ونجاحه . وذهب فترجرالد الى
 هوليوود ، واشتغل بأعمال من الدرجة الثانية في الملازم من الدرجة الثانية . وقد
 وصف بود شولبرغ الصدمة التي شعر بها حين رأى فترجرالد في هوليوود -
 الكاتب الذي كان شديد الإعجاب به - ووجده مهملًا كل الاهتمام . يشتغل
 بتصليح المودات من الاخطاء . وقد حاول شولبرغ ان يصف في قصته
 « المهتدي » ان يصف نهاية فترة طويلة من الفترات التي قضها فترجرالد
 سكران - وكان فترجرالد يحاول في تلك الاثناء ، دون ان يبذل مجهوداً
 كبيراً ، ان ينهي قصته عن هوليوود : « الرجم الأخير » . واصيب بعد تلك
 الفترة بنوبة ليلية شديدة ، ومات في هوليوود في كانون الاول من عام ١٩٤٠
 ولم يكن شيء من كتبه موجوداً في الاسواق حين مات ، ودفن في
 هدوء - تنفيذاً لرغبته - في ووكفيل بولاية ميريلاند . وانتبه النقاد الى ذلك ،
 كالمعتاد ، وبدأوا يكتبون عنه بعد موته . وفتر القسم الذي اتهمه من
 « الرجم الأخير » وظهرت جماعة كبيرة من المصنفين هذه القصة ، وبدأ الناس
 يعجبونه واحداً من العظماء بين كتاب الفصحة الأميركان .

أما الآن ، بعد خمس عشرة سنة على موته ، فان مكانته بارزة بالفعل .
 وتعتبر قصته « كانبجي العظيم » من اعظم القصص في العصر الحديث .
 وثالث قصته « جميلة هي اللبلة » كثيراً من المديح من النقاد . وكثرت الطباعات
 اربعين من قصصه التي أعيد طبعها عدة مرات ، ويعتبر الكتاب الذي

ألقه عنه الجروفور مايزور بعنوان « الجانب الآخر من البنية » (والذي
 اعتمدت عليه كثيراً في سرد قصة حياته) كتاباً كاملاً غير محرف أبداً .
 ان البحث في حياة فترجرالد يقودنا الى قلب موضوع هذا الكتاب
 فانه نتاج حضارتنا الحديثة ، والنموذج الكامل الذي يمثلها . وكانت حياته
 مجموعة من القوضى ، أما بالنسبة للمقاييس المادية فقد كان رجلاً ناجحاً :
 « بلوح ان كون الانسان يمثل نجاحاً أدبياً أمر رومانتيكي - لم يكن لك
 ان تشتهر شهرة نجوم السينما ، بيد ان ذكرك يظل مدة اطول - ولن تكون
 لك قوة رجل السياسة أو رجل الدين ، الا انك كنت اكثر منهما
 استغلالاً عن المعتقدات بالتأكيد » : (١٥)

بيد ان فترجرالد تحطم ، لانه لم يكن يمتلك تلك المعتقدات . ان
 النجاح الأدبي أمر رومانتيكي - أو أنه على الأقل يلوح كذلك بالنسبة
 للانسان العادي ، ولا يستطيع أي كاتب أن ينكر انه يريد جمهوراً قبل
 كل شيء . ولكن فترجرالد لم يكن مستعداً لذلك ، ولم يكن منيد تجربته
 بالرة . وقد انكر ان الحياة هي شيء يمكنك ان تتحكم به اذا كنت
 خبيراً ، في حين ان المهم هو التحكم في الفعل . كما أشار همنغواي لي
 « تلوح كليستارو » :

« مسكين سكوت فترجرالد » . لقد كان يشعر بالرغبة من « الاغنياء ...
 وكان يعتقد انهم من جنس رائع آخر ، ولما اكتشف انهم ليسوا
 كذلك - أشقاء ذلك ، تماماً كما أشقاء أي شيء آخر .

لقد كان (همنغواي) يحقر اولئك الاغنياء ... كان يستطيع أن يلحق
 أي شيء ... لانه لم يكن يوسع أي شيء أن يؤذيه ، ما دام غير مكترث ... (٤٦)
 واعمل بحثاً عن اسباب فشل فترجرالد لن يأتينا بشيء جديد . لان هذا
 يعتبر شيئاً قديماً . بعد ان بحثنا رجلاً مثل ويلكه ووايمو ، لقد كان
 فترجرالد رومانسياً . وكان يتمتع بأمانة ظل عليها خلال سنوات نجاحه ،
 ولم ينفذها حتى في السنوات التي صار فيها يكتب في المجالات الثانية ،

ولو كان قد عاش في القرن التاسع عشر لما لحقه ضرر كبير ، لأن حواصي
ومغريات النجاح لم تكن كبيرة في ذلك القرن . بل اننا لتسائل : ماذا
كان سيحدث لو امير لواته ولد ليعيش في اميركا عام ١٩٢٠ . ولو انه
جعل الناس في اميركا يقتلونه في «عصيانته» ، تماما كما قتلوا الاشياء
التي جاء بها فترجرالد في « هذا الجانب من الجنة » . ان اهمية فترجرالد
تتجلى في انه دلنا على ان اللائمتي الحديث يجابه مشكلة جديدة لم تكن
موجودة في القرون الماضية . فقد كان العدو الاول لللائمتي الماضي هو
عدم اكتراث الناس له وفشلته في توصيل افكاره الى الآخرين ، وفشلته
في التعبير عن نفسه . أما عصرنا هذا فانه الاول في تاريخ القرب الذي
يجد فيه اللائمتي نفسه مضطراً الى مواجهة الخطر الآخر - القمع . لانه
خطاب جداً - خطر اثاره أكثر مما يجب من الاهتمام والاعجاب والمطغ ،
خطر المال والثناء اللذين يتدفقان عليك لمجرد انك « تقول لنفسك انك
نشر كما يشعرون » .

ان أهم ما نستفيد من نصبة فترجرالد سيتضح في الفصل الثاني ،
الذي سنبعث فيه أمر حضارة القرن العشرين بحثاً مفصلاً . اما الآن فيجدر
بنا ان نلاحظ اننا قد قطعنا شوطاً بعيداً عن « مشاكل اللائمتي » التي
بدأ بها هذا الفصل : استقار سويت للبير . والرجل الذي ادخل الى
قصص الفروود . اما فترجرالد فقد كان على العكس ، ضحية عصره ، وقد خدعته
مظاهر العصر كالمناور والبراء . وبالرغم من كل ما كان يتمتع به من
دولة ، فقد فشل في تمثيل القرن العشرين ، لانه لم يفهم عصره .

لقد قلنا ان مشاكل اللائمتي تشير الى طريقة صاحب الرؤى . لان
هذا هو الحل الخاص بالفرد فقط . بيد ان الفرض من هذا الكتاب هو ان
اقول شيئاً عن حاجة هذا العصر الى دين جديد . فإذ اردنا ان نعرف الدين
الوجدنا انه يعني أكثر من مجرد جماعة من المذنبين . انه يعني مكاناً عاماً
امباداً . صحيح ان اللائمتي الفرد يعمل الى حل ديني من حيث الأساس

حين يكتشف حاجته الى سلوك يتصرف بالرؤى وبعبادة الانسانية ، الا ان مثل
هذا السلوك ما يزال بعيداً كل البعد عن الكنيسة مثلاً ، خاصة في عصر مثل
عصرنا . بلوح فيه ان الكنيسة قد فقدت كل صلة لها بالمشاكل التي نواجهها فيه ،
لقد قال ايفان كارامازوف ان الدولة يجب ان تكون شيئاً أكثر من مجرد
أداة من زوايا الكنيسة ، وهذا رأي يتفق مع اللائمتي ، فلو كانت الكنيسة
مثل الواقع الروحي (ولا يريد اللائمتي شيئاً قط ان لم يكن يريد الواقع
الروحي حتى الإنسان الذي هو من نوع فترجرالد ، بكل ما يتصف به من لعب
بالانفعالات في قصصه . ومن رفض للانخداع بتلك الانفعالات) . وهكذا
كان على الدولة بالتأكيد ان تخضع لهذا الواقع الروحي ، لان الدولة تمثل
« القوة » . ولكن في اللحظة التي يكون فيها اللائمتي في شجاعة ايفان
كارامازوف . وبدي بعبارة تحمل لي طابها شيئاً من إمكانية التطبيق العملي
عندها تكون قد سلمت نفسه لشكل جسد من اشكال المشكلة . ولن نكون
حذرين من مشكلة الانسانية البسطة . المشكلة الميتافيزيقية النهائية للاحقيقية
العلمية . وانما تكون المشكلة الحديثة المعقدة في حله الحضارة .

وحدها - ويجب ان يكون كذلك - هو الأساس الذي يبرر فيه اللائمتي
دوره في هذا القرن . وسيكون هنالك دائماً من يقول : ان اللائمتي
صحيح الحق . لا وجود لمشاكله في الحقيقة ، فقل له ان يكف عن الهواه ،
ويبدأ فتنشر في محاولة حل مشاكل الحياة الحقيقية .

لا ان مثل هذا الرأي صحيح . لان المشاكل الحقيقية لا يمكن ان تحل
على هذا الأساس ، انه اليه . وسنات - بآية حضارتنا ذلك . ومن الممكن
ان حل هذه المشاكل على أساس لائمتي . ولقد هاجم بيلك منذ قرنين
الماضي السحرية والمادة . وما تراء احتجاجاته تحمل معنى له مسا له
من مدلول على العصر الحاضر . لان اللائمتي هو محتاج لتجاوز العرب .

وأيضا أصبح حصولنا ونسبنا بتدهور الغرب . ولما ناقش الناس الكتاب ، نشرت المصحح الكبيرة مقالات عدة ، فارتفع عدد النسخ المبيعة منه ، وصار الكتاب شهرا . ووجد الناشر المدهش نفسه مضطرا إلى إعادة طبعه مرة ثانية وثالثة ورابعة في تتابع مستمر في حين أنه لم يكن قد طبع منه أولا إلا ألف وعشرين نسخة . ولم تخف عشر سنوات حتى بيعت من الكتاب مائة ألف نسخة .

ولم يكن أحد قد سمع بمؤلفه ، أوزوالد شينغلر . ولكن البحث أظهر أنه كان مدرسا في مدرسة عالية . دون أن يكون لديه شيء من الشهادات الاختصاص الأكاديمية . ولا يذكر أن قراءة المؤلف للمصادر الكثيرة التي اعتمد عليها في بحث الكتاب كانت لاستنائه الشخصي وحسب . وقد كان رجلا نجيا مصابيا خسر النظر ، وكان دخله متواضعا . وقد ظل حتى عام ١٩١٠ يعمل مدرسا في ساربروكن وجوسلدورف وهامبورغ . ويختص بشؤون الرياضيات وعلم الأحياء وحتى اللغة الألمانية والعفراية والتاريخ لفترة قصيرة . وقد أسامه التعليم ، لأنه كان يريد أن يتاح له الوقت الكافي للكتابة والبحث (قال كاتب شاب مائة آخر كان قد تخلى عن عمله كمدرس في ذلك الحين - د . ه . لورنس) . وألف كتابا في الرياضة سياه ، يحفظون واحرار - الصورة الأولى من « تدهور الغرب » . وهناك قصة تقول أنه رأى نسخة من « التدهور والقطوع » لجيرون في إحدى مكتبات ميونيخ . فأوحى له بأن يعيد تأليفه ابتداء ذلك عن البداية . ثم اندلعت ثيران الحرب وخطط مخله ولم يعد كتابيا حتى ولا لمحات زاهة . فاضطر إلى الانتقال إلى سبي صغير من أحياء ميونيخ وإلى تناول طعامه في قهوس خاص بالصلال . وكان عود إلى غرفته الباردة للالتصا على « دردت » تدهور الغرب » . ويخبرنا أن لذكر أن نياشه كان جعل قبل خمس وعشرين سنة في نفس تلك الظروف ، بمصافه مرمز عصر شينغلر والمصداع . ملقعا الجرة الأسفل من حسه بالانغاية . وانحما القلم حاداً حين حين وآخر لينق عليه على حب المصالح .

ومنهم عام ١٩١٧ . قائم مسودات القسم الأول . وبدأ يحاول أن يعر

الفصل الثاني

اللامتعي والتاريخ

شينغلر

ما انقضى عام ١٩١٨ الا وظهر كتاب ضخم في مكتبات ألمانيا يحمل عنوانا مثيرا : « تدهور الغرب » .

ولم يلاحظه أحد بضعة أسابيع ، ولم يشتره أحد مرة من الوقت ولم يكتب عنه أحد شيئا . ثم بدأ الناس يشعرون بالفضول شيئا فشيئا بشأن هذا الكتاب المصمم الذي تخفي أولى عباراته حكما :

« يضم هذا الكتاب . لأول مرة . محاولة لتقرير ما يحدث في

تاريخ المستقبل ، محاولة المتابعة مراحل لم تحدث بعد من مصير

حضارة ... » (١)

ولعل هذا هو العيب الذي جعل الناس يقلبون على شراء الكتاب بالرغم من لا أكثرات عالم الأكاديمية له : ولعل جمهوره الأول كان يتألف من أولئك الذين يطالعون باب « ماذا تقول النجوم ٢ » في صحف الأحد . وقد وجدوا هذا الكتاب فحما تأمليا ميتافيزيكيا يحتوي على هوامش ومصنفات كثيرة تتبر إلى عدد كبير من المؤرخين والفلاسفة . ولكن هذا الكتاب كان في الحقيقة

على ناشر يوافق على نشر الكتاب ، إلا أن جميع الناشرين كانوا يرفضونه . بل أن جميع دور النشر الكبيرة في ألمانيا رفضته رفضاً باتاً . وانخراً وافسق ناشر نمساوي صغير على المجازفة بطبع ألف وخمسمائة نسخة منه . وهكذا ظهر الكتاب في عام ١٩١٨ .

لا شك في أن نجاح الكتاب كان يعود إلى نفس الأسباب التي أدت إلى نجاح الأرض القفر ، لأبوت و . يوليسيس ، لجيسس جويس - لأنه جبر على اتجاه جديد متشائم في الحياة ، اتجاه لا علاقة له بالمرء بالانجذابات التي كانت معروفة قبل نشوب الحرب ، ويجعل بنا أن نعرف أيضاً أنه حين نشر شوبنهاور كتابه « العالم كإرادة وفكرة » قبل قرن من ذلك بالضبط لم يكن تشاؤمه متفقاً مع روح عصره ، وكان عليه أن ينتظر ثلاثين سنة أخرى لكي يعرفه الناس . لا أن كتاب شوبنهاور وكتاب « تدهور الغرب » متشابهان إلى درجة أننا نستطيع أن نعتبرهما شقيقين أديبين . ولعل شينغلر ظن حين أعمل الناس كتابه في الأسابيع الأولى أن مصيره سيكون مثل مصير شوبنهاور ، ولو حدث ذلك لكان أفضل له ، لأنه حين مات بعد عشرين عاماً كان اسمه قد خاص في طيات النسيان ، لكن الاتيلاء النيشيين لم يكونوا مرهوبين في عهد ألمانيا النازية .

لرى ما الذي يجعل كتاب « تدهور الغرب » خلافاً إلى هذا الحد ؟ - خلافاً حتى اليوم تماماً كما كان حين صدر لأول مرة ؟ أولاً ، لأنه ليس كتاباً « أكاديمياً » مطلقاً . لقد كان عقل شينغلر واسعاً اتساعاً هائلاً ، فهو يتحدث في صفحة منه عن غوته وبرتارد شو ، وفي الصفحة التالية عن آينشتاين ورياضي العصر الحاضر ، وفي صفحة أخرى عن الفن الصيني أو النحت الإغريقي أو تأثير المنحول على الصين . إنه الشاعر الذي تفتحه كل أنواع الأشياء . وعليها أن نلاحظ أن « الأرض القفر » و « يوليسيس » تتميزان بهذا الاتساع الفني ذاته ، وأن المرء يشعر حين يقرأ « تدهور الغرب » بالاعجاب المتخاصم باتساع ذهنية هذا الرجل الذي يلوح أنه يعرف عن الفن والموسيقى بقدر ما يعرفه عن علم الأحياء والرياضيات .

ثم يصبح اعجاب القارئ بأعجابه الأدبية أقل من اعجابه بعقود أدراكه والروبا الموحدة لتاريخ التي يمتلكها شينغلر . ويقول شينغلر نفسه في مكان ما من الكتاب أنه أول من فعل لتاريخ ما فعله نيوتن بالرياضيات . إذ أنه أعاد رسم الظواهر التي كانت منفصلة عن بعضها في السابق في كيان متماثل منسجمة . كان التاريخ قبله فوضى من الحقائق القريبة عن الماضي ، في حين أن شينغلر خلق تقليداً جديداً . وقد قال : إن الحشرات تشبه البشر ، لأنها تولد ، تنمو وتنضج وتموت ، ويتكون البشر من حجيرات بابرولوجية . أصلاً الحشرات فإنها تتألف من البشر الذين يموتون وتخلبهم أجيال جديدة تماماً كالحجيرات التي تتغير في أجسامنا كل ثماني سنوات . التقدم ؟ لا تقدم هناك ، وهذا أن كل جيل من البشر لا يقل حمقاً عن الجيل الذي يسبقه فإن الأمر كذلك في الحضارات . الهدف ؟ لا هدف هناك ، وإنما هي عملية بابرولوجية نامية نفسها . وهنا تأتي إلى أساس اللاتمتسي ، فهو يفرض أن تكون الحياة مجرد تكرار لا معنى له من الطغاهات الانسانية ، ويتفق اللاتمتسي مع شينغلر في « من الطريق » ولكن ، قبل أن نبحت هذه الفظة ، دعنا نتناقل طريقة شينغلر في البحث :

إن طريقة شينغلر الأساسية تعتمد على مقارنة « الحضارات » . ومن الضروري أن نؤكد على أنه اعتقد بأن التاريخ يمكن أن يكون علماً كعلم الأحياء أو الفيزياء . وهناك فرع من فروع التاريخ الطبيعي يدعى « علم مقارنة الأحياء » وهو يختص بمقارنة المخلوقات والأعضاء المشابهة في مختلف الحيوانات . فهو يقارن مثلاً يد الإنسان بجناح الطائر أو الخفاش . ويعلببق شينغلر هذه الطريقة نفسها على التاريخ . ويختص الفصل الأول من كتابه « الأرقام » وهو يصرح بأن كل « حضارة » تتميز بفكرة مختلفة خاصة بها عن الرياضيات . وليس هناك شيء يسمى « الرياضيات » بمفهوم تسبنا لافلسك أو الكيمياء . لأن هناك أنواعاً مختلفة من الرياضيات في مختلف الحضارات ، فكل كوجود فنون مختلفة -- فن مصري وإغريقي وبابلي وعربي . وقد كان

الأمميين القدماء مفهوم وحيد عن اللانهاية والخلود - كما تدل على ذلك
أهراماتهم ، وكانت فكرتهم عن العدد تتميز بوجودها خالده . أما الاغريق
فقد كانوا متعلقين منطقاً شديداً بـ « هنا والآن » ولم يفكروا في الخلود ، ولذلك
انحصرت رياضياتهم على قياس الاشياء وعلى العالم المادي ، واخترعوا الهندسة .
أما السان الغرب فان مفهومه يشتمل على الزمن والتغير ، وهكذا أضاف
الكالكولس وحساب التغير والاستبدال وحساب التفاضل إلى الرياضيات .

ولا يمكن لهذه السطور ان تغطي فكرة واضحة عن طريق شينغلر في البحث
- وسبب ذلك هو انه لا يبحث بالفعل ، وإنما يقرر فقط ، وهو لا يكثر
أحياناً لا يعطاه أي سبب للاشياء التي يقرها ، وهو يعترف بهذا بصراحة قائلاً
ان ما يصنع المؤرخ الحقيقي - لتمييزه عن منظر الآثورة الأكاديمي - يكمن
في معرفته الفطرية للمعاني الكامنة وراء الحوادث . ولا تختلف هذه الوجهة عن
ذلك التي تصنع رجل الدولة أو القائد المحنك ، لانه لا يستطيع ان تكون رجل
دولة بدراساتك لحياة كانوا ومازايك وذراريك فقط ، ولا يستطيع ان تكون
قائداً عسكرياً بدراساتك لكونزويس أو فوش . ان رجل الدولة أو القائد المحنك
يجب ان يتميز بفطرة حيوية إلى جانب الطاقات العملية ، وهذا ، كما يقول
شينغلر ، ما يجب ان يميز المؤرخ أيضاً .

ومن الواضح ان هذا الرأي مأخوذ عن غوته ، إذ يروى عن غوته وشيللر
انهما كانا متصرفين بعد ان سمعا محاضرة علمية في بيا ، وقال غوته بشيء من
الفن : « هناك طريقة أخرى لفهم الطبيعة . انها نشطة حية تكالنج لتتجزأ إلى
أجزاء . » وأجاب شيللر بشيء من الشك : « ليس هذا أمراً علمياً ، وإنما هو
فكرة من أفكارك . » بيد ان غوته كان قد وضع اصبعه على المشكلة الرئيسية
في تفكير الغرب .

ومرث مائة سنة على غوته قبل ان يجلس المفرد فودثوايتيد ليعرف هذه
المشكلة في كتابه « العلم والعالم الحديث » . انها مسألة « تجزئة الطبيعة إلى جزئين » ،
صارت المعرفة تعني شيئاً جافاً ثابتاً منطقياً ، وصار الامانة بها جوفاء قطرات

الشاعر لانها ليست مبنية منطقياً على فرضيات معقولة مقبولة ، ولكننا نجد
كما وجد شينغلر . ان علماء الرياضيات العظام أنفسهم كانوا فنانين أكثر من
كونهم منطقيين - نيوتن وغوس وريمان . (سننر هذه النقطة في مجال آخر
عند بحثنا لاسكال وسويلنبرغ ،) ان ما يميز العظمة دائماً هي الفطرة المدركة
لا المنطق ، ولقد لاحظ فان حضارتنا اوجدت تمييزاً خيالياً بينها يدعي « الفلسفة » ،
أما الوجودية فهي ثورة ضد هذا التمييز .

ويتضح من ذلك ان شينغلر كان مؤرخاً وجودياً ، ونحصر أهميته الحقيقية
في هذا . وبالرغم من ان هذه النقطة صعبة جداً - لان مفهوم الوجودية صعب
بالنسبة لجعلنا صعوبة النسبة بالنسبة الفيزيائيين منذ خمسين عاماً - بيد اننا
نجد ان نؤكد على هذا لانه مهم جداً بالنسبة لمشاكل الامتناعي . وصاحوا ان
أصبح الامر بقدر استطاعتهم :

كانت الكنيسة تعقد في القرون الوسطى بأن التاريخ كله كان يتجه نحو
اليوم الأخير وتثبيت دعائم ملكوت الله ، ولهذا فقد حصل الراهب يواكيم
الفلوريبي الذي قسم التاريخ إلى فترات ثلاث : عصور الآب وعصور الابن
وعصور الروح القدس ، على الكثيرين من الاتباع .

ولما حل القرن الثامن عشر بما رافقه من اتجاه نحو التمثل ، اختلفت فكرة
هدف التاريخ ، وصار التاريخ يعني ببساطة تتابعاً من الحوادث في الماضي ،
ولم تعد البشر كل تلك الأهمية ، فاذا كان لا بد من وجود هدف لتتسارع
الشري . فلا بد من وجود هدف لتاريخ الكلاب والقطط والصفادع
والاسماك . وحل الاتجاه العلمي على الاتجاه الديني .

كان هذا كله بداية إلى حد ما ، لانه قضى على عدد كبير من العزافات
ولكنه كان يعني أيضاً ان حياة البشر هي رحلة من اللامكان إلى اللامكان
مؤدي ذلك ، كالدروينية ، إلى نفي الارادة الحرة من الكون .

أما ما قدم به شينغلر فهو انه بحث فكرة الهدف والمصير من جديد .
هناك مثل رائع يقول : اسكب مائك القليل قبل أن تحصل على الماء النقي

وقد شكك متعقبات القرون الثلاث عشر مذهبهم الفخر الذي يتألف من مفاهيم القرون الوسطى عن المذهب. وكان الإنسان في الكون ولكن طوعاً طرّاً عالياً لمدة اثني ستة تقريباً - بالرغم من أن أولئك المتعلقين كانوا لشدة انجذاباً للعبثية الجارية - أشد حراً من أن لفظة اللاهوتي إلى الهدف والمعنى من أن يلاحظوا أنه لم يكن لديهم ماء - ولكن ينشأ وكثير كفاراً ظهراً فظهرت رغبة جديدة في الحصول على بعض الماء النقي - هل مفهوم جديد لمكان الإنسان في الكون - أقل صلاحية من مفهوم القرون الوسطى - يركز على معرفة الإنسان للفرد الكامنة في شكه - وقد أدرك دوستوفسكي هذه الحاجة في «الشياطين» حيث أوضح كيريلوف المشكلة بقوله : «إذا قال الإنسان أن الله غير موجود فيجب عليه أن يواجه ما بعينه ذلك - الله لا بد أن يكون هو الله - ولكن كثير منوف كان عملاقاً روحياً - في حين أن معظم البشر هم الزمائم وروحون لا يستطيعون أن يروا المصاعين الكامنة في الأمور التي يبحثونها .

وينطق هذا على الفلسفة الحديثة - فقد كان لاهوت القرون الوسطى يقول إن هدف الإنسان هو الخلاص - ويجب على البشر أن يكافحوا من أجل أن يهربوا من يدين بتخليص المسيح لهم - فإذا أطلقوا فأنهم يذهبون إلى الجحيم - لا فأنهم يذهبون إلى الجحيم أو إلى حيث يتخلصون - ونحن القرون الثامن عشر نبدأ كل هذا وننتهي إلى أن : الإنسان هو حيوان وأبليس نتيجة للأرادة الحرة وأما هي نتيجة للضغط الاجتماعي والظروف - وكانت النتيجة - مرة أخرى - تدعيم عدد آخر من المخالفة للسلطة - ألا أن ذلك أدى أيضاً إلى تدعيم مفهوم المذهب الأخلاقي - وقد فشل القسوس الثامن عشر في إدراك أن المشاكل التي نذكرها - أخلاقية - مستمرة في وجودها دائماً حتى أن بعضنا فكرة أن المحافظين يذهبون إلى الجحيم - وأن المشاكل الأخلاقية هي في الحقيقة مشاكل خاصة بالطبقات الحوية - لأن الإنسان أكثر حياة من البقرة - تماماً كقولنا أن البقرة أكثر حياة من الشجرة - وينبش نضج الإنسان أنه يكون - أكثر حياة - أو - أقل حياة - فهو يستطيع أن يتبع

لغة تلبية كل دافع حسي فيصبح متصل من البقرة قليلاً - أو أنه يستطيع أن يضبط مذهب ويخلص مذكاة مرفق نفسه إلى شكل أعلى من أشكال الحياة - وهكذا يعتبر البشر الآخرون - بصورة أوتوماتيكية - رغبياً - وأما طبع البقرة منه لا يتبع فما أن تغير نفسها - ومع ذلك فهناك كما يعرف عمال منتجات الألبان أغار ذكية وأبقار حذراء - ولا تخلط الشجرة أية قوة علسي تغير نفسها إطلاقاً - وهكذا الأخلاقية هي قوة أشكال أسمى من الحياة أنه يقين حرة أكثر - أما الطبيعة فإنها تسبب للأشكال العالية من الحياة بولدي إلى اعتبارها إلى المستوى الحيواني - وهذا الطريق سهل جداً - لا صعوبة فيه على الأخلاق .

يجد القارئ هذه التعاريف في مؤلفات كثير كفاراً ونشأ وشو - هل حتى له مؤلفات القرون - ولما ثبت القرن الثامن عشر دعائم الأفكار الأخلاقية سداً للامتصاص بتوهم الوجودية - لأن الدين القديم كان ساذجاً جداً - ولأن التحفة الجديدة لم تحل عنه صلاحية - بالإضافة إلى أنه لم يكن هناك داع إلى أن يطلق أحدهما الآخر نهائياً - وإنما نجد أن حكماء الهند وأصحاب الفلاسفة كانوا يجمعون بين العقلية الواسعة والدواعي البنية العاطفية - لاوتزي وشرايخ فروممان وغيازا - أما الضرورة الواضحة فهي أن الفنانين والفلاسفة المصنفين في أي عصر يجب أن يكونوا علماء ورجال دين في الوقت نفسه - ويجب أن يكون كل عالم قادراً على الحصول على الإدراك الفعلي كالفرد الرابع هل مهم نظرية الحكم في التمييز مثلاً . . .

إن الحاجة الملحة اليوم هي إلى بحث لفكرة المذهب - معنى الحياة - وهذا هو أساس الثورة الوجودية - أننا لا نستطيع مطلقاً - كما أشار هولم - أن نورد إلى دين الكنيسة الساذج كما كان في القرون الوسطى - وبالرغم من أن الأدلة زادت من أهمية الإنسان - أنها خلقت مشاكل معينة ياتت تهديد بتدمير

جورج . مسخرة : ١٩٣٥ : أصل أولئك كلمة : Quantum Theory

حضارتنا . وما نحن قد وصلنا الآن إلى حيث يصافح اللامتنى شينغلر . لأن
معبود اللامتنى بالخطورة والمصير المظلم هو شعور شينغلر نفسه . وقد ظهر
اللامتنى لأن حضارتنا قد مدت ديتها . إن اللامتنى هو نتيجة لتقسيم والتهديد
الطبيعة إلى جزئين . وما ندهور الغرب إلا دراسة لحضارة التي صار
اللامتنى يمثلها . كما أن تجزئة الطبيعة هي السبب في تدهور الغرب .

صباح غاسقة والتهديد يحلّ دقيقتاً في الفصل الأخير من الكتاب . أما بالنسبة
لأفراء الذين لم يفهموا فلسفة والتهديد من قبل . فليس من الضروري لهم الآن
أن يفهموا فلسفة التكوين . وإنما المهم الآن هو فهم ما صنعه حين يقول أن
شبحار مروح وجودي . إن الوجودية هي ثورة ضد المناطق والمثل . وهي
دعوة من أجل القطر المدركة والروبا . إنها دعوة من أجل اعتبار الإنسان نفسه
مشركاً في مشاكل الوجود . لا متطعاً وحسب . وقد أخاف شينغلر كل هذه
الاشياء إلى دراسة التاريخ . وكان يحلّ إلى الشر وانوسيقى . ولم يكف عن
الطائف عبارات من غوته وتيتشه . وكان يرى أن الرياضيات وتعلم يونان
حالياً من جوانب كفاف النفس الإنسانية من أجل رؤى أعظم وأدراك أشد
وأعمق . وبالرغم من أن تاريخه لا يشتدل على الحق والإحكام اللذين نستخدمهما في
« تاريخ كامبرج للقرون الوسطى » مثلاً . إلا أنه مساهمته تعتبر أشد أهمية

إن التاريخ الحديث يتبعه نحو التدهور . وليس في استطاعتنا أن ندرك إليه وكأننا
سبحش أبداً . أو كأننا نتنع لطيفاً للعائلة لنسمع الاجزاء والبراهين
المجدبة ونضيفها إلى بعضها بعضاً . تماماً كالنحوي الذي وضعه يوانوثك . إن تاريخ
شينغلر ينصف بما ينصف « الوصف الطبي للأعراض » . وإنما أقرر أنه ينمو
« دور حضارتنا أمراً لا مفر منه . تماماً كما يعتقد أي طبيب بأن مونا لا مفر
« ومع ذلك . وسواء أدرك ذلك أم لم يدركه . فإنه يستدعي الانتباه إلى
« كنه اللامتنى في الحضارة . وترتبا أصنافه التاريخية نفسها هذا الدور
الحردي . فبدلاً من أن يقدم التاريخ إلى قدم ومتوسط وحديث (كما يفعل
أستاذ كامبرج حتى الآن) فإنه يقسمه إلى حضارات - حضارة ايوانو وحضارة

البحر وحضارة قلاوت .

وهكذا فإن عصرنا الحديث يقع ضمن الحضارة القلاوتية . ومن الغريب
أن يخطر شينغلر لهم بطل غوته اللامتنى القديم ليرمز به إلى الغرب . إن
« قلاوت » غوته يعتبر تلخيصاً لكل مشكلة تجزئة الطبيعة - إلى علم وفن -
وأما لنجد قلاوت في بداية التقسيم يقف بالضغط في المكان الذي يقف فيه العالم
الحديث اليوم . لأنه اتبع الطريقة العلمية إلى نهايتها - درس الفلسفة والطب
والقانون . ثم أقر بعد ذلك بأنه « لم يصبح أشد حكمة من قبل » . (وبلدكرنا
هذا بعبارة : « نخذ حياتي يا الهي ... ») أن معارفه كلها هي غرور وفخاعة .
وهي تجعله أشد براعة . إلا أنها لا تجعله أشد حكمة . أما طريقته الوحيدة إلى
التخلص فهو في أن يدعو الشيطان ويخالفه . ورغم علمه بأن الشيطان هو أشد
مه غروراً وحسفاً . وما هو إلا إنسان الحديث - لأنه بالرغم من كل معارفه
العلمية ما يزال في حافة أجداده . وما يزال يستخدم كل الخدع السياسية
من أجل الزعامة - وهو يريد أن يملكه شيء . أي شيء . أن يؤثر عليه
أحدث زعيم سياسي . أو من . أو نعمة سينالية - أي شيء . يخلصه من
نفاهته وخواته .

وليس من السهل أن تلخص « تدهور الغرب » هنا . ولقد أشار الكثيرون
من النقاد إلى أن أسلوبه ودي حاداً . وإلى أنه مليء بالتركاز والفضوض والآثبات .
يبد أن صفاء دحية شينغلر يتضح رغم كل هذه الأخطاء . أن شينغلر الوجودي
يوضح اتجاهه الحقيقي دائماً :

« المعرفة . بالنسبة لكاتب هي معرفة رياضية . إنه يبحث أمر ... العقل .
إلا أنه لا يفكر أبداً في الوسائل المختلفة التي يتم بها فهم الواقع التوجيهية . (٢٦)
« .. بيرث . وغوس وويج . أولئك كانوا يشبهون بطلان الفساد .
وإن تعرف كيف أن أعمالهم الرائعة أومضت في أذهانهم فجأة . (٣)
« صرح بقة حناية بأن : « الفلسفة المتطرفة طبقاً للبحث العلمي قد انتهت
الآن . وقد عني « بالفلسفة المتطرفة » ما عناه بليك « بالسلطة التشريعية .

المه بصيرت درجاً بالفلاسفة الحديثين . وبالرغم من ان كتابه ظهر قبل ظهور
الانحائية المنطقية أو التحليل الناقدي . فإنه لينوح انه يوجه نقده ضد آبر
وكارناب (ولا داعي لذكر برتراند رسل .) :

« إن العقيدة التي لا تهائم ولا لوتر في حياة الفترة في أشد أمثاتها لا يمكن
ان تعتبر عقيدة . ومن الانصل ان لا يتصلها احد . » (٤)

ولم يكن شبنغر فزواً . لم يكن مثل لامتي باربوس الذي كان يكره ان
يكون مضطراً إلى الحياة . وإنما كان على العكس مقلداً بكل كيانه ذلي تعقيد
الحضارة الحديثة :

« اني اعتبر النقص في مجالل الرياضيات والتمتص بها . وكذلك بالنظريات
الفيزيائية . متعة شديدة . وإذا قارنا هذا بمن يبحث في علم الجمال أو علم
الاحياء لوجدنا الآخرين يقومون بمحاولات سطحية ناهية . ويتكفي سلباً ان
أفسور في ذهني أشكالاً جميلة من ابواب اخر التمريضة والمجاكل الفولاذية وآلات
البرادة الدقيقة . والبراعة والروعة التي تمثل في عدد كبير من التيليسات
الكيميائية والبصرية ... أكثر من تصوري لكل ما في هذا العصر من فنون
ومداع ... والتي لاغسل غداة من فنون الري التي حفرها الرومان على جميع
المعابد والتماثيل الرومانية . » (٥)

كان ممكناً ان تصدر هذه المباراة من فيلسوف واقفي . سوفي . ان
وصالة شبنغر مدعوة . أنها عقيدة ليتشه عن حب الانسان لمصر .

« ... ان توافق عصر لا ديني مع فكرة مدينة عالمية نرائفاً محكماً يعني ان
ذلك العصر هو عصر تدهور . هذا صحيح . بيد اننا لم نختَر هذا العصر . ولا
يمكننا ان نعمل شيئاً إذا كنا قد ولدنا بشرأ في أوائل شتاء ... حضارة ... كل
شيء يعتمد على روشتا الوضعية التي نحن فيها . لمصرنا . أو بوضوح . على
ادراكنا انه بالرغم من اننا قد تكذب على أنفسنا في هذا لئلا لا نستطيع ان
ننجيه . » (٦)

ونتبأ شبنغر بعصر من الشك التام . وبأن هذا العصر سيكون المرحلة

الأخيرة من الحضارة الغربية . وهو يقول ان هذه المرحلة النهائية حتمية بالنسبة
لتطرح الغربي . وهو يضد مثل « ج . و . ز . بأنه لا طريق هنالك إلى
الخارج . أو إلى ما حول . أو إلى الداخل . »

ولكني اكرر قائلًا ان أهمية « تدهور الغرب » الحائلة لا تكمن في استلزاماته
القتلانية . وإنما في ذكاء اوسولد شبنغر المتألق الجبري الذي يبدى بين الحين
والآخر بعبارات ذات أهمية كبيرة بالنسبة للامتسي . وهو يقول في احسد
المواش مثلاً إنه عثين بكل فلسفة « تدهور الغرب » لغوته . وبوكد على ان
غوته هو فيلسوف من الدرجة الاولى . رغم انه لا أحد يدرك ذلك اليوم . وهو
يوضح علاقة غوته بافلاطون باعبارة فيلسوفاً ضد التجريد (وهو لا يستخدم
كلمة « الوجودية » الا انه يشرب منها بثلث العبارة ١) . إننا نملك هنا أهدية
والفطرة المتروكة بدلاً من التحليل . أو ضد التحليل . ونحن نعرف ان افلاطون
هو مثل غوته في انه شاعر ومسرحي (أو قاص !) . بالأضال إلى كوله
فيلسوفاً . وكان افلاطون مهتماً بالتأكيد على عظمة مفراط كرجل ليظهر
عظمة كمنكر . وهذه هي الوجودية . وبهذا المعنى يلوح ان شر هو المنكر
الوجودي الاخر الذي يضارع غوته وافلاطون . وهذا هو المدلول النهائي
لفكرة تجرئة الطبيعة . فإذا ظل القراء حائرين بخصوص هذا التعبير . فانهم
يستطيعون ان يلمسوا معناه هنا بكل وضوح . ان العظيم يجب أن يكون عظيماً
في كل شيء . لا أن يكون « متقشاً » . ولا أن يكون عظيماً بفضله فقط كنبشته
أو لودنس . ولا أن يكون منتعماً بالفطرة المتروكة فقط مثل فان غوخ . ولا
أن يكون عظيماً عبثه فقط مثل نجسكي . وإنما يكون عظيماً في هذه الامور
كلها . ولا يتوقع الا من الرجل العظيم ان يكون عظيم التفكير . في حين ان
معظم الفلاسفة القاريين كانوا حصايين مرجح ورحي . ولقد رفع الغرب الطائفة
التفكيرية فوق كل شيء . وبهذا أتاح للعلماء والاطباء أن يتخلوا عن كل شيء .
فمن . في حين أننا نعرف أنه قد تكون للانسان أعظم طائفة فكرية ولكنه قد
يكون شديد الخفق في الوقت نفسه . وهنالك الحضي من تمنعون نموه راتصة

في الحساب والاحصاء - ويستطيع المرء أن يسألهم أسئلة مثل : أعط الجعفر
 التريجي للمعد ٢٨٩، ٣٠٧، ١٨٠، ١٤٣، الجيبود بالناتج في ثوان معدودات . بيد أننا
 نجد أن هؤلاء هم في الغالب شبان حضي ، يكبرون ويصبحون رجالاً عديمي
 الموهبة . بنفس الطريقة فإن هنالك آخرين ممن يبرعون في اللغة - ويستطيعون
 أن يتعلموا عدة لغات في فترة من الوقت لا يتعلم فيها الشخص العادي اللغة
 واحدة . ومع ذلك فانهم لا يظهرون أية موهبة في مختلف المجالات الأخرى .
 وبالإضافة إلى ذلك فقد اعترف الكثيرون من الواهب بأنهم لا يستحسنون بالذاكرة
 القوية ، وقد كان شو. ه. ج. ولز ضعيفين في اللغات ، وقد صرح توماس
 مان بأن ذهنه ليس كثرافاً ، ولم يلح على إسحق نيوتن شيء من الذكاء في صباه ،
 ولم يستلح بنهوغن يوماً أن يعرف كيف يضرب ويقسم الأعداد . إن ما أريد
 أن أبينه هنا هو أن القابلية القوية على البحث والتحصيل لا علاقة لها بالبروغ البتة ،
 ولم يستلح المطلق أن يكشف شيئاً مطلقاً ، وإنما نكتشف الأشياء بالنظر والمبركة
 وقدلما حل هذا حراسنا لحياة الرياضيين والعلماء في كل مكان وزمان . بيد أن
 المطلق يتمركز خلف الفطرة المبركة . ويحاول أن يتبع من الاكتشافات بطريقة
 الطبيعة . إن المنطق هو خادم للخيال وحسب . فإذا حاول الإنسان أن يرفع
 من شأنه - كما يفعل مفكر العصر الحاضر - فإنه بذلك يتسبب في التوحش
 الروحية .

ولا يمكننا أن نبالغ في أهمية هذا كله بالنسبة لمشاكل اللامتعي . وإنما
 يعتبر هذا حياً من أسباب رفضه الحضارة الحديثة . وقد أدرك شنتزر ذلك
 بوضوح . إن اللامتعي هو روماني صوفي ، وأكثر من هذا ، فإن جوهر
 الحضارة الغربية - الحضارة الفلاطونية - هو صوفي روماني . إن ثقافة
 لمرب هي ثقافة اللامتعيين . ويعتبر سيفريد وبارسفال وترستاق وهاملست
 وهاوست أشد الأبطال وحدة في كل الحضارات (٧) . ويمثل الغرب حضارة
 لائتائية ، ولذلك فإن محاولة تحليل مشاكل اللامتعي هي محاولة لغرض غريب
 مشاكل حضارتنا . بيد أن مجرد التوصل إلى أشد الأمور سطحية من المشكلة

يتطلب تصوراً غير مألوف وتركيزاً ذهنياً غير طبيعي . إن اللامتعي ليس شيئاً
 مجنوناً خائفاً ، وهو ليس كاتباً في أحد المصارف ، غير كثراف . وبحسب السام
 إن جوهر مشاكل اللامتعي يكمن في الحاجة إلى التفوق على النفس ، وأننا
 نريد شنتزر يقتطف القسم الأول من « فاورست » :

« ذهني شوق خالص لا يمكن وصفه
 إلى التجوال بين الظاهات والحقول ،

وشمرت : خطل خباب من الدموع الغزيرة الساخنة ،
 بعلم ينهض ويحس في . . (٨)

لقد عرف ريلكه ورامبو وغوته واليوت هذه التجربة . ولكن ذلك لم
 يكن بطريقة حادثة كالتجربة يريد من بعض النقاد أن نفهمها .

لقد عبر شنتزر إذن عن المشكلة اللائتائية بمصطلحات تاريخية . وبدلاً من
 أن يقارن البشر ببعضهم بعضاً ، كما فعلت في اللامتعي . فإنه قارن الحضارات . إلا
 أن النتيجة كانت واحدة : ثورة ضد « الفلسفة التجريبية » و « المادية » واتجاهاً
 ضد التحور ، ضد التقدم ، وتأكيذاً على أهمية الإرادة . ومن الواضح أن
 استنتاجاته قريبة جداً من استنتاجات نيتشه : نوع « نحن » نكرر الحقوق الخالدة
 وعكسها ، حب الإنسان لمصر « ، والحياة التي هي ضد العقل .

ولكن شنتزر كان في بعض الأحوال أقرب إلى شوبنهاور منه إلى نيتشه ،
 لأنه لم يرب نظريته المشائمة إلى التاريخ على العقل أو الملاحظة ، وإنما كان ذلك
 انحرافاً في طبعه ، أو رؤيا نسي . وقد كان عقل ودليل ضد عصره كغيره من
 الانبياء . وقد صاغه إلى التطرف ما رآه من الضمالة حول . وما أنه من الكسل
 الروحي . وعجل معظم الانبياء الذين يأتون بالهكاز جذابة إلى التطرف . ويكررون
 مصر الأبدية مرة . وهكذا إذ تقارن بين داروين ومرويد وما رآه

« ... »
 « ... »
 « ... »

ولما انتشرت أفكار شبنغلر بين الناس ، أسس « معوسه » . وحصل انتاعه
أقل نظراً لأنه في تشاؤمهم . ولكن شهرة شبنغلر لم تنم طويلاً في بلاده . لأنه
كان يؤمن بسياسة ضد النازية في سنوات ١٩٢٠ - ١٩٣٠ . ولما جاء النازيون
الى الحكم بدأت المقاطعة الثقافية ، ولم يكتب شبنغلر كتاباً في حجم وأهمية
« تدهور الغرب » بعد ذلك . وهو جمت أعماله الصغيرة الأخرى . أو أهملت
وانكى شبنغلر لم يكتب . لأنه كان يفتخر بقوة تشبيه على أحواله الوحيدة ، وقل
يعمل في تأليف كتاب ميثافيزيكي هائل لم يكتب له ان يرى النور . ولو كان
قد ساند النازيين لكان أعظم التقدير منهم . ولكنه كان يؤمن بأنهم كما قال
يتمس « بالثأرون » . ولذلك فقد احتقرهم . وكانت شهرته بين الناس قد
تضاءلت حوالي ١٩٣٥ ، حين نشر « البروسية والاشتراكية » الذي هرع الناس
لشرائه ولكنهم أصيبوا بخيبة شديدة وصرخوا بأن مؤلف « تدهور الغرب » لم
يكن ليزيد عن صحافي أو مشعوذ . ولما أصبح هتلر محبوباً في ألمانيا نشر شبنغلر
أموراً صفة عنه وقال ان هتلر لاح أقل بطرلة من أي رجل من أبطال احدث أوربات
فاغبر ! ولما كان النازيون يستحقون عن العرق بين الممن الأري والسامي . كأساس
لوقوعهم ضد السامية . أشار شبنغلر الى ان ذلك كان في الحقيقة تصادماً بين
الحضارة الماسية القديمة . حضارة السحر (واليهود) وبين انماوسية الجديدة .
ولم يستقبل العالم المثقف كتابه « الانسان والعلوم » استقبالاً حاراً . في حين صدر
النازيون كتاباً آخر له بعنوان « الساعة الخامسة » . ولما مات في عام ١٩٣٦ احدى
قائمه « وشهرته تقريباً » . وصار الناس يعتبرونه غمراً رجعيّاً . أما الأجانب فكانوا
يعتبرونه معاصداً (وماهما) النازية ، تماماً كما كانوا يعتبرون ينشه في ذلك الوقت .
واله يلاحظ لنا أنه كان على شبنغلر ان يقصر نفسه على التاريخ والسياسة . والا
بما يحتم نفسه في السياسة ، ولو كان فعل ذلك لكان عاش سنوات أطول .
ونلاحظ لنا اهتماماته السياسية أموراً عتيقة لا فائدة فيها الآن . إلا أنه « تدهور
الغرب » سيظل لشدة الكتب أهمية في القرن العشرين .

لكل حضارة امكانياتها الجديدة من التعبير عن الذات . تلك - الامكانيات
التي تبدأ وتنتهي ثم تتحلل ولا تعود بعد ذلك أبداً . وليس هنالك تحت واحد ،
ورسم واحد . ورياضيات واحدة ، وفيزياء واحدة . واما هنالك أشكال
عديدة منها . تختلف كل شكل منها في جوهره عن الآخر ، ويكون كل واحد
منها محسوداً بفترة معينة ومكتفياً بزمانه ، تماماً كما يحدث في مختلف أنواع النباتات
التي يكون لكل منها وقت معين تزهر فيه وتثمر ، وموعد معين من النمو
والنماء والتدهور . وهذه الحضارات ، والاسس الحياتية العالية ، تنمو بتلك
اللاهعية نفسها التي تنمو بها زهور الخقل . وهي تخص « كائناتنا والحجرات
طبيعة غرته الحية » لا طيبة نيوتن الميتة . (٩)

ان عظمت تأليف من رؤياه الحية للتاريخ . وهي رؤيا لانهائية . لان اللاهتي
ناظر ضد الموت والتجريد ، اللذين يتمازجان مع الحياة التي يحسها في نفسه .
واذا اردنا ان نلتخص الاشياء التي نعلمها من شبنغلر فانها تتصل في أن حضارتنا
مدمورة وان اعراس تدهورها تتصل في « الفلسفة التجريدية » التي « كما عرف
بذلك » تحول البشر الى اقزام . ان الحضارة الغربية هي في جوهرها حضارة
لائتائية (فلوستية) ، أما مادية اليوم فانها علامة على تعلب شرايتها . بيد
ان شبنغلر يقول انه ليس هنالك مهرب . اننا الآن في آخر مراحل التدهور ،
وبجب علينا ان نؤمن بهل . وليس هنالك أي احيال في ظهور دين جديد أو فلسفة
جديدة . لان تركة الغرب « منهوكة ميثافيزيكيّاً » ، والشك هو الطريق الوحيد
الذي يفتح أمامنا . وهذا الشك ، كما يعتقد شبنغلر ، يجب أن يركز على
« تدهور الغرب » . الا أنه يعتقد أيضاً بأن « البشر ... لا يمكن أن هدف أو
مكرة أو خطة . أكثر من تلك التي يمتلكها صنف من الفرائشات أو زهور
الأور كيد . » (١٠)

وما قد يعتقد المرء أن عدم قدرة شبنغلر على فهم هدف للبشر هو ما يدفعه
الى التشاؤم التام والشك . وعلى أي حال فان النظام التاريخي الذي صنعه الآن
- نظام آرولد توبيني - يحتوي على كل معركات شبنغلر ، دون ان يفود الى

الاستنتاجات المشتقة منها ، وبالإضافة إلى ذلك فانه يبحث مشكلة اللامتناهي بصراحة أكثر .

فيكو وبالانش وأدمز وآخرون

لم نخل شينلر ، كمورخ ، ممن سبقوه ، ولكني نكمل بحثنا بعددنا أن ننظر أيضاً أفكار من سبقه من المفكرين .

لا شك في أن أهم هؤلاء هو جيوفاني باتستا فيكو الذي ولد في نابولي في عام ١٦٦٨ . وقد كان تفكيره متجهاً إلى ما يشبه إليه هذا الكتاب الآن ، لأنه كان متنبئاً بالإنسان كما يجب أن يكون وبالإنسان كما هو - الإنسان كما يسراه اللامتناهي والإنسان كما يراه التاريخ ، وكان يفضل قراءة أفلاطون ونابيس لأفكارهم بدلاً من هابز النظريتين . وقد وضع في كتابه « العلم الجديد » فكرة التطويع الحظي . فالتاريخ الذي ذكر به نيتشه أيضاً بعد ذلك (ويجعل جيمس جويس هذه الفكرة أساس « لحظة فينجان » بعد ذلك أيضاً) ، وقد أدرك فيكو كذلك أن الحضارات تبدأ بالتفكير البشري ، ولما كان يعيش في عصر يؤمن « بالتقدم » فإنه لم يدرك بوضوح أن عصر التجريد في الفكر سبق سقوط الحضارة . ومع ذلك فإنه يحاول في أهم كتبه « قانون الكون » أن يظهر كيف تقوم الحضارة المتطورة في الإنسان بصنع القوانين وتغييرها ، وكيف أن المجتمع يرتكز على أفكار عاقرة .

ومر قرن على مولد فيكو ، ثم ولد في ليون مفكر فرنسي عظيم اسمه يير بالانش . وكانت طريقة بالانش في التفكير أشد اقرباً من طريقة شينلر ، وكان كتابه العظيم الذي لم يشمعه تذكر الصفات في المولد بضم حذراً عائلاً من الأفكار ، تبدأ من الإنسان كما كان قبل ظهور الأديان ، وتنتهي بالإنسان كما يجب أن يكون في مرحلته النهائية نحو الكمال . ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أقسام يختص قسم الأول ببحث الإنسان كما كان قبل التطويع ، ويدهي هذا القسم

« أورغيس » - أما قسمه الثاني « الفاعلة » فإنه يتعمق عما يتحدث عنه شينلر (بقوة وإمكانيات أقل) ، ويرى تحول فيه أن ينتج بعض القوانين الخاصة بالمعبر ، من حقائق التاريخ المعروفة . أما قسم الثالث « النافس » فهو « مدينة الأمال » - وهو يبحث فيه عما يمكن أن يكونه الإنسان . وقد كانت وجهة نظر بالانش عينية في حوزها - وقد أدرك مثل ت. ي . هوكة الحاجة إلى النظام والسلطة . وكان يكره الأفكار الروسية عن الحرية ، و « التقدم » ولم يفتض أحد إلى جرأة أو عنق بالانش في رؤاه - لا في أفكاره ولا في طريقة مرطه . وأنه لأن المشكوك فيه أن شينلر قرأ كتابه .

لما قبل عشرين سنة من تأليف شينلر لكتابه فقد كان في بوسمان شيفمان ها الأخران هنري وبروكس آدمز يبحثان المشاكل التي بحثها وبرصادقوا بين التاريخ . وزير فرنسي شاب اسمه اليكسي فوتوكيل أمير كا وظل فيها سنة شهر ودوس جرحا البشري ثم ألف « الديمقراطية في أميركا » ، فليست الكتاب الذي عاجل فيه بعظمة وترفع الأرستقراطي الطبيعي فكسيرة حكم الترام ، وقد أعجب بطاقت وانطلاق هذا البلد الجديد ولكنه كان قد رأى من المرات السياسية في أوروبا ما كان كافياً لجعله لا يتعامل ابن متفرد تلك الطاقات الاندفاعية . وفي ذلك الجين أعلن الشيفمان آدمز - حديقاً عائلاً جيمس - وعقفا بوسطن اللذان كانا لا يفتان بالديموقراطية أيضاً . أعلن أن الحضارة الغربية كانت في دور الانحلال وسها كانت تقرب من نهايتها ، ولكن هذا الرأي كان استنتاجاً شاذاً نالته البلاد الذي كان مشهوراً بالبراء والتقدم . تلك الحديث التي الذي كان يتدفق بالحريية ، وهكذا لم يقتصر الشيفمان آدمز أبداً . يدعى برووكس آدمز ألف كتاباً ساء ، قانون الحضارة والانحلال ، وقد بحث في قوانين التجارة والسكان - وصرح برووكس فيه بأن الانحلال يحدث حين يكره « فائض الثقافة » فد خلق توتراً صاعداً داخل لا يمكن احتياطها وهذا يشبه إلى حد بعيد أية نظرية اشتراكية وحلي أيها اللامتناهي . مؤرخي القرن التاسع عشر - وقد صرح برووكس بأن المدينة تزداد والحداثة يصعد .

ونكون النتيجة العنق في التعبير عن الذات في المجتمع عامة ، وهذا يؤدي إلى
الفساد لهذا المجتمع . أما هنري آدمز فقد حاول أن يكون أكثر حكمة بشأن
الانحلال الغرب ، وإن يعمل على إيجاد قوانين رياضية له — ويعد القوي بالحديث
الرياضيات لا يختلف أبداً عن حساب نيوتن لحركة العالم . فلهذا بناء على ملاحظات
الاستاذ أوشر وكتاب دانيال ، ولقد كان هنري في مثل طبع ت. م. اليوت
لأنه بعد أن نبذ وطنه حج إلى أوروبا ووجد الراحة في كاتدرائياتها . ويحسب
« مون سان هيليل وشارلر » أفضل كتبه ، وهو يمثل غوصاً في عجائب الفسوف
الوسطى ويتميز بحدود الرجل الذي وجد أخيراً شيئاً من الجلود الروحية .

ولكن أهم ما اشتهر به هنري آدمز هو قصة حياته « نرية هنري آدمز » .
أما في كتابه « اتجاه التاريخ » فإنه يوضح كل الاحتمالات التي تنتظر حضارتنا
وينكر أن « نظمنا » الحادي يمكن أن يستمر بلا نهاية أو أن الشيوعية العالمية يمكن
أن تنفذنا . أما بالنسبة لفكرة الجديده أو الدين الجديد فإنه يصرح بأن هذا
سيكون انتحاراً ، ولا أمل هناك إلا في « علم التاريخ » يكون في استطاعته أن
« يكشف عن طريق جديد غير مشكوك فيه يمكن أن تسير فيه الحضارة » .
ونميز هذه العبارة بمفهوم الحلقة النيشية . إلا أن هنري آدمز لا يقترح شيئاً .

ويجدر بنا أن نتطرق لفكرتين أخريين سبقا شغلنا أيضاً ، وهما جورج سوريل
وليفريدو باريتو ، لأنهما ، وبصورة فريدة ، تأثران عند الثورة ، وقد صخر
باريتو من الايديولوجية الماركسية و « تدميرها بالقوة » (وسبب اثنين لبالي
طويلة من الأرق) . وقد بين وجهة نظره الساخرة بشأن التاريخ الذي يترج
فيه الأقوياء السلطة لأنهم يتمتعون بفضيلة التصميم والقوة ، ثم يصبون بعد

« يمكننا أن نحسب الراحة التي كانتاها في ظروف الوسطى نرى — تحداً
القول قول الانسحاب إلى الفكتورية الانكليزية — هي التي لا تحدها لا يستطيع أحد أن يقرأ
كتاباً ، كما دون أن يقع تحت سحر الكتابات المسيحية في القرون الوسطى ، قللاً كما فعل هنري
أدمز أو اليوت .

« تنصير حالة ت. م. ي. حوله في الملحق الأول من « الآيات » أهم المصادر عن سوريل .

ذلك كسالى عذابين ، فظهر طبقه « أروستراطية » جديدة من الأقوياء المصممين
الفساد . وكانت تلك صورة جديدة عن فكرة ينشئ من « أخلاقية السد والعباد » .
ولم يكن باريتو يملك أي مثل سياسي أهل ، ولكن مفاهيمه كانت في « أقصى
مفاهيم ميكائيلي » . وبالرغم من أنه لم يكن يملك مثلاً علياً دينية ليقدمها
عن اللجنة السياسية على الأرض ، إلا أنه لم يكن يملك مثلاً علياً دينية ليقدمها
بداً من تلك النظم الاشتراكية ، وهو يغرب كثيراً عن شغلنا في تناقضه .
أما جورج سوريل فقد كان إلى حد ما أعظم من باريتو ، رغم أن أهم
مؤلفاته « تأملات في العنف » ليس غير مجموعة من المقالات ، ولا يمكن أن يقارن
كتابها هذا بأعمال باريتو الواسعة . ولقد كان سوريل ثائراً اشتراكياً ، إلا أنه
كروه القادة الماركسية وأصر على أن الاشتراكية يجب أن تنهض على أساس ديني
وإن تمثرف بكرة الخطبة الأولى وباللحاجة إلى النظام والسلطة ، ولم يعارض
حزباً معيناً ، وإنما كان يتغلب بين الأحزاب المختلفة باحثاً عن ثوريتين حقيقيين
يجتمعون ليقطعوا شيئاً . لقد كان ، في الواقع ، رجلاً عملياً جداً . أما معتقده
فقد كانت صوفية تماماً . (ويذكرنا هنا ثانية بطل شو ، الفرسات ، ملك
الاملاحة المليونير الذي تصفه برباره بأنه رجل ديني ، فيقول : « بالمعكس
يا عزيزي ! إنما أنا صوفي متفاني ! ») ولسو الخط لم يعثر سوريل على الثوريتين
الأروستراطيين .

يجب علينا أن نذكر من المؤرخين أيضاً يعقوب بركهاردت وليكولاس
دانيلسكي . وكان بركهاردت صديق ينشئ في جامعة بازل ، إلا أنه ابتعد
عنه حين نشر أفكاره عن السوبرمان . ولم يكن بركهاردت ليقبل تشاؤماً حسن
مستقبل الغرب عن الشقيين آدمز ، وهو شديد الأهمية لأنه أتياً بأنه سيبقى
النهاية « عصر من الفجوريات » ، ولقد أوضح هذا في كتابه السياسي « القوة
والحرية » .

أما دانيلسكي فقد كان عالماً اجتماعياً ونظائياً ، وقد ألف كتاباً يدور حول
تصارع جانين ، وقد سماه « روسيا وأوروبا » ، وأشار فيه إلى أن أوروبا هي

في طريقها الى التشهور ، وروسيا في طريقها الى الازدهار . ولم يكن تدهور الغرب الذي فكر به دانييلسكي يشتمل على الاقطار السلافية ، أما تحليله لأسباب تدهور أوروبا فانه كامل "كلاماً" مقولاً . وقد نشر كتابه قبل خمسين عاماً من ظهور كتاب شينكلر ، وقد صرح فيه بأن ، الحضارات ، هي كالكائنات الحية ، وانها تعيش فترة معينة ، ولم يكن شينكلر قد قرأ هذا الكتاب بالتأكيد ، وانما لمه ليساهل ماذا كان دانييلسكي يقول لو أنه استطاع ان يعرف مقدماً ما تخوضه روسيا الحديثة المتأخرة اليوم من صراع مع أميركا من أجل آيديولوجية سبليه بحثة

آرنولد توينبي

يعتبر كتاب آرنولد توينبي « بحث في التاريخ » سجلاً لأحزب مفكرة روحية في عصره هذا (وهو أيضاً أطول كتاب تاريخي ألفه كاتب بمفرده في هذا العصر . لأنه يقع في أكثر من خمسة آلاف صفحة .) وبالرغم من طسول هذا الكتاب والتأثير الذي ينفذه ما فيه من ثقافة واسعة فانه شخصي أكثر مما كان مؤلفه يريد ان يكون - خاصة في بدايته . وهو يقر بأن محاولته الأولى ففسه بدأت حين أراد ان يعلق على ما يقوله الكورس في إحدى مسرحيات سوطو كنيس : « هناك أشياء غريبة كثيرة تحدث . »

ولا شيء يتفوق على الإنسان .

انه يجب أن يتفطّر

وراء خط المحيط الأبيض

وسط صخب الامواج

والرياح الجوية تزجج خلفه ... (١١)

وقد علق الناقد المحصيف البير حوراني قائلاً : إن كتاب توينبي هو « تشايج جل غريب يشع بحبال قوي ، ونسيطر عليه أصداء الروي » . بل ان الحزمه

العاشر والأخير من كتاب توينبي ملوه بالتحليلات الشخصية الساحرة التي تظهر الى أية درجة يمكن ان تتغير نظرة توينبي المدركة وخياله مصلوبين لبعثه . انه ليصف مثلاً : كيف :

« ... ان كاتب هذا البحث صادف تجربة شخصية أصيلة ... بينما كان جالماً يحلق في قلعة ميسترا ، دون أن يكون في الاق في الجدار الصبالي الذي يمثل في جبل تاجنيس الذي يقع في الجانب الغربي ، في حين تمتد وادي سارطة في الناحية الشرقية حيث انطلق في الصباح متجهماً نحو الجبل . »

وبالرغم من انه كان قد جلس هناك مثلاً " معلقاً فيها حوله (معلقاً على جوعه بمضغ قطع الخلوى) حيلة تبار الصيف الطويل ، حتى اضطره خلال الغروب الكثيرة الى العودة للبحث عن عشاء وفراش في لرايبي ، وهو لا يستطيع ان يدعي بأنه كان قد اغم خلال ذهوله وتأمله في القمة بأية أغنية من الاغاني التي كانت تغنيها الراعيات لأنه كان قد ترك هذا في الاصل حين انطلق الى قمة ذلك الجبل الذي يمثل مصفراً للشهور والذي تتوجه تلك القلعة ... التجربة الحسية التي حرخت خياله التاريخي ... تحشت في منظر الخراب التي مربية في طريقه الى القمة ...

لقد ظلت ميسترا ... تحكم ... مثبالة سنة باعتبارها ملكة الوادي الواسع الذي يستطيع المرء ان يراء من أعلى اسوارها ، وفي صباح يوم من أيام نيسان انهرت عليها التلجيات الجبلية الصاعدة ... فاعترتها .. وظلت خرابها مهجورة منذ ذلك اليوم حتى الآن . (١٢) .

وقد اعترف توينبي بأن شعوره كان « احساساً مفزحاً بمظاهر الخطيئة في السلوك الانساني » ، وهكذا فان رؤياه « لافز الهائل الذي يمثل في جرائم البشر وحماقتهم » هي التي ألهمته تأليف « بحث في التاريخ » .

ويجوز بنا أن نلاحظ ان توينبي يأتينا بمفهوم أخلاقي ، بمفهوم للمعنى واهداف في بحثه . ففي الجزء الأول مجلده يتحدث للمجال الطامع الذي يسمى

اليه . ج . ولز في « مبادئ التاريخ » وبهاجم المؤرخين المختصين القسرين
سخرؤا من كتاب ولز لأنه حقق فيه شيئاً لم يكونوا أنفسهم يجهزون على
محاولة تحقيقه . وهنا يوحى توينبي بأن كتابه يشبه كتاب ولز من بعض
النواحي .

ونلوك حالاً تشابه هذه مع هدف شينلر من كتابه ، ولا دليل هناك
على ان توينبي قد تأثر بشينلر (بل ان اشوات إلى شينلر هي في الحقيقة
اشارات غير عادلة) ، الا انه يتفق معه منذ البداية في معاداة الانحلال على
التفاصيل الدقيقة . ان انجاء توينبي هو كإنجاء شينلر وجودي ، وهو يمثل
احتجاجاً ضد أولئك المؤرخين الذين يكتبون وكأنهم يقفون خارج التاريخ .
وهذا هو نفسه كمره الوجودي للملاسة الذين يكتبون وكأنهم يقفون خارج
الحياة . وتتضح لنا واحدة من مفاهيم بحث المهمة في الجزء الذي يسميه بالتحدي
والرجوع . ويشير توينبي إلى انه كان إلى ذلك الحد يستخدم الطريقة العلمية
في بحثه مشاكل الحضارة . إلا ان هذه الطريقة حيوية - التي هي بعكس طريقة
رسكن التي تتميز بحيوية أيضاً ، وهذه الميوب هي اسياغ الحياة على شيء .
ميت - أو الممات التي تصبها على طرف الفراش الذي صممت به أصابع
للملك فأملك . أما عكس ذلك فهو المظاهر بأن شيئاً حياً هو ميت ، أو
نطبق « الطريقة العلمية » على شيء حي . ورفض الموضوع للأصناف العلمية .
وهنا نجد أنلسا بمواجهة للوجودية أيضاً ، ونجد ان توينبي يستخدم تشبيهاً
ليصف به الحضارة - وليصف به اللاعتمى أيضاً : بالنائم الذي استيقظ على
حافة واد وبدأ يحاول ان يشلق جانب الوادي من جديد ، وقد كان في امان
قبل ان يستيقظ وبكافح من اجل أشياء امسى ، لكنه ما ان يبدأ بالمشق حتى
يكون في خطر السقوط . وقد كان هذا أيضاً تصوير خورديف للبشر : هم
في امان ما داموا نائمين ، فاذا استيقظوا بدأ الخطر .

« إن قاومت بقول ، بلغة هذا التشبيه ، (لقد قوت ان أعاد الحضارة
والمشق هذه الوحدة بحثاً عن الحافة التي نلها في الاصل - والتي لا تجد نصي .

بمحاولتي هذه ، متراكماً اني أستقبل الخطر وأترك الامان خلفي عامداً ... إلا
انني مستعد من اجل تحقق الاشياء المحتملة لقبول المجازفة الحاصية » (١٣)
وهنا شبه تشبيه نبش حين يقارن الانسان بمخل مشهود بين الوحش
والانسان المثالي .

وهنا يوسع توينبي من عقيدته في التحدي والرجوع . وتكلم عن نظريته في
التكازر للاصفاء الطبيعي الدارويني . وهو لا يعتقد بأن البشر يزدهرون في أسوأ
الظروف . وإنما هم على العكس يزدهرون في الظروف التي تتحداهم أشد
تحد . وكلما ازداد التحدي صار البشر الذين يواجهونه أشد حكمة . ويضرب
توينبي عمداً من الامثلة ليريد ان حل ان اشد الظروف خطورة هي التي تنتج
أعظم البشر : « روما وكابوا والنهر الاصفر واليابانسي وايتكا ويوشيا
ويزنطيه وكالكون وغيرها وغيرها ، وكلها تقدم لنا دليلاً على ذلك التضاد -
ان الناس الذين يعيشون في ظروف سهلة هم ضعاف ، وان أولئك الذين يعيشون
في ظروف صعبة هم الأقوياء . » فاذا ارادت الحضارة ان تكون قوية روحياً
وتفانياً فانها بحاجة إلى تحدي قاس .

هل من الممكن إذن ان نضع قانوناً هنا نقول : انه كلما اشد التحدي زاد
التألق المخرجي قوة ؟

كلا ، ليس الامر بمثل هذه البساطة ، لأن بعض الحضارات تستجيب

« من المسجل الا يذكرنا هذا بهارات يفس في « رعد الخراف » حين يعتقد بان « الازمة »
هي التي تنتج الحضارة : انها (الاكثار) فلوذا الى الازمة . وقد نصبت في رأيي ذلك .. ولقد
صليو الى ابي الصافات .. لكي يصبح قاتلي وعلون مرتطبين بتضحيات قديسيتي .. »
وهو يقول أيضاً فيما يخصه كونه توينبي : « ولهم لما لا هدف وامن » وهذا احدث هو انجاء
تريد ان تأتس بالانسان التي تخطره الى اعظم خطبة يستلج ان يواجهها دون بأس . »
ومن الشرح ان فلاسفة كيت ان نظرية يفس « الحافيت » خصوصاً الفردي « وها » احدث
مع طريقة شينلر الحقيقية الحضارة - وكذلك مع نظرية ليوكر .

« لاحظ ياروشوك بالتفصيل في كتابه « الاملية الاشتراكية » الذي نشر في عام ١٩١١
ان قاتل ، ان خطبات التي تصح على الامتيازات تصح كسر - وهكذا يخطرها الاقرباء الذين
يعتبرون في ظروف قاسية الى انه يعود الى والي »

لنحديت معينة في حين لا تتجيب حضارات أخرى لها . وقد حيرت غيات شمال أوروبا الأتانة البدائي في حين ان الرومان أسروا مجتمعات زاهرة وسط تلك الغابات . ويصح هذا أيضاً على المشوطين البيض في غيات شمال أميركا . لانهم استجابوا للتحدى الذي لم يستجب له الهنود .

ما هو الفرق إذن بين الحضارة الناجحة والحضارة الفاشلة ؟

هنا بدلي توينسي بمفهوم من مفاهيمه القيمة فيقول ان الفرق يكمن في الاقلية المبدعة (ذا كرا) في الوقت نفسه ان هذه الاقلية قد تعني انساناً واحداً وحسب (. وتألف الاقلية المبدعة من الافراد القلائل الذين يستطيعون ان يجابروا التحدي الذي يواجهه المجتمع . ولكن كيف يفعلون ذلك ؟ وهنا نجد أيضاً ان سبب ذلك ذو علاقة خطيرة بحسنا لقضايا الامتسي (يكون ذلك بعملية « الاسحاب والعودة » . فهؤلاء الافراد المبدعون القلائل ينسحبون من المجتمع ويغرقون في الوحدة ليصاروا للمشاكل وحدهم ، وتزاد في هذه الوحدة طاقاتهم ومبركاتهم ، فاذا ظهروا بعد ذلك فاهم يكونون مزودجين بالقدرة على تحريض بقية افراد المجتمع للتغلب على التحدي .

وهنا نواجهنا مشكلة أشد أهمية ، فكيف يستطيع المبتكري ان يفتح الأغلبية اللامبدعة بتابعته ؟ ان انتقال برزخ الطاقة الإبداعية من نفس إلى نفس هو بلا شك الطريقة المثلى « إلا أن ذلك ليس سهلاً - للأسباب التي نذكر فيها المبحث العام - اما الطريقة الأخرى فهي طريقة « التجريب - بوضع القوانين التأكد من ان الجميع يتبعونها ، وباستخدام كل قوى الزعيم والمشرع : بالتأثير والإقناع والمخادعة والتشريع . وهذا ما يسميه توينسي « التشابه الموحد » . إن التشابه الموحد هو القوة التي يستخدمها الامتسي لاقناع الآخرين بإتباع نصيحته

وحدد ان توينسي يخصص فصلاً في الجزء الثالث ليحلل فيه مختلف الرجال النظام ... بوذا والقديس صان بول ومحمد وداني وكانت وهنتونغ - لكي يصرح « الاسحاب والعودة » - وكان يمكن ان يطلق على هذا الفصل اسم

واللامتسي . (علينا ان نضيف ان « بحث في التاريخ وعلموه بالاضافات الخاصة بمختلف المواضيع الأخرى » من الميثولوجيا القديمة إلى الفلسفة الحديثة . بحث ان القارئ يستطيع ان يقرأ هذه المواضيع باعتبارها مقالات مفصلة عن بعضها بعضاً .

ولكن ، لماذا تتعدد الحضارات إذن ؟

لا ان الزوايح يتخلون عنها . وهنا أيضاً يقترب من آراء شينلر وباريتو . يجب على المبتكري ان يملك صفات الزعيم ، وقد شكك شينلر من المفكرين والفنانين الحديثين وقال انهم لا يملكون صفات الزعامة ، وأشار باريتو إلى ان « الطبقات الحاكمة » تنشط لانها تسبح لانفسها بالاغراق في الراحة فتصح مضخة ضعيفة .

ويستخدم توينسي كلمة اغريقية لوصف ذلك وهي *hybris* ويمكن ترجمتها بالكلمات : الزهو والغرور والتكبر والانانية . فاذا واجهت حضارة معينة تحدياً معيناً يحتاج فان ذلك يعني انها تتسبل إلى الراحة وتبتعد عن ظروفها السابقة بحيث يكون محتملاً ان تفشل في مواجهة تحد ثان .

إن *hybris* هي السبب في سقوط الحضارات ، لأن الشعب الذي يبد جيناً قوياً لمواجهة البرابرة الذين يهاجمون حدوده يصبح ذليلاً عسكرياً . في حين ان العقلية العسكرية لا تتميز بالعمق ، وهذا يؤدي إلى منع الشعب من الاستجابة لتحديات التي تتطلب الشعور بالخطورة . بالاضافة إلى انها تضغط على الامتسي وتحاول ان تسلكه في النظام العسكري (وهنا يمكننا ان نلاحظ النتائج الوخيمة التي ترتب على ذلك في حالة وركلة مثلاً) . وهكذا فان الحضارة التي تقضي على لامتسيها تنحطم . والحضارة الغربية الحديثة هي في هذه الوحدة الآن .

يصبح لعلم القراء ان المشكلة التي يتجلبت عنها توينسي بمصطلحات الحضارات هي مشكلة الامتسي أيضاً . وقد رأينا جانباً منها عند كتاب مثل هذا ... الذي تحدث في كنده الأول بعض المشاكل العامة . ثم نقل ذلك

الأهبة كلما تقدم في النجاح ، أما بعد ذلك فيلوح ان محتوي صلب يكرر العناصر التي جعلت كنه الاول ناجحة - المنفذ والتوغل العائني القلبي يوحى بهما بصورة غير مباشرة - الا ان ذلك ليس غير شكل آخر من أشكال أسلوبه الاول ، دون ان يقدم شيئاً جديداً ، يعكس بهرغم أو يبتسئ الذين اطلعوا في الاستمرار على التطور إلى النهاية ، لان في كل واحد منهما عنصران من التوافق والاختيار الذاتي المستمر .

ان ما جعله توينبي هو انه ادلى بحقيقة رئيسية ضد المادة ، إذ لا يعتمد الافراد فقط على الطاقة الابداعية للتطورة وانما يعتمد الحضارات أيضاً على تلك الطاقة ، وهذا مضاد للماركسية تماماً ، لأن الماركسية تقول : ان الحضارات تتطور وفقاً للضغوط الاقتصادية ، وليست هناك ارادة حرة . اما توينبي فانه يقول : ان الحضارات تزدهر أو تتدهور وفقاً للطاقة الاخلاقية التي تتميز بها ، الآلية المبدعة ، ولهذا فان عبارة « الطاقة الاخلاقية » تكون مبدعة المعنى إذا لم توجد هناك ارادة حرة .

وبجملتنا ان نلاحظ ان ثورة توينبي ضد المادة تتبع نفس الخطوط التي تتبعها ثورة لامارك ضد داروين . ولقد كان تطور داروين مادياً فقط ، فاذا كانت الزرافات موجودة اليوم برعايا الطويلة لذلك لان الزرافات التي كانت قصيرة الرقاب انقرضت لانها لم تكن تستطيع ان تبلغ الاشجار العالية ، في حين ان الزرافات طويلة الرقاب تكاثرت وصارت تنتج زرافات أخرى برقاب أطول . ويسمى داروين هذا « بقاء الاصلع » أو « الاصطفاء الطبيعي » وهو يعني بذلك ان تعين نوع الزرافات التي تنبئ أكثر صلاحاً كان امراً مرغوباً ، اما لامارك فقد قال ان الزرافات رقاياً طويلة لانها كانت تريد ان تكون طيلاً ذلك الرقاب . وانه حين قل الطعام على الاغصان المنخفضة من الاشجار بدأت الزرافات تحاول ان تبلغ الاغصان العالية وبذلك تكون قد « أرادت » ان تكون لها تلك الرقاب الطويلة .

• ملاحظات من هذا بصورة اكمل من تحديث من إرفانده شور .

ويوضح لأي حائل ان فكرة لامارك أصبح من فكرة داروين ، لان الانسان يستطيع ان يتولى عضلاته - أو أية غايية أخرى - إذا كان يقاتله بتمدد على ذلك . إن الظروف الصعبة لا تقتل الانسان - الامر الذي أوضحه داروين حين قال ان ذلك هو ما حدث لزرافات قصيرة الرقاب - وإنما تقتل تلك الظروف تحليلاً يستجيب له المرء ، وهذا هو التطور اللاماركي .

ويعتبر توينبي بالنسبة لاشنظر مثل لامارك بالنسبة لداروين . ويعتقد توينبي بأن الغرب يستطيع ان يستمر على البقاء باتباعه طريقاً ضيقاً واحداً ، ولكن قبل ان نتحدث عن ذلك الطريق علينا ان نخصص جيداً آراء توينبي عن المجتمع المتحلل .

إن النمو بالنسبة لتوينبي يعني تقدماً نحو تقرير الذات ، ويعني تقرير الذات ضبط النفس وتنظيمها وسيطرة الانسان على مشاكله . انها عبارة أخرى ما يبحث عنه اللاهوتي بالنسبة .

ولكن ما هي القوة المركزية الباعثة على التحلل في نظر توينبي ؟ الجواب هو : انشابه الموحدة ، أو تلك القوة التي تؤدي إلى الانقراض ونفرض السيطرة ، والتي تستطيع الاقلية المبدعة بواسطتها ان تثبت دعائم اركانها وارادتها . ان كل عمل يصدر عن حيلة انشابه الموحدة هو في جوهره خطر لانه غير مقرر ذاتياً (١٤٦) ويلوح حسداً خامساً ، ولكننا نستطيع ان نوضحه بهذا الشكل :

يرضع شوقي كرامته « الفاعل الكامل » ان اوبرا غايتي « خاتم النبيل » ترمز إلى مفهوم سياسي . إن القراء الذين يعرفون شيئاً عن موسيقى فاسغستر المسرحية يذكرون قصة غوتان زعيم الالة الذي ينخل عن احدى عينيه لفرينكا ، في حين ان فرينكا تقدم اليه مهرها الذي يتألف من قوى القانون .

مثل غوتان طاقات الابداع الخائصة ، انه الشاعر وصاحب الروى والمثالي واللامعة الذي تتقدم الحضارة كلها وغن احلامه ورواه . انه المرأة الصافية التي تنعكس عليها لراة قوة الحياة . غير انه لا يملك شيئاً من القوة العملية لانه يرى

روثا ، وتظل رؤاه في ذهنه ، ولهذا فانه يحتاج إلى التحالف مع فريكا التي تقدم اليه قوة القانون - القوة التي تساعد على تطبيق رؤاه عملياً . غير انه يطبق فريكا إحدى جهنمه مقابل ذلك : ويعني هذا ان المقرري يجب ان يتنازل عن بعض الأمور حين يريد ان ينال القوة التي يحتاجها لتطبيق مثله العليا ، فاذ أصبح الفيلسوف ملكاً فعليه ان يفعل كل الأمور الكريهة بالنسبة له - كالمحافظة على القانون والنظام بالقوة والقضاء على العصيان (رغم انه قد يعطى على العصاة في سره) وان يعذب المجرمين . وعليه أيضاً ان يشرع القوانين التي تناسب الاغلبية . وعليه ان يتنازل ويتبع ما يفرغه المقول بدلاً من الاهتمام برؤاه فقط .

ولحين نرى ، في اوبرا فاخر - كيف ان فوثان ، صاحب الرؤى ، يضطر إلى القيام بأمر أشد خديعة - كان يحاول ان يمدح القزم الجيريك ليحظى عن راينكولد او العمالة الحمقى الذين شيدوا له القلاع لا يشغلوا عن الادعاء بفرياً آله الحب ، وان يقتل ابنه سيغفرد - وأخيراً نؤمن الأشياء التي يتنازل عنها إلى سقوطه وإلى هبوط القليل على الآلهة .

وتنضج أهمية هذا كله في ان الثانية ما ان يبدأ بتطبيق رؤاه حتى يتنازل عن امانته ويكون هتوماً عليه ان يقوم بعدد معين من الأعمال القوية ويهي ذلك أيضاً ان التنازل يبدأ في اللحظة التي يظفر فيها اللاصقي غرقته ويحاول ان يحسن مثله العليا .

إن اوبرا فاخر تعتبر مثلاً على التشابه الموحد . ويمثل فوثان ، الاقلية المدعومة أما خطيئة وحشية وحماقة التاريخ فانها نتيجة حتمية للقائع البشري إلى أشكال أهل من الحياة . وقد توصل نوبيني إلى نفس الاستنتاجات التي وصل اليها ستيفن وولف بشأن اللاصقي : ان الحياة كلها هي اتفاق وتنازل بين الروح والطبيعة . ولهذا فانه هذا الاتفاق وهذا التنازل يبدأ في اللحظة التي تبدأ فيها الحياة .

« كل شيء مخلوق ، حتى أبسط الأشياء ، هو في أساسه خطيئة متعمدة »

إن الطريق إلى البراعة ، إلى المخلوق ، إلى الله ، تقوم باستمرار لا إلى الخلف ، إلى الذنب أو الطفل ، وإنما أبعد نحو الخطيئة ، أصغر نحو الحياة الانسانية . (١٥)

وينطبق هذا على الحضارات أيضاً .

إن الاتفاق والتنازل - وضع الاقلية المدعومة لأرادتها موضع التطبيق - أمر جميل ان يبدأ به المرء ، لأن الاقلية ما تزال قريبة من رؤاها تصنف بالامالة والعزم . بيد ان النجاح سرعان ما يفقد إلى ، الخطيئة - أي انه يفقد الاقلية إلى الكسل والراحة ، أو إلى الخشونة والظلمة ، وتكون كل من هاتين النتيجةين بداية لتدهور .

وكما يقول توينسي فان الاقلية المدعومة تصبح مجرد أقلية ضحلة تقبض على القوة كامتياز من امتيازاتها ، لا لأنها تستحق ذلك باعتبارها تمثل المبادأة . وهنا يجمل اللاصقيون للانحساب إلى ابراجهم العاجية ويصبحون ما يسمى توينسي « البروليتاريا الداخلية » ، في حين ان الاقلية تصبح « البروليتاريا الخارجية » - الكلاب غير القانصة . ويقول توينسي ان هذه هي حاله مجتمعات اليوم .

هذه الجساعات الثلاث - الاقلية المحكمة والبروليتاريا الداخلية والخارجية - تذكره بعضها بعضاً . ويحاول الزعماء ان يتمسكوا بسلطانهم بصورة أشد ، وترد البروليتاريا الخارجية على ذلك بالعصيان ، في حين ان البروليتاريا الداخلية تنشد في داخليتها و يدان هذه الجساعات الثلاث تحقق في هذه المرحلة الأخيرة من المجتمع بعض الأعمال الابداعية التي تعتبر فوق مستوى الانسان ، ويحاول الزعماء ان يكافحوا من أجل خلق دوافع عامة ، ويكافح اللاصقيون من أجل خلق مدد عالمي . اما البروليتاريا فانها تميل إلى انتاج من مرء . وشعر اسطوري وقصص عن الحواة .

وفي هذه المرحلة قد لا يبقى إلا المهد العام الذي ينتقل إلى الحصار الجديدة في تحارب الحصار السابقة هذا إذا ظهرت حصار جديدة من كسل تلك

الفرضي . وتقوم الحضارة المحضرة في مراحلها الأخيرة بالتأرجح المظنين الذين يحاولون أن يخرجوا بها من الزقاق المسدود ، ولكن هذا لا يؤدي إلا إلى مجهود حائل من أجل الصعوبة الموقفة التي تسبق التحدو التام .

هذه اذن هي دوريا توينبي للتاريخ - دوريا يدعنها بقوة حالة من الامتلاء والتضخيم . والواقع ان عددا كبيرا من مؤرخي العصر الحاضر يشكون في صحة الامور التي يصرح بها توينبي ، بل ان احد النقاد من خصومه ذهب إلى حد الاشارة إلى ان توينبي « يقرأ في أوراق الشاي » ، بيد ان هذا يلوح مثالا آخر حل عداء الاكاديمية لأي عمل يتصف بالخيال المبدع الذي يتعدى حدود ملكة الحقيقة ، التي تدعى بها . وقد بينت ان هذه النظرية ، كما لمختصنها ، تركت عددا كبيرا من الاسئلة دون أن يجيب عليها .

إن مثل الحضارة الاعلى هو « التطوير الذاتي » . ولكن ماذا بعد ذلك ؟ إن هذا يشبه قولنا ان هدف الانسان المثالي هو ان يصبح ميطرا على نفسه . ولكن لماذا ؟ قد يسمى الانسان من اجل البساطة الذاتية ليكون قائما أو مفكرا أو فنانا أو قديسا افضل ، الا ان البساطة الذاتية لا تمثل هدفا نهائيا بعد ذاتها .

يوضح توينبي في الجزء الاول من كتابه فكرته عن هدف هذا الشرط الذي تطلعه الحضارة : وهو المفهوم الحيوي الخاص « يتحول الانسان النصف إلى الانسان ومن ثم إلى الانسان المثالي » . وتضمن هذه الفكرة في كل اجزاء كتابه ، بيد اننا نجد انه بعد ان يوضح أفكاره الأساسية إلى حد الجزء السادس ، تضع أفكاره الدينية الكامنة خلفها شيئا فشيئا . اما في الاجزاء الاربعة الأخيرة - التي نشرت بعد عشرين سنة من نشر الاجزاء الثلاثة الأولى - فان توينبي يبحث أفكاره الدينية بوضوح وتفصيل شديدين .

ومن الواضح ان الاجزاء الاربعة الأخيرة لا تستحق القراءة كالاجزاء الستة الأولى ، لأنها شديدة التوضيح ، ومع ذلك فانها تعتبر أنصح الاجزاء تمساراً . ويجب على ان اذكر أيضاً ان عداء الاكاديمية لتوينبي لم يبدأ إلا بعد نشر لآخرها الأخيرة - وطبعاً بعد نشر الكتاب الذي لخص فيه الاجزاء الستة الأولى

والذي ظهر بعد الحرب بقليل . وساد شعور بانك إذا كنت تريد ان تتحدث عن التاريخ فيجب عليك ان تتحدث عن التاريخ ، لا عن الدين ، ورغم ذلك فان توينبي لا يتم مفاهيمه عن التاريخ إلا في الاجزاء الأخيرة ، إذ نجد فيها أكثر صراحة في الاشارة إلى ان التاريخ كله ليس غير تعبير عن الله بلادة . وان هدف الفرد - في أي زمان أو مكان - هو ان يرى الله ، وان الامر الوحيد الذي يستحق ان يكافئ من أجله الانسان هو ان يكون قديساً . ويجدر بنا ان نلاحظ ان نظرية برونك عن « النماذج السايكولوجية » قد اثرت على تفكير توينبي الديني تأثيراً شديداً . ان نماذج برونك السايكولوجية تشير إلى النماذج الثلاثة من اللاشمي التي أومضتها : الجسدي والباطني والعقلي . وهكذا تصبح فكرة استخدام كلمة *Hybris* أمداً إحكاماً ، لأن هذه الكلمة تعني البقاء في سجن الشخصية ، وتعني السماح للشخصية بأن تعمل على التواضع الحيوية . إن الانسان هو كخط الطفون الذي يربط بين الله والعالم ، وينصر واجبه في ان يكون قاهراً على استلام المؤثرات جهده امكانه .

بيد ان هذا الرأي يتعارض مع الآراء التي نجدتها في الاجزاء الأولى من كتابه ، إذ نجد فيها يعتبر الدين رد فعل للظروف وراحة في وجه الموت ونظاماً من الخرافات التي هي محاولة لتضيق مصير الانسان ، ذلك المصير المجهول . اما في الاجزاء الأخيرة فقد اتسعت آراء توينبي وازدادت عمقا لأنه صار يرى تلك الحقيقة الجوهرية في جميع الاديان - نفس المحاولة لظهور واقع الروح وما يقابل ذلك من لأهمية مشاكل عالما المؤلف من المكان والزمان . إن الرويا الخلاقة النهائية تتميز بالمحب وبالنأكد الخاص على جميع الاشياء الموحدة . ولهذا السبب يقول توينبي انه بفضل المسيحية على البوذية .

ولا تختلف عقيدة توينبي الدينية عن عقيدة الدوس هيكسلي في « الفلسفة الخائلة » - ان الاديان كلها هي طرق مختلفة تؤدي إلى حقيقة واحدة . والذي لا يرضى عنه هنا - الا ان ذلك كله يترك المشكلة الحقيقية دون أن يحلها إن المشكلة الحقيقية هي : ان العنصر الذي يعمل من أي دين قوة تستقطب حروها

١٩٢٠ ، وهي ما تزال تنتظر الوقت الذي سنفر فيه انكساراً وأمبركاً .

ويتحدث توينبي في الجزء العاشر من التجارب الروحية الكاملة خلف بحث في التاريخ . ويلوح لنا من الوهلة الأولى انه يبحث في ذلك بحثاً ورومانياً « أدبياً » . وهو يقتطف في كل صفحة مقتطفات من الانجيل ومن المسرحيات أو القصائد الاغريقية ، أو القوال آباء الكنيسة . ولعلنا يمكننا ان نقول ان توينبي يحاول ان يجد شخصاً آخر لينطق عنه بما يريد ان يقوله ، وأن توينبي يلوح وكأنه يجمع لنا مقتطفات من هنا وهناك في كتابه وحسب . وقد قمت صفحات من الآن دون تبين وحشرت على عشرة مقتطفات من الانجيل واثنين من باسكال وواحد من الفلاطون وواحد من رومي وواحد من بايرن وواحد من شيرلي .) ونجد هذا النص « الالهى » في كل الاجزاء ، أما النص الرومانسي فإنه لا يظهر بوضوح الا في الجزء الأخير . ونجد هنا يتحدث عن الهام المؤرخين ويحاول ان يثبت لنا ان أي مؤلف تاريخي ضخم كان فيجب ان لا يخلو من « ملخص كيف انه استمع يوماً إلى اساتذته في ونشتر وهم يقصون تفاصيل حياة هانريخ شليمان ابي علم الآثار الحديث ومكتشف طروادة . » كان شليمان رومانياً مغرماً في رومانسته ، وقد عرج في بحث من طروادة الاسطورية دون أن يكون لديه أي دليل على مكان وجودها ما هذا جزء من اجزاء قصيدة هوميروس ، وصورة غيالية لطروادة سبق له ان رآها في قصة صغيرة من قصص الأطفال ، وقد اخضعت تلك الصورة بأن ملينة لها مثل تلك الاسرار الضخمة لا يمكن ان تزول نهائياً .)

وحنا يقول توينبي انه إذا كانت هذه تعتبر رومانسية فإنها مصدر الالهام الذي انبثق منه كل عمل عظيم ، ويجب ان ندعى « الرومانس الموحية » ، لتكون بهذا الشكل جواباً من الاجوبة التي نواجه بها السؤال التالي : كيف يستطيع الانسان أن يرى الرؤى ؟ وهي نظام تعتمد لتكوين تخيل على المشوكة للتحصية في التاريخ . وقد يكون ذلك بطريقة واضحة بسيطة ، كما في المثال الأول الذي يقدمه توينبي :

« لقد أطلع ميونيلس . احد الزعماء المنفيين ... في الفجر إلى الجاهل الخلفي من بيت زوجته ناسيا . بعد ان خير ملايح وجهه - ولكنها رفضت قبوله في بيتها ، ورفضت عليه ثمناً لذلك . وكان جوابه على ذلك انه اغتسل خارجاً في صدره وأغرق باب بيت زوجته بدمائه . »

« وقرأ التلميذ هذا الوصف الخبير ... وانتقل بسرعة البرق - عبر الزمان والمكان . من اوكسford في عام ١٩١١ إلى تيالوم في عام ٨٠ قبل المسيح ، ليجد نفسه في ماء خلقي . في ليلة ظلماء ، وهو يشهد مأساة لردية كانت في عنفها أشد حرارة من أي اندحار شعبي . » (١٧)

ويجدر بنا ان نلاحظ كيف ان توينبي يشير إلى نفسه هنا باعتباره تلميذاً متواضعاً ، واننا ل نجد هذا التواضع ورفضه ان يتحدث عن نفسه مباشرة في كل صفحات البحث .

ويعطينا توينبي خمسة أمثلة أخرى على هذه التجربة في الصفحات التي يلي ذلك ، ومن هذه الأمثلة : رؤياه لقسطنطينة خلال الحروب الصليبية ، ورواه الأخرى لبعض المعارك التي حدثت في الماضي البعيد ، أو يوم زار خرائب مدينة ايفيسوس القديمة وتجول بين آثار مصر حياً . حين لا يح له فجأة ان المسرح قد امتلأ بالناس فجأة :

« وفي كل مرة من تلك المرات الست كان الكاتب يفرق في ذهنه مواقف ويحيى في خياله مع أوائل الممثلين الذين كانوا يمثلون حوادث تاريخية معينة . وكان تلك تحدث أه كلنا رأى مشهداً من تلك المشاهد التي حدثت فيها حادثة من حوادث الماضي البعيد . يد ان تجربة أخرى حدثت له وكانت أعظم من سابقها : هذا كان بمثابة في القسم الجنوبي من ملوبق قصر بومنتهام طشت . متجهاً إلى الجنوب على طول الطريق المهادني النائية الغربية من عملة مكدونيا . وكان ذلك بعد ظهر يوم من الايام التي أعقبت الحرب العظمى الأولى ... وقد نسي ان يسجل تاريخ ذلك اليوم . ووجد نفسه مهدة وسط حمل عائل من الناس لم يكن خامساً لحادثة معينة من حوادث التاريخ وإعاً كان يتمثل

على كل ما قد كان وما كان بعده وما سوف يكون . كان بشر في تلك اللحظة بدعومة التاريخ ، التاريخ الذي كان يتفق في ذاته بتباره الجارف ، ونحس بأن حياته لم تكن إلا موجة في ذلك الخضم . وقد استمرت تلك التجربة زمناً طويلاً الأمر الذي اتاح له ان يتبه خلال ذلك إلى جدار المحطة الاودوردي الضراز وان يتأمل طابوقه الاحمر وصخوره البيضاء ، ثم تساءل دهاً : كيف اثار ذلك المشهد المؤلف : مشهد المحطة . كل تلك التصورات في ذهنه ؟ (١٨) يتفق مفهوم نوبيني للتاريخ مع ثورة آينشتاين في دنيا العلم بخصر الانقراض ، لأن آينشتاين هدم فكرة القياسات المطلقة الخاصة بالمكان والزمان وأسر على الدور الذي يلعبه الانسان الذي يقوم بالاحصائيات العلمية . واننا نجد ان رؤيا نوبيني للتاريخ تعتمد على أمرين هما قابلية كمورخ وخياله . ويتصل في رواه رفض للمطلق وتأكيد على الشخصي . وهو لا يعتبر التاريخ علماً وانما نوعاً من أنواع التربية الروحية . وهو يصر قائلاً ان الفكر في عصرنا هذا يجب ان يظل مستقلاً جهد امكانه . ويقتطف شيئاً من « مربي دك » للجبل ، ليبرهن على ذلك : « ان كل تفكير جدي يجب ان يكون محاولة جادة لتوحيده الروح لاحتفظ بصر استقلالها الواضح » ثم يحدثنا نوبيني عن حلم كان قد رآه مرة :

« ... في وقت كان بشر فيه بالمرض والامهالك ولتعب الروحي . إذ حلم في احد احلام يقظته ، حين كان ساهراً في إحدى البالي . بأنه كان يقبض على أسفل الصليب المعلق على مذبح كنيسة آمل نورث العالي وكان يسمع صرخة يقول له : « تعلق وانتظر » . (١٩)

أما اجواب نوبيني عن السؤال : هل في الامكان انقاذ الحضارة الغربية ؟ فهو الجواب ذاته الذي عرضه برنارد شو في « العودة إلى ميتوشالغ » . أي العودة إلى الانجاه الديني . ولكن أي دين ؟ ان اتجاه نوبيني غامض ، ورغم انه يلوح ان الدين الذي يقصده هو مزيج من جميع الاديان — كلفسة «كمبلي» الاخلاصة . وهو بالإضافة إلى ذلك غير متشائم من نصيبنا في النقاء .

١ في الربع الثاني من القرن العشرين ... يلوح ان الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة الموجودة من نوعها ، التي لم يظهر عليها شيء من الاعراض الواضحة التي تدل على الانحلال ... لقد كانت الحضارة الغربية ... الحضارة الوحيدة التي ... يدل حاضرها والامال المطلقة على مستقبلها ، على أمور كثيرة لا يمكن تقريرها الآن . اما الحضارات الاخرى فقد كانت تلوح عليها أعراض الموت أو ما يشبه ذلك . ان الحضارة الغربية ما تزال تبشر بأنها لم تمهد بعد فترة نموها وتطورها . (٢٠)

ثم يوجه نوبيني السؤال التالي : ماذا كان نصيب الحضارة الغربية من النقاء في عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٢ ؟ ويبحث عدة أجوبة لهذا السؤال . فأما الجواب الأول فهو : ضئيل جداً . ان الحضارة الغربية هي واحدة بين ثلاثين حضارة سبق لها ان انحلت وتدهورت . ولقد حلوت الطبيعة ثلاثين محاولة . ونحن نعرف ان الطبيعة تقوم بألف محاولة قبل ان تنجح في الوصول إلى ما نبتغيه . بيد ان هذا يقودنا إلى الخاض ان انواع الحضارات والاجناس البشرية تخضع لقواعد واحدة . ان الحضارة أشد تعقيداً من البنية أو الحشرة . ولهذا فان ثلاثين محاولة قليلة جداً . بيد ان ذلك يجب ان لا يدفعنا إلى نعض أبنينا من هذه الحضارة لمجرد انها المحاولة الثلاثون . ولعمري ان الطبيعة تقوم بعدة آلاف من المحاولات قبل ان تصل إلى الجنس الذي يستحق الدعومة والبقاء . وقد تختلف القواعد ، فلا ينطبق على الحضارات ما ينطبق على الاحناس . ويختلف نوبيني شيئاً من أقوال جون فاولري لويدي نوعين من الآراء بشأن الحضارة الغربية . فأما رأي جون فهو : « حائل ولما رأي فاولري فانه متشائم » . ويقول لنا نوبيني ان « فكرة نورو هلبس » أليس كما نورد الاحصائيات المبينة على علم الاحياء . انه بحث حالة العالم في عام ١٩٥٢ (العام الذي أتت فيه هذا الجرة) وبتحدث عن مشاكل الحرب الباردة . ثم يعرض فكرة الحكومة العالمية . « هذا يلوح اننا أنه قد أمر في تحت هذه السؤال إمعاناً شديداً » . واستغرق ذلك منه المدايات المشقة كلها . ولكنه لم يدل بأية شبهة من مستقبل الحرب . « وما » هي المعاري

بأن الحضارة الغربية قد تستمر في البقاء في حين أن الحضارات السابقة فشلت في أن يكون لها مثل هذا الأمل . ولا نغيرنا توبيسي بما سيحدث لو حدثت تقوؤس الغرب . ولكننا نعرف أنه كلما تقوؤست حضارة في الماضي نهضت على خرائثها حضارة جديدة ، أما اليوم فإن العالم مكان صغير ، ولهذا يصعب علينا أن نتكهن بمصدر الحضارة الجديدة ، لأن العالم كله مشغوب الآن . ويذكرنا توبيسي أيضاً بالكسل والفراغ الذين يراهما كل مجتمع بلغ قوة الحضارة ، ونغيرنا بأنها يعتبران عنصرين خطيرين من عناصر الانحلال والتدهور . ولكي نوضح لنا هذا فإنه ينقطع شيئاً من كتاب « انساني في الأسلوب » اللطيف الذي لم يعرف موته . والذي يرجع تاريخه إلى الفترة المحصورة بين القرنين الأول والثالث ، ويلوح لنا أن عبارات مؤلف هذا الكتاب يمكن أن تطبق على القرن العشرين أيضاً :

« ان انخفاض التوتر الروحي الذي يقضي نفر قليل من الناس أيامهم في غماره يعتبر واحداً من السرطانات التي تشكو منها الحياة الروحية التي يعيشها الجيل الحاضر ... » (٢١)

وقد كتب المؤلف هذا في عصر مماثل . شاع فيه الانحلال إلى جانب السلام والبراء العام . وهذا يعزز الرأي القائل بأن الحضارات المتعورة تتميز دائماً بتحول من التمتين والامتتين . وقد لغض برناردشو هذا يصبرته النافذة في مقدمته لـ « الأرباط اللاتكافل » إذ قال :

« إن سر الشفاء كامن في ذلك تملك فراغاً كافياً لتستطيع فيه ان تعرف إلى السؤال عما إذا كنت سعيداً أم لا . ولهذا فإن علاج الشفاء يمثل في العمل . » (٢٢)

أما توبيسي فإنه يقول ذلك نفسه بطريقة الخاصة :

« ... لقد أغرت فنون الصناعة ضحاياها وجعلتهم يسلموها قياد أصهم ببعضها المصاييح الجديدة لم مقابل المصاييح القديمة . لقد أغرتهم ما هوها ورواحهم وأغفلوا بدلاً منها « التيقن » و « الراديو » ، وكانت نتيجة هذا

الدمار الحضاري الذي سببه تلك « الصفة الجديدة » القرواً روحياً وصفه أفلاطون بأنه « جميع الخناير » ووصفه الفوس هكسلي بأنه « عالم زاه جديد » . (٢٣)

وبأمل توبيسي في نهاية البحث « بأن خلاص الغرب لا يكون إلا « بالانتقال من الاقتصاد إلى الدين » . ولكنه لا نغيرنا كيف سيتم هذا الانتقال وإنما يؤكد قائلاً « ان الغربي يستطيع بواسطة الدين أن يتصرف تصرفاً روحياً يضمن سلامته بالقوة المادية التي الفتها بين يديه ميكانيكية الصناعة الغربية » (٢٤) مكان توبيسي يجب علينا حل سؤال إيفان سزاروف : كيف تستطيع روحانية الإنسان أن تسيطر على ازدهاره المادي ؟

لقد أوضح توبيسي الجانب التاريخي من مشكلة اللامتني بوضوح ، ولذلك لم يجد هناك ما يمكن أن يقال بهذا الصدد . ان مجتمعا متضخ روحياً ، وأما اللامتني فهو الإنسان الفرد الذي بشور ضد هذا التضخ الروحي ، وهو يفعل هذا بدافع من طهراته ، ونحن نعرف ان جميع الكائنات الحية تمس بفرانها ، ولا يمكننا ان نستني الإنسان منها أبداً . أما حين تبلغ الحضارة مرحلة الانحلال ، فإن الفطرة التي تميل إلى التماسك تعتبر خير كافيبة لاقتها ، لأن تلك الفطرة المبركة تحتاج إلى مجهود عقلي ، وقد كان « اللامتني » بخاصة ياولئك الذين حاولوا ان يقوموا بهذا المجهود ، والذين أفلحوا أو حقوا شيئاً من النجاح في استعادة الصحة الروحية المفقودة . ويبدأ اللامتني عادة بأن يكون ومانساً غير مؤمن بأي دين ، وبتنهي إلى الإيمان بمعتقدات دينية كلاسيكية - جديدة . وقد حدث هذا التطور في القرن العشرين لدى كاتين مختلفين هما برناردشو و ت . س . البوت (ولم يلاحظ الناس ما بينهما من شبه في هذه القطعة وفي نفاط أخرى إلا الآن .) إلى ان ذلك يحدث لكل اللامتين اليوم إلى درجة أننا نستطيع ان نتخذ من ذلك قاعدة عامة نطبق حل المصيح

وهذا قد ان الامور تضخ لنا أكد على هذا الامور . فان الحضارة

الصحيحة للسياسة تؤمن بكللاسيكيته ويدبنها ، ولا يكون فيها لامتنون .
(وكمثل على هذا يمكننا ان نساءل : اكان باستطاعة القرن السابع عشر أن ينتج أي موسيقى لامتهم مثل فاغر أو لبيان برخ ؟) . أما في الحضارة المربضة ، الحضارة الرومانسية ، فان على اللامتنى أن يعيد بناء المجامع الكلاسيكي والمبني ليحصل على شيء من تلك الصحة المفقودة . وإذا كانت الحضارة كلها تشر بالهلاحة إلى فترة أخرى من الحياة عليها ان تفضل ما يفصله اللامتنى ■

ولكن اعتراضات القنصل العام سرعان ما تظهر في الآخر ، فالمجتمع لا يتألب من اللامتنين ، ولم يكن كذلك في يوم من الأيام . ولم تبلغ المجتمعات ما بلغته من المراحل التي تمتعت فيها بالصحة الروحية الا حين كان يقوم بها اللامتنون وينتج عنها روحاً ، ويضللهم المجتمع تماماً كما يتقبل الآد آراء آبنشاين وبلاطك بخصوص المسائل العلمية التي لا يفهمها . أما في عصرنا فلان اللامتنى لم يعد الزعيم المكري ، مهما احبب المجتمع بلوحات فان فوخ لم يفصل دوستوفسكي ، لأن الزعيم الفكري الذي يقوم بمنهج القرن الثمشرين هو العالم والفيزيائي والاحصائي والفيلسوف الإيجابي (ويمكنك ان تأخذ مثلاً على ذلك نجاح جون ديوي في أميركا وبرتراند رسل في انكلترا) . وهذا لا لبسوا لامتنين . أما في الماضي فقد كان رجال الدين لامتنين - وهناك مائة مثال على ذلك بين أوغسطين ونيومان . ولا يتمتع رجل الدين في القرن الثمشرين بأية سلطة أو ثقة ، أما اللامتنون المرحضون الذين يخضعون للدين - يردناهم وشيستوف والبولش ، مثلاً - فانهم يفصلون أنفسهم ، ويؤدي هذا إلى اصحاب مجال تأثيرهم . ونحن نجد ان اهم المفكرين في عصرنا يتفوق حناوح الدين ، كما يفعل كامو وسادتر مثلاً ، ويرجع تأثير هذين إلى الامتكرات للده أو للألم الذي يشران به ، والذي يذكرنا بتوبنسي والحلم الذي رآه .
■ نمسك وانتظر ■

إن منطق القنصل العام يتلق أمامنا كل أمل في العودة إلى الدين . لأن الدين

الجديد يعني لولا " علماً للعقل الدينية " . وحتى إذا كانت جماعة كبيرة من الاساقفة هي التي أقرت هذه المقدمات - مما يجعل الامر أكثر صعوبة مما هو عليه في الواقع - فان المشكلة تبقى منحصرة في امكانية حمل المكلف النصف حل ارمراء تلك المقدمات . ولا يمكن ان يكون هناك (دين جديد) . ذلك لأن الدين لا يصنع بوضع عناصره في الله معين . أما ما يعنيه اللامتنى (بالدين) فانه مصعب جداً بالنسبة لأمراء الانسان العادي صعوبة لطريقة التوافق المحكم . إن أي دين يعتمد في الواقع وبصورة حديدية على جو معين من الأفكار التي تتطلب هذا الدين . وهكذا فلم يظهر مثل هذا الجو في حضارتنا بعد . والحق ان هناك علامات تدل على ظهور هذا الجو ، وتلوح تلك العلامات والصحة في الثقافة الأوروبية حيث تبحث مسائل اللاهوت والفلسفة باستمرار أكثر مما هي عليه في انكلترا وأميركا . ومع ذلك فلم نبرز حتى الآن أية علامة تدل على ظهور شيء . يكون له ما للدين من عالمية :

المشكلة التي تواجهها الآن هي مشكلة الالبعات من جديد . ولقد أوضح شبنلر ان الحاصلات لا يمكن ان تبت ، أما توبنسي فقد كان أكثر منه تفاؤلاً . وتخصص نصيحته في الكلمات " نمسك وانتظر " .

فان استطاعت حضارتنا أن تعيش - لو استطاعت أية حضارة أن تتجاوز النقطة التي يجب أن نتحل فيها - فلن يكون ذلك الا بجهود من اجل المعرفة النهائية بغرف كل ما عرفته الحضارات السابقة : شيء يشبه الامعان السذائي التاريخي . شيء يمكن ان يفارن مثلاً بتعليل باسكال الروحي لافاته . ان عملية البحث عن طريق التحليل الناتج هي المعنى الجوهرى الكامن في الوجودية ، ويدعو . كما أشار توبنسي ، ان عبء هذا البحث يقع على كاهل أولئك من اللامتنين

• • •

• لا انصد ذلك الامر الاسطوري الذي يثير الانهلال لديه لأن الدين يتطلب كل الاعتراف
• الامتنان

إن الأشياء التي تتضح من هذا الفصل تلخص بما يأتي : إن المحسوسات تندثر حين تفقد سيطرتها على تفكيرها ، وهي تفقد هذه السيطرة في اللحظة التي تبدأ فيها بالتفكير في حدود الاحتمال للعبة ، لأن القوة في النهاية تكون دائماً قوة روحية .

إن الإنسان الغرب - الإنسان الفلاسفي - كان ميالاً دائماً إلى التأكيد على طاقاته العقلية . وهذا هو السر في تقدمه المادي المائل ، ولكنه في الوقت نفسه سر تدهوره . فهو يفقد القوة الروحية - المفهوم الحيوي الذي يحفظ اندسوع البشري ببقائه . وبدون هذا المفهوم الحيوي فإن كلمة « التقدم » تكون مجرد سخرية ، بل أنها تشبه سيارة لا وقود فيها .

وبعود هذا التأكيد الشديد على الطاقة العقلية إلى عصر النهضة حين كانت الطريقة الإنسانية في التفكير في أوائل عهد ازدهارها . بيد أن هذه الطريقة لم تكتسب تأثيرها القوي إلا في القرن السابع عشر ، أي بظهور غاليليو وديكارت ونيوتن ، ومن ثم لوك وهوبز وكانت وهيجل ، وقد استمرت حتى القرن العشرين على غزو كل نواحي الفكر من فلسفة واجتماع إلى فيزياء ، وإلى علم النفس . وستتضح مدلولات هذا حين أبحث أمر رابيت عيد في الفصل الأخير من هذا الكتاب . ولكن هنالك تقليداً آخر في التفكير ظهر في الغرب أيضاً - تقليداً واكب الفلسفة التحريدية ، رغم أن تأثيره لم يكن كتأثيرها . وهذا التقليد ديني - كما سيتضح من الصفحات التالية أنه تقليد وجودي أيضاً . وسأستعرض جوانب هذا التقليد في القسم الثاني من الكتاب .

القسم الثاني

تمهيد

كنت قد قلت ان هذا الكتاب سيتبع طريقين من طرق البحث في وقت
مما . فاما البحث التاريخي فانه يبدأ بهذه العبارة : النظام هو الذي يجعل
المجتمع متكاملاً . وقد يفرح هذا بداية إلى درجة انه لا يتطلب منا ان نتوقف
لنقوله ، ولكن الامر ليس كذلك ، خاصة حين نوجه السؤال التالي : ما هو
النظام ؟ إن المجتمع شيء معقد ، ومن الواجب ان يحصل أي انسان متفتح بافلاك
صاف يجعله قادراً على رؤية جوانب الحقيقة ، من الواجب ان يحصل على القوة التي
تساعده على تطبيق مفكراته ، لأن اوكلنا الذين يملكون مثل هذا الامر اقليلون جداً .
ولكن ما نمرقه عن ديكتاتوري العصر الحاضر يجعلنا نرتد عن هذه الفكرة ،
فكرة الحكم السياسي المطلق . رغم انه من الواضح ان أي قطر يكون غني
بمجموعه أشد قدرة على الانجاز إذا كانت فيه مثل هذه الدكتاتورية السياسية .
ولكن النوايا لا بدعولون في عداد « القطر بمجموعه » . كما أنهم لا يفتقرون مع
الحكم والضغط السياسيين . وإذا كان النظام الحاكم في أي قطر يضغط على
النوايا الموحدين فيه فعليه أن يتوقع الفناء .

وهكذا عني وسما أن نخرج من هذا بالقاعدة التالية : ان النظام الاجتماعي
المثالي هو ذلك الذي ينظر عين الاعتدال إلى نواياه . فإذا تجرد المجتمع من مثل
هذا النظام صار النوايا لا تمتص : أي أنهم يشعرون بالضيق ، ولا يعودون

متعيق مع الكيان الاجتماعي . فإذا كانت هذه النقطة صحيحة فإن أي نظام سياسي جماعي يكون عاجزاً عن البقاء لفترة طويلة باعتباره نظاماً اجتماعياً . أما إذا كان المجتمع نصف ميت فإن الناس يكونون حتى إلى درجة أنهم يظنون أن ذلك النظام يستطيع أن يستمر في البقاء .

ولكن هل كان هناك أي نظام اجتماعي متفق تمام الاتفاق مع اللامتنع ؟ أجل ، فإن الحقيقة التاريخية لا تدع مجالاً للشك في أن معابد القرون الوسطى استطاعت أن توجد مثل هذا النظام . وكان ذلك النظام متفقاً مع جميع أفراد المجتمع ابتداء من أصحاب الأخطاب الواسعة القوة حتى أبسط المحترفين . وينطبق هذا على أي « معبد » ظهر في التاريخ - الهندوسية والبودية والزرادشتية والتولية والمسيحية . وحين كانت هذه المعابد في ذروة قوتها وفاعليتها لا يمكن هناك « لامتنع » .

لقد ولد الترابيع وسط مظاهر تقليد كان في لوج ازدهاره ، وقد ساهموا جميعاً ، مفكرين ورومايين وموسيقين ورواة ، في دعم المعبد :

وليس من الصعب علينا ونحن في القرن العشرين أن نرى كم كانت الأمور نسيم ولف ما يشتهون . ولو حدث أننا ولدتنا وسط تقليد حر التفكير أو ملحد خائفاً نكون مبالغين إلى السخريه من المعبد سواء كان ذلك في القرن العاشر أو العشرين . إلا أن ذلك سيكون بسبب قلة معرفتنا . لأنه لا يستطيع إنسان أن يدرك من عهد القرون الوسطى حين يدرك ما حققه .

إن المسألة التي ارمى إلى بحثها من وراء هذا النقاش هي : أن اللامتنع هم أعراض الحضارة المتحضرة ، إذ لا يمكن أن تكون هناك حياة بدون معنى المادية . والمجتمع يبدأ بالموت من الرأس إلى الأسفل ، وهكذا ففي البداية يفقد البوابح معنى المادية . وحين يحدث هذا يبدأ المتحور والفتور .

وهذه الأوضاع مضادة للأفكار الإنسانية التي تلخص في عبارة روسو : يولد الإنسان حراً إلا أنه مقيد أينما كان . أما اللامتنع فإنه يريد أن يثبت أن هذا محض . أن الإنسان لا يولد حراً ، وإنما يولد مقيداً بقيد تروذي

الاعطاش والصحة أكثر مما يؤدي إليها فقدان الحرية الاجتماعية ، وهذه القيود تمثل في السأم والتفاحة . وبدون نظام يبه المادية ويقتله من لاهديه فإن الإنسان لا شيء .

ولكن قد يعترض معترض فائلاً أن ثلاثاً علماً يتقده من لاهديه : أن يأكل ويلبس هو وعائلته . فانه معظم البشر يخلصون من معنى أنظمة عن طريق المطالبات الجنسية . بيد أن اللامتنع وحده هو الذي يشتر من هذه الطريقة سهلة في حل مشكلة المعنى . أن صوفي ، بمعنى الموت ، يقول :

« للولد والاتصال الجنسي والموت .

هذه هي كل الحقائق حين تأتي إلى المسامير النحاسية :

المولد والاتصال الجنسي والموت .

لقد ولدت مرة ، ونكتفي مرة واحدة ... (١)

هذا صحيح . فعل المستوى الجسدي ، مستوى المسامير النحاسية ، تكون الحياة بلا معنى . وهكذا يكره اللامتنع أن يعيش على المستوى البدائي . المفضل المستوى الثانوي دائماً ، مستوى الخيال والخيال . وأنت لا تستطيع أن تعيش على هذا المستوى أكثر من بضعة ساعات ثم تسد عليك الطريق مشكلة المعنى .

هناك نوع من الناس الذين يميلون إلى التصريح بأن الحياة لا معنى لها - وحالاً ما يكون ذلك ثوبيراً لفلسفة الآلة التي يؤمنون بها ، أو الفراغ فطريهم . وقد حاولت أن أبرهن على أن هناك معنى وأن اكتشاف هذا المعنى يمكن أن يتم عن طريق التحليل الدقيق بشرط تولد إرادة حائلة للكشف عن هذا المعنى . (وبدون هذه الإرادة تكون كل شكوكية عديمة الجدوى) .

ما هو ، إذن ، الوضع الذي نجد أنفسنا فيه ؟ أن في وسعنا تلخيصه بما يلي : أن المجتمع يموت من الرأس إلى الأسفل - والرأس يمثل اللامتنع . فطفاً مات الرأس لا يبقى للجسم الألفة قهيرة من الحياة . وأنا حين أقول أن الرأس يموت فإنني أعني فقدان معنى المادية .

ولكن الرأس يستطيع أن يستعيد مفهوم المعنى . وهكذا فإنه يلوح أنما

حين نحل مشكلة هدية اللائمتي فاننا نستطيع في الوقت نفسه ان نحل مشكلة حضارته أيضاً .

ولسوء الحظ فان الأمر ليس كذلك . إذ قبل ان يكون في الوضع نقل معنى الهدية من الرأس الى اجزاء الجسم الأخرى يحتاج الأمر الى ان يكون معبراً عنه بشكل يمكن ان يفهمه الجسد الفسي : أعني بواسطة دين أو أسطورة أو مثل أو رمز مثله . وجوه الدين حائل . الا أن التوايغ فقط هم الذين يستطيعون ان يفهموا . أما دين الأغلبية فيجب أن يسطو ويحل بالسكر . ولا تستطيع الاشكاك التي يأخذها الدين ان تظل الا لفترة معينة من الوقت . وقد تذكر في « فرجيل اللامنتور » لوليتز أن عطلة يظل لا متفوقاً ما دام عارياً ، فإذا ارتدى بدلة استطاع الناس ان يعرفوا مكانه . وبمكنت ان نشبه اللائمتي بالإنسان الذي تخلقه حقيقة انه لا يستطيع أن يرى الرجل اللامنتور الا اذا طوى في نفسه بصورة يستطيعوا اصطفاها ان يراه حتى اذا كان عارياً . أما بالنسبة للإنسان العادي فيجب علينا أن نضع الرجل اللامنتور بأن يرتدي بدلة اذا كان يريد ان يراه الناس . وما دام اللائمتي يريد ان يرى الرجل اللامنتور لنفسه وحسب فلا يهم ان يظل لرجل اللامنتور عارياً . أما اذا أراد اللائمتي ان يضع بنية أفراد المجتمع بوجود لرجل اللامنتور فعليه ان يقتنه بأن يرتدي بدلة . وهكذا الامر بالنسبة لللائمتي الذي يكادح حتى يرى مفهوم المعنى واضحاً في الحياة . أما اذا أراد أن يتقبل هذا المعنى الى اربعين مليوناً عن زملائه البشر فعليه أن يفعل ذلك بواسطة مفهومه . عليه ان يسطو ذلك . وإذا تطلب الأمر فعليه ان يفهمه بسيطاً للغاية .

بنوالة اللائمتي عن المسيحية : مثلاً : ان كل عقيدة من عقائدها تجعل الناس : فان فكرة المسيح المختص . والجنة والجحيم . والخطية الاولى . هذه الافكار يمكن ان تفهم بالمعنى الجسدي الواضح - المعنى الذي يفهم معظم المسيحيين دائماً - والمعنى الروحي الذي لا يوصل الانسان العادي الى فهمه . ما دام استطاعه رؤية الرجل اللامنتور . ان المعنى الجسدي الواضح بلوح اللائمتي هو من الاساطير والحرفات المصنوعة . في حين ان المعنى الروحي هو

الحقيقي .

ولا كان خمسة من رجال الدين السبعة الذين منبجهم في هذا الكتاب من اعلام المسيحية . فيمكننا ان نستخلص شيئاً كثيراً من بحثنا السؤال التالي : انستطيع المسيحية ان تفسد حضارتنا ؟ وإذا لم يكن في وسعها أن تفعل ذلك ، فلماذا ؟

يتضح من قراءة الانجيل ان المسيح كان ذاتاً في قيادة الرعاة . انه أشبه بطر منة براماكوبشا ، فهو رجل عملي عثمن ، ولنا نجد في الانجيل شيئاً من « المسيح طبيب الطوف » . رغم انه من الخطأ الظن بأنه كان سيء الطباع غير مؤدب حقاً . - ولم يكن - كالكثيرين من الذين جربوا أن يكونوا مزججاً من التصوف والشاعرية ، بل لم يكن منصوفاً على الاخلاق . انه يظ بالطرقة ذاتها في يظ بها أنبياء المبرين . انه يظ بالنار (أو جهنم) المكان الذي يشبه مكان التطهير من الخطايا الذي نمرله . وهو يضيف من عنده على الوصايا العشر . ويقت ضد الخلاعة الجنسية ويؤكد على ان الحياة الربانية يجب أن تكون أمراً خاصاً بالانسان ونفسه . لا بأي انسان آخر . وهو يذهب بعيداً في التأكيد على عدم جدوى هذه الحياة . ويطلب من الناس ألا يفكروا الا بالله والا يلقوا بشأن الفرد . ان ملاحظته على الجبل هي دعوة الى الزهد والتكريس لله . وبماجم المسيح المناقشين وحكام الدنيا ويطلب بسلوك أسمى . وبصورة عامة فأنا مؤلفه من هلم شبه موقف نيته - وهو موقف الناقد الذي يفي بقده على ان البشر هم أضاف واجب يجب أن يتفكروا حياتهم في سبيل الكمال .

ويتضح عند قراءة الانجيل أن هدف المسيح كان كهدف أي نبي او فنان آخر - وهو أن يجعل الناس أشد حياة . أشد انراكاً ، وهو يمثل الرقة في الحصول على ارادة أكثر وحياة أكثر من غير من المادة مصف الميتة . وهو يعلم الناس ان الجسد هو معبد الروح القدس وانه واسطة التعبير عن القوة الإلهية . وهو يشبه مراتز كاككاوت . ي. كورنس في قوله ان الخلاص أمر صعب ويقتر به من كادكا حين يقول : في الكفاح القائم بين نفسك والعالم تمسك دائماً بمااسب

الحام

أن « الإنسان العادي » يعتبر أمثال المسيح قوماً يثيرون الاهتمام ، والقصد بالإنسان العادي حكماء العالم الذين يعتبرون أنفسهم كاملين على طريقتهم في الحياة والذين يكرهون أن يطلب منهم أحد أن يزجوا أنفسهم . ومن الرافض ان تعبر « الإنسان بعيد الروح » الذي ليس هو « بالدين » وإنما هو شيء سألوف بالنسبة للفنان ، يعتبر غير مفهوم بالنسبة للإنسان العادي . ان الإنسان العادي بهم حاجات الجسد فقط . ان ادراكه منذ دأب في الإنسان أو عنصر بكامع دائماً لفرض ارادته على الجسد في حدود المكان والزمان هو وقف على نقطة ، أولئك الذين يظنون ان الزمن يقود الجسد الى اللا ادراك وأنه ، لكي نكون مدركاً يجب ألا نكون في الزمن . « وان هدف كل دين هو زيادة الادراك . أما ان يكرس الإنسان ادراكه كله لشغلات اللحظة (أو اللحظات القليلة) فان ذلك يعتبر تضييلاً له .

هنا هو جوهر تعاليم المسيح اذن ، وهي تتمثل في ارادة الحياة التي تقود الى على البشر أن يكافحوا من أجل ادراك وحياة أكثر (أو كما كان متوقفاً عن المسيح ان يقول انها ارادة الله في ان البشر يكافحون ليكونوا مثله) . ويجب جعل البشر كاملين . كون ان هذا هو الهدف الوحيد . وهم اذا فعلوا ذلك كسبوا من شدة دهرهم بالتفاهات شيئاً من السعادات والزواج اللامتناهي . وانك ان لم تفعل في اطلعتان مع جاره ، لانه انك تحقق هدفه النهائي عنه ألا يصبح وفه في الخصام والتفاهات ، فادرك كيف الإنسان عن التفاهة والحق وادرك كيف يتجمع على دعائم الشيوعية والتعاون المشترك وإذا نطلب على سرطان التبرؤ وحب الشملك فانه سيجد نفسه في السلم الصاعد الى الهدف الأول الذي اراده الله ، أي الى حياة أكثر تعاليد و نشاطاً ، وادراك أشد تركيزاً . لكن كل جسد يجب أن اطلع الى حياة الله .

ولا يمكن الادعاء بأن هذا هو ما يشر به الميحية وحدها ، لانه كان هدف كل شيء عظيم ، معلم ديني منذ بدأ العالم . ولم يختلف المسيح في شيء عن تعاليم

« من عرف الله ، عرف الإنسان » « من عرف الإنسان ، عرف الله »

حياتياً أو حزياناً أو ميحاً . لقد قال لهم ان ملكوت الله كان قديم « وان الشر أهو أهو » كما تقرر المصالح الاثنتان (التياتون) ، وأنهم يجب أن يكونوا دائبين على اكتشاف (ليحصلوا على الحياة بوفرة أكثر) ، يقول مسؤلية أعظم لتحقيق هدف الله من العالم .

لقد أشار « الفيلسوف العام » بطل حوسوفسكي الى ان البشر لا يريدون هذا النوع من المسؤولية . وان أولئك الذين يرغبون في قبول هذه المسؤولية جسد قلائل . ويوح هنا كقول استاذ الرسم لكل للميد من فلاينه أن مسؤلية نوح الله هي أن يصبح مثل ومبر ادث أو آل غريمو ، وإذا فشل في ان يكون كذلك فانه سيطر . وميدي معظم الناس باسم « يعرفون حدود امكانياتهم رغم ان ما يقصدونه في الحقيقة هو أنهم لا يريدون ان يدفعوا الثمن المائل الذي تتطلبه قوة الارادة والمجهود الدائم لصنع العالم العظيم . ان المدرس السني يسط طلابه بأن يكفروا عن طلب الراحة وان يكافحوا ليصبحوا عظماء ليبدفهم بلا منصاع .

من المحتمل جداً أن يكون هذا قد حدث للمسيح ، وكان محتملاً أيضاً ألا يذكره أحد . ان تعاليم المسيح لم تكن لتبني ذكره أكثر من مرة واحدة بعد موته . ولكن كانت هنالك عوامل أخرى ، كالمعجزات ، فقد كان يتمتع بقوة غريبة في شفاء المرضى « وليست هذه القوة نادرة كما نضل » . ولم يحسأل المسيح أن يستخدم المعجزات لمرض تعاليمه لأنه أدرك ان سمعة صانع المعجزات لا تجعل الناس ينظرون الى نظرة جديدة . وبوصح برنارد شو هذه نقطة جيدة .

« لا علاقة لتعاليم المسيح بمعجزاته » لأنه إذا كانت مهمته مختصرة على توصيح طريقة جديدة في شفاء الصبر المفقود فان معجزة شفاء العمى تكون ادراك حاضرة بالاعتماد . إن تقرير أشياء مثل : « عليك أن تعب اعداءك » ، ولكي افعلك بأهلك يجب أن تفعل ذلك فاني سأشفي هذا السيد من مرض عيه « يعتبر بالمرحاح له « كما المسيح قولاً بالذات في الحق والتفاهة أشد صاع . » (٢١)

ولكن المعجزات ، سواء كانت عددة الجوى أم لا ، أتاحت للمسيح أن
يقال المذكور في حين نسي الناس أنبياء آخرين يمدون بالثبات ويعود هذا إلى
عامل آخر - « الجنة المقدسة » التي بدأ نظامها يكتبها بعد موته . والتي صار
في الامكان إضافة المعجزات إليها باعتبارها براهين . وأخيراً ، حين انتشرت
أسطورة المسيح في الشرق الاخرى ، كان ذلك لأسباب لا تتعلق بالتحاليم نفسها ،
وقد أعطى المذكور شوق قلد وصداً دقيقاً لهذا الموقف بعد صلب المسيح .
إذ وصف لتلاميذ المسيح الخاضعين المرتعبين وأتباعه المنهارين الذين ظنوا
الآيات . ثم بدأ البحث ، وانضى جسده من القبر ، وبدأ الناس يسبحون
القدس عن رؤيتهم المسيح متجسداً . وكان المسيح قد تلبس باليوم الاخير
وأعلن انه سيعيد في فترة حياة الناس الذين كانوا يصابرونه . وكان هو نفسه
الذي سيحاسب الاحياء والموتى . واثرت هذه القصص في خيال الناس - موته
الذي لم يلبس على الصليب ، ولهو به رجلاً حياً بضعة أيام ، ونبوءة انتهاء العالم في فترة
حياة الناس الذين عاصروه . واليوم الاحمر الذي يكون المسيح فيه صاحب
الكلمة في محاسبة البشر .

ولكن كان هناك عامل آخر أشد أهمية في نمو المسيحية : وهو تنصر
يهودي سابق كان يظن المسيحيين ، وهو القديس بولس .

كان بولس مختلفاً لكل الاختلاف عن المسيح . لقد كان المسيح مصلباً غالباً
من كل معنى للخطية ومن كل قلق عصبي آخر . كان رجلاً مثلي عيانياً
ومحبلاً ، متهوراً بتعبد بسرعة ، حساساً ، قوي الإرادة . وكان مدحاً عابراً

• (يوحنا طرموس) تاريخ حياة القديس بولس .

• - العهد ان شارون هذا أولئك الذين أدوموا بأنهم (أو) يهود (سيدها - لو انه قد
الذين - الزعم) وصار لهم اتباع كثير لانهم كانوا يوم السبت الاخير وكانوا أنه سيجل
بعد سنوات بعد ذلك . وكان مؤسس هذه الحركة القديس بولس الذي بدأ بأن يوم السبت سيجل
في ايام القديس القديس . ولما سمع تلك الدعاية غلبه امر جدت شيء - صرح القديس الى المسيحيين
الذين كانوا ان ذلك - سمعت عدداً جديداً للناس القديس كادوا يمشون في ذلك . فقامت . وكان

الذين في عام ١٩٩٤

في فرض طاقته على عصره . وكان معكراً أكثر من المسيح ، ولعله كان يشبه
كيركفارد - مشوهاً مقطوط الصفحة . ذكياً ، تشغل باله مسائل كتيبة
كالموت والجنف والالم وتيسر عليه فكرة الخطية ويضيقه القدر الذاتي الذي لم
يكن يخضع ارادته على اعادة صانع نفسه . أجل لقد كان بولس غشاقاً جداً عن
المسيح ، كما أن القديس القوي اخترعه بولس وسماه للمسيحية لم تكن له علاقة
بمطاليم المؤمنين .

ولنبداً الآن فنقول : ان بولس أكد على فكرة نهاية العالم واليوم الاخير لأن
هذا كان يناسب طراز تفكيره . والنموذج الحديث من طراز بولس ومزاجه
هو ت . س . اليوت ، لأن كل ما نجده في « الارض القفر » و « القار قون »
موجود بالفعل في رسائل بولس . كان بولس مثل اليوت يعتبر الماضي وسيلة
لتحريض عن الحاضر . أي الموت الضيف الذي قاماه المسيح ونبوءته عن اليوم
الاخير .

ولست أريد هنا أن أوجه نقداً إلى بولس . لأن الجوه إلى تقرير مفهومه من
الضيف وعدم الكفاية بالنظر إلى العالم نظرة متشائمة يعتبر طريقة صحيحة بوجهها
اللاشمي للخلع من دهره . ولم يفعل بولس أكثر مما فعله هيمواري و ت . ي .
لورنس ودوستوفسكي : إذ انه ركز انتباهه على فكرة الألم والموت والشفاعة
(وقد دعاها بولس الخطية) إلى ان شعر بأنه صار أقوى منها . واستطاع بولس
بهذا ان ينحصر عن فكرته التي سبغت من المسيحية ديناً عالمياً : وهذه الفكرة
هي ان المسيح مات ليخلص البشر من عذاباتهم . وبما كل ذلك نجد انه إذا
كانت فكرة صلب المسيح قد ساعدت بولس على السيطرة على نفسه فبانه من
الواضح ان موت المسيح ساعد بولس على الحصول على حياة أشد تركيزاً على
تطبيق افراكة معنى الحياة . وعلى توسيع مفهومه للهدف . وإذا كان موت
المسيح قد انتقد بولس من نقادته فلماذا لا نبحث ذلك بالنسبة اليهم الآخرين
أصلاً ؟ ومن هنا نشأت فكرة تخلص البشرية بعد ذلك : ان المسيح مات
لشرفه . ولما كان بولس قد قرأ العهد القديم فقد استطاع ان يقول هذه الفكرة إلى

فقدته قوية . أما في اعماقه عند كانت هناك رؤياه التي جاءت شعره بان جميع
الناس يولدون تافهين حمقى . واعطاء العهد القديم مآ لذلك : عصيان آدم
ارغم ان الخلق من وجود الاسطورة في الاصطلاح هو تفسير وجود العالم
" شعاع في العالم " وليس تفسير عدم كمال البشر أنفسهم . واعلم بولس : لها
حقيقة آدم ان يولد البشر حاططين . ولكنهم يستطيعون الآن اقتناء الخطايا على
النسج وبهذا يصبحون كاملين .

هنا حمى . ولكن الامر جوانب أخرى . لقد شعر بولس بأن البشر جميعاً
بالمهول حمقى (الخطيئة) وقبل اعتناقه المسيحية لاح هو نفسه نموذجاً حثراً
ثامسان دوستوفسكي المرمسار . الذي لا يتجزم نفسه ولا يثبث هدفاً . أما
لعالم المسيح وموته فقد اعطى بولس معبراً للهدف وبالتالي احتراماً لنفسه .
وهنا كتب بولس عن كونه انساناً صرصاراً ودخل مرحلة الرجل الفعلي مرحفنة
راسكولييكوف . وصارت المشكاة لبولس كما كانت بالنسبة لمسيح وضف
رؤياه عن البشر : لماذا لا يكون البشر كافة ؟ وكان جوابه : بسبب عصيان
آدم . ولكن هل كان يعني أن آدم كان كافة ؟ إن اللاهوتي لا يرمى حتى
بوجود آدم في جنة عدن ، لا يرضى بأن يأكل الفاكهة ويكون سعيداً فقط .
ان صغر التكوين لا يقرر أن آدم كان يساعد الله في خلق حياة جديدة . وكما
فروسه الآن عاد لاهوت اللاهوتي يحتوي على الاعتقاد بأن البفظة كانت
مسرورة : ان الانسان لم يكن يختلف عن النبات . لو لم يأكل من شجرة
الحمر والشعر . وهكذا فان عقيدة بولس في المسيح المخلص تهاوى كلها
او علنا في الاعتبار . أما بالنسبة لوضع الانسان في العالم فان هذه العقيدة تفرض
ان الانسان في آسافه غير كامل وان هدفه النهائي هو ان يصبح مثل الله . والا
فإنه كان كاملاً كمال ابيك الذي في السموات . ولكنه لا يترك كما حصل
المسيح أن الانسان لا يستطيع ان يصبح مال الله بجهوده نفسها . وعلى أية حال
وال عقيدة بولس هذه قد صارت أساس المسيحية والعمود الفقري لكنيسة

• (الانسان المرمسار) دوستوفسكي مرحفنة اوس (زكي حسي) وال علم هذا

ولكن هذه العقيدة نفسها عرضت الكنيسة إلى النقد أيضاً - الذي وجهه لينته -
إذ قال ان المسيحية هي دين الكلاب المرجاء . لقد كانت دعوة المسيح في
حومرها دعوة إلى النظام والقوة : أما بولس فقد حولها إلى دين صار ملاذاً
للدعويين والخائفين . أما الاقوياء الذين اتسوا إلى الكنيسة - كالكفديس
بوصطين وجورج مورس ومن لف لفهما فقد فعلوا ذلك للسبب المعاكس ،
اي لانهم اقوياء أكثر مما يجب : ولأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون بقوتهم هذه .
هم كالاشجار التي تنمو بحمل فاكنتها . وهذا هو لماس الجاح الذي صادته
المسيحية . اتساع دعوته وشموها القوي والضعيف . الذكي والفسى . ضعيف
الروح وقويها . وقد عبر لينته عن احترامه لمؤسس المسيحية واحفظاره للكفديس
بولس الذي سماه " باسكال البهردي " . وقال عنه انه ميال إلى العزوفات
والمر . وأنه رجل مصاب مشوره بذهابه الشديد إلى موجه أن المرء يلبي
له أما فهم لينته ، للاعلام في الطريق إلى دمشق ، فهو كما يلي :

• وضاعة برقت في ذهنه لفكره تصاحبها رؤيا (وهذا طبيعي في شخص
مصاب بالنوبات العقلية والصمية مثله) ولاح له ، هو المختصس للقانون الخطيئة
والذي يعاني في أعماق قلبه من هذا القانون نفسه ما يعانيه لاح له المسيح في
الطريق الخالي متشجاً بشماع الله . وصحح بولس صوتاً يقول له : لماذا تتبعني ؟
أما ما حدث بالفعل فهو كما يلي : لقد أضاء ذهنه بالفهم فجأة وقال لنسه :
هنا طريق الخلاص ، هنا الانتقام الكامل . هنا اجد في يدي ما يحطم لسانون
الخطيئة . • وضاعة صلو ذلك المقلب بكبرياله المهان عادداً . وتلازم رأسه
الحنفي لأن الاخلاقي قصتها تلاشت ومحطت - لقد تم ذلك هناك - في سوق
الصلب ! • (٣)

ويجب علينا ألا نعتبر تحليل لينته مجرد محاولة مترة لفضح بولس . لأن في
أعماقها يكمن ادراك شاعر لما حدث في ذهن شاعر آخر . ولا يقلل من أمر
بولس أنه كان مريضاً في عقله وأنه وجد له علاجاً في المسيحية ، لأنه لو كان
ذلك صحيحاً لصح بالنسبة لينته أيضاً الذي كان مريضاً حين باعته فكسرة

زراعت. لقد اعترض نيتشه على فكرة المسيح المخلص فقط - وظل يعارضها بمحاربة طيلة حياته ، أما نية المخلص العظيم زراعت فانه يطلب من تلاميذه ان يسوه ويفكروا بأنفسهم . هو لا يريد التلاميذ والانابع وإنما يريد الانقاد . وقد شعر نيتشه الذي هو نفسه نبي من الطراز الاول . بأنه يجب ألا يفكر في تحمل أعباء تلاميذه وضمهم (وهذا غالباً ما يكون مصير النبي يقود الآخرين) . ويصدق هذا حل المسيح الذي رفض أن يكون يهوذا المجدد ، القائد الاول وطلب من أتباعه يدلاً من ذلك ان يفتخروا ويكافحوا ويكونوا كامليين كافة .

ولكن القنن العام كان عمقاً . فالتاس لا يريدون ديناً يمثل هذه الشروط . قل لهم أنهم احرار بصورة طبيعية فمدهم ينكمشون امام هذا القصد ولا يستطيعون أن يسبروا في التريب القاق الذي يشبه اللاهوتي من أجل الإيمان . ان البشر لا يريدون ان يكونوا قادة أنفسهم خلقياً . كل ما يريدونه هو : خبر ومشهد يفرجون عليه . أما أولئك الذين يستطيعون ان يقوموا ببعب حرمتهم فانهم قادرون . وقد لاحظ نيتشه هذه النقطة التي قادته إلى عقيدته . العقيدة التي جعلته مكروهاً - « اخلاقية السيد والعبد » . التي تقول بأن البشر ينقسمون إلى سادة وسيد ، وان السادة يستحقون بقوة ارادة هائلة وقادرون على تحمل العذاب المائل وضبط النفس إلى درجة كبيرة . اما السيد فانهم ضطاء الادراك إلى درجة كبيرة ، وهم يريدون تطمين حاجاتهم المادية المباشرة وزعيماً يطهرهون وحيب . ومع ذلك فان عقيدة نيتشه لا تحلوان تكون تقرير الاخلاقية الكاذبة في حكاية دوستوفسكي عن المفتش العام . ان المشكلة التي نواجهها اليوم ما تزال المشكلة التي نواجهها المفتش العام : ان تعاليم المسيح التي تقول : « كن قالد نفسك ، لا تناسب أغلبية البشر . وكان في ومع دوستوفسكي أن يستبدل المسيح بيوذا في حكايته ، لأن ذلك الاعراض ينهض في هذه الحالة أيضاً . فقد علم يهوذا البشر أنهم مسؤولون أمام أنفسهم فقط بالنسبة لصلاتهم الخفية كما انه حذر البشر من قبله كرهيم ، وانما أراد منهم ان يتخذوا به مرشداً ليتدلوا به على

طريقهم الخاص . ومع ذلك فقد صارت اليودية ديناً عالمياً كالمسيحية : إذ نشأت الاساطير التي جعلت من يهوذا إلهاً ، وجعلت لألمة نشأة مقدسة ، وراح الناس ينسجون القصص عن رؤى الملكية والمصبرات والكورس السعوي الذي عى له حين ذهب إلى السماء بعد موته . وهذا كله يشير إلى حقيقة رأي المفتش العام وفكرة نيتشه عن السيد والعبد .

وهذه هي المشكلة التي تعترض في وجهنا عند تحليلنا لللاهوتي . دعنا إذن نلخص الامر :

كانت تعاليم المسيح تشبه تعاليم نيتشه ويهوذا : كن سيد نفسك ، وكافح لتكون كاملاً . ولكن لو لم يكن المسيح معروفاً إلا بهذه التعاليم لنسب الناس منه تسمية عشر قرناً . بيد ان المسيح مات وهو يعلم ان اليوم الاخير حيداً في الحال وانه سيكون الحكم . واتخذ بولس من هذا أساساً لمفهومه عن المسيحية وادعى بان الله قد ارسل المسيح ليعلن نهاية العالم وان المسيح يخلص الذين يؤمنون به من خطاياهم . وبعبارة أخرى فان قول المسيح : كن سيد نفسك ، للآخر . وحل محله مسيح آخر من اختراع بولس . مسيح يقول : « اعتبروني سيدكم ، وبذلك تحصلون حل شفاعي في يوم الدينونة (لأنني تقاهمت مع ابي الذي في السموات وانقذ أن أموت بشرط أن اكون حاكمكم ومخلصكم) . » وهكذا فان مسيح بولس يستحيل قلوب الناس أكثر من المسيح الأصلي . وكانت النتيجة انتشار المسيحية المائل .

ولم تعد المسيحية بعد بولس فكرة تخلص نفسك ، وانما صارت فكرة «دهي» اخلصك . ولهذا السبب تجد برناردشو يسميها الصليبية بدلاً من المسيحية .

وبعد موت المسيح برمن طويل انظر الناس يوم الدينونة بفسارغ الصبر . ولما حدث ذلك فسروه برحمة الله وحبره واعتبروا أنفسهم محظوظين . وعالم بعد يوح الديونة ركيزة المسيحية وحلت محل ذلك فكرة بولس القائلة بأن الله يحكم العالم الشر . لأن اليوم الاخير قد امتد إلى المستقبل البعيد .

وعلاوة على ذلك ، فإن الناس الذين يؤمنون بالمسيح ينتظرون هذا اليوم في الجنة .
أي أن الإنسان يؤمن بالمسيح لينسحب إلى الجنة .

لا شك في ان الكنية مهدت للحضارة والثقافة ، فهي في التمام الأول
 قدمت رجالاً يتخلون بالاعمال والانجازات الروحية ، أي انها اكملت على
 حصة الروح ، وكان ذلك لتغير البشر . لأنها اسبغت على أشد البشر حماسة
 وتعاونه معي من الانتماء إلى نظام كونه عظيم .

وبالاضافة إلى ذلك فقد حازت ملائكة اللاهوتي - لأن اللاهوتي هو من
 والمفارقة . فكانت الانسان إذا شعر بالفواضع التي جلبت المسيح - أي ملاحظة إلى
 البحث عن حياة أشد غزارة داخل إطار الكنية ، وصار بوصفه أنه يوجه طاقاته
 الروحية نحو هدف صالح . واللاهوتي الذي يفهم صمد العالم يتجه في الكنية
 الكاملة بالنسبة إليه لا بما تملن : أن ملكوتي ليس في هذا العالم .

ولكن الامور بصورة طبيعية سارت في حيز طرفيها الصحيح - فصاوت
الكنيسة لموية . واشتدت بذلك حلفاً وغروراً (*hybris* كما قال توبني) ،
واشتد سبلها إلى السلطة . ولم يعد اللامتعون يعتمدونها . ان اللامتعي يفتأ في
العامة لغرضياً . ولا يكف عن التهديد حتى يبدأ يفهم دواخه الروحية فوكر
ملاقاته على الحلق . ولما اشتد وثوق الكنيسة من قوتها لم تعد تنصير على الفترة
الموضوية التي يمر بها اللامتعي اولا . وفي القرن الحادي عشر ظهرت جماعة
اسمها (الباتريتيون) واعترضت على بيع وشراء ترغيات الكنيسة ومبايعتها
وبقية المحاذي . وكانت اياها يستخف هذه الامور وغيرها ليضع القس من
الزواج . وبعد فرف من ذلك حرم بينه والنس من حقوق الكية لانه تعرض
لنكاحها بالقد . وهكذا لم تعد الكنيسة واجبة في قبول اللامتعي الذي لا يريدون
ان يعصوا لسلطانها منذ البداية .

والحق أن الله يعتبر شخصية حذرة بعمل كافي في هذا الكتاب وقد

المستطوع (الفا) : $\frac{1}{2} \times (a + b) \times h$ ، a : القاعدة السفلى ، b : القاعدة العليا ، h : الارتفاع

كان ناجراً غنياً في ليون، إلا أنه باع أملاكه كلها خفية ووزع أمواله على الفقراء . ثم طفق يتجول ويمشط . وكانت أولى محاولات متعصبة على جعل الإنجيل سهلاً بالنسبة للملوك المال . وكان الإنجيل مكتوباً باللاتينية فقط . فأعطى بعضهم مالا يقوموا بترجمته . ولكن هذا أثار عليه سخط الكنيسة لأنها شعرت بأن سلطتها مستعرضة ، فصنعت والادعوا من القاء المواعظ . ولما رفض حرمة سنن حقوق الكنيسة . يد أن هذا لم يلقفه . ورد عليه قائلاً : إن الكنيسة الحقيقية هي في قلب الإنسان وأنها لا تحتاج إلى فس ليشرحوها . وكانت الكنيسة قد قامت بنظرة حياء حين حاجته . وكان اجنبي لها ان تحاول احتيايه . وقد وضعه هجتها عليه إلى أبعد مما كان يريد ان يذهب اليه . فاشفى إلى اعلان ان الكنيسة غير ضرورية البتة . و زاد عدد أتباعه و سمو أنفسهم الوالديين . وهكذا بدأت حركة قوية ضد الكنيسة في فرنسا . وظهرت طوائف أخرى مثل الأليجنسين والكانالوين واعتزلوا جميعاً بوحوب منح القسم ، وبأن الحكومة لا تستطيع أن تعاقب . وإن كل إنسان هو قسيس إذا « فقه الروح إلى ذلك » وأن الكنيسة الكاثوليكية ليست الكنيسة الحقيقية . وأعلنت جماعة الكاثالوين أن الكنيسة الكاثوليكية كانت في الحقيقة « بلي بابل » معبراً عنها بلغة الألهام وحاولت الكنيسة أن تقضي على المهرطقة بتعيين المؤمنين القليلين الذين دعوا إلى ما عاها أخرج في أحرار وتعديب وطلب أموال المهرطقة . وانحسب الوالديون إلى وديان مويسرا حيث لا نصلهم يد وهناك أسروا غلافات مع مصاحي « ووسرا والمنا .

ومكثنا صار الالتماسي حاصباً . وبدأ الإصلاح . وانصرفت ثلاثة أمون
أخرى قبل ان تلقى الكلية الصربية الكبرى على يد لوفو . ولكنها استمرت في
ذلك المين على سياسة الاصطهاد . وخاصة جون ويكليف (١٩٣٢ - ٨٤)
الكلية . وهو من أمانته اكسفورد . ورفض مثل وانو ان يطعمها . وكان
حاله مثل حال واللو . إذ دعت الكلية إلى مدى بعيد من العلة . وبدأ بكتابة
نومس اكديف على ان الكلية مع أن لا تدخل في القضايا الوقتية وان التمس

يجب ألا يملكون أموالاً. ولا امتلكت الكنيسة في اضطهادها إياه. ذهب إلى أجد من ذلك وأعلن أن البابا هو ضد المسيح وأن تحويل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه كان هراء. وحاول مثل ذلك أن يرسل البشريين وأن يحصل الإنجيل مفهوماً للناس القادحين. وصارت تعليقاته على اللاهوت أهمية عظمى. وكان معطوفاً لأن الكنيسة في عصره كانت متحيزة على نفسها ولأن كثيراً من الإنجليز كانوا يشعرون بأن الوطنية نفسها كانت متوقفة على جدل ويكلف وروما. ولما فقد أمده بالحماية. وظل ويكلف حراً غير مضطهد إلى أن مات نبوة قليلة عارضة حين بلغ الرابعة والستين.

أما جون هاس، المصلح من يوهيميا، فقد كان أقل خطراً. إذ أنه لم يكن في البداية يملك أي شيء ضد الكنيسة، وأما دعا إلى تطهيرها. وكان وطنياً. كما أنه كان معجباً بويكلف. وكان استاذاً في جامعة براغ. بيد أن مهاجمة الكنيسة له غادته إلى التطرف وأبعداً إلى حرمانه من حقوق الكنيسة. ولم يفل هذا من شأنه عند الناس، وأغراه البض بالذهاب إلى كونستانس ووصله بالحماية. إلا أنه قبض عليه هناك وحرق وأحرق. وقد أثّر استشهاده هناك شعباً لا كاثوليكياً في يوهيميا.

ولقد دفنت الكنيسة هاساً نعتاً اضطهادها لاهوتية. إذ لم يمض قرن على استشهاده هاس، حتى ظهر قيس الماني شاب اسمه لوثر. وهاجم فساد الكنيسة وبدأ بمهاجمة قبول المال مقابل غفران الخطايا وخلق محملاً وتبعين مرصعة ضد ذلك على باب كنيسة. وأصره البابا بأن يرجع عن هذا إلا أنه رفض وكتب كراساً أسماه «نقيف الناس» وهاجم فيه مخالف المخازي. وأصدر البابا ضده وثيقة استهجن أعماله فيها ودعا مرة أخرى إلى الرجوع عن أفكاره. ولكن لوثر كان حينئذ، فذهب إلى أجد من ذلك، وأحرق وثيقة الاستهجان علناً. وهكذا استخدم البابا آخر أصلحه فصرمه من حقوق الكنيسة. ثم عند البابا اجتماعاً في وورمز وطلب من لوثر أن يرجع عن دعوته. إلا أن لوثر أجاب بأنه لن يفعل ذلك إلا بعد أن تثبت له الكنيسة بموجب الإنجيل أنه كان معطلاً.

وصاح الجنود بالقوة في النار، إلا أن لوثر كان تحت حماية حاكم ولايته ساكسوني الذي قتله إلى قلعة فايمبرغ. واستمر خصامه مع روما أربع سنوات. وتبع لوثر الكثيرون من أبناء بلده. وكان لوثر في هذه الأثناء قد انتهى من ترجمة الإنجيل إلى الألمانية. وبدأ يصدر النشرات والكراتيس من القلعة. ثم بدأ يشير إلى القلعة قائلاً أنها «ملاذ». وبعد عام من ذلك عاد إلى كنيسة في فتمبرغ وواصل إصلاحاته هناك. وكان الإمبراطور شارل قد وقع قراراً في فرمز منهجياً فيه لوثر واتباعه. بيد أن الشعور العام كان مع لوثر إلى درجة أنه صار من المستحيل تنفيذ ذلك القرار. وأخيراً - بعد ثلاثة قرون كان فيها للمصلحون اضطهادهم ويقتلون - صار الإصلاح أقوى من أن تستطيع الكنيسة مقاومته. وبدأت سلطة الكنيسة تتدهور في جميع أنحاء أوروبا. وأما في سويسرا فقد أسس كالفن الكنيسة البروتستانتية في جنيف. وأما في إنكلترا فقد هاجم هنري الثامن البابا وحل الأديار. وهكذا انقلبت الأمور ضد الكنيسة.

ويجب علينا أن نلاحظ هنا أن الإصلاح لم يكن موجهاً ضد مسيحية بولس أي أنه لم يكن يمثل ثورة لصالح فكرة المسيح القائلة بخلص نفسك. على العكس، إذ أن لوثر أكد على فكرة تخلص المسيح أكثر من تأكيد البابا عليها. لقد كان لوثر في صدر شبابه كقسياً قلقاً مكتئباً بشأن خلاصه ومعلماً يتحوف من أن يكون ملعوناً. وكانت هواه الجنسية قوية. وهرينا التاريخ أنه كان مغروراً لا يعرف الصبر. وكان يتشبع بغد ذاتي كاف ليحمله يشعر بأنه لم يكن كاملاً مطلقاً. وكان ذلك في لفته يعني أنه كان ملعوناً. وفي ذات يوم طارت يده فكرة «التبرير بالإيمان»، أي أنه شعر فجأة بـ: «أني ناقص تماماً ومخطئ». إلا أنني أؤمن بالمسيح وأحب من كل قلبي. لا يمكنني هذا ليخلصني؟ ثم قرر أن ذلك كان كافياً. وصارت فكرة التبرير بالإيمان أساس تعاليم لوثر. ومن الواضح طبعاً أن هذه الفكرة تؤكد على المسيح أكثر من تأكيد فكرة بولس عليه. وقد أظهر نيتشه براعة فائقة في تشبيه لوثر ببولس، كما أنها أقل من فكرة بولس تأكيداً لفكرة الإنسان على تخلص نفسه بتابع نظام ذاتي. فما

حول لوثر التأكيد من النظام الثلاثي والبقاء ثابتة على المسيح المنفصل . وهذا السبب فإن البروتستانتية هي أقل اقناعاً من الكاثوليكية . إذ ليس هناك انسان سوا الدين من ذلك الذي يتعاطف شعوره بالخطية وبعبء ضميره . وقد أكد كاتلين أيضاً - وهو مريض كذلك - على فكرة المسيح المنفصل ، ولهذا فإن نتيجة الإصلاح البروتستانتي لم تكن اصلاحاً للمسيحية وإنما كانت اصلاحاً للمسيحية بولس .

ولكن ثورة أخرى كانت في سبيل المدعوين ، ثورة لشدة أهمية من الإصلاح البروتستانتي . كان لوثر في لحظة من لحظات عذابه قد قال : «إن الناس يصغون إلى المنجم الذي يحاول أن يريهم الأرض وهي تدور ولا يصغون إلى السماء ...» وكان هذا المنجم هو كوبرنيكوس الذي استطاع في كتابه « عن ثورات الأجسام السماوية » أن يقدم النظرية القائلة بأن الأرض تدور حول الشمس خطوات إلى الامام بدلاً من الفكرة القائلة بأن الشمس تدور حول الأرض . وافق زعماء الإصلاح - لوثر وكاتلين وغيرهما - مع الكنيسة الكاثوليكية على شجب كوبرنيكوس . وسجن جيوردانو برونو وهو فاس دومينيكي سبع سنوات واحرق في عام ١٦٠٠ لأنه أبدى نظرية كوبرنيكوس الفلكية . ورجع البروتستانت والكاثوليك معاً إلى المصدر الوحيد - الانجيل - ليثبتوا أن الأرض هي مصدر الكون وأن الشمس والنجوم خلقت لتب الأرض الضياء . وظهر العالم الفلكي العظيم غاليليو غاليلي (١٥٦٤ - ١٦٤٢) إلا أنه اضطر إلى الحضور أمام هيئة التفتيش لأعلان بطلان « رأيه المهرق » الذي قال فيه ان الأرض تدور حول الشمس ، ولم ينج من المصدر الذي لقيه برونو إلا بعد انكاره هذا الرأي . وسجن كاميات لا وهو دومينيكي آخر لمدة ثمان وعشرين سنة لتفكيره العلمي . واحرق لوسيلوفاتيلي للسبب ذاته . وكان رينيه ديكارت مؤسس الفلسفة والرياضيات الحديثين على وشك إصدار كتابه « العلم » الذي يرتكز على نظام كوبرنيكوس . سجن سبع بقضية غاليليو ماخى كتابه في الحال . وبعد موته تم « مع كتابه هذا في قائمة الكتب التي منعت الكنيسة الكاثوليكية تداولها .

والرغم من كل ذلك فإن عصر الصحح الاستدلالي كان قد بدأ . واستمد

قوته من اصطهاد الكنيسة - البروتستانتية والكاثوليكية - ولم تقل الكنيسة البروتستانتية عن الكاثوليكية في هذا الشأن ولأن كاتلين احرق ميتاتيل سرفوس لأنه نكر الاقاييم الثلاثة . وكان ديكارت مؤسس الاستدلالية الحديثة . وكان جوهر فلسفته يكمن في الشك . وكان ديكارت نفسه كاثوليكياً صالحاً ، وقد اهتم اهتماماً كبيراً بشق طريقه وسط الشك إلى الكاثوليكية ثانية . إلا أن المفكرين الذين جاؤوا بعده لم ينطلقوا بالكاثوليكية ، وإنما مسحوا لبدأ الشك في كل شيء ، بأن يدمر كل اعتقاد . وسوئل عصر بليك - أي بعد قرن - صار الشك العلمي مألوفاً في كل مكان إلى درجة أن بليك عبر عن رد فعل عنيف في قصائده ضد :

« اذا شكك الشمس وشك القمر

فطيهما ان يخرجا » (١)

واشتد كره بليك « للطريقة العلمية في التفكير » إلى درجة انه هاجم نيوتن وجميع العلماء والفلاسفة في عصره . ولكن الشك العلمي كان الغالب على تفكير العصر . بل انه استمر على ذلك منذ ذلك الحين . وتبعث ثورة بليك ضد نيوتن وهيرم ثورة كبركفارد ضد هيجل وكانت ، وثورة دوستوفسكي ضد مابرمه الشك الاوروية كلها . أما في عصرنا فقد واصل وايت هايد وهابديفسر تلك الثورة على أسس مختلفة . ومع ذلك وسواء كان ذلك خيراً أم شراً فإننا نحب ان نذكر اننا في عصر الشك الآن .

لقد جاولت في الصفحات الماضية أن أبين ان المسيحية لم ترتكز على تعاليم المسيح - تعاليم النبي الامسي - وإنما ارتكزت على عقيدة ميتافيزيكية اخترعها بولس وصارت أساساً للكنيسة الكاثوليكية التي حصلت ببلدة غناهمسا معها . لأنه لم تكن هناك الا حطوة صغيرة بين القول بأن المسيح يستطيع ان يخلص البشر من خطاياهم وبأن الكنيسة تستطيع ان تفعل ذلك أيضاً مقابل المال . ولما نال لوثر ضد العباد استخدم فكرة المسيح المنفصل أيضاً لتأسيس مسيحية جديدة عليها . ولكن العصر العلمي كان يظن ان الدين شيئاً مشككاً

وفي عصر بليك كانت هناك بالفعل حركة بين الناس علمي التفكير تهدف
الى اعلان ان الدين كان أمراً حقيقياً عادياً ، وقد سموه « الدين الطبيعي » وحاشه
لبك طيلة حياته ، واعتبره مثل يونس ضد الالهام :

« عقل عادي حاد شغوف بالاستدلال

لم نعه يوماً عينا فليس

ولا عينا سكران .. » (٥)

ولكن المتدينين الطبيعيين لم يكونوا يهينون جداً عن الحقيقة ، فقد أرادوا هزأ
ولكنهم قلوا الميركات والميركات التي جاء بها بولس .

هذا هو الموقف الذي يواجهنا اليوم اذن ، فالكنيسة ما تزال تستخدم فكرة
المسيح المخلص باعتباره حجر الزاوية ، ومن الناحية الاخرى نجد العلماء والفلاسفة
الاستدلاليين ومعظمهم قوم لا يملكون شيئاً من الخيال أو الالهام ، ويصف بسبب
هؤلاء وأولئك أناس يؤلمهم شعورهم بأنهم لا ينتمون الى أي جانب من الجانبين
الحيانيين . ان اللامتبعين لا يرون تفسير العلماء فاعالم أكل سخفاً أو بساطة من تفسير
الكنيسة له .

وهنا يواجهنا سؤال دقيق وهو : أيكون اللامتبعي قريباً الى درجة أنه يستطيع
ان يتقن أسلوبه الخاص به وطريقته في التفكير ، وان يحمل حضارة بأكملها
شعر متناه ؟

طريقة اللامتبعي في التفكير هي : الوجودية ، ولكن في الوسخ لحياتها دينية .
أيها طريقة في التفكير تشبه الطريقة الدينية في اعتبارها الانسان مشرع كلاً
الكون ، لا مجرد مراقب أو مشاهد . انها تعتبره كالعالم الطبيعي الذي يفكر الذي
الكون خلال منظوره الكبير وبفضم فائلاً : « مهم ؟ » « بل يجب ان يكون »
تقرر ان أهم حقيقة بشأن الانسان هي قابليته على تغيير نفسه . ولكن كل العلماء
والمصلحين الاجتماعيين أحضروا في ادراك هذه الحقيقة . وهم يعتقدون ان الأمر
الوحيد الذي يحتاج الى تغيير هو الطرف الذي يعيش فيه الانسان ، أي عيطة .

وعند يفرغ الى التقدم ، وبذلك يصبح الانسان كاملاً

ان كل بحث هنا الكتاب ، وكذلك « اللامتبعي » موجه نحو اظهار هذا
الخطأ الضحل ، والطريقة الوحيدة التي يمكننا أن نفعل ذلك بها هي في توجيه
البحث الى داخل عقول اللامتبعين . وقد برهنت ذلك الى اظهار أن حل مشاكل
اللامتبعي ليس بسيطاً ، أي ان حلها لا يمكن مثلاً في دهايه الى المحلل النفسي
ولا في الانقياد الى الحزب الشيوعي .

اللامتبعي هو الانسان الذي يكافح من أجل السيطرة على عقيدته وعلى الحضارة
التي تتحكم به ، وتحاول أن تسلبه شخصيته . وقد اعتقد هيس بأن اللامتبعي هو
أهل أشكال الحياة التي عرستها الحضارات .. وأنه يأتي بالدرجة الثانية بمسند
النبي . واعتقد نيتش بأن اللامتبعي هو مصعب الطريق نحو السوبرمان . أما عند
فرويد فاللامتبعون هم أولئك الذين يحلون مشاكل الحضارة ويقونها الى قيد
الحياة . وفكر كون اللامتبعين أقلية متخرفة حائرة لا تحكك أسلوباً ولا فلسفة
يعطونهم مدني الفاتنة تماماً

ومن المنحيل علينا أن نشر هنا الى النتيجة النهائية التي انتهى اليها جهودنا
جميع اللامتبعين . بل ان الأمر أشد تعقيداً من أن نتاح في الاشارة اليه هنا . اذا
استطاع الانسان ان يغير نفسه ، عليه أن يجد وسيلة معينة لفعل ذلك بها . أي
انه يجب أن يجد نظاماً معيناً . وفي اللحظة التي فُقد فيها يبحث علماء اللامتبعين أو
الفلاسفة والمتصوفة تجد أنفسهم مضطرين الى ادراك أن الانسان لا يعرف منس
هو . أما حضارتنا اقلية ، التي تلوح واقفة من نفسها ومن أهدافها ، فلهي
تساعد فقط على انخفاء الانسان عن نفسه . ونحن حين نبحث أمر بشر مثل واسو
وريلكه نشر بأننا نواجه تركيزاً حياً أشد عمقاً ومستوى حياً ، يعمل
في طياته « ماني » أكثر من الخلق التي تليها منظمنا ، ولكن ريلكه وواسو
لم يحلوا المشاكل التي أحسوها في أرواحها الأشد عمقاً ، ولم يزد في هذا حل ما عمله
ماني . نيتش وحسن وحسن وحسن

« في المبدأ لا توجد الفارغة حيث جاء ان .. »

فلما أن بحث عما إذا لم يكن في الامكان اعطاء جواب أكمل وأوسع لمشكلة
الامتصاصي . أنها مشكلة الرؤيا والتمثيل . مشكلة كيف يمكنك أن تصح امتصاص
رؤيا

ولا يمكننا إلا بعد بحث هذه المشكلة كلياً أن نشعر بأننا مستعدون لبحث
المشكلة الأخرى . مشكلة موت الحضارة .

الفصل الأول

بوهمه

ولد جوقس بوهمه . المصروف البروسياقي الكبير . في عام ١٥٧٥ . أي
حد عشر سنوات من مولد شكسبير . وكان ملك في قرية قرب برلين في سيليشيا
الألمانية . وهو يختلف عن لوتر في أنه من أبوين فقيرين لم يستطعا تثقيفه . ولم
ينجح له كماوتر أن يعرف الجرامنة أو الشعر في اللاتين . وكان عليه لقباً طويلاً
من حياته أن يكسبه عيشه بقرق الخبز . والمزعم من ذلك فقد أصبح قبل موته
بقبل شخصية هامة وانتشرت شهرته في كل أوروبا .

وهذا . كما سئى . من الأمور المدهشة في حياة معظم المصوفين الكبار .
أن يزوجهم حذوق تعاليمهم بالرغم من تيار حياتهم الماكس . والتجسّص لا
يأتيهم سوى . وسعد . كما أنهم لا يستطيعون أن يقولوا كما قال ميكوت
من حركته . هذا لأنهم يقولون للناس أنهم شعرون مثل شعور أي
نساء إنهم . بعد أن يلبسهم . فيرى عاصفاً صافياً يذكرو . ومع ذلك فقد كان ثابت
لهم . هناك قوة هائلة في أمثال هؤلاء . فجاء إلى حريمه أو أعزاف من العالم
الحار في . وهذا هي علامة المصوف الحقيقي .

هذا المصوف كان ديراً قليلاً من أولئك الذين حثت أمرهم في اللامتنع .
لكن أن يقال عنهم أنهم . فقد . في الحقيقة أن نفقد سنته

وفان كوخ، ومن الناحية الأخرى، هل يستطيع أحد أن يتصور أن دوستوفسكي كان ميثقل عاقلاً لو لم ينجح في قصته الأولى « الساكن » ؟ بل إن نجسكي كان ميثقل عاقلاً لو أدرك الناس ما كان يتمتع به من صفات روحية غير عادية، ولو لم يعتبروه مجرد لعبة باوغة في الرقص. لقد دمر التبحر سكوت خريج لده ولكن القتل كان ميسره بصورة أشد وأسرع. وكان مؤملاً أن تتطور مواهبه وأمبر الأدبية تطورا آخر لو أنه وجد الاهتمام المناسب حين عاد إلى باريس بعد كتابته « فصل في الجحيم ». كل هؤلاء - ما عدا فترجرالد - كانوا يتمتعون بصفات المتصوفين، ومع ذلك فإنهم لم يحظوا بثقل الفلسفة الأخيرة من القوة.

لا شك في أن الأمر متوقف على القوة. أنا لتذكر صديق ماوسيل في ذراوية من بيت مسر سوان، الذي لم يستطع أن يغير والد ماوسيل ما إذا كانت السماء تمطر أم لا، لأنه كان غارقاً في عالمه الداخلي إلى درجة أن حواسه كفت عن اختياره بما كان يحدث في الخارج. وهذا ما يحدث للمتصوف أيضاً. نجد هذا أيضاً في أكسيل، بطل مسرحية جير دو نيل آدم: عدم اهتمامه بالعالم الخارجي.

ولكن هذا هو الجانب السلبي فقط من المتصوف. إن المتصوف هو قبي كل شيء « در حالة عقلي ». (كما قال بليك في عنوان إحدى قصائده). ويجري بحثه في مناطق غريبة من الروح الانسانية. وهذا هو ما يميز اللامتسي عن المتسي. إن اللامتسي -- كما حاولت أن أبين -- هو الإنسان الذي يكافح ليكون متصوفاً.

ونحن حين ندرس حياة المتصوفة فإننا نهمل نهائياً وجهة نظر اللامتسي. يبدو أنني كنت حتى الآن أحاول أن أحفظ بالصلة بين وجهة نظر المتسي وبين البحث، وكنت أقارن هذه النظرة دائماً بنظرة اللامتسي. أما الآن فقد انتهى ذلك، لأننا سندخل إلى أعماق عالم اللامتسي الداخلي.

يعتبر يومه « لاسباب كثيرة » أقرب إلى المتصوف التي يستطيع أن يعدها

المتسي. فهو ليس المتصوف الذي يحمل العالم المادي نهائياً ويحدث عن وسعته اللامعرة. وعن « موت الإرادة ». ويمكننا أن نوضح هذا أكثر بالإشارة إلى كتاب حديث يسجل فيه شيء من صوفية يومه وهو د. ه. لورنس. إن هذا أن يصف في فصل طويل اتصالاً جنسياً بين كونستانس تشارلوت وصاحبها يبدأ بوصف انطلاقها خارجة:

« وبينما كانت تسرع في طريقها إلى البيت عند الغروب لاج لها العلم حلماً، ولاحت لها أشجار الخديقة شاهقة وكأنيما قد ألقت مراسيها فوق الماء. وأصحت بان المحلح المتهجج نحو البيت كان يفيض بالحياة. (١)

ولم يكن لورنس بهذا أن الليدي تشارلوت كانت تعاني الوهم، أو أنها كانت تتخيل أشجار الخديقة شاهقة وكأنيما ألقت مراسيها فوق الماء. وإنما غيرت نشوئها البغية رؤياها للعالم ولم تحوها إلى وهم. فقد جعلتها تدرك العمق الحي للظفرة في ذاتها، فطرة قادرة على تغييرها وتغيير رؤياها للعالم.

أما عند يومه فإننا نجد هذه الرؤيا نقيّة تماماً لم تشوهها الرومانتيكية المربكة التي جعلت ت. س. اليرث يقول عن لورنس إنه مهروط. لقد كان نقياً من الأرائك والبقع التي يلوح لها تظلل من شأن أعظم كتاب القرن العشرين.

ونستمد معظم معلوماتنا عن حياة يومه على مقدمة صديقه جون براكتيرج التي صدر بها مؤلفات يومه الكاملة. ولكن المعلومات التي يزودنا بها براكتيرج قليلة إلى درجة أننا نترك مقدمته ونحن لا نعرف شيئاً عن يومه أكثر مما نعرفه عن شكسبير مثلاً. ويقول براكتيرج أن يومه كان من « الطراز الخلفي » في صباه وأنه كان ينجب عن الوعي وبذلك حين كان يومه المائيه. ونقول إحدى الأساطير عنه أنه تساق يوماً ثلاثاً يدعى لانتسكرون ووجد في فته كهفاً بتألف سقف مدخله من أربع مسخو حراء. وغر خطف الاحشاش التي كانت تملأ المدخل على « وعاء كبير » ملي بالقود. فاطلق خارجاً من الكهف وهو من مور واحد « الصية الآخري » بذلك وحساد مهم إلى فة التل. ولكن الكهف كان قد أحصى ونحسب معه القود. وبعد براكتيرج هذه الحادثة بشراً « يسخر

بوجهه الروحي الى كثر الحكمة المقتضية ، ولكن هذا الرأي يلوح مباهلاً فيه . ولا يدل هذه الحادثة الا على ان بوجهه كان شديد الخيال في طقوله بصورة غير عادية وان ذهنه كان مليحاً بالخيالات عن العصابات والكثير . ولعله كان قد اخترع قصة الكهف ثم صدقها هو نفسه بعد ان اعادها على سامع الاولاد .

ولما كان بوجهه غريباً لا يصلح للعمل في اخفى فقد دبره ابواه على صناعة الاحذية . وهنا لدينا اسطورة اخرى من الاساطير الكثيرة التي تروى عنه . فيها كان وحيداً في الدكان ذات يوم دخل غريب وأراد أن يشترى زوجاً من الاحذية . ولكن بوجهه لم يشأ أن يبيع شيئاً في غياب ماله . ولهذا فقد طلب سيرةً عاليها جدياً ، لولوله من اله لئن تناسب الرجل . يد ان الرجل دفع المال في الحال وذهب بالخلاء . ولما صار في الشارع صاح متادياً : « تعال هنا يا بقوب ! » فالتفت اليه فخرج اليه ، فقال له الغريب : « انت صديق الآ يا بقوب . ولكن يوماً سيأتي وتصبح فيه غنياً ، وستدعني العالم كله . ولهذا يجب عليك ان تكون ثقياً وان تحافظ اقد وتحرز وصاياك وتقرأ الكتاب المقدس لتجد فيه الراحة والفرح ، لانك ستفسي الشقاء والحزن والاضطهاد . » وقد يكون هذا صحيحاً أو لا يكون كذلك ، لانا لا نملك دليلاً على صحته . ولهذا عجزت ان احكم ان نستنتج منه الشيء الكثير .

وأتبع بوجهه نصيحة الغريب وقرأ الانجيل (وكان لوثر قد ترجمه الى الالمانية قبل حسن عاماً) . وكان الانجيل هو الكتاب الوحيد الذي كان متاحاً لصانع الاحذية أن يقرأه . هذا اذا كان ميلاً الى القراءة . ولا شك في ان بوجهه ضاع روحاً بحالته زملاؤه وصحافاتهم تماماً كما يشعر اي نايقة نحو زملائه . وكان يشعر اعدائهم ووسائل تسليةهم من الامور الضعيفة التي تبث على الكاهن والسامع . وهنا يمكننا أن نتذكر جورج فوكس في صباه في الحانة أو في آقوستون :

« وبعد أن شربنا قديماً ، بدأوا يتساقون الخاب وبطيون الخمر من الشراب متفعلين بما بينهم على ان لا يشرب يدفع ثم الشراب كله . » « حارجت منظمة من القود ووضعتها على المنضلة وقلت لهم : « اذا كان الامر كذلك ، اني

التركيب . . .

ووجد رب الفصل وزملاؤه انه غير ميل الى احد أبناً لطردوه غاليين : « انهم لا يرمون شيئاً في المحل ! » وكان اذ ذاك في حوالى السابعة عشرة ، فانتقل يحب ابناء المانيا . وكان ذلك الوقت وقت شقاق وخلاف وشقاء بالنسبة للألمان . لان كتيبتهم كانت منظمة على نفسها ، ولأن الامراء كانوا يتنازعون فيها بينهم . وبدأ بوجهه يشعر اثناء تجولته بكرة نحو الكنيسة كذلك الذي يشعر به جورج فوكس ، ووصف الكنيسة يوماً بأنها « ماعور ووحشي » . ثم عاد الى غرلتر وتزوج من كاترينا كيتشمان التي كانت ابنة نصاب . ولما كانها كانت زوجة حاملة تماماً كزوجة بليك . وقد ولدت اربعة اولاد .

ولما بلغ الخامسة والعشرين حصلت له اول تجاربه العظيمة في الادراك البصري . فقد رأى رعاة مذنبيين أسود اللون كان سطحه الخفاف ينعكس اشعة الشمس . وجملة انعكاس الاشعة ينرق في ذهول شديد نشوان ، واستولى عليه احساس غريب ، ولما انه نفذ الى اعماق الطبيعة كلها وفهم العالم والمشي الكامل فيه . وانطلق في الحقول وظلت تلك الرؤيا معه ، وبما عليه انه كان يستطيع أن يرى أعماق الاشجار والحشائش وكأنها كانت من زجاج وكان يطلع في أعماقها نور .

وبدا يبرهن نفسه عدداً لهيئت تلك الرؤيا لآلية ، وكان يطلع في ذلك في ومضات قصيرة . ولم تنصرف افكاره خلال السنوات العشر التي أعقبت ذلك من مشكلة تلك الادراك — ولما به المفاجئة قطيعة ككل والاحساس الذي كان يحس به حين كان يجد نفسه معادراً على التأكيد على أي شيء . وكان باواسيلس قد قال : ان انساناً لا يرى يستطيع أن يرى جوهر الاشياء : « اننا نستطيع أن نضد الى أعماق الطبيعة تماماً كما تنفذ أشعة الشمس في الزجاج . » ولعل بوجهه قرأ باواسيلس خلال تلك السنوات العشر . أي بعد أن رأى رؤياه تلك ، ومن المؤكد ان ذلك الفيزيائي والكيميائي العظيم أثر تأثيراً كبيراً على افكاره

يوهمه . . وفي نهاية تلك السنوات العشر ، أي في عام ١٦١٠ ، حدثت رؤياه
الظلمية الثانية . . وكانت عبارة عن رؤيا مغالبة تضم جميع رؤاه السابقة
وتجمعها في رؤيا واحدة كاملة :

« فحدثت النبوة في ، ورأيت وعرفت في مدى ربع ساعة أكثر من
كل ما كنت سأعلمه لو كنت درست في الجامعة عدداً من السنين . . » (٢)
وكانت نتيجة هذه الرؤيا أن شعر يوهه بدهاشم ينفضه إلى كتابه ذلك
كله - وإلى توضيحه توضيحاً منطقياً . وبدأ يكتب في أوقات فراغه .
ومضت المخطوطة تسع شياً فشيئاً ، وسماها « Morgenshten » . ولكننا لا
نستطيع أن نقول عنها أنها توضيح رؤى يوهه توضيحاً منطقياً . ويوضح
يوهمه قائلاً :

« لم يكتب الفن هذا ، بالإضافة إلى أنه لم يكن لسدي الوقت فكانني
لاواظب على الكتابة . . وإنما تم تنظيم كل شيء وفقاً لتوجيه الروح . . » (٣)
إن يوهه خامس - بل إنه لم يستقبل أحياناً فهم معانيه سواء كان
ذلك فهماً عقلياً أم فطرياً . ولاقتطف هذا القسم الذي اخترته دون تخصيص
من « Signatura Rerum » :

« وهكذا يريد الندم أن يرفع . ويندور كالدوامه ولا يستطيع . لأن
الاصوبة . أي الرغبة ، تبقى وتجبس ، وهكذا يبق كالفنط أو كمحيط
الباردة الذي (لا يستطيع أن يتحرك من مكانه) فيلدور ، وينشق المزيج

« بارميس : دعا ليوغرافوس فون حوهمهم لنفسه هذا الاسم (ولكنه قد رده الله
عليه بطله جيلس ، وكان هذا من الصلابة الأولى في الانعطوف الجديدة) . وقد ألقى
بمأسرات في الطب في ساحة بزل ، ذلك في عام ١٥٩٦ ، ولكن أحياناً قالوا عنه أنه لم يكن
يحمل شهادة خاصة كما أن أسلوبه الأرسطو ، شيئاً . رمت وهو في الغدوة والفسير
إلى سطره من مندر محرق حين كان سكران . وتجبر محامته في قلب مزيجاً مسن لخرام
البلاد الملهمة .

« رجم أفراتيج : ذكر خريطة أخرى سابقة لهذه الشهادة حين يقول وهو مال الست
المدور . . » وقاد ، وقاداً في الصياء المقدس جنة صعداً و »

في الرغبة ، أي الجوهر ، أو تضاعفه الرغبة . لأن الدوران يولد ارتباطاً
وتنمناً متباينين ، وسما ينشأ الغضب . أي الألم ، الشكل الثالث (أو لسة
الحس) . (٤) :

(ولعل من المناسب هنا أن أضيف أن « Signatura Rerum » ينسب
أسوأ كتبه وأكثرها تنبيهاً لعزم الفاري . على مطالعة بقية مؤلفاته .)
ومع ذلك بقي هذا الكتاب الأول الذي سمي بسد ذلك اورورا ينسج
غوض يوهه بين الجفن والجفن المجال لتقاطع يلوح فيها إدراك لافد يعب
عنه يوهه بلغة واضحة دقيقة .

ولكن هذا الكتاب سبب ليوهمه مشاكل كثيرة ولهم أنه لم يكن قد أنهاه
بعد . إذ بينما كان مستمراً في تأليفه كانت مخطوطاته تنقل إلى أيدي أصدقائه
ومعارفه . وقد استمار المخطوطة نيل اسمه كارل فون اندون واستنسخ منها
بضع نسخ . ووقعت إحدى تلك النسخ في يد قسم البلدة خريغوريوس
دختر البروستاني . مض وخبر هذا لانه وجد أن يوهه كان يمر عن آرائه
وشروحه للابجيل دون أن يلوح عليه أنه منهم بمن قد تفضيه تلك الآراء أو
بالجهة التي تتعارض مع آرائها . لقد أغضب وحزن أن هذا التكرار ، صانع
الاحلية ، يعلن أنه مستقل تماماً عن أي تقليد أو أية سلطة :

« حتى إذا جاء ملاك من السماء وقال العكس فإني لن أصدقك ولن
أهمه . لأنني سأشك دائماً ، أما حين تغش القسم المروحي فلذلك هو
بقيتي » (٥) :

هذه هي الوجودية بعينها - بالمفهوم الذي عرفتها في « الالامنتي » -
وغض تام لقول أي شيء على أساس الثقة ، وسأحاول أن أبين أيضاً كيف

« Mupranit » (وأرجو لا يفسر . الإنشاء إلى كتاب فينش الحلق بعد نص
منه لثمة) وفيه عدة أسواق مدونة : (١) ملك يفي أجزاله في موصه ديلو
أور (٢) ملك يفي أجزاله في موصه ديلو
الملك (٣) ملك يفي أجزاله في موصه ديلو

ان يومه مليء بالوجودية . وعلما أمر متناقض تماماً مع ما يقوله مؤرخو الفلسفة عادة لانهم يصرحون بأن يومه هو مؤسس المثالية الالقية - خاصة مثالية هبيل .

وفي صباح أحد الايام كان يومه جالساً في الكنيسة وأدعته ان يسمع القسيس بنهجم عليه مباشرة . فقد كانت موعظته تدور على الاتيياء المزيفين ، وكان رغبته ينشر الى يومه ويصعب احتقاره عليه . ولا كان يومه طيباً هادئاً الطبع فقد قابل القسيس بعد ذلك وعبر له عن رغبته في اصلاح خطه اذا كان خطئاً . بيد أن القسيس صرح في وجهه قائلاً : « امس خلفي ايها الشيطان ! » وقال له ان عليه ان يقاتل المدينة في الحال . وفي اليوم التالي استدعى اعضاء مجلس المدينة يومه وأمره بمحاربة المدينة في الحال . ولم يسمحوا له برؤية أسرته واقتادوه الى خارج الأسوار . ولا شك في انه قضى ليلة كئيبة خارج الاسوار متأملًا في الاضطهاد الذي يمكن ان يخل في الياء الله . ولكن اعضاء المجلس عبروا بأهيم في الصباح التالي وصحوا له بالعودة . ويقول احد المتعلمين ، وهو بلوثونوموس سكوليبس (من تلامذة باراسينس واحد الكيسانيين) ان يومه قضى ليلته في السجن . ثم أطلق سراحه حين اطلع اعضاء المجلس على المخطوطة ولم يجدوا فيها شيئاً لوثياً . ولكن رغبته اشترط ألا يعود يومه إلا اذا تمهد بأن يكف عن الكناية في المستقبل ، فوجد يومه بذلك .

وبقال ان رغبته اذار ظهره ليومه لأن يومه كان قد لام القسيس يوماً ما بسببه مشكلة تخص أحد اقارب يومه الذي كان رغبته قد عدده في صفقة تجارية . ولكننا لا نرى ضرورة للبحث عن دوافع اخرى وراء اضطهاد رغبته ليومه ، لأن الكتاب وحده كان دافعاً كلياً . فالوضع من غرض الكتاب الشديد فقد قال يومه أشياء كثيرة ضد الكنيسة اللاهوتية ، أشياء واضحة تماماً . وحتم الكتاب بقوله انه اذا كانت افكاره الدينية تلوح مختلفة

عن أفكار بطرس أو بولس ، فان ذلك كان لأن الناس « لم يتسكروا بقلب الله ، قبل أن يقرأوا الانجيل .

بيد ان هذا النوع من الدين القوضوي هو نفسه الذي جعل بيتر والدو وجورج فوكس يتركان الكنيسة . هذا الدين الذي يقول : « دع كل انسان يكن ضمير نفسه وكنيسة نفسه » . ولهذا السبب ذاته فإنه لا يدعنا أن يربيه ذلك تساوسة الكنيسة ، لأن مثل هذا الدين لا يمكن ان يكون ديناً حقيقياً لكل انسان ، وانما يصلح لتواضع فقط . ان لسر حاول كل المساء أن ينشئ بقلب افده . وان يفعل ما يظن ان الله قد أراده ان يفعل فان الميالين الى الاجرام سيحبون ان الله ينصحبهم بأن يقتلوا ويسرلوا ، في حين ان اولئك الذين يتمتعون بدوافع جنسية شديدة سيكشفون ان الله يأمرهم بان يعتصموا القتيات وان يمارسوا الاتصال الجنسي مع أية امرأة وبصورة دائمة . ولقد آمن اصحاب مذهب النيك في الهند بأن الله يأمرهم بأن يقتلوا ما وسعهم ان يقتلوا . ويمكننا أيضاً ان نتذكر هنا قصة ذلك الواضع الامبركي السدي « أمره ، الله بأنه يقطع رأس اخيه أمام مجلته الديني وان يقوم بحجرة إعادة الرأس الى الجسد ثانية . ولكنه ادخل مصححاً حقيقياً . في حين أن اعضاءه لم يستند رأسه بعد ذلك . ويمكننا ان نفهم لماذا تميل الكنيسة الى عدم تشجيع « الاطعام القروي » كما يمكننا ان نفهم ذلك أكثر في أيام يومه حين كان الناس يقلبون على الاديان وحين كان الاتيياء يظهرون دائماً .

وهكذا اضطر يومه ألا يؤلف شيئاً يضع صوته . وكان متظلماً منه ان يحافظ على وعده والأبولة شيئاً آخر طيلة حياته لو انه ظل صانع أحذية . إلا انه لحسن الحظ توخى له اصدقاء متفقدون بفضل كتابه الأول . وكالوا يلحون عليه بأد يرجع عن وعده ذلك . وبدأ المثقفون والاطباء الباراسيلوني والبلات المولعون بالكيسياء والتساوسة الاحرار يفتنون على يومه من كل مكان ليحتوا معه أمر « رؤاه » ، وحلفوا يؤكدون له انه كان يقرأ حطية بحق الله برفضه استخدام مواهبه المالية ومن حسن الحظ ان

بوجهه اختنق بهذا الرأي الذي احتاج اصداقاه الى خمسة أعوام ليقتنوه به . وما ان قرر بوجهه ان يعود الى التأليف حتى بدأ يؤلف الكتاب على الكتاب كالألآة . واتيح في مدى الاعوام الستة التي تبتت له من حياته عدداً كبيراً من الكتب . وصار بعض اصداقائه الاغنياء يساعدونه بالمال ويستضيفونه في قصورهم .

وقد أدت مناقشاته مع الآخرين الى تحيين متناه الصافي وتطويره ، كما جعلته يعرف انه كان بحاجة الى توسيع معارفه . فبدأ جهوداً هائلة في دراسة اللغات القديمة ، واستطاع ان يعبر عن مداركه باللغة العلمية التي كان يجمل اليها ابناء جيله (تلك اللغة التي كانت مشتقة من تعابير الكيمياء في الغالب) . ولكن نتيجة كل هذه الجهود لم تكن مليئة تماماً . اذ لو كان منذراً لبوجهه ان ينتج في الكتابة بأسلوب ديكارت العلمي أو بأسلوب ميلانسون اللاهوتي لكان عليه ان يبرهن نفسه على ذلك منذ صباه ، وان يدرس في إحدى الجامعات مثلاً . ولهذا فانه لا ينتج القارىء حين يكتب بأسلوب العلم . في حين انه ينتج في ذلك حين يكتب بأسلوبه الريفي الحشن الخالص .

ولقد حير إدراك بوجهه زملاءه المثقفين . واكتشفوا غيبه مواهب الشاعر الأسيل . وكان يحير اولئك الذين كانوا يتسوقون بعلم النبات مثلاً لأنه كان يصف خصائص أية زهرة بمجرد النظر اليها . وكان في وسعه ان يفهم معنى كلمة اجبية بمجرد مطالعته صورها . وثبتنا موهبته هذه حين نحاول ان نفهم فلسفته . فلفظة العلامات « ، وبخى بوجهه « بعلامة الشيء . شككته ولونه القلبي تستطيع بصيرة المتصوف ان تفض اليها وتحلل الصفات الكامنة في ذلك الشيء . فاذ كان بوجهه ، كما قال ذلك الفيلسوف الالامي الذي كان يشبهه في أشياء كثيرة ، وأعني نيشه . يحتر العالم المرئي عنداً متعلداً يخفي حقيقة فاضلية رائعة الى درجة ان البشر يصادون بالثبوة الباطلة اذا تفقدوا لثباتها ورأوها هذه الحقيقة الداخلية هي هدف قوة الحياة . ولكن طباعنا ومشاعرنا تعميئنا عنها فلا نحسن هذه الحقيقة الداخلية . اما رد الفعل الذي تقوم به نحو الاشياء والناس

اليوم الكبير . أو كرهنا البعض من يعملون متناسقانه ببطانة فدرك العالم السطحي فقط . أما الشاعر العظيم فانه يجد لحظات غتفي فيها الناس وكأنهم لم يكرهوا . وتغني تصويت في هذا النادي الذي يضم الالاب الحقيق الذين يسمون البشر ويحدد نفسه مدركاً لحقيقته الداخلية ولحقيقة القوة الكامنة في كل الاشياء . ان فترة الحياة أهدافها المعينة التي لا يمكن التفوذ اليها وطرقها الخاصة بها في هذا العالم . علم الحقيقة المادية . ولكن المتصوف يستطيع ان يميز وجودها في الشكل الظاهري للاشياء ، تماماً كما يستطيع الخبير ان يكشف بهمة أصابع المجرم على كل شيء . سواءاً كان زهرية أم ربة انسان . وهذا ما عناه بوجهه بالعلامات . كما ان هذا عقل جوهري بوجهه كمتصوف . وليس هذا من نوع التصوف العادي - صوفية الشرق مثلاً التي تفرض على الناس ان يجلسوا متريعين على الارض عشرين عاماً . انها صوفية الطبيعة - صوفية الغرب النوفجية التي ترى العالم متحولاً .

لو تم تنظيف ابواب الادراك فان كل شيء سيلوح للانسان كما هو . غير محدود .

وبعد عام ١٦١٨ عاش بوجهه وكتب لمدة ست سنوات فقط . بيد ان هذه السنوات كانت حافلة بالراحة وبثوبه الدافع . لان بوجهه نفع حالماً برعاية اصداقائه المثقفين والنبلاء . ومع ذلك فلم يشأ بوجهه ان يقضي تلك السنوات في هدوء . ورغم ان ذلك لم يكن راجعاً الى خطه هو . فقد جمع أحد اصداقائه بعض مؤامراته وطبعها في مجلد سماه « الطريق الى المسيح » . ولم يكن ذلك بادن من بوجهه . ورغم ان الكتاب لقي نجاحاً كبيراً . ووصلت نسخة منه الى يد راجع . فارد ان يسب متاعب أخرى لبوجهه . وبدأ يهاجمه من جديد على المنبر . واشهر كراماً شين فيه بوجهه وقال فيه ان كتب بوجهه ملوثة بدهان الاحذية القذرة . بيد انه مشواً نجماً نير مصنف على كتاب « الطريق الى المسيح » . ورغم ان علماء انه - قد يطلق على كتاب *Supernatural History* حيث حد جواً بشه جو مختار القسما . ويضم الكتاب من عاذه الاله الى الملائكة احرار . القوة الصاعدة

و الاستسلام الصحيح ، والجزء الرابع ، حياة ما فوق الحواس . ولا يتعدى الكتاب المائة صفحة ، كما انه غلو من القموض . ولكن الضوضاء التي خلقها وبختر حول الكتاب اضطرت سلطات فرنسا ثانية الى الطلب من بومه ان يخلو المدينة . ولكن بومه لم يكن هذه المرة وحيداً بلا اصدقاء . كما انه كان مديناً لرغمه لان اضطهاده الاول له جعله شهيراً وأكسبه اصدقاء عديدين . اما هذا الاضطهاد الثاني فقد تمخض عن دعوة بومه الى بلاط الأمير في دويجن حيث استجوب بومه حسد من مفكرتي الثورة المشهورين . واتفق هؤلاء على ان أفكار بومه كانت أحسن من ادراكهم . وكانوا أيضاً ان افكاره دينية وانه لا هرطقة فيها . وهكذا زادت دعائم شهرته قوة . بيد انه مات بعد ثمانية شهور بالحصى في مدينة خرلتر في تشرين الثاني من عام ١٦٦٤ . وكان ريمر قد مات قبله ببضعة شهور . وكان خليفة ريمر يكره بومه ايضاً الى الحد الذي جعله يذبح المرسل لكي لا يحضر تشييع جثمانه ويلقي المرحطة التخندية . وحيه برجل آخر ليفعل ذلك ، إلا انه بدأ المرحطة بقوله :

« كنت أفضل ان أسير عشرين ميلاً على ان ألقى هذه المرحطة . »

وانشرفت شهرة بومه في كل اوروبا بعد موته ، وترجمت مؤلفاته الى عدة لغات . وتشكلت جميعات خضعت للمعجبين به . وشهدت المدينة التي عاش فيها تحالفاً وبدأت تحتفل بذكراه . ودرس مؤلفاته عدد كبير من الفلاسفة والتلاميذ الذين كانوا يذكرون اسمه باحترام . أما في عصرنا فان نيكولاس بردياليف ، اعظم الفلاسفة الصوفية في القرن العشرين ، صرح بأن بومه هو المصدر الحقيقي لتفكيره . وكان مزعماً ان يؤلف كتاباً عن بومه حين مات في عام ١٩٤٨ . وهنا يجدر بنا ، قبل البحث في فلسفة بومه . ان نواجه مسألة القموض في كتاباته . ترى هل ان جانباً كبيراً من مؤلفات بومه هو أمم من ان نذكره ، وهل ان الامر يتطلب ذهنية أعظم لفهم معنى ذلك القموض ، أم ان ذلك يعود الى ضعف في التأليف ؟

أحسن ان يكون الجواب الحقيقي هو الجواب الثاني . والست أعني هذا ان متعلماً

كالذي انقضت منذ برهة لا يعني شيئاً وانما أجلفني اعتقد ان بومه لم يجد ذلك القموض . فقد كان صانع أجلية غير متغيب . ولكنه كان يتمتع بادراك الشاعر العظيم . ولقد امتلأ متفقو عصره بالاعجاب المتنامي ببصيرته النفاذة . وكان ذا ذهن وثاب . وكان يستمع بمناقشة الأفكار التي ي طرحها عليه اصدقاؤه . وبدأ يترجم أفكاره الخاصة الى مصطلحات السحر والكيمياء التي كان يستخدمها اولئك الاصناف . (ولقد مؤلفات بومه غموضاً هي تلك التي يتحدث فيها عن افكاره ليست له .) فاذا نجم من ذلك اننا ان بومه يتركها على حالها ولملح كان يشعر بالقلق من سيطرون الاربابك والقموض بحق افكاره التي تصعد بفلك في وجه التحددي . ولكنني في الواقع أشك بشدة ان يعقوب بومه ، متصوف هو لثمة المتواضع . لم يكن غير صبي خبيث لا يستحق ان يكون مركزاً لانهايم اولئك العظام الذين امنوا به . فاذا كان هنالك من يعتقد ان هذا الوصف لا يخبري شيئاً من الاحترام المتصوف لما فيها العظيم فانه يستطيع ان يعود الى صفحات كتبه ويحاول ان يفهم ذلك الخطيئة من الكلمات المجدبة والمراكز الدوارة والأطوار القريبة .

ما هو ادراكك كل ذلك القموض ؟ وهل هو مجرد شخص عازف ؟

أحسن جواب بالنسبة للقارئ الحديث هو ان بومه كان من الرواد الاوائل في علم النفس . لقد كان يدرك أشياء كثيرة تحدث في داخله . وكان يدرك الى حد ما أيضاً كيف يتقبل من الحالة الذهنية العادية الى ذهنية صاحب الرؤى وبعبارة أخرى فان بومه يشع رامي في انه التلق ليكشف كيف يستطيع الانسان ان يرى رؤى . وعرف انه كان في استطاعته في لحظات معينة ان يتوصل الى حالة ذهنية تختلف كل الاختلاف عن حالته الذهنية الاعتيادية . ولقد حقق ذلك دون تطوع - او في الواقع مجهود طوري خالص . وادرك ان

« محمد كنفوز بك في عام ١٨٩٦ عقدت لجنة جديدة من كتابه « النقاء الماء » اولهم لو . « باسم بومه صموئيل حيفا » قال « انه مصروف من ريف غير أصيل » وسرته « دنا » . « فاعلم ان » . « نر » . « هذه الفتنة موجودة في » « ان الكتاب الذي أهدتني في عام ١٩٥٦ »

ويمكنني أن أصرب هذا القطع من مدابة ثلاث نقاط فلسفية دينية : مثلا
الأخيرة : بطل النفس . . .

١ - أنا لرى ... أن كل حياة هي جوهريّة . وبعد أكثر من ذلك أنها
ترتكز على الإرادة . لأن الإرادة هي دافع الجوهريّات

٢ - وهكذا فكان في الإرادة نواة أخية . وكانت الإرادة تسو بعضها شيئا
شيئا إلى النار ، لتردها وتطهّرها .

٣ - لأننا نفهم أن كل إرادة بدون نقطة الجوهريّات النارية هي صنف أو
نوع من الحياة ولا شعور ولا فهم ولا وجود مادي ...

٤ - وهكذا فإن الإرادة اللابهرية هي وجود آخرس دون فهم للحياة
والكنها مع ذلك شيء في اللاشيء الخالد الذي لا تمت له . لأنها متعلقة بالاشياء
الديوية .

٥ - ولهذا فإن الحياة هي إرادة الجوهريّات . والإرادة ... هي أم الجوهريّات .
لأنه لا جوهريّات هناك بدون إرادة . (٦) .

لذا بدلنا مصطلحات برعده قليلا بأننا نستطيع أن نفهم هذا كما يلي :
أن الحياة هي مسألة أساسية لا يمكن أن نهمس أو نحلل . وأن الحياة ترتكز
على قوة الإرادة . ولكن الإرادة لا نستطيع أن نصنع بدون الحدف . كما أن
مفهوم الحدف ، يخص العالم المادي بصورته الأساسية . فالإرادة هي لا شيء . بدون
العالم المادي الذي يتكسها ويظهرها . ولهذا فإن الإرادة تتطلب هدفاً للجهرها .

٥ - إن هذا النص من استخدام عبارة فلسفية دينية . خاصة إذا كانت لهم صلة
بالجمعية التيرسوية التي أسسها مدام ديفالتيكي . ولكنني أثير ما إلى أنه التيرسوية " شيء
مما أسس الحياة الدينية به قد كان على ألا أثير في بداية هذا الفصل أنه فلسفة مجردة لأن هذا
التحليل غير دقيق وإنما كان في أنه أثير إلى " التيرسوية " وقد كنت يريدت أن أصلا مستأني
" البرية " والتي " عند هذه العرق بين التيرسوية الدينية والتيرسوية الطبيعية والجمعية والتيرسوية
هذه هي أمثلة إلى أخيرة " (التيرسوية كاتبة أسطورة من Theology اللاهوت
Philosophy هذه) . (المعنى)

والحياة هي حقيقة الحدف (إيته) . وهكذا فإن هناك حلقة شريفة : زيادة
الحدف تتطلب زيادة في الإدراك (أي أنه لا يمكن لأحد أن يريد هدفاً أكثر
من أن يكون أقل إدراكاً) . ولكن زيادة الإدراك تتطلب زيادة في تصوة
الإرادة . وهذا يتطلب زيادة في الحدف . لأن الإرادة تكون هدبة الفائدة
بدون الحدف

ويستطيع أفراد المجتمع . أن يتذكروا الآن هذه الفرضية التي وردت
عند سحت ، العرب ، لكاهن . وهي في الحقيقة فرضية ذات أهمية أساسية في
الجوهرية . حين يقول الوجودي

" بأنني أوجد نسل الجهر ، فإنه يعني أنه على الإنسان أن يضع خطة لي
فعله قبل أن يكون لي استطاعته أن يفعل أي شيء " (أن يضع له خطة قبل أن
يرزق الوجود) . وقد سمى الملاحون هذه الخطة ، فكرة ، أو جوهري
الشيء ، وفكرة أي شيء . يستطيع الإنسان أن يفعله يجب أن نمن وجوده ولكن
الأمر محدد مع ، أفساه ، فهو يقول نفسه ككيان - كيان فقط - قبل أن يدرك
أنه إنسان . فإذا حوّل سحر ال كلب النائم نومه فإن عليه أن يتبع عينه قبل أن
يقول أنه كلب . وأنما يستطيع أن يقول أنه موجود قبل أن يتبع عينه . ولكن الكائنات
الشرية قبل أن ترى - سأفك وجودها باعتبارها أمراً مفروغاً عنه . تماماً كما
ترب وجوه المتخاصم والكراهي أمراً مفروغاً عنه . إلى البشر يعتقدون أنهم
نايون - " هم كذا هم ، - كالتناضد والكراهي . ولكن المسألة كلها
تخصيص الإنسان هي أنه ليس ثابتاً . وأنه تلك قوة الإرادة . وأنه يستطيع أن
يغير نفسه بغير أو "

٥ - صرح مبرهنة حازر (الاشهاد والإله الصالح) هذه الفكرة . ٥ - قد وظل المبرهنة
مما حس من ذلك إلى نفسي ثم إلى ذلك ثانية . ولو أودعنا أن يصبح لها مبرراً آخر لهذا أنها
ب بحث في غير النص . ٥ - شجع البشر بولي أو لم هذه الفكرة بالسطر . أو أنه
أدرك بولي يقول " إذا لم تصحك حالك دماغاً . ٥ - إذا لم يوجد حازر خاصة من
أنه سبه إلى ذلك . (لأنه حالك حالك ذلك تستطيع أن لا تفسك)

وهذا الشكل - الشكل الذي يجعل الوجود يؤول القوميين الى انما كيد عليه - تكون الوجودية رد فعل ضد المادية الحديثة . فالظاهرة النموذجية في يومنا هذا هي ظاهرة رجل الأعمال ، العصامي . ولكن مثل هذا الرجل لم يغير نفسه ، رغم أنه يعتقد أنه يتحوله من بائع صحف الى مليونير قد أصبح شغافاً مختلفاً تماماً . والحقيقة أنه غير عيطة فقط . وقد يكون التغيير المحيطي ضرورياً (وسنعود الى بحث هذه النقطة عند الحديث عن برنارد شو) ، ولكن ذلك ليس ضرورياً كالتغيير الروحي من السابق الى اللاحق . وتؤكد الوجودية على هذا النوع من التغيير . وهي بصورة أساسية فلسفة الإرادة . كما أن فكرتها المركزية هي أن أهم أهداف هذه الإرادة هو تغيير الناس .

وهل التغيير نجد أن يرومه هو في الحقيقة وجودي . فإذا أراد المهندس أن يحسن مدينة فإن أول شيء يفعله هو أن يحصل على خريطة للمدينة . وهكذا فإذا أراد الإنسان أن يغير نفسه فإن أول ما يجب أن يفعله هو أن يحصل على خريطة لنفسه وهذا ما يدعى « علم النفس » .

وإن كيف يستطيع الإنسان أن يعرف المزيد عن نفسه ؟ بالملاحظة الذاتية ، والتجربة وبو ربط ما يتعلمه ربطاً علمياً . وهذا ما حاول يرومه أن يفعله في كل كتيبه . ولما اكتشف في مراحله أن كثيراً من الأشياء التي يفعلها ليس جديداً على من يدرس الوجودية الآن . هناك أيضاً شيء من نيتشه لديه ، بل أن طعم الفكر نيتشه واضح لكل الوصوح مما يلي :

« إذا لم تكن تريد أن ترفض مذاتك وحيثاً فالأفضل لك أن تدع كتابي «أبياً» لا تشغل نفسك به وإنما انصرف الى شؤونك المألوفة » . (٧)

وقد كتب نيتشه في « رادشت » :

« ليس الارتجاع وإنما النقطة هي الحقيقة . تلك النقطة حيث... فنعم النظر الى الأسفل وترتفع اليك الى الأعلى ... » ويكتب يرومه في « موركن روتة » :

« لقد تسلفت حالياً جداً بحيث أنني لم أعد أستطيع أن أنظر خلفي لئلا يصيبني الدوار ... أنني لا أشعر بالدوار حين ارتفع . إنما حين أنظر الى الخلف .

واريد ان اعود فاني أشعر بالدوار وينخوف من السقوط . (٨)

وهو يعبر بكلماته عن اشتقاق بيت بمصرص ، ابوسيد الادولك . :

« لو تقمحت عيناً الإنسان فإنه يستطيع أن يرى الله في حائه في كل مكان .

لأن تسماء هي تحرك في الاعماق الى كل مكان . (٩)

وهذا مصطلح . « تحرك في الأعماق » هو مصطلح يرومه الذي يقابل « تحرك العقل لياحق » ومن الواضح أن هذا التحرك الثالث ، يشبه ما يفعله الكاهن شونويز حين يقول : « الدرجة السابعة من التركيز » وذلك في (بيت هارثولشت) ، ليرنارد شو . وكما وصف المسيح ويرساود شو والتابعين الاثنان والثلاثون الاكثوية الكاملة في إيشر . فإن يرومه يدرك ذلك أيضاً حين يقول :

« لاد الإنسان مؤلف من قوى الله . من أرواح الله السبع . تماماً كالملائكة . ولكنه بعيد الآن أنه متجمل . ولذلك فإن التحرك المقدس لا يكسب عن نفسه فيه دائماً ولا يحصل عمله . وبالرغم من أنه ينبغي فيه بل أنه قد يشع فيه . الآن الطبيعة المتحالة لا تستطيع أن تذهب » . (١٠)

وهذه الملاحظة الأخيرة جديرة بالاهتمام فهي تمثل شكوى كل شاعر ومتصوف قديمه الرؤيا . لأنه عند الخصاء الرؤيا لا تستطيع حالة الأساس الذهنية العادية أن تستعيد أو أن تبدأ بفهمها .

يبد أن تساؤل اللاهوتي : « كيف يستطيع المرء أن يرى رؤيا ؟ » . فمثل الأيمان بأن هذه الحقائق يمكن أن تستعاد وإن فهم ، وما هو جوهر « الحقنة الرؤيا » بلوح أنه يشتمل في آخر حضم من الحياة والطلاق الطلاق في الفصح عسكي :

« قد هو فاني الرأس » . يبين

« سماء الخفيف في الفصح » . وهذه الطاقة تبت الحياة في كل « سماء » . وتتم وصفاً لتجربة كل الأماكن والأماكن الماضية أو حوهر الضم والأيام كما نال في « سماء الفصح » . ومن الشعر . يكون الى

سجيناً في الزمن ، اما عكس ذلك فهو : معنى حائل من غرابية الحياة
عقلتها ، من أشكال من الوجود غير معروفة . انه انفعال عقري يعجز
لشجاعة ومخاطتها . وفي هذه الحالة يكون لمحاولة الانسان ، رؤية رؤى
ان يعرف ما يتكفي عن تركيب ذهنه ليكون في وسعه ان يفهم نفسه
الطاقة بأرادته .

ولا شك في ان يومه حقيق حلاً ، كما ان هذا هو ما يجعله انسا ذوى .
وبذكرنا هذا بان رؤى راماكربشنا كانت كهذه الرؤى - انتشاء بغض في
الذهن ويحتاج منه معنى من الوجود الكوني الممتاز ، معنى منهك الى درجة
انه كان غالباً ما يفقد شعوره . ويلوح ان ذلك مشابه لما شعر به دوستوفسكي
عند كل نوبة كان يصاب بها . ويشبه وصف يومه لأول مرة حصل فيها
على الرؤيا وصف راماكربشنا ، فقد هس راماكربشنا وبدأ يشك في
وجود الله اطلاقاً . وفي إحدى لحظات ذلك اليأس امسك سيف واراد
ان يقتل نفسه . الا ان النشوة باختسه في تلك اللحظة صرف في الانشور .
وبخبرنا يومه كيف انه :

« وسط ذلك المذابح والاضطراب انشئت روحي (التي لم اكن احرف
عنها الا الشيء القليل في ذلك الحين ، أو لا شيء اطلاقاً) ، ورفضتها
بحاسة الى درجة الله . وكان ذلك بانقطاع كاندفاع العاصفة أو الهجوم .
واستخفمت كن قلبي وعقلي وافكاري وارادتي وتصميمي . متشبهاً دون
انقطاع بحب الله ورحمته ، ولم اكن لأكف عن ذلك حتى ياراكمي . يطعمني
على روحه القدس » التي تنبج لي ان المهم ارادته وانطلق من حزني .
ونفذت روحي الى ذلك بالقمل . ولكن اندفاعي المائل وحاسني ... جعل
روحي يفتحم فجأة ابواب الجحيم ، الى اعماق التحرك الالهي . وعاقني
الحب هناك كما يعاقني الرئيس عروسه الحبيبة . » (١١)

وبقودنا هذا الى مسألة مهمة كانت قد ظهرت في «اللاستسي» وهي
معاداة المسيحية في المعتقدات الخاصة بالرؤى لدى نيتشه ورامير وبرناردشو .

اذ كيف يمكننا ان نوفق بين هذا وبين التصور للمسيحي الخاص الذي نتج
في اصحاب الرؤى الآخرين كيومهم ويسكال ولو ؟
واعتمد ان الجواب على هذا يكمن في انه لا تناقض هناك بين الحاذقين ،
لانهم تحتلان حيزين مختلفين لمسألة واحدة . فالعصوف المسيحي يؤكد على
فكرة الانسلاخ والاستسلام والحلب والشفقة . بيد ان نيتشه وبرناردشو
نارا على هذه الخلل . وينحصر نيتشه اعتراضه قائلاً :

« ما هو الخير ؟ هو كل ما يزيد شعور الانسان بالقوة . انه ارادة
القوة . أو القوة نفسها .
« ما هو الشر ؟ هو كل ما يخففه الضعف .

... ان الشفقة تعارض مع الانفعالات التي تزيد كتمسك حيوتنا ... (١٢)
ولكن نيتشه لم يكن يهاجم « الله » والمسيحية ، وانما هاجم الظلال
اللاحقة لهذه الامور ، تلك الظلال التي اعتبرها كنيسة عصره حقائق وما
تزال تجنم كذلك . لقد كان نيتشه يبحث عن الحقيقة النهائية وكذلك فعل
يومه . ولما في لحظة الرؤيا فان الله المسيحي الذي يسميه نيتشه « الله
المريض » الاله المتكبر . ينكشف برؤيا الحقيقة ويلوح العالم كله حقيقة
عادية واظهاراً هائلاً للحياة . يكون فيه « كل شيء » حي عقلياً . أما
في الحالة الذهنية الاعتيادية فان الانسان يعيش في زاوية من زوايا وجوده ،
دنياً معرفته نفسه . ويضيق ذهنه حتى يصبح ادراكه كالشمعة التي تكاد
تخبر . فاذا حصل على الرؤيا فان ذلك يكون بالنسبة له كالارتباط بمحطة
الكهرباء . اذ تنشق الطاقة والحيوية في ذهنه فيضيء . وكأنه يت بتألق
مصابيح في كل غرفة من غرفه . وهله هي نشوة المعرفة انسانية . اذ
بدرك الانسان فجأة انه « كما يقول يومه » مؤلف من كل قوى الله .
ولمست الحقيقة الاولى هي التي تجعل الانسان لا يدرك الوهبة . واما
هو فتد في ان يرتبط نفسه بمحطة الكهرباء . وبعبارة أخرى ، فاذا كان
محطة الاولى اي معنى فهو ان الانسان كسول حلاً وان حياته غير واضح

بحيث أنه لا يحاول أن يحصل على حالة مستمرة من الإدراك . إن الحياة حرب - روحية مستمرة - كما قال الالاه لورنز سكويولي ، وهو من معاصري بومه ، حين سمي مقالته الفكرية المنظمة « النضال الروحي » . (وقد أوضح ريمان جبل آشوس ذلك بصورة أشد حين سموا ترجمتهم للمقالة « الحرب الخفية » .) وقد عرف بومه ذلك ، وعرف أن الطوفان الحقيقي هو حق الجسد :

« إن الروح تعيش في خطر عظيم في هذا العالم . ولهذا فإن هذه الحياة تدمي وادي الشقاء ، الوادي المملوء بالمداب ، والأرباك الدائم ، والأخذ والرد ، والصراع ، والحرب ، والكفاح ومحاولات الظفر -

ولكن الجسد البارد نصف الميت لا يفهم حرب قروح دائماً ... لا يفهم حرب الروح ، وكيف أن الشيء ذاته ينخفض مرة وبسومرة . (١٣) وهذا الجسد البارد نصف الميت هو الذي يجب أن يدرك « حروب القروح » ، وأن يستجيب في الحال لمطالبات الروح . أنه آلة بيد الروح ، وعلى الروح أن تجعل منه آلة حساسة دقيقة . لا أن يخنقها بكبله وحيوانيته .

وكل هذا واضح جداً في كتابات بومه . كوضوحه في كتابات نيتشه وبرنارد شو (وقد أوضح برنارد شو ذلك كل الإيضاح ، وأضماً النقاط على الجحور في « العودة إلى ميتوشالغ ») إلا أن هناك أمراً صحيحاً أيضاً وهو أنه في حالة النشوة ، حين يتلاشى إدراك الإنسان الداخلي لنفسه أمام طولان الحقيقة ، يكون شعوره شعوراً بالخضوع ويكونه أداة وبرعبه في ألا يسبح لأية حافة من حوافه . للشخصية المتحللة المرتبطة بالأرض ، بأن تتحلل في ذلك الفيض البارد من الحيوية . والقصاة هي التعبير الطبيعي عن الشكر المتدفق . لا فصلاة الموجهة إلى شيء بصورة غامضة ، أو إلى إله بالذات . ويتجلى الأمر ببساطة في أنه إدراك مقاييس . وهو إدراك لألوهية الإنسان ، وهكذا فهو إدراك للفصل بالله ، لرابطة وثيقة به . وهذا الإدراك هو الذي يجعل الصلاة التعبير الطقوسي عن الرقيا . لما الله

الآب البعيد الذي حاجبه نيتشه (نحن) فهو يصبح فجأة الله الأخ . وتتجلى صورة العريس والعروس بصورة طليمة أيضاً لأن الفيض الطاقة هو كإغصاب الأنثى . وهذا الشعور جسدي بصورة رئيسية ، وهو لا يشبه النشوة الجنسية وحسب ، وإنما يحتوي عليها في منظمه .

وليس من السهل علينا أن نبحث هذه الأمور بطلاقة ، لأننا ما نزال في حاجة إلى مصطلحات فيزيولوجية . ولكن من الواضح أن الحاجة إلى هذه المصطلحات هي شديدة اليوم في عصر بومه . وما يزال علم النفس قاصراً ، كما أن كل ما سامم به علماء التحليل النفسي لم يتح لنا أن نبحث أمر التصوفين ، بل أن علم النفس الحديث يميل إلى اعتبار التصوفة يتلون غصنا مخوناً من أغصان الشجرة الانسانية .

ولأوضح الآن ما أعنيه ، فقد حاولت في « اللامتسي » أن أبين أن الإنسان الذي أعنيه « اللامتسي » هو تطوير « الإنسان السادي » ، لأنه لا وجود في الحقيقة للإنسان العادي . بل أن ذلك يشبه الحديث عن « معدل المعلوم الصحيح » ، لأنه إذا كان مجزئاً فهو لا يمثل المعدل ولا يمثل الصحيح . وكذلك الإنسان فهو لا يمثل المعدل ولا يمثل الصحيح . واللامتسي هو الإنسان الذي أدرك مرتبة أن البشر جميعاً مجزئون - روحياً ومعنوياً ، كلهم غاسلون .

ولقد حاولت أن أوضح إلى أين تقود نقطة الانطلاق من الساد والتطفل . فاللامتسي يتطور بالمجهود الروحي الضخم إلى المتصوف . وهو يفعل ذلك بتحويل حياته إلى حرب ويأخذ يعيش في حالة توتر ذهني تتطلبه طليمة الحرب . وأما نظرة المتصوف إلى العالم فهي النظرة التي ترى كل شيء جميلاً . وقد بدأ هذا المجال بعد طريقته إلى نظرة اللامتسي إلى العالم . وقد يذب العالم ويذبح = إلى إعلان أن العالم هو أوس قفر أو مدينة ليلة معرفة (نظرة كينان) ولكن مجرد كون رؤياه للعالم جملة ينظر إليه مجسماً كمدخل يعني أنه يرى العالم أكثر حيوية ، الرصد هو بداية المجال لأن كل

الآزمات تؤدي الى الجلال . وليس الرعب عكس الجلال ، لان الرعب والجلال
 فقدان على الطرفين المتقابلين ويكون بينها الصخر والموت . ونحن نبدأ
 الانسان حربه الخفية ضد العالم بصح لامتصيا . فاما حارب طويلا وجد
 فانه يتحول الى ما يسمى الناس المتصوف . ولكن هذا ليس هدفا بعد ذاته ،
 لان المتصوف هو فقط انسان يتمتع بدرجة أعلى من الاحراك والحياة .
 والفرق بين المثل المسيحية والنبتية - وما يميزها هائلا عن بعضها بعضا -
 يظهر عند بحث تعريف كالكا :

« في الكفاح بين نفسك وبين العالم . تحسك بجانب العالم دائما » .
 وهذه هي عبارة مسيحية تماما وهي تعني : حين تخلصك الناس دهمهم
 يخطئك ، حين يهجمون عليك دهمهم يضربوك ، حتى تفقد الشعور ، حين
 يريدون ان يسحقوك ، دهمهم يسحقوك . ولكن « أنت » التي تحدث عنها كالكا
 ليست هي الذات التي تظهر الرؤى وانما هي الذات السطحية والشخصية العنوية
 و « ابواب الادراك » التي تمنع العالم الحالك بمخاطها ولزوجتها وحيراتها . ان
 لدينا النسابة لا تعرف شيئا عن مدد الانسان أو عن عدد طقات كيانه التي
 تمتد من السطح الذي نتحكم فيه الاكثية الى المدى النهائي ، عن الهدية الالهية .
 لقد كان ليشته في طبيعته حازما مع نفسه ، ورجلا يتمتع بضبط هائل
 للنفس . وقد فضل ان يركز على الحاجة الانجيلية الى تقوية الحياة بدلا
 من الحقن الساي للشخصية باخضاعها الى السلطات . وبالرغم من هذا فقد
 كان سيقظهم رأي كالكا لومع به . لأن الانتفاع نحو الحقيقة بالنسبة
 ليشته واللاامتصين النظام كان ضيقا - الضغط الذي استطاع بواسطته ان يرى
 رؤى - وهناك مقطع في « عدد المسبح » يسفر فيه من التفكير اخر
 الذي يقوله به العلماء والصابرون :

« ... يتصعق الانفعال في حله الامور . انهم لا يقاسون من التفكير
 الجهر . باعتباره انفعالا واستشهادا » . وأهم ما يحتاج اليه اللامتص هو ان
 يحد له طريقا يوصله الى الرؤيا . فاللامتص هو مفكر حر الى النوع الوحيد

من التفكير الذي يستحق الاحكام هو التفكير الجهر . وهذا يعني انه لا يستطيع
 البتة ان يقبل الاشياء التي لا يمكن اثباتها . كفكرة المسيح المختص مثلا
 وهو يمارس التفكير الجهر باصمات القديس من اجل الخلاص وبجاسة الشهيد .
 وأما نتيجة تفكيره الجهر . فهي وضعية دينية تماما - سواء أكانت مسيحية أم
 غير ذلك .

وهذا لا يمكن ان نحن في بحث لاهوت بومه اكثر ، بل ان نخصيص
 مجالات صيغة هذا الموضوع هو أمر يصعب حل القارىء ان يتابعه . كما
 انه من المستحيل الاستمرار في البحث في عرضنا الموجز هذا .
 ويستطيع القراء ان يلاحظوا ان كتاب ديليس مكتوب بالمزاج والاعترافات
 يحقوب بومه ، الذي يشر متقدمة ممتازة لدراسة بومه . وليس لدينا الآن
 إلا ان نؤكد ان بومه كان وجوديا بأعق ما تحته الكلمة . وهو لا يكف
 عن اخبار قرائه بان مجرد قراءتهم لخواصاته لن يفيدهم - اذ عليهم ان يخرجوا
 ويفعلوا .

« قد تسمعون اصطلاحات روحية ، لا اصطلاحات قلبي » . وقد كره التجريد
 والفلسفة التجريدية كما فعل بليك . ولهذا فان محاولة تلخيص فكرته عن مشأ
 الكون تكون ضد أهدافه . إذ انه كان يكره ان يستخرج أحد جوهره
 ويخلصه ويضيه في كتب الأكاديمية . شأنه في ذلك شأن غوردليف .
 وقد لاحظ الأسقف مارتنون ان بومه كان أحد المتصوفين الصغار الذين
 يؤكدون على عظمة الله ولكنه لا يفعل ذلك وحده . لانه أمر يشترك معه
 فيه كل المتصوفين اللامتصين . وانما ليجد لدى دوستوفسكي وبيتشه وفوكس
 وليك وتراهور تأكيداً على ان رؤيا الشاعر ليست إلا رؤيا للعظمة . ان بيتشه
 لسان

« يستطيع القارئ ان يعود الى كتابه حوار برنتون « الأمانة الموهبة » . وكتاب
 « ... » . وحيث ان القارئ السامع « تصاحب » « كتاب الاسقف
 « ... » . في عام ١٩١٩ ولعل أصول الكتاب هو تشييد الكسندر
 « ... » .

ما هي السعادة ؟ ويجب فاعلاً :

«الشعور بأن القوة تنمو وأن المقاومة تتدحر» . ونحن يبدأ اللامتني في بعض الأحيان بكسب حرية لطفية وبالحصول على ذلك الشعور بالمتحرر والمقاومة ، تصبح رؤياه لعالم إيجابية . وهذه الرؤيا الإيجابية هي ما يسميه مارتن لوتھر «عظمة الله» - الرؤيا التي تجد أحسن تعبير عنها في شعر بليك .

أولئك الكتاب العادي عثر العظيم من «البهاكلغادكتا» . وهذه الرؤيا هي بداية ونهاية كفاح اللامتني . وإن لمحة واحدة منها تكفي لكي نجعل من الإنسان لامتنياً غير قانع دائماً بالعالم العادي - كما قال بيتس «الرجل الذي حلم بأرض الخيال» ، والذي لم يعد في وسعه أن يحصل «نور النهار العادي» . وهذه الرؤيا هي التي تجعل من الناس شعراء ورومانتيكيين - أما إذا كانت قوية بما يكفي فأنها تجعل منهم حداثيين وكبش ولامتنين ، ومن هنا نأت إلى الطريق الصعب ، طريق الضيق الروحي .

الفصل الثاني

نيكولاس فبرار

في الوقت الذي طرد فيه بومه من محل صناعة الإحذية لأنه كان مبسلاً و«معي النبوة» ولد في إنكلترا لأهوتي قدم لنا حياته مثلاً أفضل من المثل الذي تقدمه حياة بومه عن استنساب اللامتني من العالم . ولم يكن نيكولاس فبرار متصوفاً ، ولعل قصة حياته لا يمكن أن تجد مكاناً لها بين قصص حياة رجال مثل بومه وموينبورغ . بيد أن حلوله وثيقة الصلة ببحث اللامتني الديني ، ولهذا فأننا لا نستطيع أن نذكره إلا باختصار .

ولد فبرار لأسرة حنية في عام ١٥٩٢ . وكان والده تاجراً مرموقاً في لندن . وظهر وهو بعد في سن مبكرة ذكاء جعل أسرته تعد له مهنة حالية . وكان أبواه مخلصين لكنيسة الإنكليزية ، وقد تقبل نيكولاس إيماناً هذا من كل قلبه . ولما بلغ الثانية عشرة من العمر عاش تجربة دينية جعلته يؤمن إيماناً غامضاً بأنه يجب أن يكرس نفسه لله . وفي الرابعة عشرة من العمر ذهب إلى كلية هول في كامبردج . وبدأ يؤثر على الذين كانوا يتصلون به بطقائمه المبكرة . وكان معلمه أو مستطس لندسل الذي أصبح فيما بعد اسقف يتر حردو يقول دائماً إن تدريبه لنيكولاس جعله هو تعلم أكثر مما تعلم منه نيكولاس . وقد قال عنه هذا الأسقف

لو أصبح نيكولاس فبرار مهرباناً لثأر به كل العالم ، يا لقلته وقلبه ولوعة الافراح التي يملكها ... لا يمكنني ان أقول ان هناك انساناً يستطيع ان يشوق عليه ، ولكن فبرار لم يستخدم نتيجته الذهني المائل لمحسه ضد كنيسة انكلترا ، وبدلاً من ذلك فقد صار فبرار كثيراً ثم اشل متعباً في هيرجينا واستخدم كل ملاحظاته في خدمة الشركة ، وجين اخلت في عام ١٦٢٣ تسارع الناس الى التعاقد معه وعرضت عليه مناصب كثيرة بل عرض عليه منصب مدير . ولكنه رفضها كلها ودخل المجلس النيابي . ثم قرر هجاء ان الحياة السياسية لم تكن مناسبة له . ومرة بنفس الأزمات التي اصيب بها لورنس حين خاد من مؤتمر السلام في عام ١٦٢٢ وفي أعماقه شعور ضد العالم . لقد كان صبوراً عن الحياة العامة .

وفي عام ١٦٢٥ اشترت الأسرة بيتاً حقيقياً بعيداً يقع في هنتك دونشر بعيداً عن الطريق وسط أحد الحقول وكانت هناك في إحدى زوايا الحقل مزرعة وفي الزاوية الأخرى كنيسة متبقية كان الصلاح يستخدمها مستودعاً للحبوب وزريبة لاختنازير . وكان البيت يدهي لتل جيلنك ، واحتضنت الأسرة كلها في ذلك البيت : كانت والدة نيكولاس في الخامسة والسبعين ولكنها كانت قوية صحبة البيت ، وكان هناك اخوه الأكبر جون وأسرته ، وكانت هناك شقيقته وأسرته الكبيرة المؤلف من ستة عشر شخصاً ، وكان هناك ناس آخرون أيضاً - وكان عدد الجميع ثلاثين وحل محافظ جيلن حبر الحقول كانت تقع كنيسة ليتن بروموزود حيث عين جورج هربرت محملاً للعائدات الكنيسة في ذلك العام نفسه .

وبعد ان رسم نيكولاس قساً وذلك في حفل اهم في كنيسة وستمنستر عام ١٦٢٥ لود ، أعادت الأسرة في تل جيلنك بناء الكنيسة والبيت وبدأت تعيش حياة زهانية تحت رعاية نيكولاس الروحية .

وكان هناك مظهران للحياة في تل جيلنك . كان جانب من البيت قد تمه مكنائاً لايواء المحتاجين وكانت تنزل فيه أربع اراميل بصورة دائمة ،

وكان هناك مستشفى استخدم فيه نيكولاس معارفه الطبية (إذ سبق له ان درس الطب ايضاً) . وتم تحويل غرفة من كانت محصنة للطيور الى غرفة للدرس . واستخدمت الأسرة ثلاثة مدرسين دائمين . ثم صارت الأسرة توزع اخليط والطعام مجاناً وبصورة منتظمة على فقراء المنطقة . ويصرف النظر عن هذا كله فقد كانت العبادة مركز الحياة في تل جيلنك .

وكانت الأسرة تهر الحفول ثلاث مرات في اليوم الى الكنيسة الصغيرة - في السادسة والعاشر صباحاً والرابعة بعد الظهر لأداء لتريلة المساء . وكان افراد الأسرة يسيرون وفق نظام معين . وكانت النساء يرتدين ملابس واقعة سواد . واما في داخل الكنيسة فقد كان كل جزء من المنابر والسجاد مطرزاً نظرياً أيضاً بيد النساء .

وفي أيام الأحاد كان لمس المنطقة يحضر الى الكنيسة مع من يحضر من الناس لأداء عذاس الصباح . واما بعد الظهر فكانت الأسرة تهر عبر الحقول الى سنيل جيلنك لأداء لتريلة المساء .

أما في البيت صه ، وخاصة في مطلات الاسوع ففسد كانت الأسرة تنزع الى جماعات تجتمع كل جمعة لمدة ساعة وتنشد تراتيل وتقرأ شيئاً من الانجيل . وكان ذلك يستمر لمدة ربع ساعة . وكان فبرار قد جمع الاناجيل الاربعة في خمسة طوية مستمرة تقرأ طيلة شهر كامل وتعاد في الشهر التالي وهكذا . وتناصح المتك شارل الاول بهذه الفضة الانجيلية استعارها ثم اعادها في الوقت المعين بعد ان كتب كثيراً من الشروح على هوامشها بخط يده . وهذه النسخة موجودة الآن في جامعة هارفرد .

وأما نيكولاس ايضاً جماعات تهر الليل بين الساعة مساء والواحدة صباحاً وتنشد التراتيل . وفي الواحدة صباحاً يتم ايقاظ نيكولاس ليصلي بقبه الليل حتى الصبح في تأملاته اللبية . وكان يفعل ذلك يومين أو ثلاثة أيام في الاسوع ولم يكن لينام إلا قليلاً في تلك الايام . وفي بحريف عام ١٦٣٧ درس نيكولاس وكان حينذاك في الخامسة والأربعين . ولأول عليه انه كان

يعرف ان نهايته قد دنت رغم ان مرضه لم يكن خطيراً في بداية الامر .
اتفق أساييه الأخيرة في هدوء ودعة ، مصغراً أموره ومستعداً للموت . ومات
ليلة الأحد التي قام فيها المسيح . وكان ذلك في الساعة الواحدة صباحاً - أي
في الوقت الذي كان يبدأ فيه تأملاته .

واستمر الوضع في ليل جيندك على حاله طيلة السنوات العشرين التالية
برعاية شقيقه الأكبر جون ، وفي عام ١٦٤٢ كانت الحرب الاهلية تغرق
النكرا ، وزار الملك الاسرة . وبعد أربع سنوات من ذلك عاد الملك ثانية
.. وكان هذه المرة هارباً من وجه قوات مجلس النواب المنتصرة .

وكان « ملكاً عظيماً » ، كما وصفه ت . س . « يوت في » ليل جيندك .
واستضافه جون فيرار . ثم خرج معه في إحدى القياي على هدى قانون
وقاده الى بيت أحد انصار الملكية في كوينك فورده . ومرت سنت ثلاث
وأعدم الملك . وعانت ليل جيندك الكثير من جراحه بلها لملك . إذ لم
تض شهر ثلاث على تلك الليلة من ليالي آفاد عام ١٦٤٩ حتى هاجم
جنود كرومويل البيت والكنيسة ونهبوها واحرقت الكتب والأثاث وسط الحقل .
وبالرغم من ذلك استمرت اسرة فيرار على حياتها تلك إحدى عشرة سنة
أخرى الى ان مات جون فيرار . ولم يبق احد لهم في أمور الاسرة بعد ذلك
لفرق شملها .

وما تزال كنيسة ليل جيندك في مكانها من زاوية الحقل . أما البيت
فلم يبق له أثر . وأما قبر نيكولاس فيرار فهو يقع امام باب الكنيسة
دون ان تكون عليه أية كتابة . بل حتى ولا اسم .

وقد يرى عدد كبير من قراء اليوم ان الحياة في ليل جيندك على
هذه المشاكلة تعتبر أمراً كريهاً . وقد يعتبرون الاطفال الذين نشأوا في
كنف الاسرة شهداء ذهبوا ضحايا رغبة مجنونة في العبادة والدين . إلا
ان هناك عدداً كبيراً من القراء الذين يجدون في هذا الضرب من الحياة
حيثاً الى الدعة والحياة البسيطة المتواضعة . حياة هذه الاسرة التي استمرت

من العالم . لقد اختار نيكولاس فيرار طريقاً واحداً للخروج من حيرة
اللاسي . حدد أقام لنفسه زاوية من زوايا العالم يسودها النظام ، وحاشي
في تلك الزاوية وكان بقية العالم لم تكن موجودة .

صحيح ان المزاج الرهباني ليس مألوفاً في العالم الحديث وانه بالرغم
من كراهية الملايين من الناس لروايت الحياة الحديثة ورغبتهم في الخلاص
منها فانهم لا يريدون ان يستبدلوا بها حياة الراهب . وهذا أمر يمكن ان
يفهمه الانسان . الا أنه بسهل علينا أيضاً ان نرى كيف يستطيع ليل
سراتي - أو أي مؤرخ حديث آخر بتجريد الحوادث من العواطف التي
ترافقها - ان يكتب عن الحياة في ليل جيندك بطريقة تجعلها تلوح بمضحكة
للغاية . ولكن هل يستطيع مثل هذا المؤرخ الذي يسعى الى نيكولاس
فيرار كما نساء سراتي الى توماس اولوند ، ان يقدم اقتراحات بناءة
حديث لحل مشكلة فيرار ؟ لقد كان فيرار يملك ذلك الطبع ، المعادي
للعلم . - الطبع الذي جعل يشي برغبته في إعداد مجتمع خاص بالشمراء
في قلعة على الصخرة ، في روسكومون . انا نستطيع ان نعتبر حل الله
طبع رومانتيكي ؛ ولكن هذه الكلمة يجب ان نحلو من أي إيهام بالصخرة .
بحث مثلاً في محاولات بيتس التي بلها من اجل إيهام حل . انه يتحدث
في « التواريخ الشخصية » عن ايمانه بأنه « كمال ما أكد عليه الشعراء
العظام في أبداع لحظاتهم كان أقرب الأمور الى الدين الصحيح . وان
لاهرتهم . وأرواحهم . أرواح الماء والريح . لم تكن إلا الحظيفة الحرفية (١) »
وقد شعر بيتس كثيراً من اللاهوتيين التواضع بالحاجة الى ان يجد « طريقة
في الحياة » مستخلصة من الحقائق التي يستطيع اللاهوتي ان يؤكد عليها
هائلاً . وشعر بان الحقائق التي يعيش بها « الانسان العادي » هي انصاف
حقائق « صولة بدافع الخوف والكليل » وهو يتألم في مقطع لا يسى
من مفادهم كيف انه « ربما كنت امر » قرب ضايات المحاكم الجديفة .
شعرت هناك مثل الحجر والسكر بسطهذي . (وهالان لسان وإيبل من

الحجر والطاوق حولي ، - ثم أضفت (لو حضر يوحنا المعمدان أو مثله الآن وركز فكوه عليها ليمتلئ الناس جميعاً بخروجهم في القفار تاركين أبنتهم حالية) وقد أضفت هذه الفكرة رغم أنها تلوح بعدة القامات الآن . بيد أنها ما تزال تضيي بوراً على النهار . وما تزال حية في الذاكرة . (٢) . ترى كيف أضادت تلك الفكرة النهار ؟ لأن ييتس يشعر بأن الناس المتحضرين يعيشون وفق مقاييس مبنية على الجبن . وأن ما كانوا يحتاجون إليه لينبذوا برج بابل هو نبي لامتنس ليمدهم بالوحي . لقد كتب لورنس عن العرب فقال أهم يمكن أن يقادوا إلى سبائك الأرض ، على أن يكون من يقودهم نبياً ذا رسالة . وقد زادت تلك الفكرة من معارف ييتس لأنها صبرته واثقاً من أن جوعه إلى مستوى من الحبش أكثر جديده صنع منه شاعراً وإسائاً من طراز أعلى من البشر لا مجرد لامتس مجنون .

وهذا هو ما يصنع اللامتس . فهو لا يشعر بالراحة في العالم ، وهو يبدأ بالخوف من أن ذلك يعود إلى نفسه ككائن بشري . ويقدم لنا أمثال ألدوس هكسلي الأرائل نموذجاً من هذه المرحلة :

على القصة الطويلة : *Sales Occidere et Redire Possunt* ، « مثلاً » الذي يشبه ديس في : *Crow Yellow* ، وكمبرل في : *Antic Hay* ، وهو يقول بعد ذلك أن العالم نفسه مضطرب ، وليست نفسه . ثم يكس من كراهية العالم ويبدأ ببلعه . ولقد أقر ييتس قائلًا : « لم أجد في لندن شيئاً خيراً ، وكنت أتذكر دائماً أن مسكن كان قد قال مرة لأحد أصدقائه أبي :

(بينما أذهب إلى عملي في المتحف البريطاني أرى وجهه الناس تريد صاداً ومثلاً يوماً بعد يوم) . ووثقت وقتاً ما من أنني كنت أرى ما كان قد آت . (٣) أن اللامتس يرى في العالم الخارجي فوضى وفساداً أما في عالمه الداخلي - في المحطات التي يشهد أدواراً فيها لإيجائيه - فإنه يرى النظام

والجمال والتأكيد . وأي شيء أكثر طليعية من محاولته أن يجد زاوية في العالم يستطيع أن يفرض عليها نظامه المطلق ليحبسها تمكس عالمه الداخلي ؟ وهذا هو ما حلم به ييتس حين فكر في تأسيس منظمة صوفية لي القامات التي على الصخرة . ويقول ييتس : « . وكانت أفكاره منصبة خلال عشر سنوات على محاولة لاشطة من أجل إيجاد فلسفة وعلمت فلسفة لذلك النظام . »

وهكذا نجد أن نيكولاس فوار هو بالنسبة للامتس أكثر من مجرد إنسان مخلف فكنية الانكليزية . أنه رمز لمحاولة جسورة من أجل الوصول إلى حل لمشاكل اللامتس . وقد نشعر بأن هناك الكثير من المآخذ على طريقة الحياة التي كانت حاضرة في مثل جيل ذلك . والاعتراض الذي ينشأ هنا هو نفس الاعتراض الذي ينهض ضد اعتناق إليوت لقواعد الكنية الانكليزية : أن اللامتس يجب ألا يسلم تفكيره لحقيقة تاريخية لأن التاريخ غير ذي أهمية في النهاية . أن التاريخ هو ، كما يقول ستيفن ديد آلموس ، كابوس ، وهو كابوس يحاول كل البشر أن يستيقظوا منه . وهنا نبرز أهمية الخطوة تغير القامة . حين يستيقظ الموتى . ولقد كان أبسن خطأ « اقتنع جميعاً أموات » . وأما يوم الدبونة فيكون اليوم الذي تستيقظ فيه نحن الأموات . أنه اليوم الذي يحطم فيه أول كائن بشري الحلقة الشريرة التي نجسنا حيوانات أكثر منا بشراً . وفي مثل هذه اللحظة - التي تباحثت بليك ونيتشه على شكل رلى - ينتهي التاريخ . ويبدأ الزمان الحقيقي .

على القزياء والرياضيات . وكانت لبلز شقيقتان غائبتان ذكيتان احدهما اكبر منه والاخرى اصغر منه .

وبدلت الاساطير تروى عنه منذ ولادته . فقد كان في طفولته مريضاً متفجع فيطن . واشيع عنه انه كان مصاباً بالعين . واضطر والده تحت تأثير تلك الاشاعة الى احضار المرأة التي قبل انها اصابته بالعين ، ولما صب عليها جام غصبة ومددها بالشق اعترفت بأنها كانت قد وضعت للطفل تموية شريرة في إحدى ساعات حلقها . ولمره الحظ فقد كانت تلك التموية قاتلة لا يمكن التخلص منها الا بتحويل مفعولها الى مخلوق آخر . وقدم لها ايتين بامسكال حصاناً ، ولكن الساحرة اوضحت ان الأمر يمكن ان يتم بواسطة قطعة . وحي . بقطعة ، وبينا كانت المعجوز تحمل القطعة عاقلة بها الى الطابق الاسفل صادفها بعض الفرس لنهرها بشدة . وفي تلك الاثناء تمزقت القطعة من الشائفة ودقت عبقها . وكان عسلي الوالد ان يحضر قطعة أخرى : الا أن المعجوز طلبت احضار بعض الاعشابوقالت ان حقلها لا يزيد عمره على سبع سنوات يجب ان يبحث هذه الاعشاب قبل شروق الفرس . وتم هذا ايضاً وصنعت المعجوز عصية من تلك الاعشاب ووضعتها على جلي بلز . وكانت النتيجة ان الطفل لاح وكأنه سيموت . وانه كتب من التمس وبردت اعضاؤه . وفضب الوالد واتى بالمعجوز ارضاً . ولكنها أكدت له ان كل شيء سيكون على مايرام . وبعد بضع ساعات بدأ بلز يتناوب وبينية ط واحتمى المرحس . وعاد الوالد من المحاكم ووجد الطفل يسكب الماء من قنبرج الى آخر . ولا تعرف ماذا حدث لساحرة التي يلوح انها كانت تعيش عسلي أفضل السيلة بامسكال .

ولكن بلز لم يكن طفلاً صحيحاً ، كما ان مرن أمه وهى في الثالثة من العمر أثر عليه تأثيراً عيقاً . بيد أنه ابدي من الدكاء والشرق الى الدروس ما جعل والده يجد نفسه مضطراً الى أن يجمع من اهلك بعضه شدة . وقد تكون هذا سراً في اللاح عليه . الصراج المذكور عند رفض أبوه مثلاً ان يسمح لسه . انه الشاب حتى انتهى من الاحاطة بالعين بطلائعية والانه . ولما لمير

الفصل الثالث

بلز بامسكال

يعتبر بلز بامسكال عظيماً لأسباب كثيرة الى درجة ان الكتابة عنه ليست سهلة : لان من يكسب عنه يجب أن يقرر أولاً من أية زاوية سيبحث أمره . ان مؤلفي الرياضيات مخصصون حصواً لبامسكال وبدأونها بقولهم ان بامسكال كان سبيل الى مصاف العظماء في تاريخ الرياضيات وانه بدأ بموت وهو في القمة حين أصابه ان يترك في الدين . وبدأ مؤرخ حديث بحثه الفصيح بعبارة : « لقد كان بلز بامسكال واحداً من أعظم الرجال الذين عرفهم التاريخ » . ثم يتحدث عن انجازاته العظيمة في العلم والرياضيات والاخوت . وهناك كتاب آخر من يزعمون على أهميته كفيلسوف ، وكهذه التأثير على وليم جيمس وبرغسون والوجوديين الحديثين ، ويكتب ت. ي. هولم مثلاً ان كل مؤلفاته ليست الا تمهيداً لمن يريد ان يقرأ مؤلفات بامسكال .

ولكن أبسط وأكثر الطرق فائدة بالنسبة لبحثنا هنا هي أن نبحث أمر بامسكال باعتبارها لامتصياً . فقد كان يتبع بذهن علمي كامل مضافاً اليه شوق عميق من أجل المعنى والتأكيد ، وذلك الشوق الذي يميز كل اللامتصين .

ولد بامسكال في عام ١٦٢٢ أي قبل موت بوهمه بعام واحد في كثير مونت . كان والده مؤلفاً حكومياً خطير الشأن في وسط فرنسا . وكانت هواياته

بأسأل أصدقاؤه والده ويقتصر شيئاً قليلاً بالزهد من المعلومات عن الوسائل والنتائج من دراسة علم المثلثات . وهنا تدخل والده وطلب من أصدقائه ألا يتحدثوا إلى بلير بشيء من المثلثات . وصار بلير يرسم بالضمخ منحنىات على الأرض محاولاً أن يعلم بنفسه . واستطاع أن يرسم دائرة كاملة في داخلها مثلث متساوي الاضلاع وانطلق يحاول أن يبرهن على أن مجموع زواياها ١٨٠° . ودخل والده الغرفة ووقف يراقب جهود ابنه . ثم سأله عما كان يفعل . وبدأ بلير يوضح له منطقته - بشيء من السهولة - مستخدماً مصطلحاته الخاصة من « القطبان » و « الخلفات » بدلاً من الخطوط والزاوايا . وخشيت جليبرت بأسكال - الشقيقة الكبرى - حله الفصيح بقوله أنه منذ ذلك الحين أصبح لبلير بأن يقرأ كتب المثلثات . ويمكن أن نلاحظ من الحساب ادعاء بلير أن اكتشاف نفسه الدعامات الثلاثين والثلاثين التي كانت معروفة من قبل ، وذلك لأنه ليس بين هذه الدعامات حلقة منطقية تتبع لأعظم تواضع الرياضيات في العالم أن يكتشفها ثانية بأنفسهم دون أية مساعدة . ولعل جليبرت أرادت أن تقول أن بلير اكتشف بنفسه الدعامات الثانية والثلاثين المشهورة القائلة بأن مجموع زوايا المثلث تساوي ١٨٠° .

هناك أساطير كثيرة عن أسرة بأسكال ، فحين كان بلير في الخامسة عشرة غضب ديفيد على والده بسبب تأخير دفع بعض الولادات ، واضطر والده إلى الاختفاء فلا يكون مصيره الباستيل . أما جاكين فظن أنه ظهرت وهي بعد في الثانية عشرة براءة كبراهة أنبياء الأكبر ، وقاد حينها كشافة حتى بلغ مسامح البلاط . وفي ذات يوم أرادت إحدى قريبات ديفيد أن تعد مسرحية يحدونها إلى الكاردينال وطلبت من جاكين أن تقوم بدور فيها . وكانت المسرحية مأساة من تأليف سكوديري « الحب الطاغية » . وشهد الكاردينال المسرحية وأعرق في الضحك ، ولا غرو فقد أثر فيه منظر أولئك الصبيان والصبايا الذين كانوا يتحدثون عن المحافظة والسلم والحواشي المنقولة . تماماً كما كانت مسرحية ديفيد آشفورد « الزائرون للشبان » ستوكر على جبل لاحق . استدعى الكاردينال والد جاكين وحفاة عنه وهناك وعينه بمنصب وريح .

كان بأسكال في ذلك الحين منهكاً بالرياضيات ، وكان مهتماً بدراسة أشكال المخروط . ولكن نبوغه لم يقتصر على الرياضيات وحسب وإنما اشتمل على آلة حاسبة ليأخذ أبناء في عمله - وكان حينذاك في العشرين من العمر والفن بنفسه في غمرة المناقشات بشأن مسألة الفراغ التي القسم بسببها عليه عصره على أنفسهم .

ولعب دوراً رئيساً في إجراء التجارب وتعاون مع عدد من الفيزيائيين والرياضيين البارزين بما فيهم ديكارت (الذي كان يكبر بأسكال بسبع وعشرين سنة) ، والذي كان يشار من بأسكال . ولست أذكر هذه القضايا لأشبه بنوع بأسكال وإنما لأوضح شيئاً من المحيط الذي كان يعيش فيه في سنوات عقده الثاني : التطوع لخدمة الرقاب ، والشعور بأن الإنسان كان في طريقه إلى اكتشاف أسرار الطبيعة . فقد كان ، من وجوه عذبة ، محيطاً من المعرفة « حديثاً » تماماً ، يتميز بالاعان وبالعلم والتقدم ، وكان المصنفون من الناس يجلبون إلى حروفات النساء النصارى المسيحيين مثل مونتني وديفوي - « الشكوكيين » الذين كانت قراءة مؤلفاتهم موضة العصر - وبرزيلو ، وكان كورنيه هو الشاعر المفضل في ذلك الحين وكان يردد عبارات أرسون : « أنا سيد ظني وسيد الكون » .

ولكن بأسكال لم يكن شخصياً صحيح البنية ، ولم يكن مثل ليوناردو الذي كان يشبهه في تعدد جوانب نبوغه . لأنه لم يكن قوي الجسد ليتمكن من بعض الانفعالات الذهنية . ولعل هذا يفسر لنا اختلاف طبعها وكيف أن ليوناردو أسم يتوصل إلى تثبيت معتقدات دينية خاصة به . ولقد أشار براندل إلى أن الإنسان يقبل السعادة والصحة دون مناقشة . في حين أنه يبدأ بالتساؤل حين يهيئ له الشقاء . ولم يكن بأسكال سعيداً ولا عاكلاً مؤسداً للتفكير لأن صحته لم تسح له بطبع مسجع مختل .

ولما بلغ الثالثة والعشرين تعجز عرى ذهنه ثانية . فقد رأت قدم والده حلاً للتحس يوماً فقط وخرج عظم فخذه عن موضعه . واستدعى محمد إلى المستشفى

للإشراف على شفائه طيلة أيامقامته بالبيت في روان . وكان هذا المجير النجاشي وأخيراً ديشان . وكان قد آمن بالجانسية واستطاع أن يوترا على بلير ويجعله يؤمن بهذا المذهب :

والجانسية مشتقة من اسم كورنيليوس جانسن . اسقف ايرس . وكان جانسن قد تحدث . قبل خمس عشرة سنة من مولد باسكال . مع القسيس سيران الذي كان يدعى بالأصل جان فوهورين . عن التسيب المبني في عصرها وفكروا معاً في أسس عامة للإصلاح . وكان القديس سيران موعوباً شديد التأثير سافر الشخصية . وقد أظهر فيها بعد بلاغة وبراعة شديتين وحسن يتفهم أصناف راجبات بووت وروبال . وهو دير بعد أربعة عشر ميلاً من باريس . واستطاع أن يخطي بنفوذ كبير بين الناس . وكان يتواصل مع جانسن لسنوات عديدة . وكان جانسن يوضح معتقداته خلال تحيله للقسيس أوغسطين ذلك التحليل الذي سماه : أوغسطينوس . ومات جانسن في عام ١٦٣٨ - في الوقت الذي كان فيه باسكال مشغولاً باعداد بحثه عن الإشكال المخروطية - ونشر كتاب جانس . باللاتينية طبعاً . بعد مرور عامين على وفاته .

وكان جانسن وسان سيران قد رأيا العالم بمنظار اللاهوتي المتطرف . وقالوا انه عالم مملوء بالوهميات والشروخ وأنه عالم الاندال والحقى . وشتموا عما نشر به جوفانان سوفيت بخصوص الطبيعة البشرية . أما بخصوص الخلاص . فقد اتفقا مع وجهة نظر غوردتييف وت . ي . هول في : أن البشر حفسى . غافلون . وأنه لا يوجد السان واحد يستطيع أن يخلص نفسه بنفسه . وأدركا بتضاد بصرة اللاهوتي الحقيقي أن البشر يملكون من : الاداة الحرة : أكثر مما يعتقدون . ورأيا بوضوح كل الأمور التي سبق ان أوضحها اللاهوتيون : انه لم يستطع أي إنسان أن يحل مشكلة ميث الحياة . وان البشر جميعاً يحفلون بالعمل .

ولكن . ماذا عن المسيحية ؟ ماذا عن المسيح . الذي قال ان المؤمنين يخلصون ؟ لقد قالوا جواباً على ذلك أن بعض المؤمنين يخلصون ولكن ذلك ليس

بمجردهم الخاصة - وإنما يتعلم عطف الله ورحمته .

وكيف يستطيع المرء أن يحصل على هذه الحب الغالية ؟

قال جانسن انه لا أحد يستطيع . وإنما يستطيع الإنسان ان يأمل . لان الإنسان يملك القليل من حرية الإرادة . وهكذا فهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً . وإنما يستطيع أن يجهد نفسه ليستحق تلك الرحمة .

ونحول بلير إلى هذه الفكرة التي اتفقت مع فكرته عن العالم . لقد كان عالماً نقيماً . أولاً وآخرها . وهذا هو شأن اللاهوتيين . وكانت أفكاره عن الطبيعة البشرية تدفعه إلى اعتناق أفكار جانسن . وهكذا . فمثل أن يبلغ الثالثة والعشرين صار جانساً قوياً .

وصار باسكال يلهجا خارجاً على الكنيعة - مثل بوهمه وكيركفارد وفوكس وبليل - بل مثل كل اللاهوتيين الذين يؤمنون بالمسيحية . لأن المسيحية كانت في عصره متعبة متساهلة . كما كانت أيضاً حين ناز عليها لوتر . واستطاع الجرويت بعد لوتر أن يعيدوا إلى الكنيعة معاني المسيحية الكاثوليكية . ورمعوا نوايا الصرامة التي كان بنادي بها آباء الكنيعة السابقون . ولما وقع الملك الصغير هرش فرنسا في عام ١٦٤٣ كان الجرويت شديدي القوة . بل كان في كسل عاتقة متعفة رجل من رجال الدين . واضطر هؤلاء إلى التنازل عن كثير من الأمور لاجتماعهم في القضايا الدينية ولأن الساسة ورجال الاعمال والتجار الأغنياء لم يكونوا ميالين إلى رجال الدين الذين لا يوافقون على الخفاض أعيانهم عما يرونه من مساوئ . ولم تكن الكنيعة قد بلغت ما بلغت قبل لوتر من ثعبت . إلا أن تخالفها مع العنائب الديوي دفع برجال مثل جانسن وباسكال إلى اعلان أنها فاسدة .

وكان إيمان بلير بتلك الحقيقة قليلاً خالفاً . وقد درس كتاب سان سيران : رسائل روحية . وكتاب آرنولد : المشاركة الروحية المذكورة . ولاحظ أنه فاجأه انه يجد حل لغرض الحياة . ووجد أمامه الطريق إلى الله . مفتوحاً . بدونه إلى السيرة وحسب . ولم يجد شيء آخر . وإنما انصرف إلى توحيد

هذه ، واستطاع ان يؤثر على جاكلين وان يجعلها تنفتح عن الزواج من مستشاره . استطاعا معاً أن يؤثرآ على أبيهما وشقيقتيهما وزوجيهما . ولكنه لم يوفق في اقتناع قس فرانسيكي اسمه سانت آنج . وكان هذا يؤمن بان حقائق المسيحية أمور لا يمكن اثباتها الا بالعقل . واجتمع باسكال بهذا القس وناقش . وكان القس فكهما قوي الحجة . الا أن ذلك لم يؤثر على باسكال ولا على صديقين مسن أصدفاته كانوا يشتركان في النقاش . وارسل البعض رسائل إلى الاسقف فكان ان اتقى القس سانت آنج من منصبه . ثم اتقى من قرية مائة قرب باريس أيضاً . وسر باسكال لذلك سروراً كبيراً . ولكن بعد ثلاثمائة سنة على ذلك كشف القتاب عن الموضوع ، وظهرت فيه أمور كانت لصالح اتباع سانت آنج . الامر الذي اضطر اتباع باسكال إلى محاولة تغطية القضية وتناسيها .

وبعد مرور عام على هذه الحادثة تدهورت صحة باسكال وصارت كثيراً واضطر إلى التمكنز عند المني ، وكانت قدماء بلودين دائماً محتاجان إلى نفقة دائمة يقطع من القماش حيلة بالبراندلي . وبالرغم من ذلك استمر على اجراء تجاربه في « الفراع » . وفي بداية عام ١٦٤٧ انتقل بلير وجاكلين إلى باريس ، وصارا يحضران مواظب الاب ستفان ، رجل الدين المشهور الذي كانت رحمة الله قد شمله فآمن في عيابه حين كان يسكن في دكان لبقالة . وأثرت بلاهة ستفان في نفسيهما فقررت جاكلين أن تكون واحة ، بيد أن والدها عارض الفكرة وطلب منها أن تنتظر حتى الاقل إلى أن يموت . ووافقت على ذلك ، أما بلير فقد اشتد تكريسه لنفسه من أجل الدين أكثر من قبل ، وانما لم يستطع أن يتدخل من العلم نهائياً ليتوفر لحياة الرهينة . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان والده مريضاً ، ولم يشأ ان يسبب له أية رجة قد تقضي عليه . وفي عام ١٦٤٩ أصعد والده إلى الريف وقضيا ستة شهور في اوفرين ، وتحسنت صحته هر أيضاً ، كما أن اطباءه نصحوه بأن يعيش حياة هادئة . واتبع باسكال هذه النصيحة فترة من الزمن ، ولكنه بدأ يقضى الاجتماعات مع صديقه الفوق دي روابير الذي كان مسجياً به . وصاروا يلعان القمار وينشأان المرافقات . وكان لغمسه الدهي

سبياً في ظفرو باصمات المجتمع الذي كان ينشأه ، وأحب سيدة وصار ينفذني أثرها . ولعلها كانت شقيقة الفوق) . وتآلت جاكلين كثيراً بسبب هبله الدينية التي بدأ أعوها يتصف بها . وصارت أصلي من أجل أن يعود إلى الايمان . واشتد الخصام بينهما حين مات والدهما في عام ١٦٥١ . وقررت جاكلين أن تلبس القناع . ولسبب ما . حاول بلير أن يجعلها لاجل قرارها امة عام واحد ، ولكنها رفضت ذلك . ولم تكن تعلم أن بلير كان بطور في نفسه متفهوماً جنبياً عن الحياة وعن نفسه وان كل التجارب السابقة كانت تارح له عدمة الجنوى . وآله موت والده كثيراً ولكن ذلك لم يؤخره عن المجتمع طويلاً . وعاش ثلاث سنوات انسانية دينياً تماماً . الا أنه لم يتحل عن الله من أجل الملل نهائياً كما كانت تعتقد جاكلين . كان ذهنه يشاغل في تلك الايام بمشكلة الإرادة الانسانية وقوتها . وقرأ مونتين وايبيكتيس وشارو وديكارته ولم يكن قد نسي إيمانه السابق . وانما كان قد أدرك أن هدف الحياة الانسانية هو السعي من أجل حياة القديس ، أو الحياة الالهية . وهكذا فاددوجه كسل اهتمامه كلامنهم من أجل البحث عن أفضل الطرق إلى هذه الغاية ، وصحح نفسه بالانقسام من جديد . وكان في بعض الاحيان يكره نفسه ، أو رفاقه ، ويجدهم حقيرين . تالهمين . وبعد ان قسم نفسه حامداً ، كلف عن الشعور بالأرباط الماشتر باقة ، وصار تكريسه عارة عن طفوس ميكانيكية . وفي عام ١٦٥١ كتب إلى جاكلين رسالة اعترف فيها بأنه كان قد وصل إلى زفاني عقلي في وودجي . مملود . وكان في الحادية والثلاثين ، وكانت لديه كل مظاهر اللاعنني بأن الحياة الانسانية هي طريق نصف . لا يتميز بشدة الطيبة

وسر عام قضاء في احتلال الصحة والقلق الروحي . ثم رأى روابير . وكان ذلك في اليوم الثالث والأعشر من تشرين الثاني عام ١٦٥١ . كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف مساء . ولعله كان مصطحباً في فراشه حين شعر جماً خيخ من الصحة والحيوية . مشحور كمال من الراحة والنفقة . بنقمة مباحة وكاملة إلى درجه أنه حين كتب بعد ذلك بصعب مشاعره حلاناً لم يجد

عنواناً لوصفه غير كلمة : نار . واستمر شعوره بذلك ساعتين وحاول أن يهده
 حل الورق وصفاً كاملاً . ولما بدأ بالكتابة تغيرت مشاعره إذ لا يمكن أن تستمر
 الرؤيا أكثر من ساعتين أو أن يحافظ عليها الإنسان طيلة ذلك الوقت . وبدأ
 يشعر بأنه كان يقترف الخطايا طيلة الاعوام القليلة السابقة . وهذا هو ما يحدث
 دائماً عقب كل رؤيا . فالشعور الاول هو شعور بالجريمة يجعل الإنسان يؤكده على
 كل الوجود . وعلى الحب . حب العالم . وعلى حقيقته المادية . وحتى تتلاشى
 هذه الثقة يشعر المرء بالحاجة إلى النظام . حتى يكون في الزمخ ان تستعد ثلاث
 المحطات . كما يشعر المرء بأنه كان بعيداً عن ذلك النظام في حياته الماضية .
 وهكذا يجد مذكراته باسكال تبدأ :

اله

اله ابراهيم واله يعقوب واله اسحق

لا اله الا الله المخلص والمخلص

الشفقة ، الشفقة ، الشعور ، الضيقة ، السلام .

اله يصرخ المصيح .

ثم يضيف :

الضيق ، الضيقة ، الضيقة ، الضيقة ، دموع الضيقة .

لقد كنت متصلاً عنه ...

ويتمهي بقوله :

دعني لا انفصل عنه .

لا يمكن الحفاظ عليه الا بتعاليم الانجيل .

النيل ، والتخلي ، التام العذب . (٦)

ويمكننا ان نرى في الحال ان هذه الرؤيا لا تختلف كثيراً عن رؤيا بوهده ،
 أو س رؤيا نيشله على قمة التل . حين يجعله البرق والمطر يشعر بحالة سامية من
 الكونية . انها الرؤيا التي يشهد لها كثيرون من اللاهوتيين : بتسكي . الله دار
 في الرأس . بيتس . سماء مشهودة في النهر . ورؤيا لاف حوخ التي تلوح في

لوحته : ليلة الهجوم . والمديح الطابع كريلكه . ابتها الارض . احبك . انا
 لريده . ولحظة شيقين وولف التي استطاع فيها أن يؤكد على كل شيء . وهذا
 أطلق باسكال على ذلك اسم : الاذم . وهكذا كان . عفاً من الشاكيا
 الخالص . وعند ذلك الحين لم يجد باسكال عن ثقته الدينية أو عن رؤياه الدينية .
 وكانت رغبته الاولى هي أن ينسحب إلى بورت روبايل وأن ينفض روحه
 للأرب متغلان . ولكن سغلان كان مريضاً . فكان على باسكال أن يعاني من
 ثقته السابق وعدم صبره . وعاد صديقه القوي دي روائير إلى باريس . وانزعج
 كثير آحين سمح ببداية باسكال . ولم تمر أيام حتى اعتدى هو أيضاً . وصيب
 هنا بعض المتاعب . فقد كانت اسرة روائير تنتظر أن تزوجه ببناته غنية من
 عائلة ريفية (كانت أراضي مرتبطة) وكان مثل هذا الزواج في فرنسا القصور
 السبع عشر يدعى . نسيب الارض .) . وغير روائير رأيه بعد هدايته . الامر
 الذي اغضب أسرته عائلته بالآراء على كاهل باسكال الذي كان يعيش معها في
 ذلك الوقت . وفي ذات صباح حملت زوجة البواب مكيته وضمت انتفضل
 باسكال في غرفته . ولكنه كان خارج القصر خلافاً عادته . ولما سمع الحلق
 لم يجد . ولمضي بعض الوقت في الريف ثم انتقل إلى بورت روبايل .

وحنا بدأت المرحلة اعظمية الثالثة من حياة باسكال . برافقت هره . وحل
 الدنيا . وحار باسكال بقضي اوقاته جالساً يقرأ الانجيل وتعاليم آباء الكنيسة
 وأنصتت بعد لتظام صارم هصار ينهض من نومه في الساعة صباحاً ويصوم
 . النهار ويقرأ خلال ذلك . ولم تكن روحه مفسدة في تلك الفترة . ونحست
 صبره كثير آ . قد كتب في المذكرات : يقول : تعاليم الانجيل هي الامور
 . غير الاعمال . وهكذا فقد حصد الانجيل . ولعل تلك الفترة كانت
 . من حزمات حياة باسكال . وقد قبل حاوله فيكون غير لاف لحا كل اللاهوتي .
 . تلك المحاولات . ولما أحسب المتاعب مدير بورت روبايل . عاد هده
 . كان . ثم حالف . حبه وسبحه مناد . وكان مستعداً لتعاليم صون

بدأت المذهب حين رفض الجزويت قبول الدوق في لوانكور في اجتماعهم
 الدينية لأنه كان يطف على دير بورت روابال . وهاجم آرنول . وهو من
 الدير ، الجزويت ، واستمرت بعد ذلك مراسلات نوقشت فيها قضية الرحمة
 المقدسة . وعرضت المسألة على كلية اللاهوت لسان رابا ، ولكن الجزويت
 كانوا قد أعدوا الحدة فلأوا مجلس المستشارين بأنصارهم ، من الجزويت
 والموليتين (وكان مولينا جزويتاً بشر بأن الأرافة الحرة والمقدس السابق
 يتعارضان) . وهكذا خسر آرنول القضية . وكان ذلك يعني بالنسبة لبورت
 روابال أشياء كثيرة ، منها توقع إعلان الجانسية نوعاً من المهرقة والخلق دير
 بورت روابال . ولجأ آرنول إلى باسكال ليستنضم طاقاته الدينية دفاعاً عن
 بورت روابال (وبعد بعض التردد) وافق باسكال . وفي بداية عام ١٦٥٦
 ظهرت كراسة صغيرة بعنوان « رسالة إلى ديني » في شوارع باريس ، ويحت
 بسرعة . وأحدثت هذه الكراسة ضجة شديدة . وهي تبدأ ببساطة ، وبأسلوب
 كلاسي : « سيدي العزيز ، نحن نخطون كثيراً ، وقد علمت بذلك أمس
 فقط وجلب ذلك انتباه الناس ، فمضوا في القراءة : « ومع ذلك . فلأمر
 بسيط ، إذ اتهم آرنول بأنه يشك بأن كتاب جانسن يحتوي على خمس
 فرضيات مهترقة ، ولعل أفضل ما يمكننا أن نفعله هو أن نقرأ الكتاب . ترى
 لماذا لا يقول لنا الذين يتمتعون بهذا الكتاب أين نستطيع أن نجد هذه الفرضيات
 الخمس في كتاب جانسن ؟ ثم يصف كاتب الرسالة زيارة لداكورن ، اللاهوتي
 الذي يهادي الجانسية . وهنا يظهر باسكال براعة لا تقل عن براعة قسام من
 الدرجة الأولى . فهو يتوصل بمهارة فائقة إلى خلق شخصية إنسان لا يتصف
 بالزهادة الدينية ، لاهوتي مضلل ، ويصف نقله مع كاتب الرسالة مفصلاً .
 ويعترف كاتب الرسالة بأنه يحاول في أمر هذا التلاعب بالافتاظ ، ثم يلجأ
 لرؤية لاهوتي موليني . ثم يتجمع باسكال في خلق شخصية فوغولية أخرى
 باسمات قليلة . وتجسد باسكال في هذه الرسالة الأولى يقف موقف « رجل
 شارع » الذي يحاول أن يعرف خوافي أمر صعب عليه فهمه . وهو يستخدم

الطريقة التي صار يستخدمها الصحفيون الآن ، مع غارق أن استخدامه أسلوب
 الطريقة لا يثبت على الفتيان كما تفعل صحافة اليوم .
 وتحدثت باريس كلها عن « الرسالة » . وحلوا البوليس تعقب مصداقها
 وبعد خمسة أيام ظهرت رسالة أخرى في شوارع باريس . وسيطر البوليس على
 كل المطابع التي كانت لها علاقة ببورت روابال . وبعد نسخة أيام بحث نسخ
 من رسالة ثالثة علناً . وصار الأمر مضطرباً في أهواء أهل باريس . وحلوا
 الجزويت الفاضلون أن ينفروا على كاتب الرسائل . وكان باسكال بين أولئك
 الذين حامت حولهم للشكوك : ولكن دفاق باسكال كانوا أشد دهاء من أن
 يسمحوا لأحد بأن يعرف من هو المؤلف . ولسوء الحظ ، غاد تلك الرسالة لم
 تنفع في تحليل آرنول من الأخطاء . وتم فصله من عضوية مجلس جماعة
 السوربون . وفي « الرسالة الريفية » الرابعة يتخطى باسكال من الدفاع مسن
 آرنول . بعد أن قال إن الجزويت لم يكونوا يعادون أفكار آرنول وإنما هم
 وحده . وبدأ بمهاجمة نظام الجزويت الأخلاقي . وكان جزويتي يدعى
 ايسكوبار قد جمع كتاباً من مختلف تعاليم الآباء الجزويتين ليسرشد به الفلاسفة
 الجزويتون في الأمور التي تعرفهم ، (خاصة في تقرير كون الذي منطفاً
 مع الأخلاق أو متافيا لها . ولكن الهدف هو ليس كما يلوغ القارئ الحديث ،
 « محاولة لإظهار الطالح بظهر الصالح » . وإنما يمثل ضرورة عملية فنضبهما
 الصعوبات التي تصادف النفس في الحياة العملية) . ولم يكن ايسكوبار الجزويتي
 رجلاً ذا دعاية غير آمنة . وإنما لاحظت بعض فرضياته وكأنها كانت محترمة
 لمصلحة المناقشين والكأالي ورجياً : وبماض باسكال يراعى كاتب الرسالة
 جزويتاً خصوصاً ايسكوبار

« واستمر قائلاً »

أخبرني ، أشرت كثيراً من العدد ٤

ضلت

كلاهما أي ، أي لا يستطيع احتمال الكثير منها .

- لقد سألتك ذلك لأخبرني وددت أن أخبرك بذلك تستطيع أن تشربه معها
ما تشاء في الصباح أو في أي وقت تشاء ، دون أن يكون في ذلك كسر لقصوم .
قلت :

- ان ايسكوبار الساد طيب .

وقال القس :

- ولكن الجميع غاضبون عنه !

ثم تصح الامثلة أكثر جرأة وتهجماً . لأن كاتب الرسالة يقول أن ايسكوبار
يشجع كل خطيئة ، ابتداء من طرح حذوك الغمران لبيع والشراء إلى القتل ، وهاجم
باسكال الجزويت لانهم اتهموا غاليليو ، وبسبب في الرسالة على افتراض مواقف
يديعي بانهم يقفون بها ، ليهاجمهم استناداً إلى ذلك . واستمرت الرسائل عاماً
ثم انقلبت فجأة ، بل ان الرسالة التاسعة عشرة تنتهي بحملة غير كاملة

وعد حدثت حادثة واحدة ، خلال كتابة تلك الرسائل ، يجب علينا أن
نذكرها هنا ، فقد عانت ابنة اخت باسكال حين كانت في العاشرة من العمر من
ووم في زاوية جنبها ، وظلت عليها تضجع وتبعث الرائحة كريهة لمدة ثلاثة
أعوام ، وتأثر معظم الألف أيضاً سبب ذلك الورم . وفي الرابع والعشرين من
مايس عام ١٦٥٦ احتفل الدير بمرور شوكة قيل إنها جعلت من اكليل لاشوك
الذي لوح به رأس المسيح . ووضعت تلك الشوكة على عين ماريهيت ، ولم
تزل إلا أيام معدودات حتى برأت من مرضها المزمن نهائياً . وأعادت الممارة
أفك الناس سورث رويال ، كما أعادت الثقة إلى نفس اسكالك أيضاً ، الذي
كان يعاني الكسبة ، وبالأخص إلى ذلك فقد أدت تلك الحادثة إلى وضع
شخص من ملائمة ليونث رويال الذي بدأ يتعصب بشي . من القسسية . وحت
لكسبة ملحة التحسين من الحقيقة وأقرت الصحة بأن الحادثة كانت صحيحة

وأما بعد مجرته ، الرسائل الربية . نهاية بورت رويال .
التي لم تخف حيلوث ذلك قام منه أحكام الأقدام

كانوا يشكونها من تلك الرسائل . الأمر الذي اضطر المصل إلى إضافة بعض
الكتب الأخرى إلى المحرقة باعتبار أنها هي الرسائل . وفي عام ١٦٦١ أعلن أن
كتاب جانسن محرم وأنه ضد قواعد القديس أوغسطين . واقتيد كبار رجال
بورت رويال لتوقيع وثيقة التحريم التي كانت تقضي عليهم هم في إضافة .
هكذا أصيب باسكال بنكة أخرى لم يستف منها أبداً .

ولكن في الوقت نفسه . كان باسكال قد بدأ مشروعاً كبيراً .
شروعاً كان جديراً بقراءة المثالة . فلم يكن الجزويت أعداء حقيقين . وإن
كانوا أقل ثدياً من باسكال - أي أنهم لم يكونوا لامتنين ، وإنما كانوا مصيبي
غير أعطية الممتنع . إلا أن التقدم العلمي كان قد جاء موجة من الاساءة
المحددة . وهكذا قرر باسكال أن يهاجم هذا الاتجاه الجديد .

وليس هناك من دافع يدفعني إلى التأكيد على أن مثل هذا المشروع حبر
المزب الأمور إلى قلبه اللامتنين . لقد قضى مونتينيكي عدوه وهو يلهم
بكتابة دمنة ماريهيت - من اسمها والاحاد . كما أن ث . في . هوله كانت وحرم
عكر شربد الاسافية من أسسها . بل ان كل ما يحصل بحالة اللامتنين الدينية
هو ضد الاسامية . ضد المادية . والاحاد يعني في النهاية المادية . وهي . مثل
أن أنت في دشتاغل . اسكال . أحاول أن أوضح هنا أيضاً كتاباً . ١٩٠٠
مثل ملحة من أهم العلماء التي تحتوي عليها البحث في اللامتنين

إن تصحيح العالم إلى متعصب . لا من ماريهيت
يقول التحليل المحدث في الطرق البحث هذا الموضوع العام
أن اللامتنين مناص من الكسبة المادية . لا مألوف . وصحيح أيضاً أن الفرق
من اسكال الكهوف في بالفرجة كذلك . وهذا لا
يخلو حقيقة أو أمانة إلا من هذا الإنسان المشغل . القلق . إلى
بعد ان مره أي هو مذهب

والفر لا يلهج من طلائه إلا
و مظهراً حل هذه الموضوع

عاطفياً جداً . وينطبق هذا على عبارة كثيرين . ان لوحات غوغان عظيمة . لا لأن غوغان كان رساماً موهوباً . وانما لأنه اهتم بالرسم اهتماماً شديداً بحيث أن نقصان الموهبة عنده (بالمعنى الذي يوضح عند التفكير في موهبة القوس) لم يعد أمراً مهماً .

ويرى اللامبسي أن هذا هو الفرق النهائي بين البشر . فقرة الإرادة والانشغال هما الامران الوحيدتان اللتان يستحقان الاهمية . الانسان لتقلق عظيم . والانسان عبر القلق ليس كذلك . وأما مولف اللامبسي الطيبي من الفلسفة فهو هذا لا تسأل إذا كانت الفلسفة صحيحة أم لا . وانما انظر إلى الفيلسوف وانظر إذا كان عظيماً أم لا . والانسان الذي لا يلقى لا يمكن أن يكون عظيماً هذا - رغبت منك في . وسأوضح مخاطره عند بحثي لبرناردشو . ولكنها نقطة ابتداء صحيحة للتوسع في بحث المفارقة العربية .

يمكننا أن نطبق هذا على الالهة والماديات : ترى من أي فرع من الناس هو المادي . بصورة عامة ؟ انه احباً بالانسان الذي يتحمس ضد الدين ويقف منه موقفاً عنيفاً بسبب تجربة كانت قد سببت له مع رجال الدين . (وبقدم انسا طراخام غرين نموذجاً لهذا النوع في شخص ضابط الشرطة في قصته « القوة والمظنة ») . ولكن مثل هذا الانسان نادر الآن . خاصة في البلد الحديث المتحرر . مهما كان هذا الانسان عادياً في روسيا القيصريّة . ولكن الامر هو أن يكون هذا الانسان المادي شكوكياً قصير النظر لم يمر بأية تجربة عاطفية أو روحية (ولا فرق بين التجريبيين من الناحية العملية) . انه من النوع الذي يسخر منه بليك في « جزيرة في القمر » . إنه الانسان الذي عاش متواتر الأولى سكران بفكرة العلم الذي يستطيع أن يجعل الانسان ميماً : عالم ولغته (لانسانا نجد بالطبع ان جزءاً من وجودية الانسان نفسه يتصل في سرديته لجبهه .

لخوفه من العالم الخارجي الذي يعلمه العلم كيف يسيطر عليه) . وهكذا نجد المؤمن بعقل الانسان مفلوجاً بإرادة القوة للسيطرة على العالم . القوة التي يفتح بال العقل والمنطق يستطيعان أن يقوداه اليها . ولكن انفساوه شبه انفساوه

الاسكتشر الكبير : ماذا بعد السيطرة على العالم كله ؟ لقد فشل اسان العقل في ادراك أهم الخسائر الخاصة بالانسان . ان العقل والمنطق قد منحنا الانسان القوة للسيطرة على عالمه الخارجي . ولكنها لا تمنحنا القوة للسيطرة على انفسنا انها نملانه دكتاتوراً . ولكنها لا تخلصنا تنفياً

ولكن أي شاعر يعرف ان التجربة المعادية هي التي تنور فيه الاساسية الخفية . تلك المبركات المبهمة في جميع الكيف الانساني هي التي تمنح الانسان النبوة على نفسه ومن ثم على العالم . وكل شاعر شاب يعرف هذا . كل مؤلفي نكوه قراءة شلي أو ورغزورث . اما الانسان الذي تقتصر حياته العقلية على التفكير في المطلق والعالم فانه انسان وسط وحسب . وهذا الانسان يفسح شيئاً فشيئاً متحجراً عقلياً . فهو إذاً اقل حياله مركزاً انتباهه على الطيفيسية وفرايبه فانه لن يكشفه المطلق العربي في ذاته . ان اجعل فصاك ليك ناهي . السامر العقلي . وهي تبدأ

١٤١

١٤٢

١٤٣

١٤٤

١٤٥

١٤٦

١٤٧

في حساباته ، يخضع التجربة الماطية في ذلك ، كما أن نشاطه الذهني مصحوب
بلذة وبسجرة الفعالية عاطفية ، وهذا هو ما يجعله يفرق في الرياضيات ، أساسا
البرهان الالكتروني فإنه لا يجد لذة ما في القيام بمسلمات الحسابية ، والحياة مجرد
ذاتها هي تجربة عاطفية مستمرة .

صحيح أيضا أن « الحكمة » (أي النضج) تتمثل في تزايد ضبط الإنسان
تجربته الماطية ، في قابلية على الكشف عن التأثير بتجربة عاطفية ليركز مشاعره
على تجربة أخرى . وهناك عدد كبير من التجارب الماطية المذكورة التي لا
تطمنا شيئا جديدا : الغيرة ، الغصية ، الخوف ، وكلها نضج الإنسان سهل
عليه الطلب على هذه التجارب .

أما التجارب الأخرى - التجارب الأكثر أهمية - فإنها هي التي يجب أن
تخطى بالانتهاء . ذلك لأن كل اتصال قوي يكشف عن جانب من جوانب
الكيان الإنساني ، لقد عرف بينس وبرويرث برووك مثلا أن الإنسان يمكن
أن يقدم نفسه إلى نفسه ، على سبيل التعارف ، في لحظات الغضب والاضطراب :

« حين نقال كل الكلمات

وعراب الإنسان يجنون ،

يتكشف شيء ما من العين العمياء زمتا طويلا .

ويبدأ بأكمال عقله المتحارب ،

ويقف لحظة ، وهو مرتاح ،

ويضحك عائلا ، وفي قلبه السلام . »

ولكن حين يتعمق الإنسان عن ذاته والمباشر لأنه يفرق في علم بتجسسه
بتجسسه جديدا وبإكتشاف ذاتي جديد . وهذا هو المعنى الحقيقي لكلمة الحرية .
المعنى الذي هو أعمق المعاني جميعا ، المعنى الذي يستلزمه غوثة في « فلهام
ميسر » . الحرية الحقيقية تعني الوجودية ، والوجودية تعني إكتشاف المرء ذاته
الداخلي إكتشافا علميا . ولهذا فإن المادية بكل صورها - الماركسية ، والمنطقية
الإنشائية - وإنشائية برزوا من العلم المنطقتة - مينة إلى هذا الحد . لهذا

يجعل السجين في الزمن ، والأدراك والشخصية - التي يتعرض لها البشر أكثر مما
يجب - يلوح طبعيا تماما ، بل حتميا . ولما كان هذا النوع من التفكير قد طلب
على عالمنا الحديث ، لأن اللامتشي يجب أن يرفع راية الوجودية الجديدة . وأن
يعارب نماذج التفكير الحضاري .

وقد أراد باسكال أن يحارب هذه المادية نفسها في كتابه « اعتذار المسيحية » .
وهو يبدأ بحثه من النقطة ذاتها التي بدأت منها نيتش « اللامتشي » . فهو يسأل
بالإنسان الذي يخلقه البحث عن الحقيقة . وهو يكتب قائلا : « انني أوافق
أولئك الذين يحنون وهم يتألمون فقط » . وبهذا يقدم نيتشه الذي كتب بهذه
يقول : « أحب فقط ما كتبه الإنسان بهذه » .

ولم يكمل باسكال « اعتذاره » قط . أما أجزاء هذا الكتاب - التي يبلغ
عدد صفحاتها ثمانية آلاف صفحة - تختلف بين جيل غير كامل أو مقالات . فإنها لم
تنظم بأسلوب مرضي . ولست أريد بهذا أنني سأحاول أن أنظمها بنفسني أو أن
أحفظها الآن . لأن هذا ليس ضروريا ، ولأن كل ما أراد باسكال أن يقول
عن الطبيعة الإنسانية . قاله قبله اللامتشيون الذين شغلهم في هذين الكتابين .
هناك التأكيد على حساسة الإنسان الذي تجده عند نيتشه وسوريف ، وعباس
التمييز بين العقل الرياضي والعقل الفطري الذي يعتبر نقطة البدء في « محاور
الظفر بالسيطرة » - الفرق بين م. ي. لورنس وفاد غوخ . كما أن نسبة كل
الاحكام التي يطلقها الإنسان تؤكد عليها أيضا : « كل التجمعات الزائفة التي
عمل عليها لدى شيشرون لما من يعجب بها ، بل هناك عدد كبير من الناس
من يحبونها » . وهو يترك أيضا : مثل بينس وبينشه ، أن الشاعر والفنان
لا يستطيعان أن يكونا مطلقين بشأن الحقيقة . لأن الفرد في أكثر نماذجنا
لحالات من النظام . وفي الوقت الذي يكتب فيه بينس : « أية فكرة توهدهوت
لوهيروس غير الحقيقة الأولى » . فإن باسكال يقول : « شاعر ولا رحيل
أحب » .

وقد كتب باسكال في الخاتمة « للاعتذار » يقول

« القسم الأول - شقاء الإنسان بدون إله »

القسم الثاني - سعادة الإنسان مع الله
أو

القسم الأول - أن الطبيعة فاسدة ، وأنها حقيقة تثبتها الطبيعة نفسها .

القسم الثاني - أن هناك مخلوقاً ، وهذا ما يشتهه الإنجيل . (٤)

والثالث لنجد أن هذا القسم الأول يتناول الأمور التي يشاؤها اللاهوتيون

الوجوديون . من روكاتاند يظل حارثر إلى إيمان كارامازوف بطول

دوستوفسكي . أنه شقاء الشكوكي - ليس شقاءه وحسب وإنما رعبه أيضاً .

لقد نخل عن العبارة القائلة بأن العالم أي معنى - لأنه لا يمكن إثبات هذه العبارة ،

كما لا يمكن إثبات أن الحياة بعد ذاتها هي خير . وهكذا هو يجد نفسه يواجه

الرعب الذي وصفه كونه رادي ، قلب الظلام ، والتدريث في « لازاروس » .

أن الحياة قد لا تكون قدماً نحو أي خير . وإنما هرباً من شر ما يتفق الإنسان

في الجانب الثاني من الحقيقة الكائنة . ويتخذ دوستوفسكي بأن الخلود قد

يكون زاوية في غرفة معمرة تملأها العناكب بنسجها . أو أنه الخلود قد يكون

عكسها . ويتحدث باسكال في مقالة مشهورة له عن سعة القضاء المائلة وعن

مخائب عالم الأحياء الصغيرة جداً . ويتحدث في مكان آخر عن حاجة الإنسان

المسترة إلى التحول إلى أشكال المصرة ، وعن شغفه النائم ، ما لم يكن يغفل

شيئاً ما (كما رأينا في شخص متراود وذلك في مسرحية « الحياة لبريد ») .

ولدى غورديف أيضاً : بل أنه ليقرب من جوديف كثير أحيان يقول أنه

لا يملك ما يكفي وحسب . وأنه تحت رحمة ظروفه تماماً . وأنه ليست لديه أية

خطة . وأنه لا يملك إلى غورديف . كيف يستطيع الإنسان أن ...

... . وكيف يستطيع أن يخفف من كونه مجرد ورقة في ...

... . وكيف يستطيع أن يخفف من كونه مجرد ورقة في ...

... . وكيف يستطيع أن يخفف من كونه مجرد ورقة في ...

... . وكيف يستطيع أن يخفف من كونه مجرد ورقة في ...

بعض التوافق بينها . وهكذا فإن الأمر . يحتاج إلى اللاهوتي ، لا يمكن أن يثبت

مساعدته إلى الإنجيل . ولعل هذا هو القصر الأول في « مناغل » باسكال ، بالنسبة

لوجهة نظر اللاهوتي . أن باسكال يمزق الأقمعة عن العالم بساطة . ويظهر

الطبيعة الإنسانية بكل ما فيها من غموض وكسل ولا عذبة - وهو يسمي ذلك

كأنه « الشقاء » . (أما كيركغارد فقد سماه بعد ذلك « العذاب ») . ويحدد أن

يوضح باسكال الضعف الإنساني أيضاً بحيث لا يحتاج الأمر إلى إثبات

أكبر . فإنه يتقدم خطوة أخرى وبين وجود الحاجة إلى خلاص . ولقد وفس .

كما فعل القديس بولس ، فكرة عدم إمكان كمال العالم . وخلق في الحال الحاجة

إلى الخلاص .

هنا نحن نمود ثالثة إلى أشد المشاكل الإنسانية جوهرية . لقد فلى اللاهوتي

بعبارة وجود الله - أو وجود قوة تعمل خلال الكائن الإنساني والغائبة

وهدف أعظم من هدف أية شخصية فردية إنسانية مدركة . وهكذا فطال من

التعبرين على البصيرة الشاعرية . وغلب من « السفر الذهني » . فكل من يكشف عن

مستويات من المدفية أعين بكثير من معارفنا عن أنفسنا . ولكن اللاهوتي يصر

بأن نفتح الطاقات - تقدم الإنسان الروحي - يمتد على تعميق تلك البصيرة

وتنظيم مستمر لفطرة . يرى ما هي علامة هذا يقول المخلص التاريخي « ... »

نعم - كما يمكن تحويل هذا الاعتقاد إلى أن يكون مقولاً بصورة عامة ...

اللاهوتي قد قطع بعض الشوط في بحثه الذاتي . ولهذا فقد يكون له الوسع

الامتلئان إلى مواضع ذلك البحث الروحي . ولكن الإنسان العادي - أع إلى

روضة الترويب . وإلى تسبب لتساكله - وأحق أن هذا يلوح جلاءً بالأساطير

وبالكلمة . ولكن الواقع أن الإنسان العادي يتخلى إلى الإيمان بخصائص عامة

... . بل واجب لتأجيله على - هو المخلص تماماً ...

... . بل واجب لتأجيله على - هو المخلص تماماً ...

... . بل واجب لتأجيله على - هو المخلص تماماً ...

... . بل واجب لتأجيله على - هو المخلص تماماً ...

تربوية . والوجودية تعني القابلية على فهم معنى الحياة . واللامتسي يشبه خرجاً من مدرسة ، كما أن معارضة من الحياة هي أكثر تحقيداً من معارضة الانسان العادي عنها ، تماماً كتعقيد معارف أينشتاين عن الرياضيات بالنسبة لطفل صغير .

ومن الواضح أن فكرة الضفح جوهرية في هذا الباب . ولا يشغل ذلك في الاصطفاة الطبيعي - الذي يعني الضفح الطبيعي - وإنما في كفاك الأمانة البطي من أجل التغلب على تعقيدات الحياة . وهذا يعني أيضاً أن فكرة نبته عن السوبرمان ذات علاقة وثيقة بهذا - رغم أننا لا نستطيع بيان درجة هذه العلاقة لخوفنا من الاضطراب إلى بسيط مفاهيم نبته أكثر مما يجب . وقد نتاح فهم أن يفرض في التوقع . فيقول ان اللامتسي يحل مكاناً وسطاً بين الانسان العادي والسوبرمان . أو على الأقل بين الانسان كما هو موجود الآن ، ونوع مسن الانسان ينتج بدرجة أعلى من الادراك المعنوي . أما الخطر الذي يجهو بنا أن نجنيه فهو التحدث عن قوة الحياة ، وكأنها كيان غريب يشبه السائل الحديدي . إذا كان للوجودية أي معنى فانه موجود في عبارة : « أنا قوة الحياة » . أو في عبارة نيتسكي « أنا الله » . وهذا يتطلب مزيداً من القطعية المباشرة - أو امراً مباشراً ليكون المرء متصفاً إلى الاشياء - ونخباً عن موقف المتطلع للانضمام (مولف الفيلسوف) . أو الموقف الأكثر انسانية ، الذي يشغل في قبول الحياة على علانها ، الذي لا يعني في الواقع الا السماح للحياة بأن تأخذك إلى حيث تشاء هي . لتنتقل بلا هدف .

عليه الملاحظات - التي تلوح بلا شك وكأنها تحل على القسم الثاني من مشاغل باسكال - لا نفي رفضاً لنظرية باسكال عن التخفيض . ان التعبير في الموقف الانساني لن يكف عن كونه صحيحاً أبداً - ما لم يتعد البشر الموقف الانساني ويجعلوا منه أمراً عديم المعنوي - وهكذا فلا يمكن التمسك بمشاغل باسكال أكثر من شكنا بكونه ميتافيزيقياً ، فاني مثلاً ، أو بالقرودوس المفقود للثمن . فهذه محاولات كاملة تعتبر غوف في النقد . بقدر كونها متصلة بإيجاد حلول

للتماثل اللامتسي . لقد حاولت فقط أن أبين أن بحثنا السابق للامتسي يشير إلى انه حل بولس النشل في حل باسكال يعتبر أمراً غير مقبول . قد يكون مقبولاً بالنسبة لباسكال ومعاصريه ، ولكنه لا يمكن أن يكون كذلك بالنسبة لحضارة في منتصف القرن العشرين . ترى ما هي « حقائق » هذه الحضارة ؟ انها حضارة ذات تطور ميكانيكي عال ووعيد هي كبير . بسببها تفكير حر اسنبر للام فرون - وبما فيها فراغ كبير . فراغ لا تعرف الحضارة كيف تنفقه . ولعل باسكال نفسه لم يكن ليتوقع من ذلك الحل ان يناسب هذه الحقائق . وهكذا فان جوهر « المشاغل » متناهم من أساسه . كان باسكال مثل باريتو . سيقول عن الفيزيولوجية داركس أنها متعلقة بقصيرة النظر . وقد كانت هناك في عصر كتيه ، أما في عصرنا ، فقد أشار توماس مان إلى انه المصير الانساني يمر عبر نفسه بمصطلحات ميسية . وعند حلنا لمشاكلنا الحديثة . نوحنا « مشاغل » باسكال إلى هذا الحد . ولا نستطيع أن نصير بنا أكثر . أما المهم - الذي لا نستطيع أن نؤكد عليه أكثر مما يجب أيضاً - فهو أنه في أية حضارة بلغت بلفتة حضارتها ، يجب أن يبدأ التفكير السياسي من فرضيات « مشاغل » باسكال - مع اللامتسي .

قد بنوع لخطأ ما أن بعض فترة كافية لكي يتطور فيها شكل ما فيه من احتمالات قبل أن يسهل القضاء عليه . وهذا ما حدث لباسكال الذي جاء بسرعة غير متوقعة . وكذلك فعل بليك الذي ضمن « مشاغله » في كراسته « ضد الله » . وكان الوقت قد حان ليشير حوله إلى أن الرومانسية هي دين متفتح منحل . أما الآن وقد تطور ذلك السطاً إلى هائبة ، ان مقلدنا هم أشد تصمماً فيه ليلدكو . ولم يدرك موقفنا الحقيقي إلا بظفر قليل من المؤرخين المتوركيين .

كانت باسكال في عام ١٦٦٢ . وكان في التاسعة والثلاثين من العمر . كما انه لم يسم صغولاً من أجل انقضاء على الايمان . بل انه لم يشكك فيه أنه كان يستطيع أن يترجم في عصره حتى ان كان آتم تلك المحاولات . كانت فلسفتك المحاولات سيكون يوماً من الأيام اللامتسي . حيث أنها تلك المحاولات

ينظرية كلارك ماكسويل، وكان أول من أوجد للبورات علماً، ووضع أول انضيمات لظاهرة الأشعاع الفوسفوري. وكان أول من استخدم الرقيق في مصطف هوائية. واخترع طريقة لتعيين خط الطول في البحار وذلك بمراقبة موضع القمر بين النجوم. وتصور له من المؤهبة العلمية ما توفر لنيوتن وأينشتاين. ولا بلغ السنين من العمر بدأ بدراسة الانجيل وأثبت الكتب اللاهوتية. وسرعان ما أعلن. ببساطة وبطريقته الرائعة المألوفة. أنه كان قد أصبح له ببلوغ الجنة والجنيم. وأنه تحدث مع الملائكة وأرواح الموتي. وقبل أن تسقط هنا الادعاء وتقول أنه ليس إلا غروراً. دعنا نلق نظرة على حالات ثلاث تظهر لنا فيها قوى سويدنبورغ الخارقة بوضوح. هناك أولاً قضية ملكة السويد. إذ كتب الكونت هوبكن الذي كان يماصره قائلاً:

«في ذات يوم حضر سويدنبورغ استقبالا في البلاط، وسأله جلالته عن أمور مختلفة في العالم الآخر. وهال تحدث مع شقيقها ولي عهد يوسيا فأجابته بالنفي. وعليت منه بعد ذلك أنه يتحدث معه وأنه يلعبه خيالاتها. فوجد بأن يفعل. وأنهي لأشك في أن الملكة كانت جادة في طلبها هذا. يد أنه في الاستقبال التالي ظهر سويدنبورغ في البلاط مرة أخرى. وبها كانت الملكة حاملة بوصفات الشرف. تقدم من جلالته بحضرة. ولم يكن يتكلم بأن بلغها خيالات شقيقها. وإنما قال لها أنه يأسف لأنه لم يجب على رسالتها الأخيرة إليه. وأن يجيب عنها الآن بواسطة سويدنبورغ. دعت الملكة، وقالت: لا يعلم بهذا السر إلا الله.» (١)

وهناك شواهد كثيرة على صحة هذه القصة، إذ حضر جيلاند وبسيلات بعد ذلك بمراتبهم الفخمة إلى بيت سويدنبورغ وطلبوا منه أن يخبرهم بذلك السر الذي أطلق الملكة إلى ذلك الحد. ولكنه رفض لتعابهم منه. وانتشرت قصص كثيرة عن ذلك في تلك الأيام.

أما الحادثة الغريبة التالية فهي تعرف عادة بخبرين ستركهولم.

سنة كان سويدنبورغ بهم بالجلوس لتناول طعام العشاء ذات أمسية في - - - - - بوجهه يصغر فجأة، ويخرج في الحال. ولا زاد أصغر. وأنه إن ذاراً عظيمة قد شبت في ستركهولم. وإن به كان في حضم شديد شدة ماعتين. ثم قال فجأة: «شكراً لله، لقد سيعلموا حل النار في - - - - - الذي كادت فيه تعمل إلى باسم داري. - - - - - وانتشرت الحكاية في - - - - - وفي اليوم التالي استدعى حاكم المدينة سويدنبورغ ليقص عليه - - - - - الحريق. وفي اليوم الثالث وردت رسالة من ستركهولم نصف الحقائق إلى - - - - - فذكرها سويدنبورغ مفصلاً.

لما القضية الثالثة فهي شبه القممس الولية. فقد استلمت ديام ماربييل. أرملة السفير الهولندي في ستركهولم طلباً يبلغ كبير تقدم به - - - - - إلى الملكة نفسي من أدوات الشاي. وكانت بدم ماربييل وافقة من - - - - - وجها كان قد دفع الثمن إلى الصانع الذي كان يدعى كرون. ولكنها - - - - - واستدعى سويدنبورغ أخيراً ليفعل ما - - - - - في المرة التالية التي يجول فيها في عالم الأرواح. وبعد بضعة أيام جاء إلى البيت في الوقت الذي كانت فيه بدم ماربييل - - - - - وقال لها: «لقد سألت بروحك. وقد أضاف - - - - - وهو يقول إن الوصل موجود في المكتبة - - - - - الطابق العلوي.» وقالت السيدة:

«منحني. فقد فتحت تلك المكتبة وسألت على ذلك. - - - - - أصبح لها أنه هناك درجاً مريباً خلف الد - - - - -

«لما كنت في ذلك المكان - - - - - على الوصل - - - - - إلى الطابق - - - - - على الوصل - - - - -

الحوادث ، ولعله كان ينظر إليها على النظرة السخيرة التي كان يرى المسيح مصحراتها . كانت تلك الأمور بعيدة عن اهتمامه ، لأنه لم يكن متوقفاً منها إلا أن تجلب له سمعة الساحر المحتال .

ولد سويندنبورج بعد مرور ربع قرن تقريباً على وفاة إسكنل . وكان ذلك في عام ١٦٨٨ . وكان والده يدعى سويندنبورج ، وكان امثقاً لكنيسة القوثرية . وقد ملحت الملكية أريكاً لقب النيل لسويندنبورج ، مما فتح له أن يضيف إلى اسم أبيه تلك الأضافة التي تعادل كلمة «فون» بالألمانية . ومن الغرابة بما كان أن يكون اسم ولده أنه يهيم ، القريب من اسم بومه . واجتاز سويندنبورج الامتحانات الجامعية حتى بلغ الحادية والعشرين ، وهذا هو كل ما يعرف عن السنوات الأولى من شبابه . وكان المسرد أسرته يرمونه شاعراً ، ولكن ذمته كان لا تطلع وتنفذ ذهن ليونارد . كما كان ولده بالفيزياء والفيلولوجيا وعلم الأحياء والرياضيات لم يكن ليفلح في علمه بالأدب . ولما بدأ برحلته في من الثانية والعشرين راح يلخص جميع الاكتشافات الرياضية التي عرفها القرون السابقان . وكان يريد أن يضيف إليها الأشياء التي يقرأ عليها أثناء رحلاته . وبهذا كان في لندن فزل في مكان كان يعيش فيه عدد من أصحاب المرفه المختلفة . بينهم صانع الساعات ، والنجار ، وصانع أدوات الضغط ، والقياس الخشبي . وعلق تعلم منهم ما كانوا يرفونه . ودس الموسيقى . وتعلم العزف على الأورغن بحيث صار في وضعه أن يعمل على عازف الكنية . وفي عام ١٧١٠ نشر أول كتيب - وكان مجموعة من الفصائد الثلاثية . وكانت السنوات القليلة التالية فترة عصبية في حياته ، فقد كانت السويد تمثل شعراً حذواً من تديدع محاطاً ، ولهذا فقد لبث أفكار سويندنبورج كشابة لطيفة من أجل ملاده وتقدمها العلمي مدعوة شديدة . وعصى سويندنبورج في إهداء سجل علمي يسجل فيه مكتشفات عصره ، وأعدى السجل إلى الملك . وأعد بالاشترائه مع

« كان يرمونه شاعراً ، ولكن ذمته كان لا تطلع وتنفذ ذهن ليونارد »

« ... له مرمداً ظلياً » ثم أمضى ستة أشهر في الجامعة لدراسة الجامعة ، وقد كان تاسعاً والعشرين بعد مئتين للمجلس المناجم . ولم يكن له راتب إلا أنه أحب مهنة العمل لأنه كان يتابع تطلعه العلمي . ثم صار سداداً في الجامعة وبعد بضعة أشهر صار أستاذاً للرياضيات . ولما كان في السنة الثانية من عمله في الجامعة ، فقد كان عليه حياته رجلاً عاماً . ولم يكن يؤمن بنسب التنويري . وكانت هذه الفترة تطلع شعبيته الأدب بالاسماء حسب الطمعية . كان الفكر بالسة إليه عمداً للعمل . ويمكن يؤمن به ما يسمى بالتنويري المجرد . وقد تحلت بغيره على أشدها في عام ١٧١٨ . حين كان شارل الثاني عشر يحاصر الدنمارك في أعظمه هرويكشالد . وكان سويندنبورج أنه ينقل خمس مئة مسافة خمسة عشر «ملا» مصر . وأمر المهمة في سنة أسابيع بنجاح تام . ثم اشترك في سياسة صمد كارلسبرود . وفي سنووج ريف حمر التواء بالمطابق بإضافة ذلال . ولحق المتنوع لم يتم بحسب إضافة شارل . رصاصة وحفظه النساء عام ١٧١٨ »

« ... له مرمداً ظلياً » ثم أمضى ستة أشهر في الجامعة لدراسة الجامعة ، وقد كان تاسعاً والعشرين بعد مئتين للمجلس المناجم . ولم يكن له راتب إلا أنه أحب مهنة العمل لأنه كان يتابع تطلعه العلمي . ثم صار سداداً في الجامعة وبعد بضعة أشهر صار أستاذاً للرياضيات . ولما كان في السنة الثانية من عمله في الجامعة ، فقد كان عليه حياته رجلاً عاماً . ولم يكن يؤمن بنسب التنويري . وكانت هذه الفترة تطلع شعبيته الأدب بالاسماء حسب الطمعية . كان الفكر بالسة إليه عمداً للعمل . ويمكن يؤمن به ما يسمى بالتنويري المجرد . وقد تحلت بغيره على أشدها في عام ١٧١٨ . حين كان شارل الثاني عشر يحاصر الدنمارك في أعظمه هرويكشالد . وكان سويندنبورج أنه ينقل خمس مئة مسافة خمسة عشر «ملا» مصر . وأمر المهمة في سنة أسابيع بنجاح تام . ثم اشترك في سياسة صمد كارلسبرود . وفي سنووج ريف حمر التواء بالمطابق بإضافة ذلال . ولحق المتنوع لم يتم بحسب إضافة شارل . رصاصة وحفظه النساء عام ١٧١٨ »

« كان يرمونه شاعراً ، ولكن ذمته كان لا تطلع وتنفذ ذهن ليونارد »

الكتاب ثمانية مجلدات ضخمة قبل ان ينتهي . اما مؤلفه الثاني فيدعى الحساب
 الاخير . . وقد ظهر في عام ١٧٥٨ . وقد فيه ان يوم الحساب الاخير كان
 قد حدث في العلم المائت في عالم الارواح طبعاً - . وانه منذ ذلك الحين مصاعداً
 صارت الارواح تعاسب مباشرة في اللحظة التي تصل فيها الى السماء . اما السبب
 فهو ان الارواح الشريرة زادت زيادة كبيرة . مما نتج له ان تؤثر تأثيراً سيئاً
 في الارض . (ومن الطريف ان نلاحظ ان شواهد يهود و مسيحيين على نفس
 هذا الاعتقاد - ان ملكة الشيطان انتفت في عام ١٩١٥ : وان المسيح هو الملك
 الآن في عالم الارواح .) وتحدثت سويندورغ في كتابه الثاني الطريف - السماء
 وعجائبها والجحيم - عن السباح له بالجنجوال بين الجنة والجحيم . بل انه يمارس
 بوصفها ما شاهدته قبها . فهو يقول ان بعض مناطق الجحيم تشبه الشقوق في
 الكهوف او بين الصخور . ويوارح بعضها الآخر كالمثلثات القريبة فيها الشوارع
 والمخارج . . وهناك في الشوارع والساحات اعمال حبيب وسفوف واختصافه .
 ويوارح بعضها كالاكواح العاية . بيد ان معظم الكتاب يدور على حالتي
 البركة واللذة . ثم يقول سويندورغ في مكان آخر ان الجحيم حالة ذهنية
 وليس مكاناً .

وهذا هو وجه التوضيح في مؤلفات سويندورغ . ولم يستطع أحد ان يمل
 تلك التواضع حتى الآن . ويقتصر الجانب الاكثر من مؤلفاته على ملاحظات
 سيكولوجية عميقة يكون في وسع اللاهوتي ان يكتشف فيها بصيرة ذاتها . اما
 الباقي فيجترى على احاديث مع الملائكة ويصف حالة الانسان الروحية بعد
 الموت . وهكذا . ومن الواضح اننا لا نستطيع ان نطلق على ذلك اسم الحقيقة
 المعنى الذي يمكن ان يطلق على علم النفس . الحقيقة بالنسبة للوجودي هي
 الدينية . اما الحقائق الخارجية فلا هي صحيحة ولا هي غير صحيحة . وانما هي
 غير مهمة .

في كتابه الثاني - الحساب الاخير - . وسنرى في
 الكتاب الثاني - الحساب الاخير - .

مسيح بالنسبة للاهوتي . الا انه لم يرد في قائمة النسبة لمشاكل اللاهوتي
 في كتابه - الحياه حيا - . وهذا يعني انه لا
 الحياه الارضية الحياه هي التفاعل المتبادل بين
 الحياه هي القايمة الحياه هي التفاعل المتبادل بين
 الحياه هي القايمة الحياه هي التفاعل المتبادل بين
 الحياه هي القايمة الحياه هي التفاعل المتبادل بين

هذا يعني ايضاً ان كثير من تعاليم سويندورغ لا يقيد اللاهوتي شيئاً
 لا يعني ان مؤلفاته لا تستحق الدراسة . لانها في الواقع تنال على مظاهر
 الهامة التي يقرأها . ولكن ذلك القايمة لا تخطئ من كتابه الذي كره قراءه
 الحياه هي القايمة الحياه هي التفاعل المتبادل بين
 الحياه هي القايمة الحياه هي التفاعل المتبادل بين
 الحياه هي القايمة الحياه هي التفاعل المتبادل بين

في كتابه الثاني - الحساب الاخير - . وسنرى في
 الكتاب الثاني - الحساب الاخير - .

ونظم هبة حياة له الى قدس . محمد الاول بين ١٧٢٠ - ١٧٤٠ .
 - اشتغل خلاله بتدريس الدوايد جوف (١) الد المورخ المشهور ، في دوبي .
 - من مفض الكتب الثمانية الخاصة ببعض المسائل العامة . ويحتد القسم الثاني
 - سنة ١٧٤٠ حتى موته بعد عشرين عاماً من ذلك . إذ عاد الى دوبي .
 - اخصائية في كتكو تكليف وعاش حياة نصف رهبانية وألف الكتب التي سماها
 - من أساس تعاليم بوهه .

الفصل الخامس

واشتهر لأول مرة ككاتب في عام ١٧١٧ ، أي في العام الذي اجتب اصطلاحه
الكلمية . وكان ذلك في كتاب عايش فيه يهودي - اسقف بانر . و كان
يهودي رجلاً طيب ثقافاً محققاً - نشه شخصيته شخصيات يهود
كانت افكاره تتميز برحابة الصدر والتحرر . وقد كتب و نشر مجموعة
منها عن تدخل الحكومة في شؤون الكنيسة ، وقال انه حين يعاني الامر
الكلمة والحكومة معاً ، لابد السيادة تكون للحكومة . وعلى الكلمة ان
تتقونها الخاصة بها - شؤون الروح .

سواء فقد كان من الإيمان كقولنا زوف في اعتقاده بأن الحكومة هي
من الكنيسة ونشر كتابه « مسائل إلى اسقف باغبر » الذي أعطاه الشهادة
يوم وفاة . كما كان أيضا في « رسائل ريفية » لباسكال . (١٠٤)
لم نعت اسمه كما فعل باسكال ، وكان لو عاشا متصليا ، بل كان
عادى ، حص لا حياء لقد ادعى اسقف باغبر . بأن الكاثوليكية
تحب أن يفسدوا من عرش لا لأن دينهم يجب أن يكون
كذلك ، وإنما سبب النتائج الطبيعية انقضاء المهنة التي تؤدي إلى دمارنا
والتي يضمنها خلق . وهذا ما وضع كل الوصوح ومبادئ كل المباشرة .
وعلى أن يعاد في الوصوح الثوري بأنه عبد الله سمح لفرع . بأن يرفى عرش
الخلق . لا سمح مواد
في مرساة النارية لا تخاف . أما أو داه يحس ذلك بتعصير إلى عدالة
الملك
يعمل هذا
في خطاطته .

ولم

هناك الشيء - القليل الذي يمكن ان يقال عن حياة ولیم لو . كما اننا لم نعرف عن حياته الخاصة ما نعرفه عن سويندبورغ أو جوميه . ولم يترك شيئاً مثل « مذكرات ماسكاه » أو « سر المسيح » . وبالإضافة الى ذلك ظلم في حياته شيء من الأزمات أو الأمراض ، أو الابداع المائج . لقد كانت حياته عادية غالية من الحوادث الغريبة - بمقارنته بمجروح فوكس أو جور دولي . ومع ذلك ، فقد كان دماغاً من اعظم الامة التي حظيت بها كنيسته انكلترا . ولا تكون دراسة المصوفة كاملة إلا باضافته اليها

ولذلك في كتكز كليفه في نورثامبتون شاير في عام ١٦٨٦ . وكان والده
يقال . ودخل كلية عماربول بكامبردج حين كان في التاسعة عشرة . وكانت
الجامعة تدفع له بعض مصروفاته مقابل أعمال كان يقوم بها لها . ولما بلغ
الخامسة والعشرين صار زميلا في الكلية ، ولحق عليه انه سيقتض حياه كلها
في مدوة ودعة موطفا في الكلية ، وكسالة ذلك سينتب بلا شك . ولكن
بجورج الاول جاء الى الحكم وطلب من كل موظف ان يقسم عينا بالولاء له ،
وكان لو باند السيرواتي المطالب بالعرش ، فرفض ان يقسم تلك اليمين
واستقال من منصبه قبل ان يبرز منه عزلا .

لماذا لا توجد هناك أية تسليية منها بلغت من النفاذة إلا ويحسد فيها بعض
الذكاة ، لماذا يحضر كل الحفلات والاجتماعات ، ولماذا يشترك في الاحاديث
السخيفة التي يتناول فيها الناس بعضهم بعضاً بالثاق .

لو تولد هناك من يقول ليوليس انه لا داعي لحضوره الصلاة . وانه
لن يؤذي نفسه بشيء اذا اهل المحضر الى الكنيسة . فان يوليس سيقتد
ان مثل هذا الانسان ليس مسيحياً ، وان عليه ان يتجنب صحبته . ولكن اذا
قال له احد انه يستطيع ان يعيش كما تفعل أغلبية الناس . وانه يستطيع ان
يمتع نفسه كما يفعل الآخرون . وانه يستطيع ان يفتن وقته وماله كما يفعل
اولئك الذين نفتنهم الموضة ، وانه يستطيع ان يكون كالأغلبية في انشطاتها
وحافلاتها . ويعطى أمرجه وانفعالاته كما يفعل الآخرون ، فان يوليس لن
يقول ان هذا الانسان خال من الروحانية المسيحية ، او انه يفعل فعل الشيطان .
ولكن لو قرأ يوليس الانجيل كله من البداية الى النهاية ، فانه سيجد
الحياة التي يحباها ملعونة من البداية الى النهاية في كل صفحة منه (٢)

هذا أثر واضح نظيف . وهو يشبه في وضوحه أثر برنارد شو ، وأثر
باسكال . قد يكون أو « رجل الكنيسة الملهم » الذي يتحدث عنه بطل شو ،
لاري دويل - في « جزيرة جون بول الأخرى » والذي انقضت منه شيئا .
ولكن يمكننا ان نلاحظ التناقض الانثائي - اللاتنثائي الذي يوضح في هذا
القطاعات ، وهكذا اكون قد أوضحت اهم النقاط التي أريد ان أوضحها
بخصوص لو ، انه بالرغم من ان حياته لا تقدم لنا دليلاً على انه كسان
لامتياً ، إلا ان تأليفه تقدم لنا هذا الدليل .

ويلاحظ ان لو كان مخطوفاً في انه وجد نفسه مكاناً في الكنيسة بسهولة
ويسر ، ولكن لو انه كان قد ولد بعد قرنين من عام مولده الحقيقي ، لما
اختلف موقف المجتمع منه من موقفه من رامبو وجيمس جويس و د . ه .
لورنس . انه ما يتضح من كتابات لو الأولى هذه ، ليس موقفاً مسيحياً ،
(كما هو لدى القديس فرنسيس أو ميوسو) وإنما هو موقف الانسان الظلمي .

ان المعرفة ، الى الحقيقة ، الراغب في حياة أكثر جدية من حياة الآخرين ،
الانسان الذي يتصرف بكل ما يتصرف به اللامتسي من كراهية للفنافة
، اللاهوتية . وكان من الممكن مثلاً أن يكتب على غلاف مجموعة مؤلفات
لو : يمكن خلاص اللامتسي في الطرف . ولا يريد لو ان يوضح وجهة
نظر مسيحية بالذات ، وإنما هي وجهة نظر وجودية ، وجهة نظر لالتهاليد ،
وهي مسألة عيش الحياة ، او كما يقول لو : « افضل الطرق لاستخدام
العالم » -

« افضل الطرق لاستخدام العالم ، تلك التي سأفودك اليها ، وذلك بتوجيهك
لن كل شكل من أشكال المهادنة البشرية ، وهكذا يكون في ومثل ان
« الدوافع من اجل العيش على الفضل واعظم ما تكون عليه الاهداف
المشودة من خلقك » (٣)

وهو يفهم فكرة اللامتسي القائلة بان الانسان حدود نفسه : وان البشر
كلهم صحابا حدود يمكن في أحماهم ، وان التضم الذاتي هو الذي يطلب
من البشر حياتهم ، أما الحل فهو الضبط والزم :

« اذا تطلب منا الدين في بعض الاحيان ان نصوم وان نتجاهل شهواتنا
الطبيعية . فذلك يؤدي الى تقليل الكفاح والحرب ، اي طبيعتنا . (٤)

ونحن لو نرجعنا الصورة التي يرسمها لرجل السنين الى مفاهيم القرن
العشرين لوجدنا أماناً اللامتسي . وهو يحكم على الناس مستخدماً السؤال
التالي ليعرف هل انهم عديون أم لا : « هل يعيشون كما لو كانوا يموتون
حالة الى عوالم اخرى ؟ وهل هناك أفكار مختلفة في رؤوسهم ؟ وهل
يلبسون أصنافهم عفايس ونوعاً مختلفة » (٥)

وعن طعنا هذه الاسئلة على حالة لورانس وتحكي وفان غوخ فاننا
نعلمنا نطق عليهم انطفاها على جورج هوكس ونيكولاس ميراو ، « مكانهم
موتون مصلة الى عوالم اخرى » . وإنما لنعلم في لو قوة اللامتسي وانعصافه ،
بل ان صحبته لتنفس بأفكار اللامتسي : « ... انتم من كل خبرها ،

ومسيحك برهانة انه من الخطيئة على الانسان التي اعاد على امتلاك المال ان
يركبه ، ولو تسلبت بعض الافكار الدينية الى ذهن كالدوس ، فانه سيطعن
نفسه قائلا انه في بعضه موهوبا في يوم من الايام ، ولم يوافق كثرنا ،
واله كان مطبعا دائما لامرأة الابرشية . بل انه اعطى بعض المبالغ
لدارس الايام . (٨)

لاحظ كيف ان كاليديس لا يترك العمل ، لانه يخشى ان يحاسب
بالسوداوية . وهذا يعني ان هذا الرجل عرف كيف يسيطر على الثروة
ولكنه لم يعرف كيف يسيطر على عياله . انا ذهت لطبوتي ليلة المديون.
لقد عرف لو عن مشاكل الاثمنتي عامول غوردبيف وبلسكال وهو مخلص
كتابته . انه جاء في ١٠ في ٥٥٤٦ تحكيم هل انتمسا بامثالهم ونزاهة .
دعا لا تقع بوجهى حياتنا العادية . (٩) ونحن لو بددا العبارة الاخيرة
بعبارة دعنا لا نفتح تنافحات حياتنا العادية . فالتا نجد ان لو قد طعن
مذهب الاثمنتي : الحاجة الى التحليل اللغوي ، والاشخاص ، ومعنى من
المادية والمنفعة .

قرأ لو مؤلفات ، ووجه في أو حوالي عام ١٧٣٧ ، ولعل ذلك كان أمم
ما حدث في حياته من حوادث . وفي وقت ما بين عامي ١٧٣٨ - ١٧٤٠
تقاعد لو في كنز كلعب واستقر ليرأ مؤلفات بوجه باللغة الأصلية (وقال
له ترجم بعض كتب بوجه : كأحدث الحياة الحسية المادية ، التقى نشر
ضمن كتابه « *Signature Historique* » باللغة الانكليزية ، وانما كان علما
كذلك لأن لو لم يترجم ذلك الكتاب وحسب وانما اضاف عليه من ترجمه .
ويظهر ذلك من الترجمة الأخيرة التي ظهرت حديثا) ، وتعلقت به عناء
آفتان وضبابه حوشدا روحيا لحيا . وصارت حياة لو نخلال السنوات
العشرين التي تلت ذلك مشبه بالحياة في ظل جيفتك . كان هناك التكررس
للصلاة ، والاحسان ، وبهاء طمرسة ، والفتاة بقراء المنطقة المرقرة نكسة
ولها هذه الفترة أنف لو الكسبة التي صارت فيها بعد تحد اعظم ما كانه

أحببت في هذه المؤلفات الشخصية الشافية (نسة إلى شو) الميالة إلى التفاؤل
والمرءية للمؤلفات روح الحب وروح الصلوة وروح الصبر
يسر وتواضع والتفويض . لقد حاول لو بعد استجابته إلى
فيه نظاماً ومقاييس كتابية . وكانت أغلفته «سبعة» و «ثلاثة»
مقبضاتها . ما عدا أن لو غطى من غلب عقيدة بومس في التمسك
أكثر . كل التأكيد على الانفصال التام . ويمكن أن يلاحظ ذلك في
«قال الملاك الذي أشرف على مولدي .

الغيب راحب دون مساعدة أي شيء على الأرض ، [٢٩٠]

و يقول مختص أن لو كان هناك إنشاء كثيرة وساعدوا على ذلك
التي هي احدى المدة المربعة والمثلث الكافي والسعة والشهرة
و سويندورج أيضا يعترض قائلا ان الانسان مخلوق اجتماعي
في سلوكه وحيده منعزل ولكن لكل هذه سويندورج يفتن على
أفكاره كانت له مهمة خاصة تقوم بها هذه وهكذا فإن الحكمة
صوتها لمطلبة التي ألغتها في العصور هذه الأخيرة من حياته وهو روح
الحياة في حاشتها خلال هذه الفترة لأن معها نشأ من الديمقراطية الواضحة
في هذه الفترة التي تليها من النظام التعليمي الذي يهدف إلى
التي هي الحقائق التي تليها من النظام التعليمي الذي يهدف إلى
التي هي الحقائق التي تليها من النظام التعليمي الذي يهدف إلى

وحسب ، ومحاولة فهم ارادة القوة التي تتوجه ، وتوجيه ارادته نحو الارادة
الطبيعية . ويستخدم لو لوصف هذا نفس العبارة التي يستخدمها برنارد
شو في المبادئ الأخيرة من الموعظة ، في ميتشالغ : « لا حاجة متعمداً بعد
الآن ، وهذا هو ما يبحث عنه اللامتعي . لأن حياته عبث ، ولأن لحظات
الرؤى تقول له إنه ليس من الضروري أن تكون الحياة عبثاً ، وإنما نشوة
من ارادة القوة والسلب . وهذه الرقابة التي تملأ مؤلفات لو في العشرين
سنة الأخيرة من حياته . ولا يمكننا . لسوء الحظ . أن نقطف شيئاً من
نثره ، وإنما نصف بتركيز تراكمه واحكامه ، بط أطر البحث فيه .
ولم يلجأ لو الى تقطيع نثره في هذه المؤلفات الى فترات كما يلوح في
مؤلفاته السابقة . ويظهر من هذا أن لو كان يعرف الى أين يسير في هذه
المؤلفات ، ولذلك لم ينجح الى توفيقه أو تمهلي تتقطع فيه سلسلة تفكيره .
ونعتبر هذه المؤلفات بين المؤلفات الطبيعية في لغتنا ، الأمر الذي يجعلنا
لأسف لا نتألا بعدها في الاسواق اليوم . . . ويعتبر لو أعظم المتوصلين
الانكليز وأشهرهم في انكليزة في عصره ، أسس اليوم فهو غير معروف
لقريباً . بحيث أن من جادل نثره كان غريباً . . .

ولم يكن لو متصلاً بالمعنى المألوف : لم يكن شخصاً يرى مألوف دائماً
ويطرق في التعمق . وقد اهتم في نهاية حياته بأنه ، كان غريباً من
الأفهام . . وهذا راجع الى أنه كان ذا عقلية واسعة ، كما أنه كان قوي
الميطرة على نفسه بحيث أنه لم يكن متأثراً من بعض المعتقدات التي تتلصق
بها الارادة ونصف الحواس . لقد جاءه الأفهام غسلاً الخلل فقط .
و (كما أشرت في « اللامتعي ») تحسن نفهم أن الضلل يتساقط
بمعالجته بصورة أسرع من النشوء التي يفرها الجسد أو الحواسط . لقد

« الطبعة الوحيدة الموجودة الآن هي » كتابات صوفية مختارة من وليم لو . . . وهو في هذا
الكتاب على طائفة من كتابات جامع للشاغل من لا تعرف لو . وهناك أيضاً الكتاب الذي أتت
من لندن من لو .

« وليم لو » تأليف هنري تانر .

« لو عظيم » لأنه لم يكن عاطفياً . . ولم يسافر الى عالم الروح كما فعل
« ديفورغ » ، ولم يفرق في « ساماى » كما فعل « ماكريشنا » ، وإنما تأملت
« عقلية أكثر من أي متصوف عظيم آخر . وهذا هو ما يفسر في مكانه
الذي يستحق في أية دراسة لمشاكل اللامتعي . بل إن نوع عظمته هو ما
جاء الى انخفاضه المشكك على السقوط . لقد كان متديناً بكل معنى
الحياة ، ولم يكن تدينه بسا حاجة عاطفية أو ضمت إنساني . وإنما كان
« القوة الصرفة : حبس عقل قوي . وجبوبة ارادة تهدف الى صحة
أفكاره ، وإدراك ونشاط الحق .

يوما أن اختفى المبلّغ : حتى فُقد نيومان في الحال وطفق يركض بأقصى سرعته . هنا قد يخطر ببال أحد أن يظن أن السر أوتو كونان دويل كان يضع هذه الأسطورة في ذهنه حين كان يصف حب شرلوك هولمز للغرف على الكائن ! بل أن صور نيومان التي بلوح فيها وجهه الشاحب الذي يشبه وجه الصقر تذكر المرء بمفشي البوليس المشهورين .

وكان أثناء زمرته في أوربيل خبجولا هيباً - وإنهك في العمل بصورة أشد مما كان يقوله سابقاً . وبعد عامين من ذلك ، عين لساً لكنيسة القديسة كليمتس بأوكسفورد . ولا بلغ السابعة والعشرين حين راهباً لكنيسة سنت ماري . وهنا بدأ تأثير نيومان العظيم على أوكسفورد .

لقد ظل مدرساً في أوربيل لمدة عامين ، وكان من الطبيعي أن يحضر تلامذته لسماع مواظبه ، ولم يكن يحضر كنيسة القديسة ماري إلا عدد قليل من التلامذة . بيد أن مواظبه نيومان كانت أكثر من مجرد مواظبه . لأنه لم يصرخ وينسدد وينهده بالجهم والنار ، وإنما كان يتحدث بجدوه وبرودة ، وبطريقة ميكولوجية تغاذله . وكان ، كواعظه يتمتع بقوة مغناطيسية ، وكان التلاميذ يأتون لسماعه بعد أن يقال لهم الشيء الكثير من تأثيره ، وحببه أهلهم ، ثم يأنف مرة ثانية ويدافع الفضول . وإذا سحر نيومان يطلب عليهم ويهدد أيديهم وأرجلهم .

وكان ناهم الصوت ، لخصيئة ، وكان يتحدث ببطء ، ويتوقف طويلاً ، حتى للوح عليه أن كلماته كانت تأخذ بعيداً ، وهكذا كان إيمانه بكلماته يتقل إلى الحاضرين كالتيار الكهربائي . وسرعان ما أصبح نيومان من الذين يشار إليهم بالبنان في أوكسفورد . وكان قبل أن يمين واعظاً لكنيسة القديسة ماري قد ملك مشاعر تلاميذه في أوربيل ، أما بعد ذلك فقد انجذب بسمع إلى مواظبه الكيرون . وسرت بضعة أعوام ، وبدأ عيد كلية أوربيل بضيق ذراعاً بخود نيومان المترايد ، وحاول عامداً أن يصفه نفوذه . فاستقال نيومان من منصبه في الكلية ، وراح يقضي إجازة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط . وكان خلال السنوات الخمس التي قضاهها واعظاً في كنيسة القديسة ماري قد أظهر أن

سوعه لا يقل عن نبوغ جورج لوكس أوت . ي . لورنس - النبوغ والفألية على مثل الآخرين على الإيمان بمعتقداته .

ولما عاد نيومان إلى انكلترا اشترك في امر أنتاج له من التهود أكثر مما أناحه له صاحبه السابقة . فقد أسس مع كييل وهوريل فراود وبوزي حركة دينية مما بعد الحركة الأوكسفوردية (وهي تشتمل على كتابة مقالات دينية) ، ولما كتب نيومان رسالة من هذه المقالات التي كانت كمقالات باسكال في الرسائل الربية ، ذات أثر كبير في نفوس الكثيرين . وكان جون كييل - مؤلف كتاب السنة المسجدة - المؤسس الحقيقي لهذه الحركة . وكان يكنى نيومان بضعة أعوام ، وكان رجلاً ضئيل الجسم هادئاً ، يلوح عليه أنه تلميذ أكثر منه معلماً دينياً . ولكنه كان مؤمناً بكل الإيمان باعتقاده أن الدين كان حل وشك لانحلال والتلاشي في انكلترا في عصر غنكوريا . وكان يملك القوة التي تحصل على الآخرين على الإيمان بذلك أيضاً . وفرر هوريل فراود ، شقيق المؤرخ المعروف . أن عقيدة كييل يجب أن نعم الناس جميعاً ، لأنها تتيح للناس أن يفتشوا في هذه الأمور عذلاقة . واطلق نيومان الرصاصة الأولى ، وكان هدفه باسكال من رسائله الربية - أن يهاجم التساهل والروح الدنيوية في الكنيسة . وأخيراً صارت معتقدات نيومان بنصف وتطرف إيمان كارامازوف (مثل دوستوفسكي) - إذ أنه أراد أن يرى الكنيسة مسيطرة كلي السيطرة على الدولة . وكان بوزي حليماً آخر قوياً - وكان قد درس الفلسفة الألمانية وشعر بالواجب يدعو إلى الوفوف ضد الاتحاد العظمي . وألف هؤلاء الثلاثة جهاه نال الحبل الجديدي وتتميز بالانساب العدواني (فقد كان كييل أكثرهم . ومع ذلك نال في حوالي الأربعين) . واعدلوا عن مستوى جديد من القيم ، إلا أن انهم انما أصبح مشغولاً في ذلك تماماً . ولما حدثت المقالات الأولى وامتحت لغيت ، وأصبحا هاتين

بعد ذلك حراً سومان أن ولد في القرون الوسطى - بعد كانت الكنيسة التي شعر بالحاجة إليها شيعة فراود وأوكسفورد ، فلا بد من إنشاءات الصميرة

المشفة المغفوة من جانب الكاثوليك ، كيسة القرون التاسع عشر . وقد حاول في تلك المساللات أن يصور الكيسة كشية - تماماً كما حاول هرج . ولو أن يصور الدولة الخالية بعده شين عاماً . وكان تصويره ذلك مصطباً بالحق . بالحلام القفلة . ولا كانت الكيسة التي حينها في زمان هي الكيسة الكاثوليكية كما كانت في القرون الوسطى . فقد هارت ابتكاره من الكيسة تقرب من الشكل الذي كانت عليه الكيسة الكاثوليكية في عصره أيضاً . واختاراً - أعلن في المقالة التمهيد أن البود السبعة والثلاثين التي أعطيها كيسة . كثيرة لم تكن لتتعارض مع عقيدة الكيسة الرومانية الكاثوليكية .

وسرعان ما هت العاصمة : إذ أن الكاثوليك الرومان كانوا عمقوني في انكثرة - وكانوا مضطهدين لفترة طويلة . وبمجرد أقلية لا بوقت لها . وقد اضطد اهداء نيومان أن كيسة روما للكاثوليكية قد سيطرت عليه تماماً . ولم يرضى كل قسامة انكثرة عن ذلك . وأعلن أنصف كند أنه غير مستعد لقبول فس يعقد ما نصت عليه المقالة السوداء . بل أن الأصعب الذي يشترط على خؤون ليومان ونه . دليل نيومان التوبيخ بهدوه . وانسحب إلى ليل مور - حيث كان قد أقام ما بنه الأبر هو بعض امبدلكه . وهاش معهم معية شفت ولعد - ومر عام على ذلك . ثم نشر كروماً لا يحمل اسمه . وتخل فيه من كل ما كان قد قاله سابقاً ضد الكاثوليك . ولا بلغ قرابة والأربعين في عام ١٨٤٥ . أعلنه كيسة روما عن قبوله فيها . وكان انسحابه إلى ليل مور قد اناز من الإشاعات بتقد ما النار منها انسحاب مت . يد أوولس وانضمامه إلى سلاح الطيران . فلقد كان زهياً . ورجلاً فاعلاً قويه . اداه ظهره لجة إلى الشقوق للقامة . ولا صار كاثوليكياً رومانياً أعلن مستر غلامستوف عن استيائه الشديد . ونافح الكتبرون من المعجبين به .

تبعته ذلك فترة نجي فيها أمر نيومان . وذهب إلى روما حينه جرت رحته نياً . وانتهلك في الدراسة لمدة أربع سنوات . وعاد إلى انكثرة بعد أن أصبح خطيباً . ولا بلغ التاسعة والأربعين ألقى محاضرة من المحاضرات عن الكاثوليكية

في كيسة . وهاجم في اجلها شععباً اسمه أنه كتور آشلي الذي كان في السابق أساً نيوميكي هاجم الكيسة الكاثوليكية بنصبه . واستل آشلي نيومان وصو . عليه هجومه . وكان الكاثوليك عرض الشك في تلك الأيام . وانصب الأيام على ميومات . ثم حركم وقضي عليه بمرامة فادها ١٤٠٠٠ جنبه استرلي . ورغم من أن الكاثوليك في انكثرة جمعوا هذا المبلغ بينهم . إلا أن ذلك كان حراً شديداً لنيومان الذي عرف حلاوة الانتصار كثيراً . ولاح له أن الخطا انطاب صده منذ أن صار كاثوليكياً . وبعد أربع سنوات استدي ليكور وادها الجامعة الكاثوليكية في دبلن . إلا أنه لم يفتح في ذلك ايضاً . ولازمه سوء الحظ حتى صفتان . والروح افشاء بيت الخطابة في او كسفورد . إلا أن الكاردهال لك عارض الفكره . وهكذا لاح أن نصيب ليومان صار اندجاراً متاعلاً .

نتيجة فنية واحدة حصلت البناء بقالة في دبلن . إذ انه ألقى سلسلة من المحاضرات في القرية الجامعية . ونشرت تلك المحاضرات بجوانه واحاديث . في الجامعة . ثم تم ترميمها . ونشرت تحت عنوان « معنى الجامعة » . وعرض من أن تلك المحاضرات كانت شديدة الأهمية إلا أنها لم تخط بالاهتمام . صدورها . وكان جواب نيومان على استمراز الناس في اجمال شأنه انه قد سحبا من المجتمع . ولما إلى يرسلهم حوش صار حلياً لكيسة بناسب

محدث . كانت لديه مدرسة خاصة به هناك .

ولكن لمحة ستحت له بعددسة اعرام . دون أن يتوقعها . انه نشر كيسة هجوماً شديداً منه في مجلة « كميلادو » . وحاول أن يشكك في حانته الدينية . وفي انصافه إلى الكيسة الكاثوليكية . وشمر نيومان بأن له اهل مدعه . وجه من الدفاع من نفسه هي في اقله وصف صادق أبي الكيسة . وسب في تصديده . وشمر كروماً على كل مساواة بقوله .

من أنسوي إلى أنويده انه جرح لم هو صيب . في أن اروي . من الذي هاجم . وأكبر على الأبراع من . فها .

منه شطبة في فرامه الأبر . ١١٦

ومضى يروي تفاصيل معتقته ، كيف تحول إليها مهتدياً ونشوء أفكاره
الأوكتوريدية ، ووعده بنشر كرامات أخرى يكمل فيها قصة حياته ، وندمحت هذه
الكرامات نجاحاً شديداً . وأعيد طبعها في كتاب واحد سي ، احتار فل
يقتاسوا . وقد عجز القاريه الحديث . لما فني هذا الكتاب مثلي ذلك
النجاح . واستطاع نيومان أن يعيد مجده السابق ؟ ولكني نجيب على هذا
السؤال بغير بنا ، فنعرض شيئاً من القروعة التي أصحطت بذلك في
عصر نيومان . فني عام ١٨٩٠ . أي قبل أربعة أعوام من نشر نيومان
والاعتبار . ظهر كتاب اسمه « مقالات وفكرات » . وهو مجموعة من
المقالات من الحبس والعلم الحديث ، وكانت فيه مقالة بقلم حاووت . التي
ترجم مقالات اللاتوري . وكان يدهم فيها العلم عند عقائد الكنيه . وكان
للأب الذي خلفه ذلك الكتاب لا يقل شدة من تأخره بوليس . أو
حشيش اللدي تشارلي . وقد حاجم المتمصبون لتدني حاووت أشد
هجوم . وهكذا بعد نال كتابه « مقالات وفكرات » ، فلنك النجاح لأن
ترك شيئاً من الضياء والمفرد عمران إلى الدين . وكان حاج كتاب نيومان
واجباً طلبه اللب ذاته . فقد كان كالياً لنجاح الكتاب في العهد التكتوري
أن يحوي على شيء من الحراسة والأمانة العلمية . وبدون فهم هذا يعصب
فهم حياة نيومان ومؤلفاته ، كما يكون مستحباً فهم وضعنا الحاضر في
منتصف القرن العشرين . فقد كان نيومان ينحرق لفقه كالاتوري شيئاً عن
هدمه يستحق الاهتمام . شأنه في ذلك شأن لو وفيراو ويسكال . ولكن
الذين سبقوه لم يكونوا لامين بالحق الحبيب ، أي كون الإنسان غير
متفق مع عصره أبداً . كانوا حين يجاهدون اللائقين يمسكون من بعضي
اليهم باسترام . ونحن حاجم نيومان الذين في نقضه مع أشلي صخر لاس
منه والجهود بالهدام الأمانة الأدبية لديه لقد كان لامتباً جارح متبجح .
وبصح هذا على كبر كفارده أيضاً الذي كان أصغر من نيومان مائتي
عشر سنة (والذي سأحدث عنه في العمل القادم) كما ينطق هذا أيضاً

على إشتهاء وقد اضطر بورنارد شو ودين ألج بعد نصف قرن من ذلك إلى
الوسائل الانشائية أي الصعافة والسفوية - لكي ينجسوا عن بشع المرء
من قبل.

تلك هي أهمية الاعتقاد .. لانه مثل وثيقة من الوثائق الانسانية الاولى في ذلك العصر ، لقد كتب لو رنداء حاراً الى الدين .. وكشف ان اعتقاداً له .. وهكذا بعد ان الطبع الانشائي بدأ يبلب على المصير .. مد الاعتقاد لفرمان شهرته بين الناس فقط ، واعا آماء لثلاثون لكونه من اجبتها في فكرتة ولا يشع عيرما من حاشيته معاصره ، الكاثيرات من اديت من إضحاوه نفسه مطهر ، الانسان الذي حلت .. واعا دلت سامية الطبع المزدودة ، التي نصت الى الذات ففقدوا ، لقد كاد منها .. هي من اكثر من فناءه نهاية الاقويين .. وكانت النتيجة ساسية .. المصلحة في الضالعة الذهبية الصيقة التي تملكها الكنيسة الكاثوليكية

لأنه يؤمن في الثالثة والستين حين ظهر كتابه مبعوثاً . ولكن بعد ذلك
مع قرقه كثير الحياء الملائكة من اعوانته ، التي تباعها مبعوثاً
على عمله . وشعر كتاباً كثير من الدرجة الأولى . وكان ذلك حين بلغ
الستين . وبعد عشر سنوات من ذلك عييه الباسا ليو الثالث حين
وسا له . وحينه طلق الكتاب بينه وبين الكاثوليك في السويد . وفي
حين كان العبد « يساي » من ميوانا . فقد كان مبعوثاً . وبعد
الآن بعد ذلك إلى « ما كان سبطه لا ريب . ولكن بعد ذلك من ذلك
... .. » . وبالرغم من انه عزم في رومانيا الا انه عاد إلى
... .. الحظوظ في رومانيا . في ذلك
وقت البشر الا في من

[illegible]

الذين يشقوا رعيته ، كل هذا امر لا يستطيع انسان ان يجد له حلا شافياً .
 ترى ماذا في وسطا ان شئت في وجه هذه الحقيقة المحيرة المؤلمة ؟ التي
 يستطيع ان يقول أمراً وسداً فقط ، وذلك هو : (اما ألا يكون هناك
 خالق ؟ أو أن هذا المجتمع الحي ، مجتمع الشر ، بعيد كل البعد عنه ...
 ولما لذا كان هناك خالق . فان المجتمع البشري مقبل على كارثة
 رهيبة مفرقة . ، (٨)

هذا هو ، الادراك العباسي ، الذي تحدث عنه ويلكه . الادراك القزح ،
 شعور مائه لوريندر برينكه . ويوضح لنا من هذا القتل ان يومان لم يكن
 يرى ولدى مثل بيلك . لقد كان يومه وفان حوح يطول الى ، اعلم
 اني ، يدهلها العكاس الخالق له . اما يومان ظم يعرف هذه التجربة ،
 ولعل هذا هو سبب فشله كشاعر . ان افضل لسانه هي ، حـسـب
 حبروتبوس ، (التي استمدت منها تسمية ، الحمد للقدس في الأعمال) ،
 والمطامع الثلاثة في قصيدته ، قدي أبا القضاة الخنود ، . اما كلمات قصائد
 ليومان نمادية ، وقد كتبها حين كان على وشك ان يصبح كاثوليكياً ،
 وكانت تملأ ذهنه الشكوك : ولعل هذا برهان قوي على نظرية ييش القائلة
 بأن أفضل الشعر هو ما كتب نتيجة لتدوية عاطفية مفاجئة . تجربة لا يحتاج
 الصير عنها الى لغة عالية .

وأفضل ما كتبه ليومان - وما سببه له أشد المتاعب بلا شك - هو
 كتابه ، رسالة للتساهل في توضيح أسس الإيمان والتواضع ، . وعند
 العنوان نفسه يبدل على كثير من التواضع (وقد فعل ثيوت ذلك أيضاً حين
 كتبه ، تعليقات من أجل توضيح الثقافة) . . ومجد أيضاً ان جوان
 كبير جداً على هذه المسألة ، ولقد هدف ليومان الى ما هدف اليه بـسكال
 في المشاغل - أي أنه أراد ان ينافس عن الدين ضد طحسوس . وعند
 القارئ مسوية شديدة في قراءة هذا الكتاب . ولعل ليومان ععد ذلك
 لإدراك ذلك النوع من الفلسفة الذين اعتنوا ان يهـبـوا ، (٩)

حي ان يلو له الاتقان عن الإيمان اللبني . ويرى ليومان في هذا الكتاب
 ان يستطيع الانسان ان يحصل على الإيمان اللبني دون ان يتدلى عقله
 وانك لا تستطيع . ولا يستطيع أحد المعجزين بنومانا ايضاً ان يتدلى
 ليدرس في ذلك . فهو يريد ان يبحث الموضوع بطريقة منطقية هل
 يستطيع ان يفسر ذلك بـسكال : أي كما يلمن ان يعلى ان
 . (أما الجواب) كما سرح لتكشفتين ووايت هيد) وهو
 . ذلك ما نجد في هذا الكتاب كثير من الأفكار القيمة الامر الذي
 حتى البحث أكثر من كتب ليومان الأخرى .

في ليومان بالتمييز بين الإيمان الحقيقي والإيمان اللبني . فالإيمان الحقيقي
 هو الإيمان الذي يحصل من الكيان كله . لا من العقل وحده . ثم يبحث
 مسألة وجود الله . ويحاول ان يبرهن ان وجوده الضمير . وفيه كالملاون
 . الرقي . أمر يثير الى حقيقة الله . وهو يحاول ان يبرهن ان حقيقة الله أكيدة
 العلم المادي . لاسيما مستند حقيقة العالم المادي من الاطلاعات المبررة التي
 . بها لنا حواسنا . ولما استند وجود الله من اجراء التوثيق الى
 حقل الضمير نفس ما . أو معنى المذهب الاخلاقي . وهو من
 . أصبح . يشع . من المراسم بعد سنة ١٩٥٤ .
 . لا يستطيع ان يفسر ان يفسر من قدام الروح . وهذا هو
 . القديس (وهكذا ان تضيف اللاهوتي ، وهو ملاحظ حماية الخاصة الى
 . انك تركيزاً في ذاته . الخاصة الى المذهب . الحاجة الى تفهم ، وهو
 . حبل . ان يتدخل في الرأي يكون الانسان لم
 . استطاع ان يفسر هذا النوع من أفضل حكمه .

ما اتهمه الثاني من هذا الكتاب بسبب ليومان عنه .
 هو الاستنتاج المذهب في الاعمال
 من الاعمال

[illegible]

عيسى لما من هذا كله ان يروا ان لم يفتح لي فتوصل الى ان الله تعالى
هو الذي لا يبرر مطلقا للايمان . ورغم انه اخلص كتابا مطلقا لظلاله . الا
ان على وجه ان المظن ليس الدليل النهائي . ان لا يقدح خبرته واحد الا الى
البحر . ان ما يند على الانسان انه يفتنه هو ان يحاول ان يهزم العالم .
العالم ما يخط به من كرون فقط . وانما هناك يكون آخر حلف فيه
مصر . وكل ما يحتاج اليه الانسان هو ان يفترض شيئا لجعل على صوته
او من شيء ليمنحه ذلك هدفا . والمحدث الاخير بقيمة هذا الايمان هو
ان لم يستطع الانسان . على ضوء مثل ههنا الايمان . ان يعمل في الحد
الاصغر . تكبر يؤمن بشيء معه قوة هائلة جائلة . ان آمن بانه سيحكم
العالم . ولما حكم العالم جلس يتأمل عالمه . ماذا سألني الآن ؟ احيى .
هذا هو بحث كل ايمان . لماذا اتقوى مفهوم هدفه حدد حين . لانه ليس
هدفا حقيقيا اذن . ليس ههنا . بالآ . ولكن الذين يتبع الاسماء هذا الهدف
والى . هدف الذي لا ينتهي حتى ولو هاش مليوناً من السنين

من حمايته ، من شخصيته . ويقول نيومان ، بهذا الخصوص ، ان المسيحية اوصلة الى اهل ما عرفه عن نفسه ، ولهذا ، يجب ان تكون المسيحية اعظم اعادات الله الى هذا العالم . ولما كان نيومان مثوسياً او بوفياً لكاتب مفاهيم برامها ونرفاناً قد اوصلة الى مناطق جديدة من فاته - ربما الى درجات من الافلاك اعلى من تلك التي منحت اياها للمسيحية - وفي عمله الخالصة فان احتيا لاجديته كانت مستفردة الى اعتناق القبلانية أو البوذية .

فكمن أهمية نيومان في حقيقة ان طبيعة مثل طبيعته الحساسة التي تتميز بشدة التقدير والتفكير الذاتي تستطيع ان تقبل مسيحية الكاثوليك وتعود الى كمية القرون الوسطى . وفي الوقت نفسه ذهب نيومان الى أبعد من مجرد حل شخصي ، ، إذ انه اراد ان يحل مشاكل اللاهوت . لقد كان يدرك المشكلة العظمى - مشكلة جعل الدين صحيحاً منطقاً مع الحضارة . وقد قال في الرسالة السابعة من « حرفة مطالعة نام وورث » :

« يقول لي الناس ان التفكير في ان المسيحية يجب ان تستعيد البساطة التي كانت لها على المجتمع يوماً هو مجرد حلم . اني لا احمّل هذا ، بل اني لم أقل قط انها تستطيع ان تفعل ذلك . فلما انت مسيحياً ، وأنتا أقوم بالكشف عن خطأ ... أريد ان أنصح الناس ألا يحاولوا ان يصلوا بالفلسفة الى ما كان الانسان يحاول ان يصل اليه بالدين . قد لا يكون الإيمان بالدين عملياً . بيد ان السيطرة على المعرفة أمر لا يمكن ان يفهمه احد . ان مشكلة سنة اليوم تمثل في كيفية تربية الجماهير . قد حين ان الادب والاهل لا يستطيعان ان يقدموا الحلول ... » (أ) .

وقد كتب نيومان ذلك قبل ان يصبح كاثوليكياً . وبعد عشر سنوات ذكر في مرحلته الشهيرة « الربيع الثاني » انه بدأ يشعر بان الكيفية الكاثوليكية قد تشبه العالم ثانية وتستعيد السلطة التي كانت لها في القرون الوسطى . وقد يكون هذا ممكناً من الوجهة النظرية ، ولكنه غير محتمل في ملأنا هذا ، عالم القنبلة المينروجينية والايديوأوجيات المتناحرة . فربما هي النتيجة التي نخرج بها

من هنا ؟ أي ان نيومان كان خطأ ؟ وان مشكلة « السيطرة على المعرفة » لا يمكن ان تحل بمسيحية جديدة ؟ ان المشكلة ما تزال تمثل في كيفية « تربية الجماهير » . بيد انه ليس في الوسخ تربية الجماهير لتفكر كالكلامتي ، بل ككثيرة جعل الجماهير كلها تفهم ميكانيكية نظرية الحكم في الفيزياء . ان طرفة اللاهوتيين كلها يمكن ان تبسط في حقائق دينية بسيطة معينة : الحقيقة الأولى ، الخلاص من الشخصية ، حقيقة الإرادة ، ومفاهيم الوجودية الثلاثة . الحقيقة هي الذاتية ، وانه ليس هناك ما يمكننا ان نسيه انساناً ، وان ان حدود بسبق الجوهر . ونيومان يقبل كل هذه الحقائق ، ولكنه لا يعرف كيف يعلمها للانسان الذي لا يريد ان يبدل مجهولاً لتواجه خطوة حتمية .

ان المشاكل التي عالجها نيومان ما تزال معنا في قرنا العشرين . كما ان حضارتنا آخذة بالانحيار تدريجياً ، لان تلك المشاكل ما تزال بلا حلول . وفي هذه الظروف ، يستصبح نيومان ان يحدنا شيئاً واحداً ، وهو ذاته الجواب الذي يفرضه ويلبكه في « حالته » : ان الفرد الذي يفهم المشاكل يجب ان يحاول حلها على كنفه ، وحتى اذا كان وحيداً تماماً عليه ان يقوم بتلك المحاولات . وربما نيومان كم يكون تأثير الانسان الواحد عظيماً حين يحاول ان يقوم باعباء المشاكل . بل ان قوته نصبح قوة جيل كامل . فلماذا استطلاع القرن العشرين ان عدم اتنا ولو بعض الافراد من نوع نيومان فان مجرى التاريخ سيغير لا محالة

وينتهي القسم الثاني من إمامة أئمة الأخلاقية. وهما يكف كبير كفاً
عن كونه جليلاً من نوع أوسكار وإله . وبدأ بالحديث عن الدين
والأخلاق . وهذا هو معنى القسم : (إمامة أئمة) . ولكننا لا نستطيع أن
نقول إنه يقدم لنا الفكر الأخلاقية بالطريقة المثالية التي يقدم بها الحكمة العالية .
ومع ذلك فهو يرى أنه هو ، سوين كبير كفاً ، لم يخدع بأفكاره المرافقة .
ولكن قد يكون هناك مسبب آخر لهذا العيب الأخلاقي . إذ أنه ألف ، إمامة أئمة
ليجمل ويحب أولئك أنفسهم . ولعله ألف الكتاب بوضع عادة الأجانب الأتباع
من طبيعته .

[illegible]

حل المسألة . ولكنه كان أشد كلاً من أن يستطيع حلها بدون مساعدة
سقراط . ويستج سقراط من ذلك أن البشر جميعاً لا يدرون على أن يصححوا
آلهة ، إذا استطاعوا فقط أن يحصلوا على قوة الإرادة الكافية ليكتبوا عن
ذلك في نفوسهم . وبعبارة أخرى ، فإذا كان الإنسان غطاً منذ البداية (كما
يعتقد اللاهوتي) فإن قوته على تحليل نفسه تكمن في نفسه . وقد اعتبر
سقراط نفسه قابلة تساعد الناس على أن يلدوا الحقيقة ، بدلاً من تقديم الحقيقة
هدية إليهم .

ويقول كيركغور ، وهو حق في ذلك . إن نقل المسببة (وهو يعني
مسيحية القديس بولس) بنفسه من هذه التكررة ، لأننا نسمح في مسيحية بولس
بقدم الخلاص هدية للإنسان . وهكذا يضرب كيركغور مثلاً ليبر هذا فيقول
إن أحد المثلثة أراد أن يتزوج فتاة من العامة . وكان الملك يحب الفتاة كثيراً
وحتى أن تسمر على اعتبارها ملكاً وعلى اعتبار نفسها فتاة عامة مخلوقة ،
وبهذا تحطم علاقتها التي كان يريد أن يجعلها تعتمد على المساواة بينها ، فإذا
مبطل ؟ انه لا يستطيع أن يرفضها إلى مثواه ويضعها بأنها ملكة . ولكن يستطيع
أن يبطل إلى سرها ويضعها بأنه ليس غير عاشق متواضع وهم كونه ملكاً .
ويقول كيركغور إن هنا هو ما فعله الله حين نزل إلى الأرض وسمح للبشر أن
يصلبوه .

ولكن كيركغور لا يقبل هذا الرأي نهائياً في : الأجزاء الفلسفية ، وإنما
يقدمه باعتباره حالة من الإيمان بحسب صاحبها ، ويأخذ أنه هو لم يستطيع أن
يخط ذلك في نفسه .

تبع : الأجزاء الفلسفية : كتاب آخر هو : معنى المذنب . يد أن هنا
الكتاب لا يعتبر من كتب كيركغور المهمة . لأن أفضل ما فيه من آراء مذكور
في كتابه : المرض المسبب حيث نجد أن كلمة : اليأس ، تتوافق مع كلمة
: العذاب : : العذاب هو الطريق الممكن إلى الحرية . وهذا المذهب : يري
الإنسان : لأنه ينهم كل شيء محمود ، ويكشف عن ضلال كل محمود . (٤٥)

أنه العذاب الذي فيه تبتته : ... أشك في أن هذا العذاب يقودنا إلى الأمل
ولكنه يزيدنا عفاً . (٤٦)

وفي عام ١٨٤٦ . أي حين نشر أهم كتبه : الملحق اللاهوتي : أصعب
كيركغور مشهوراً في كوبنهاغن ، بيد أن تلك الشهرة لم تكن لهجته . واستاء
صحيفة : « الفرسان » السخرة من الطريقة التي كتب بها كيركغور من أحسن
عربها . فنشرت سلسلة من الحملات والصور الكاريكاتورية عنه . وكان
: إما : أو : قد وجه شهرة في الدخار . أما حملات تلك الصحيفة فقد حطمت
من هروقة . وقام كيركغور بهجوم مضاد ، وأطلق في الأخرار بالصحيفة التي
حس له كل ذلك . إلا أن هذه القضية ثالث من نفس كيركغور كثيراً
وكانت المسألة كلها قد بدأت بفقد لافخ وجه إلى كتابه : مراحل في تاريخ
أنياء : الذي ظهر بعد : أو : . وقد حلل كيركغور في فصل من هذا
الكتاب اسمه مجرم أم لا ؟ قصته مع ريجينا أولسن ثالثة . وساد كونهما من دور
بأن ذلك لم يكن متصفاً مع الحقوق العام ، لأن القضية كانت معروفة في كيركغور
الأوساط ، وشر ذلك الصحفي بأنه لم يكن من الحكمة أن يثير كيركغور ما
هذه الصفحة ثانية ، وكان الصحفي عفاً بلا شك . ويبلغ أن حملات هذا
الصحيفة شلت كيركغور من سيرة المراقبة نحو الآراء هذه القضية بين حبيب
وآخر .

إن : الملحق اللاهوتي : كتاب ضخم ، غير أنه معهود غير مقروء . تأتي كتابه
آخر من كتب كيركغور الفلسفية . ومع ذلك فإن صفحاته الثمانية الكبيرة فقط
تثير : من الآراء المظلمة . ويعيد كيركغور هنا بحث مسألة : ماذا يعني كيركغور
الإنسان مسيحياً . ونحن نذكر أن هينل أوجد للمسيحية زاوية في نظامه الفلسفي
في : أن هذا المذات هو ما نرعه كيركغور في هينل . لقد كان كيركغور
يرى : أن التعبير النهائي الحاضر في حياة الإنسان : الروحانية . لا مجرد حزم استه
حس : كيركغور : : في نظام فلسفي مقام
: كيركغور : : هذا الكتاب فكرة أن الحقيقة ليست واحدة أو نظام

كان يتمتع بميزة مزعجة تفسه على صعيد واحد مع هينل ، فقد كان أسلوبه الأدبي غامضاً مطوّلاً . صحيح أن أسلوبه ليس كذلك دائماً ، إلا أن كتاباته لا تنتم بالوضوح والبراعة إلا في المؤلفات الأخيرة . فإن كتابه الأخير « هجوم على البروتستانتية » يتميز بالاحكام والسطوع اللذين تتميز بها مؤلفات نيتشه ، ولكنه يخصص هذا الكتاب كله لمهاجمة بروتستانتية الدنمارك وحسب .

نشر هذا الكتاب في سلسلة من الكراسات . أما سبب تأليفه فيرجع إلى أنه الأسقف مارتنون القى موعظة عن سلفه الأسقف مينر ، وكان مينر أسقفاً طلياً على غير المألوف . غير أنه لسب من الأسباب أثار مديح مارتنون له غضب كيركغارد . ولم يذهب كيركغارد بعيداً كما عمل شو (في مقدمة اندروكلس) ، ويعلن أن الكنيسة المسيحية قد انشازت بأربابها ولكنه شعر بالتأكيد أن الكنيسة لم تكن مسيحية بالمعنى الذي فهم المسيحية به . ويضم هذا الكتاب معظم الكتابات المنشورة عن كيركغارد - وقد كان بارعاً في الحرية كلما وجد ميلاً إلى ذلك . وقد أثارت كراسات هذا الكتاب صدمة كبيرة حين نشرت في عامي ١٨٥٤ - ٥٥ . ولم تقض تسعة شهور على نشرها حتى أنهل كيركغارد على الشارع بينما كان يعود من المصرف حاملاً معه آخر ما كان له من رصيد فيه . وبعد شهرين مات في المستشفى بمرض غير معروف . وقد أخبر أطبائه بأن مرضه كان ميكولوجياً ، ورفض أن يتقبل السر القديس من النفس وقال إن ذلك كان جذيراً بأي إنسان عادي آخر ، لا به هو . واجتمع التلاميذ وكونوا حرمي شرف حول جنازته ، وكادت تحدث مشادة . إلا أنها كبتت في مراحلها الأولى ، وفي الحقيقة الأخيرة بجانب القبر أعلى أحد ألياعه أن الكنيسة كانت مهترقة ، وإلا أنه يشكر تعاليمها .

ومر نصف قرن تقريباً على وفاة كيركغارد ، وظل معروف في الدنمارك وحلباً . ثم بدأت شهرته تتغلغل في الآقطار الأوروبية الأخرى ، وترجمت مؤلفاته إلى الفرنسية والألمانية ، وظهرت نتيجة لذلك الحركة الوجودية . وراح هايدنر ، الوجودي الألماني الأول . يؤكد على فكرة الموت ومفهوم اليأس اللامرئ.

• الثاني كل من سارتر وكامو على نظيهما اسم « وجودي » - ونجد أن سارتر حدث صيغر هايدنر . في حين أن كامو شق لنفسه طريقاً ميثاقاً من فكرة الوجود عن التضحية في « الخوف والرهبة » - بدأ الناس يتحدثون عن سارتر بالطريقة التي كانوا يتحدثون بها عن نيتشه وهرسوف في مطلع القرن العشرين .

• الثالث وقد خفف وطيس النقاش حول الوجودية بلوح لنا أن كيركغارد لم يهتم أكثر مما ينبغي . لقد قال نيتشه مرة أنه كان يدين بآبائيتيه . أما إن كونه لم يفتنع وقتاً في المشاكل المتخيلة أو المشاكل الزائفة ، بل في الضرر فهو لا يستطيع أن يدعي ذلك . لقد صبح كيركغارد كثيراً من الناس في مشاكله الشخصية إلى أبعد الحدود . وقد أعززه أيضاً شك نيتشه في صريح وفقه صبره على الأنظمة الدينية . ومن الطريف أن تصور أن كيركغارد لم يرب من أي شيء آخرى بالإصافة إلى حياته ، إذ أننا نجد أن ولصه للكنيسة قد ذهب إلى نفس النتائج السابقة . أما كيركغارد الذي نعرفه فيمكننا أن نرى أنه رجل ذو عقل كبير وفيرة روحية هائلة ولكنه كان شخصية متروكة .

فكار حليفة حسب - ولم يكن ذلك متعلقاً بأهمية برنارد شو نفسه ، تماماً كما
لم يكن تأثير كتاب غوته ، الساعفة والكافية ، متعلقاً بأهمية غوته نفسه
والأفكار تروى مع الزمن كاللودة . وهذا أمر لا أهمية له . ولا يخطئ عن
المؤيدون الرأية في الصحف كل يوم . واثنا نجد أننا نحكم على ما كتب
وهو بالقياس الحقيقية . ولكنه أمر يؤسف له ألا تطبق هذه المبادئ على
شعره . كما لا تطبق عليه أيضاً المبادئ التي حكمت بها على أرسنار وهو يوم
الآن عودين . ان برنارد شو مفكر صاحب على كل قياس . وأمل هذا
حرفنا لا يفهم الناس مقالاته ولا بهلوه ليته الحقيقية . ان برنارد شو
يحيى إلى اللحظة التي يتعجب إليها الملاحون وغوته : بل انه مفكر وجسدي
الذي المبتدئ الكثرة . والوحدة تبدأ بالامتسي . وتنتهي ... لا أحد يعرف
أمره . لكن طريقها يكمن في الدين . أي دين . وليس الدين هو النهاية ، وإنما
الصدق الذي نخرج فيه أثناء السفر .

الفصل الثامن

يطلب لي عند الكتابة عن برنارد شو ان اعبر عن آرائي الشخصية بصراحة ،
لأن آرائي التي ذكرتها عنه في اللامسي ، تأثرت من المناقشات والاعتراضات
أكثر مما أثاره أي شيء آخر في ذلك الكتاب . اني أرى أن شهرة برنارد شو
ستزيد مع الأيام حتى يصل الأمر إلى درجة اعتبار مكانة برنارد شو بالنسبة
للتفكير الغربي كمكانة أوغسطين الاكوييني بالنسبة لتفكير القرون الوسطى .
وانني لاعتبر اللامسي ومزأ لمشكلة الحضارة الغربية كلها خلال القرون الخمسة
الماضية من « الحضارة الفلوسفية » . وقد قال شو مرة انه حل كل مشكلة رئيسية
من مشاكل حضارتنا في حين أن الناس ما يزالون يبحثون أمر تلك المشاكل
وكانها ما تزال بلا حلول . وبلوح لي هذا صحيحاً فقد حل شو مشكلة اللامسي
في كل بقعة من النقاط التي بحثها واقترب من الحل الكامل أكثر من أي مفكر
آخر . وسأقوم في هذا الفصل ببيان حلة هذا الحل باللامسي . وبالرغم من أن
حجم الكتاب لا يتيح لي أن أبحث ذلك بالتفصيل إلا انني اجعلني مضطراً
إلى إبراز شيء من هذا التفصيل ، وبإذن علاقة شو بنومان ولو وكيم كعادتي . ولا
فكرت ان أختص به برنارد شو إلا من هذا الطريق

تطوير قابليته على التحسس . ولكن مفكرين معينين يعتقدون بأن الحياة نفسها هي مادة الفلسفة - العيش والانتباعات الغمام التي يخلق الفنان فيه منها ، وهم لا يعتقدون بأن تقبل الفنان لتجربته سلباً - القابلية السلبية - هو الامر الضروري الوحيد . ولكنهم لا يعتقدون أيضاً بأن قابلية المكر على أن يضع الكون كله في « كون نظري » ذات أهمية كبيرة . فالفلسفة يجب ألا تتألف من الأفكار والتحليل ، تماماً كما لا يمكن بناء البيوت بوقى القصب ، وإنما يجب ان تتألف من تجربة العيش . ويجد أن أفلاطون مفتون بالرياضيات ، ولكنه مفتون أيضاً بذهنية سقراط وبروتاغوراس وببيكولوجية ميلتوس وزانيب وهو أول ككتاب القصة في التاريخ . وينطبق بعض ذلك على غوته الذي يعرفه الناس شاعراً وحاشقاً ، إلا أنه كان ينصف إلى ذلك بالذهنية الثقيلة المائلة إلى التحليل ، ذهنية الفيلسوف والعالم . وقد فعل رودولف شتاينر حسناً حين اهتم بشعر مولفات غوته الفلسفية والعلمية فكشف عن ان غوته الشاعر كان قد حجب غوته الفيلسوف من الاجيال الثابتة .

لقد جدد غوته فكرة كان قد تحدث عنها أفلاطون في وقت : وذلك هي فكرة التربية ، لا التربية الجامعية ، وإنما التربية الحياتية الحقيقية التي تقود إلى النضج : تربية الحكيم والفديس . وتلدور ، غولم بيتر ، على شاب : ينظمه من تجربته الحياتية ، وهذا أمر خطير الاهمية بالنسبة للامتسي الذي يلاحظ عن البشر أنهم لا يعلمون من التجربة ، أو عبارة ايفان ستراند : « يا الهي ، لمجد حياتي ، فانا لست أفضل من آباتي » .

ولكنها مشكلة كبيرة عميقة . لأن المسألة - الضرورية قنضج - تعني اراحة الارادة ، وجعل الشخصية شفاقة ، والتحول إلى الاستسلام الكامل للمؤثرات ، أما التحليل فيعني بصورة جوهرية تكرار الفعل باستخدام الارادة وتقوية الشخصية . وهذا يعني أن الانسان الذي يريد ان يتطور بدون أن يقضي على قابلياته يجب أن يسيطر على كاليبان - « الوحش في ذاته » - الذي سماه « كاليبان » : شخصية مشوهة يتربصا كشكر فصلة بين الانسان والارض ، أو الانسان والحيوان ، وذلك في سرعة والسافة .

ملك التبج . وهذا التبج هو العنبر ، وقد كتب بليك قائلا :

« كل انسان هو في قبضة شبحه » .

حتى تحب الساعة

التي تستيقظ فيها اناسه

وتلقي بشبحه إلى البحيرة . . (١)

وجودي الثاني . إذن ، هو الانسان الذي يستخدم قوة ارادته في التحليل . ولكنه يكون في الوقت نفسه قادراً في أية لحظة على ان يصبح سلبياً تماماً والى حد شعاعاً استلامياً وحسب . وهذا يعني انه يحل تلك متوى القوة على الضبط الذاتي . وهكذا نجد ان مفهوم الوجودية يتضمن فكرة الضبط والتحول الذاتي - الفكرة الدينية . ولا يستطيع الوجودي أن ينظر إلى الفكر ، مجرداً ، لأن الفكر متصل دائماً بموقف موجود . وهو لا يستطيع ان ينظر إلى العالم وكأنه خارج عنه . وبمنطقه وهو جالس على كرسي مساوي . فإذا ابتعد الموضوع عن كيانه الخاص به فإنه يكف عن التفكير ويعود إلى استلامية الفنان الشاعر . ويصير الامتسي الرياضيات الشكل الوحيد من أشكال الفكر التجريدي الذي لم يمس مرأه لا يمكن قوله ، وهذا لأن الرياضيات هي ساحة ألعابه العقلية . والحد الوحيد في جوهرها تعني نظاماً عقلياً عصبياً . وإنما هي نظام من الادراك . اعطاء مفردات عديدة تتألف منها رؤيا كاملة . وهي محاولة لتوسيع الادراك . لم يسع الحيوانية الحية وحملها تشمل المكونات الميتة . ويتألف هذا من خطوات الارادة التي يعرفها الشاعر (جوهر مديح من . من البيوت كشاعر حنون من في مدائه عن الشعراء الميناييريكين . « فكرة من كانت تجربة ... حين يكون هو » شاعر مستعداً تماماً للعمل عليه ، يقوم بخرج التجارب المتفاوتة . أما تجربة الانسان العادي فهي « حطوطه غير مطهارة كما أنها مجردة » . وقد عرف بينس « من هذه المحطات » . إذ كتبه صعد شلالاً متلاً .

١ - « كل انسان هو في قبضة شبحه » . وقد كتب بليك قائلا :
حتى تحب الساعة
التي تستيقظ فيها اناسه
وتلقي بشبحه إلى البحيرة . . (١)

ومثالها المتجودة عائلاً إلى درجة انه يضر عقيقته بين يوم وآخر (بل يضرها يوماً إذا كانت أغنية ليونيلو صادقة) . وهذا يتطلب بالطبع انعدام الشفقة . ولا يظهر لنا دون جيوفاني قاسياً أو مزعجاً . ولذلك فلا بد أن يكون هناك شيء من تأليب الضمير حين يقوم المرء بفهم حرى رابطة ليحقد رابطة أخرى . بيد أن حب جيوفاني للتفسير يسيطر عليه في النهاية لطبع حياته بشي . من القوة . وعلمه في ذلك انه يحيل إلى النساء كما يحيل القراشات إلى الزهور . ولكي يروي غلبته تماماً فانه مضطر إلى أن يكون عديم الشفقة ليحفظ بيطته الجسالية بالنساء منفصلة عن مشاعره الانسانية نحوهن . وهكذا . فالانعدام الانسانية يؤلف حالة من القطة .

ولا بد أن هذا قد خلف أثراً كبيراً في نفس «عبي الرومانتيكي» خاصة وإن دون جيوفاني يتمتع بكل تلك الميزات الرومانتيكية ما عدا الامانة : فهو شجاع ، ذكي ، مجامل ، جذاب ، وفائق . ونسبه طفلة جيوفاني فلسفة «الفسد» بطل كيركفارد . ولكنها نشبه أيضاً فلسفة أفلاطون واليونانيون في تفريرها أن الامتناع بالحياة يتطلب الانفصال التام . ونحن نجد أن دون جيوفاني انفصل تماماً على طريقته الفريدة .

ولا شك في أن برنارد شو الصغير كان رومانتيكياً تماماً . وكانت حياته الالهية متفقة مع هذا أيضاً : فقد آمن أبواه بضرورة تركه وحيداً . ولم يبدلوا أية محاولة لفرض نظامهما الديني عليه . ولما تعرف الاقبال من عقولسة برنارد شو . وكان حرباً به أن يكتب نصيلاً لتلك الفترة كما فعل تولستوي في كتابه العظيم . لأن شو الذي نعرفه هو شو الناضج المتجادل المبالغ . المستجذع الرابع . ولهذا فلا يمكن أن يحصل المرء على مثل هذه الصفات دون أن يمر أولاً بفترة هدية من اللانضج . بل ان قوته الهائلة هي التي تجعل الناس لا يميلون إليه . وقد أظهر ذلك بوضوح في « العودة إلى ميتوشالغ » حيث نجده يقتطف بكثرة ويلز . طعام الافة التي تتصلق أن طعماً كيميائياً مميّناً يجعل بعض الناس يسمون إلى حد صخيم جداً . ويكره باقي الناس هؤلاء المتطفلة ويردون

أن يتخلصوا منهم . ولو كان برنارد شو قد كشف عن شيء من النقص ، مثل حس لو جيد . فزاد عند المدافعين عنه اليوم كثيراً . ولكننا نعرف أن شو كان معيياً بالفن أكثر من حياته بالحياة . وكان ينقل بين معارض دبلن ويوم المسارح ودور الاوبرا كلما منحت له الفرصة . وقد حاسته أوبرا موتزارت « دون جيوفاني » أصح الأثر في نفسه . وأثرت عليه أيضاً موقعة غوتو « فاوست » (التي أعجب فيها بمجاسي ميفستوفيليس (الشیطان) القوي . ذلك المظهر الذي اتصف هو أيضاً به في أواخر حياته . ونحن نعلم أنه كره دبلن . تماماً كما كرهها جيمس جويس الشاب قبله بثلاثين عاماً . هو يقول في مقدمة « اللانضج » :

« كان جيمس جويس ... قد وصف الحياة التي تقدمها دبلن للشبان وصفاً هو من الصديق والامانة بحيث أن الكتاب نفسه صار كريباً إلى نفس قارئ ... إن تلك الحياة لا تختلف عن حياة الشبان في كل مدينة في حضارتنا هذه . إن ذلك نسيم مطيح الرطوبة المضحكة الخفيفة والنفاهة . وإنك لتجد فيها السمو والحدبة إلى جانب نضجة والسخرية . بيد أن ما أحره عن دبلن هذه يعود إلى تلك « الأولى من شبابه » . وحين غادرت دبلن . اخضعت تلك الفترة أيضاً . ولم أجد اتصالاً بزملائي ومعارفي . وعشت حياة من الوحدة والانقطاع . وبعد ثلاثة أعوام وجدت نفسي في خضم انعتشت فيه أفكار بداية القرن الثامن عشر اللاهوتية . وبين التفكير بتصميم بالرقصة والجهد ويتلمسون من الشرور الخفيفة الاساسية التي أصابت العالم ... » (٥)

هكذا . حين نولد برنارد شو دبلن لما بلغ العشرين - بعد أن قضى سنتين في روما وفقاً لمقتضى في صباه - التهمت مدينة غريبة - لندن - ووجدته من مشاهد وحدة وانفراد . وقد أصبح . كما يقول في المقدمة ذاتها ، لانهماً .

و حين نعلم على أن أخرج من دهب الحيات إلى ديبا الواقع . كنت ما أزال أشعر بالي « من الضيق » لقد كنت حارساً على المجتمع . حارساً على الكنيسة .

خطوباً على السياسة ، عازجاً على الرياضة . ولو كان الناس يعرفون كلمة
« لا متنى » لا أطلقوها على دون شك . (٦٦)

لقد كان شو أشد اللامتين جنونية ، فقد كان لا متنباً ورومانيكياً .
« وجن تبين على أن أعرج من دنيا الخيال إلى دنيا الواقع ... وهكنا فهمت كلمة
هانريود نيروكو قتي وصفها توماس مان في أول قصصه . ووصف شو في
« جزيرة جون بول الأخرى » كرهه لنبلان فيقول بلسان دويل :

« ثم يبتلع فجأة ضحكك شربير مفرغ لا معنى له . انك في شبابك تساقى
الأنخاب مع الشبان الآخرين ، وتقص عليهم وتقصون عليك قصص الشريرة .
ولما كتبت أنهم من أن تكون قادراً على مساعدتهم أو الإحسان بهم . فقلت تخفى
في سحريرتك وهجالتك وتضربك لهم لأنهم لم يفعلوا الأمور التي لم تجروا أنت
تفعلك على فعلها . وانك لتضحك طيلة الوقت » تصحك ؟ تصحك ! مسخاة
أبيدة ، وحسد أبدي ، وحسالة أبدية . وشرو وطلخ والمخاطب إلى الأبد ! فإذا
بلغت بعد ذلك بلداً وجدت قرمه يبحثون المشاكل بناية وورصاة ويقدمون لها
أجوبة جادة وحلولا وصينة ، فانك تغفر منهم وتقول أنهم لا يفعلون شيئاً من
روح الفكاهة ، وتضطر بما لديك من ثقافة . وكان هذه الثقافة مستطاعت أن
تجسلك أفضل منهم . (٦٧)

لقد كتب شو هذا بعد ثلاثين عاماً من مغامره بهن . وبدلنا الفروض التي
وصف به كيف أنه كان لا يلقى إلا السخيرة من وصاته وجديده ، على أن له
لذلك كان شديداً جداً . وبعيداً هذا المختلط بكل ما يخفى إلى المشاكل التي
كنت يجتهد في الفصل الثاني من « لا متنى » ، حين تناولت « تقريب » لكادو
« وطن الجندي » غصنواي . فإن كريكز ، الذي يعود من الحرب إلى وطنه ،
يتذكر لحظات كان قد استمتع فيها بحالات ذهنية بطولية . « حين نعمل شيئاً
واحداً ، الشيء الوحيد » وهو يحق هذا التذكر في هدوء وضبط ذاتي .

« يجب على أن اعترف بما باتهم ساعدت كلمة « لا متنى » لأول مرة في حياتي لدى
برنارد شو ، وكنت حينذاك في سوالي الفلسفة مقبرة .

« كره رغبة الحياة في مدينته الأصلية حيث يتمتعك الرجال في القعب ورواية
العصص . انه يكره مدينته ، لأنه بعد أن عرف شيئاً من التركيز في حياته صار
يشوق لكل ما هو بطولي ويكره الثقافة من الأمور . ولقد تغل صراود في
... حية كرافيل بلوكر عن مهنة السياسة لأنه كان قد عرف جانباً من ذلك
التركيز . ولما فلم بعد يستطيع الصبر على الحياة السياسية ، المسه موقوف
« رومانكي » - ولقد وصفه يتس في « الرجل الذي حلم بالأرض الخيالية » وفي
« فرغوس وحورية القاب » . ولا يمثل هذا كرهاً لحيش ، وإنما هو كره الملك
الحساء فتاة الالهة الذي يقدم اليها باسم « العيش » في العالم الحديث . ويريدنا
... في « برجنت » شاباً ينظر إلى الآلة القبيحة باعتبارها أميرة باهرة للجبال .
وإلى الحنازير التي يركبها وكأنها أكراس أصيلة . وهو بفضل ذلك على مواجهة
الحقيقة المرة . انه شوق إلى البطولي . إلى جدية في الحياة أشد مما يعرفه البشر
العاديون . « وجن يتصف الانسان بهذه الشهية المائلة . ولا يستطيع أن يلمس
« يشبه في البشر الذين يعرفهم . فهو اما أن يخضع لمقاييسهم وينسى
أحلامه . أو ان يعتمد الانفصال عنهم - ويجعل من نفسه لا متنباً
من يجد طريقة في التفكير والعيش تتيج له مجال الفؤاد إلى جديده أشد . وتثيره
« هذه المؤلفات المائلة بالأمطالات الخيالية - خاصة المؤلفات التي تدور على
... الطامعين الذين يكادون كتمل على المصاعب التي تقف في طريقهم .
« الحاحم والاب » استدال . أو « صورة أنثى شاباً » لجيس جويس .
وهذا أشد إلى أن كل ما هو بطولي هو الذي يصنع اللامتنى ، أما ألد أعداء
مهر اصغر والجن والسام ونهاة الحياة الحديثة

« واحد أن تهر شو الرومانتيكي المدن وميله إلى الرصاة جعله يعيش حياة
نوحا صبح مدوات « بولوج انه كان يغص في تلك الصوات لاجأ إلى
دنيا الخيال المومسي والأرب وانس . ولم جاء إلى لندن وأى « كارس » حنة
... « عرف في « القاب » الحسير وكره . وطعن يزور مدفوس المدن وبألبها
في « ... معارض منس ثم اكتشفه « طاهر آعدا

وتعتبر مؤلفات غايتير الموسيقية معبد النيل الأعلى البطولة. فمن « ويتزي » إلى « بارسيفال » لا نجد إلا الإبطال على المسرح. ونجد في أعظم مؤلفاته « الخاتم » كيف أن غوتان (الذي يرمز إلى من يقود البشر في مجالات الخلق) يلهم الآلة الذين لا يستطيع القضاء عليهم إلا من هو أسوأ حتى من القاتل العفلي البشر - انه البطل . سينفريد . ولذلك فلا بد هنا أن نعرف أن شو أصبح لشدة الناس افتتانا بموسيقى غايتير .

لقد كان تمرن شو على اللاتينية أطول من المعتاد ، يد أنه كان كاملاً . ولقد طل سنوات عديدة دون أن يكون لديه ما يبرع فيه . ولم يكن يشغله غير الفن . وكان مخطوطاً لأنه لم يكن مضطراً إلى أن يعمل . وكان كثره من الفنانين يكره العمل ويرفض أن يكلف بأي شيء . وكانت أسرته تقدم له الطعام والسكن ، وكان يقضي أوقاته في المتحف البريطاني منهكاً في تأليف قصصه الخمس . واستطاع خلال هذه السنوات اثبات أن بطور في نفسه شخصية رومانتيكية هائلة للأخبارات البطولية ، وحصل على اطلاع غزير ومصروف واسعة خلال دراسته الطويلة للأدب . ولكن القصص الخمس التي ألفها كانت ضعيفة . رغم أنه من الصعب علينا أن نقول لماذا هي كذلك . ولعل هنا يعود إلى أنه شو لم يكن مهتماً إلى الشخصيات التي تدور عليها تلك القصص . ويمتثل بطلب « الانضج » صورة شو نفسه . ولكنها صورة موضوعية جداً . وغدير رومانتيكية . وليس فيها شيء من المراماتيكية أو مما قد يجر العطف . ويدعى البطل - سمث ! ونجد قبل نهاية الفصل الأول أن سمث يصل إلى لندن ويقابل فتاة جميلة اسمها هاريت . يد أنه لا ينتج من ذلك أي غرام وإنما نجد سمث يعلمها الفرنسية ! وفي نهاية الكتاب يظل سمث بلا زوجة ، تماماً كما كان في البداية . في حين تتزوج هاريت رجلاً غريباً ، وينصرف هو إلى عمله الخاص ليفتخر في منصبه كسكرتير خاص . وتتركز القصة على هاريت وزوجها الرسام . وعلى سمث كذلك .

ومن الخطأ أن نزع من شو أن يؤلف قصة مثل « صورة الفنان شلما »

عام ١٨٧٠ : فذلم يكن جويس قد ولد بعد . وكانت مطالعات شو محصورة في دكتور وتشارلز ليفر . وهذا كان ميالاً إلى رواية القصص أكثر من ميله إلى التحليل النفسي .

أما قصصه الثلاث التالية فإنها تظهر تماماً من أي دليل على شخصه هو ، قصة « القطة اللامقودة » تدور على مهندس هببي يتزوج « سيدة » ولكنه يكشف أن الحياة الكئيبة التي تزعم أن تعيشها معه ستكون حياة لا تطاق . وأما قصصه « الحب بين الفنانين » فهي تتركز على أوين جاك المؤلف الموسيقي مشوه الوجه والذي يتصف بالفتور بنهوض ، ونجد إلى جانبه جماعة كبيرة من الفنانين يستأثر باهتمام شو أيضاً . وهكذا لا تكون هناك نتيجة ما . أما « أهراف كاثيسسل » تدور على شاب يهرب من المدرسة ويصبح مصارعاً محترفاً . ثم يقع في غرام سيدة تدعى ليديا كاربو ويتزوجها أنبراً . وهو يفشل في تصميم لطيفات القطة الرتيبة بحيث يشعر القارئ بأن المؤلف نفسه لا يعرف مسبقاً يحدث في الصفحة القادمة .

أما « اشتراكي لا اجتماعي » فهي أحسن قصصه الخمس . وقد أنجز شو تأليفها حين كان في السابعة والعشرين كما أن الشخصية الرئيسية فيها تتصف بكثير من سمات شو . ونجد هنا رومانتيكية شو كما أثارها في نفسه مؤثرات تنضج بكل دقائقها . وقد كان عنوان القصة بالأصل « الرجل القاسي » . إن « ميس وجل قاس » وهو يشبه دون جيوفاني في قصته « ولكنه لم يعد نجد شيئاً من لطف حتى في حلة أحياله التي يحصل بواسطتها على الشهوة الجنسية . وهو رومانتيكي كامل . يد أن رومانتيكيته تشوهها الهلة بين الذكر والأنثى . وهذه هي بداية الكتاب بهجر زوجته التي كان قد تزوجها حديثاً . ويقول لها في بطاقته التي يتركها لها : أنها جميلة جداً وأنها تتمتع باغراء شديد . يد أنه يشعر بأنه يكاد يفتن وسط كل ذلك الغزل والغرام والانفعال الجنسي . ويعطيه شو بعد ذلك طرف في مناصرة عحية مستعجلة في مدرسة لثبات . ونجد أن هذه القصة لا تفل إرمائاً عن قصة « الانضج » . يد أن شخصية تريفينوس هي التي

نهب الخاصة شيئاً من الناسك وتجعلها تحظى بإهتمام القارىء . ويشع البطل بمسألة
كان لدون جيوفاني من سحر وتأثير على النساء إلا أنه بفضل الاشتراكية . وما
أن عثرت أكل شيء . عرضه على الكلام حتى يبدأ بالقاء خطبة طويلة عريضة عن
المظلم التي تعالها الفئقة العاملة . أما ما يجعله قاسي القلب فهو جمع بين الرومانتيكية
والبعث العقلي . وهو يعتقد أن واقع العلاقات البشرية غير ملائم لمقارنته بالبحث
العقلي.

ولم يمتد شو على ناشر قصصه تلك . رغم أن « كاشيل بايرن » حازت على
بعض النجاح فيما بعد . وقد نشرت « اشتراكي لا اجتماعي » في مجلة شهريسة
صغيرة . ولم تلق نجاحاً . إلا أنها جعلت وليم موريس يتعرف على شو الذي بدأ
يزور بيت موريس باستمرار . وظل شو سنوات عديدة معجباً بالاشتراكية .
وقرأ « رأس المال » لما ركس في المصحف البريطاني . وبعد أن كتب هذه القصص
التحق بالجمعية القابية وأصبح من الأعضاء العاملين فيها . وصار يخطب في
الشوارع العامة وي هابيد بورك وينشر الكرايس . بل أنه عرف الخطابة منذ
أن كان في الثالثة والعشرين حين حضر في أحد اجتماعات « جمعية الباحثين »
والمطعم الخليلي بالفضال وحدة ملناً معارضة . وكان يخطب بضعفه بتكلف الثقة
بالنفس . الأمر الذي كان يثير الكثيرين ضده . . . كنت أحتال على موضحة
كل من كنت أشر بالتي استطيع أن أعلم منه شيئاً . وهكذا أبعده يتحدث بما
عنده . . وأعتقد أن الكثيرين من الاحبار الطليين كانوا يعتبروني شاكراً كريهاً
سيذا غير مرغوب فيه . (٨)

ولما بلغ السادسة والعشرين وقع في غرام إحدى طالبات لغة في الجامعة .
وكانت عمره . بيد أن الأمر لم يؤد إلى نتيجة ما . وكان ما يزال في الجامعة
وهو في التاسعة والعشرين حين قررت طالبة أخرى من طالبات أنه أن تقوم .
الهم يعرض على ذلك . وهكذا بدأ شو يحاول أن يعرض نفسه على عامة وامتد
في ذلك إلى أن تزوج بعد خمسة عشر عاماً . ونظم مقدمة « الانقاص » عبارة
ملحة لشو قبل انضمامه إلى الجمعية القابية :

« لسوء الذكريات المظلمة حين يتطرق إلي أنني خجول جداً .
أما القواني لم يتطرق الفؤاد إلى نفسي . والواني تعودن أن يحرمهن الشبان بل
. . . لقد كنت يجليني متعباً . مهيناً . طرف الاحتيال . ونحن نعرف أنه
. . . لا يكون الشاب قد اتجز شيئاً ونحن لا يفعل شيئاً على الإطلاق . وحسين
. . . عابراً بحيث أنه يجب أن يفعل شيئاً ما . فإنه لا يمر لا يستعمل إلا نجده يحاول
. . . وكأنه طرف مهم في الحديث . ويقع نفسه في مستوى واحد مع
. . . الأمر الذي لا يستطيع أن يفعله إلا من يتميز بموهبة أو مقلوبة معينة .
. . . هذا بالضبط هو ما يفعله الشبان الذين يملكون بلور تلك الطاقات
والعاطفة . في أنفسهم . دون أن يتذكروا ما هم فاعلون .

والخاتمة هي أن البشر جميعاً يفتقون في مراكز مزينة في المجتمع . حتى
. . . مكانياتهم ويغرضوها على جيرانهم . ويعلمهم شعورهم المشترك بالاشياء
. . . لا يستطيعون أن يفعلوها . ومع ذلك فهم يضايقون الآخرين بالعبادة عنهم
. . . ذلك على الأحداث النجاح أو الفشل . فكل واحد يظل قلقاً
. . . مكانه الحقيقي . سواء أكان فوق مستوى مولده أم تحت . وبالإضافة
. . . اكتشاف المكان الحقيقي صعباً جداً في بعض الاحيان . حين
. . . لتفوقون جداً مكاناً لهم في المجتمع . (٩)

« كان شو الشاب . وأؤكد على هذه . لا متعباً . كما أن ما وضعه يتطرق
. . . الأمر محملي فل أن يقع نفسه أو للساناً آخر يجفريته . وليس
. . . المجتمع . يعرفه جداً . ولن يكون هناك مثل هذا المكسب .
. . . هيبتهم الذين لا يقومون على المجتمع . . .
. . . شو هذا مراد شيئاً من المشاعر التي لا تحصى . . .
. . . مشكلة التنازع الباطن القاسي . . .
. . . دالة مختلفة كل الاختلاف في المجتمع الحديث .

« الامتناعي . . . كإشارة . الامتناعي هو « يساهمة . الناعمة للذي
. الذي يعني هو «

على المطلق والابداح . ولكن الغيبي المحقق نفسه ، انساناً مثل بطل باربوس ، وجعل القلب في الجدار . يستطيع ان يكون لامتناهياً بواسطة حجاب شديد يفصل عن زملائه البشر . بيد ان هذا الطاب لا يبعد الا الى ذلكا يعتبر نصف الطريق نحو النبوغ . وهكذا يتعين علي أن اضيف الى عبارتي تلك ان مشكلة اللامتناهي هي وليقة الصلة جيداً بمشكلة النابعة الذي يحرق شوقاً الى التعبير الذاتي . ويجد في مقدمة « الانضج » ان اللامتناهي هو ، ببساطة ، النابعة الذي لا يستطيع التعبير - النوع نفسه الذي وجدناه متشكلاً في جيسس دين ، الشاب الفاضل القليل ، في السونات التي أعقبت عام ١٩٥٠ .

ولكن اهتمام شو باللامتناهي لم ينحصر بالنوع المتمثل في النابعة الذي تقف في وجهه المراقب . فقد تحدث عن كينان في « جزيرة جون بول الأخرى » الذي هو لائنم أيضاً بسبب كرمه السويقي (نبة لجورجيان سويك) فتوة البشر وحماقتهم . ولكن كينان يمثل مرحلة لا النابعة قادمة ، فهنا لا يرسل أخرى بين تريفينوس - القاضي . وكينان ، الذي يقرب مولفه من البوذية . (هناك أنواع كثيرة من اللامتناهي عند شو ، بحيث انه كان في وصفي أن أولف كتاباً بعنوان « اللامتناهي عند برنارد شو » بدلاً من جميع اللاتباقيات من باربوس الى راما كريتشا الى هوله .)

تريفينوس هو لامتناهي شو الأول ، وهو لائنم بالمعنى البسيط ، كوفته منفرداً على النظام المتفق عليه . وهو يرمز أيضاً الى عمود شو على عاطفية العصر النيكلودي وتأكيده القرن التاسع عشر على « الانسانية » كنتاج لآغراق هذا القرن في المادية والشك . وهو قاس لانه يملك اشتباه اللامتناهي لمعنى الهدفية ، وبالتالي رعبه من هجرة الانسان . بل ان قسوه هي من المصنوع ذاته الذي تبتق منه قسوة القديس يوحنا ذي الصليب ، وإيكهارت . أما اشتراكه فهي لا تجعل من شأناً خاصياً فقط ، مؤمن كل الايمان بحماسته كما انه يتميز بشي . من الحكاهة أيضاً . انه يشهدى الهدف والتمناه . ولكن ذلك لا يجعله راعياً . لاري نفسه الشيء . الكبير من حب موزارت العالم . ويتضح ذلك بصورة أشد في قصة

قصيرة أهمها شو بعد ذلك سنوات وسماها « دون جيوفاني يوضح » . ويجد في هذه القصة فتاة شابة تحضر احادة لاوبرا دون جيوفاني . وفيها هي عائدة الى البيت لتعني بشبح دون جيوفاني في القطار . فيغيرها بقصته حياته الحقيقية : والرومانتيكية التي جعلت منه عاشقاً . والوهم الذي جعله ينكر للجنس - لسوء الحظ في الوقت الذي صارت النساء يحاولن الظفر بجه . ويجد هنا احادة لقصة المذون . ورغم انه لا يلوح فيها زير نساء وانما يلوح فناناً ومفكراً عيلاً الى الزهد . ويجد في مقدمة « القتل الممتعة » قول شو . « يعود ذلك كله الى ... الشهوة للفعالية المتحررة والتنويع الحامية من الحياة » . (١٠) (ويمثل ذلك أساس اعتراضه على قتل الجواسيسات) . يوضح هذه العبارة كل هدف شو من حياته ومولاته . ولو أهدنا صياغته سبكات أخرى ليبلغ بنا الأمر الى مسألة كيفية عيش الحياة بأكمل طريقة ممكنة ، أو الى سؤال الموت : « أين هي الحياة التي أضناها في الميش ؟ » ولقد كتب شو في عام ١٩٩٧ من هاملت يقول :

« ليس هاملت رجلاً ترتفع فيه « الانسانية العادية » الى مستوى الطاقة الحيوية المطولة ... بل حل العكس . فهو انسان محل محل الانفعالات الشخصية العادية . له أهداف أخرى أوسع وأشد ندرة . ولهذا فان شيئاً من الادراك الذاتي الناقد ينشأ من عزمه في حين أن ذلك الادراك الذاتي الناقد هو الذي يفسر كتابه ... لاسان القطري الصليبي .. المستحيلة بالنسبة له . وهكذا فهو يمتنع من المسؤوليات عليها تقاليد الانتقام والظلم . كاستغاض الشاعر من التجارة » . (١١)
و بعد ان عبارة « ... الادراك الذاتي الناقد ... ينشأ من عزمه » هي النافذة على النسبة لتحليل اللامتناهي . اذ ان هذا يطبق على ت . ي . لورنس وبنش . اذ ان تحليل شو يذهب الى أعظم من ذلك . اذ انه يصف قائلاً :

« وما لا شك فيه أن هاملت يلوح من ناحية معينة بجنونا . لانه يشعر غسي غداً كمن يكس في ... الطرب الى الادراك الذاتي العقلي : أي محاولة حل الحياة منفقة مع القوى انهي البحث عن الله . وهناك يتصرف منه كوسيلة

بدلاً من جعله غاية . ولما كان بولونيوس « ذلاً » ثرثلاً شديد الحق ،
وروزنكراتر وكلدنسون مقلدين تافهين ، فإنه يقطعهم جميعاً وكأنه يقطع
باباً ... وبذلك فهو يستحق ... المجرى الكامل للتوبيخ العقلي
لغرب أوروبا ... (١٢)

لقد وصف شو أعراض عذاب اللامتعي باعتبارها تمثل فترة اجبرية من
الشلوذ تقع في منتصف الطريق الى الادراك العقلي ، كما انه تكهن بما وراء الحجاب
النظري - الخطأ الذي ينسب الى نيثه (دون حق) ، والذي كتب عنه
دوستويشكي في « الجرم والعقاب » قائلا : « البادة » - اللامتعين - يجب
أن تكون لهم فترة الحياة والموت حل العبد . وعند الكتابة الثانية من « العودة الى
ميتوشالغ » (١٩١٤) يجدد بيد تحليله لما علمت ويقبض أنه « لو كان شكبير
قد نفذ الى أعماق مسرحيته لما جعل هاملت يرسل روزنكراتر وكلدنسون الى
مضيقها ... » (١٣)

ولقد استطاع شو في أول كتبه في النقد « جوهر الابنية » (نسبة الى الكاتب
المسرحي المعروف ابنس) ذلك الكتاب الذي ألفه بعد أن قضى عشرة أصوام
يعمل صحفياً ولاحقاً ، استطاع أن يقوم بهما ككتلة خبر قيام : فقد حاول أن
يعيد الوحدة الى مفهوم الطبيعة . وهو بتخليه لـ « الأبراطور وغاليليان » بهاجم
الداروينية والمادية ويقطع جارة بئر التي قال فيها إن « داروين نفى العقل من
الكون » . ولم يفهم أحد مغزى هذا حتى بدأ هايدنبر في ألمانيا وسارتر في فرنسا
يحاولان أن « يعيدا العقل الى الكون » . ونحن نجد ان جوليان الكافر يحاول أن
يعيد الوثنية لانه يشعر بأن المسيحية ومثلها آفاليا متضخمة منهارة . ولكنه يحاول
أن يعيد الوثنية بالقوة ، ليفشل . أما ماكسيموس للصرف للمجوز القريب الذي
للمم جوليان ، فإنه يتنبأ بان الامبراطور وغاليليان سوف يتلاشيان في شيء جديد
مضيقها :

« سيدفع كلاهما . ولكنكما لن تغنيا ، إذ ألا يتخضع الطفل ويتلاشى في

الشباب . والشباب في الرجل ؟ ومع ذلك فلا يفتي الطفل ولا يقنع الشباب .
وانك تصرف انني لم أؤرخ عن سياستك كامبراطور . لقد حاولت ان تعبد
الشباب طفلاً من جديد . بيد ان امبراطورية الجسد صارت فريسة لامبراطورية
الروح ، وليست امبراطورية الروح نهائية ، ليست اكتمل نهائية من الشباب .
وقد حاولت ان تمنع الشباب من أن ينمو : من أن يصبح رجلاً . ايها
الأحق ! انت يا من تجرد سيفك ضد ما سيكون : ضد الامبراطورية
الثالثة ... (١٤)

...

انها الحقيقة التي أدركها ت . ي . هولم : انه بالرغم من ان دين
القرن الوسطى افصح الطريق للاتانية ، فان الحل لا يكون باعادة عشارب
الساعة ، لأن الحضارة الغربية والكنيسة كانت الامبراطورية الاولى -
امبراطورية الايمان الأسمى . وحلت محلها امبراطورية الفكر الحر . وقد
استطاع انسان واحد فقط في حضارتنا ان يدرك ان الفكر الحر يعود بنا الى
الدين - اذا كان حراً وبعيد المدى بالفعل : اللامتعي . ول سوء الحظ فلم
يدرك شو أن ابنس أدرك ان الحضارات تسقط بعد الامبراطورية الثانية . وما
تزال المشكلة تتمثل في الامبراطورية الثالثة ، ضخمة تتطلب حلاً : مشكلة
كيفية جعل حضارتنا كلها تفكر كاللامتعي .

ولكن هذا يصبر امرأاً من جانبنا في عرض المفكار شو التالية . فبعد
استطاع شو بين ١٨٨٠ - ١٩٠٠ ان يدرك ان الحياة هي شهوة الى ادراك
دائي أوسع وأحق ، وان اللامتعي هو الرجل الذي يقف حائراً بين عالمين .
ولكنه حين بدأ يؤلف مسرحياته لم يحاول ان يدبر المسرحيات على مشاكل
اللامتعي . فقد ألفت مسرحيته الاولى « بيوت الأراميل » في عام ١٨٩٢ ،
« هي ذات رسالة اشتراكية تماماً ، رغم ان الحوار ، كما هو الأمر في
جميع مسرحيات شو ، هو من القوة بحيث لا يمكننا ان نصفه بأنه حوار
اشتراكي » . واما مسرحيته الثانية « رب الساء » فانما تمثل عودة الى

مشكلة دون جيوفاني . فبطلها تشارترس يشبه ترفيوس في كثير من الأمور
هذا أنه لشد غنة وسحرًا بالنسبة للنساء . وأما مشكلته فهي تشبه مشكلة
دون جيوفاني في القصصه شو... خطأ من هو ياترى ان لشد ان نصف
النساء الهوائي انحلت معهن بعض في غرامى ٢ (١٥)

ان مسرحية « ذير النساء » هي محاولة لتصوير جبل ثائر في نهاية القرن
الماضي ، وهكذا يلوح لنا أن هذه المسرحية تشبه « القبعة الخضراء »
لميخائيل آرلن ، و « الفت » لغاضيا ! ، لجون أوسبورن . ولكن شيئا ليس
كثيرا ، أما القصة فهي في تعقيد ولحظ بسين قناتين ، ولا يخرج
القارئ منها إلا بالحيرة « بيد ان القارئ لا يخرج بطل هذا القالب في
المسرحيات التالية التي تصنف بتوجيه ثابت وصحيح .

وقد ألف شو في السنوات العشر التالية هداً من المسرحيات الخفيفة .
فأما « حرفة سر واد » ، فهي بصرف النظر عن موضوعها - الانحمار
بالبدايا - سلبية وبادة . أما « السلاح والرجل » فأنها مسرحية تخر
بالفرجة والرواية ، وترتاد وهو في أفضل مواضعه عند الانتمالية والمطابقة ،
وفي الوقت الذي نجد فيه الآخرين من اعداء الجيوش ينضبون منها وهززون
بها ، نجد هـر يسلط عليها ببرود سخيرة الرجل القسلي الذي يجد مموراً
الشد أهمية بقتل باله لها .

أما « رجل القدر » فأنها تقدم عنصرين جديدين يطهران بعد ذلك في
كثير من مسرحياته ، أحدهما صالح والأخر شرير ، فأما الصالح فهو ميله
الى تصوير الضلالم - في هذه الحالة نابليون - بطريقة تجعلهم يلوحون لطفاً
ظرفاء . وأما الشرير فهو ميله الى المبالغة في وصف حماقة بعض شخصه
حتى تجعلهم أحياناً « مثل مقبلي القوي » وينطبق ذلك في هذه المسرحية على
ملازم شاب . بيد ان تماذج من تظهر مراته عديدة في المسرحيات التالية
وتجيب القارئ شعوراً مزعجاً بأن شو يحاول ان يفلح من أهمية قرائه
ويبينهم .

أما « كانديد » فهي أهم مسرحياته في هذه الفترة ، فهي تمسك بعنا
متعادلاً بين اللامسي والمسي . فأما المسي فهو من رجال الدين ، وهو
اشتراكي . ذكي . حصري . شديد الضرب . وأما اللامسي فهو شاعر شاب
غير واثق في كل علاقاته الاجتماعية ، ورغم انه واثق كل الثقة من أفكاره
كشاعر . ونحن نجبر الشاعر رجل الدين عدو بل ياتى بحب زوجته كانديدا ،
بفكره مويل يرفق ويقول له انه انما جعل من نفسه أضحوكة ، بيد ان
مارتنباكس يهاجمه بعنف :

« أوه ! أنظني لأحرف كل هذا ؟ أعتقد ان الأمور التي يجعل الناس
انفسهم أضحوكة من أجلها هي أقل حقيقة وصحة من الأمور التي يتصرفون
فيها بطل وحكمة » أنها أكثر حقيقة وصحة « بل انها الأمور الوحيدة
الحقيقية والصحيحة . انك هادئ ومعتدل ومعتدل حي ، لالك تستطيع ان
ان ترى أنني شديد الحق في حي لزوجتك ، وانت لا تختلف في هذا ،
بلا شك ، عن ذلك المعجز الذي كان هنا منذ برهة . والذي انظر نفس
المنمو . والمفولية والاعتدال بالنسبة لاشتراكيك . لانه استطاع ان يرى
انك شديد الحق فيها . فهل ثبت هذا انك على خطأ ؟ وهل ان اعتدالك
« سوك علي » يثبت أنني على خطأ ؟ (١٦)

ونجد ان هذا الشهد الرائع هو أكثر من مجرد مشهد يهاجم فيه اللامسي
المسي . فهو يمثل المرة الأولى التي يجتدي فيها برنارد شو الاللوب
الذي طوى بعد ذلك صلي كل مسرحياته : تصادم الارادات . فهو يضع
شخصيتين غريبتين على المسرح ، ويترقب النظارة الانفجار في شغل . وكان
قد حاول ان يستعمل هذا الأسلوب مع فيفي واون والدنيا . ويظهر هذا
أنيه بين ذلك داجن والجورال بورغوين في « فليد الشيطان » ، وبصبي ذلك
شباباً من الحدة على علاقات قبصر وودغوي في « قبصر وكليوباترا » ، وبزود
« العنيس يوحنا » مائسة . ويرى ان فكرة قوة الارادة والشجاعة المنوبة
والعص الامتلاص تلح كل مسرحياته شو . وجد ان التأثير الرئيسي في

مشرقية ، الميجر بريارة ، بتحقيق عبر الصراع الذي ينشأ بين اليساري
ريتومارت العنيفة وبين ابتها بريارة التي لا تغل عنها عارداً ، بين ملك
السلاح اندرشافت وبين كاستر استاذ اللغة الاخرقية .

اما في « حرية التفاح » فان المياضي المصامي يبرز هو اول شخصية
مهمة على المسرح ، وهو يهد بمضايقة الملك ، ويبتظر المتخرجون بلهفة
الصدام المتوقع بين ارادتها . ولا يكون الصراع واضحاً قاسياً ، وانما هو
مبارزة ذهنية يستعمل فيها المصوم ما لديهم من ذكاء وبراعة . وكما وجدنا
روفيو الحارس يعامل القيصر بألفة عشقة ، نجد مزر باشام يفعل الامر نفسه
مع اسحق نيوتن ، وجورج فوكس يفعل ذلك ايضا مع الملك في « في
ابام الملك شارل الصالح الذهبية » التي ألفها بعد ذلك بأربعين عاماً .
وتلاحظ شو في كل مؤلفاته الرئيسية بفكرة تمسدي السلطة والمصيان
بشكل أو بآخر . ولم يعد اللامتنى بالضرورة حاصياً ، وانما نجد ان العاصي
هو لسرع مهم من أنواع اللامتنى . فالعاصي يصرح بأن الوجود سبق
الجوهر وان الارادة تسبق السلطة . ونجدته يقدم هذه الفكرة الوجودية ايضاً
في شخص برغسون . في الصراع الثاني « بين « الدين المفتوح والدين المغلق » .
فالدين المفتوح هو الادراك الذي للمهم الذي يتخلى به النبي أو القديس ،
وأما الدين المغلق فهو دين الطفوس أو دين الكهنة . وعلى أي حال ، فان
هذا الصراع بين القوة الحية وبين الاشكال التي ترتعيبها يتضمن الفكرة
الوجودية ، وتجعل كل اشكال هذا الصراع في مؤلفات شو « « المقدس
يوحنا » على سبيل المثال تنور على « الدين المغلق والدين المفتوح » . وليس
كثيراً من شو أن نقول ان الفكرة الرئيسية في كل مؤلفاته هي فكرة وجودية .
كنت على أي حال قد غلطيت من محاولة تعقب فكرة اللاتناهي في نظور
تأليف شو . فبعد « كانديدا » نجد ان أوضح تعبير عن فكرة اللاتناهي
يلوح في « قيصر وكليوباترة » .

القيصر شو هو لامنم للأسباب ذاتها التي جعلت شو يخرج إلى حلت

كان لامتياً ، لانه حقق مرحلة سبق بها رفاقه ، وصار وسجداً بينهم ،
وحجداً لا يفهمه أحد . ونرى ان عباراته الاولى تكشف عن وحدته وانزله .
انه يخاطب أبا الملوك ، وحجداً في الصحراء :

« تحية يا أبا الملوك ، تحية لك من يوليوس قيصر ! لقد زرت بلاداً
كبيرة بحثاً عن المناطق المفقودة التي تفاني منها مولدي في هذا العالم ، وعز
رغاني يشهوني . ولقد رأيت قطماناً وراحة ، وبشراً ومندلاً ، ولكنني لم أر
قيصر كثر ، ولا وسطاً يناسب قيصر ، ولا أحد يشبه قيصر ولا أحد يستطيع
أن يفعل ما يفعله قيصر في غايه أو يفكر بما يفكر به ليصر في ليله ...
يا أبا الملوك . انت وانا غريبان عن البشر ، ولكننا لنا غريبتين من بعضنا
بعض » (١٧)

ولعل شو كان يضع ماركوس اوريليوس في ذهنه حين كان يكتب عن
قيصر :

« برثيوس : طيبي ! فأنت إذن تكره الحياة ؟
قيصر : اكبرها ؟ اياها الأحسن ! لماذا اكبرها ؟ أتراني اكبره الريح
الباردة حين تتجدد اطرافي ، أو الليل حين أتمتع وسط الظلام ؟ أتراني اكبره
الشباب حين أقدم في السن ، أو الطموح حين يتخلل عني الخط ؟ انك اذا
نقول في ذلك فكأنك تريد ان تقول ان الشمس مشرق غداً » (١٨)

وحين تأملت كليوباترة بعد ذلك بقتل برثيوس انتقاماً ، وثقت مدافعة
من نفسها ضد اتهام قيصر ، لا تعود نفمة المسرحية نفمة الزهد والتسك :

« كليوباترة : استمع الي يا قيصر ، لو استطاع انسان واحد في
الاسكندرية كلها أن يقول اني غططة ، فاني سأمر عبيدي بان يصلوني على
باب قصري .

قيصر : لو استطاع انسان واحد ، الآن وإلى الابد » أن يقول انك غططة
هنا هذا الانسان سيطر على العالم بأكمله ، أو انه سينهب ضحية العالم
صاف . (١٩)

ويبر شو هناك جوهر المسيحية ، ولكن قصير - وشو أيضاً - بفضل ان يسيطر على العالم بالعظمة المعنوية على الموت في سبيله . ومع ذلك فان شو لم يقصد بذلك ان يهاجم العقلة المسيحية الكامنة في التضحية بالنفس . ونجد في « الجاهليون » ان الانسانين اللذين يخلقهما بجهالون يستطفا كل واحد منهما أن يقتل الآخر ، ثم يرتفعان الى مستوى من الحياة أعلى من متواهما السابق ، فيستطفا كل واحد منهما أن يقتله هو وأن يفي على الآخر !

وينقد شو شكبير في مقدمته مسرحية « قيصر وكلوباترة » - ويمثل ففده له في ان شكبير فهم الضعف الانساني ولم يفهم القوة الانسانية . (ويجب علينا ان نلاحظ هنا ان شو لم ينكر ان شكبير شاعر مسرحي عظيم) . ويضم هذا النقد جوهر شو ، ويشتمل هذا على جوهر موقف اللامتسي . أما المتني فهو يرى أن الأفكار المعنوية والمقلية ليست مهمة بمقارنتها بالاشباع الجاهلي . في حين أن اللامتسي يعتقد أن أهم الامور هو البطولة المعنوية . والمتني لا يكثرث لكون الناس ثاقبين غير أبطال ، وهو يرى ان الحياة خبرة مع ذلك . اما اللامتسي فهو لا يستطيع أن يبدأ الحياة قبل ان يعرف كيف يعيشها ، وهو ، مثل ايغان كارامازوف ، يرفض العالم ويرفض الحياة اذا كان يجب عليه ان يعيشها حبساً ثاقباً . انه يتحرق لتركيز أشد في الحياة . ويمثل موقف المتني في القرن العشرين في فلسفة حضارنا - النقية . في حين ان اشد ما يستحق الاهتمام بالنسبة للامتسي هو أن البشر يجب ان يصبحوا اكبر ، ولهذا نجد بطل عصرنا ، ونجد ان ماسي اللامتسي - ماسي نيش و لورانس وفان غوخ ونجسكي - هي أعظم ماسي عصرنا . ولهذا أيضاً نجد أن جانباً كبيراً من الادب الحديث كرهه بالنسبة للامتسي ! لان هذا الادب ، كما هو الامر مع شكبير ، يعني بالضعف الانساني ، ولان هذا الادب ينظر الى الانسان مستخدماً الميكروسكوب بدلاً من التلسكوب !

وقد شعر شو بعد « قيصر » بأن عليه أن يضع اطاراً عاماً لفلسفته . وقد فعل ذلك في ابداع مسرحياته - ربما اعظمها - « الانسان واليورمان » .

ونجد من الناحية السطحية ان هذه المسرحية تقوم على فكرة أن المرأة هي التي تتحول وتجنس ، لا الرجل ! ولا تستحق هذه الفكرة كثيراً من الاهتمام . بل ان شو اراد أن يؤلف مسرحية عن دون جوان . ويمكن جوهر عرض شو لاسطورة دون جوان في ان النساء كن من اللواتي يطاردهن . (لاحظ أن شو استخدم هذه الفكرة في « اشتراكي لاجتماعي » قبل ان يملوق تجربته الاولى) . ولا شك في أن شو كان محناً في : انه واجب المرأة أن تحافظ على بقاء البشرية ، أما واجب الرجل فهو بناء الحضارة ، بل ان أشد المدافعين عن حقوق المرأة لا يستطيع أن ينكر أن واجبيها في حمل الاطفال يقف حائلاً بينها وبين القضاء العقلي والمعنوية . ولكن الحقيقة هي أن الشكل الأدنى من اشكال الحياة هو الذي يلاحق اشكالها العليا دائماً ، وكذلك الحال مع المرأة أو الرجل ، فالرجال يطاردون المرأة التي تتصف بصفات العظمة ، وكذلك تطارد النساء الرجل الذي يتصف بتلك الميزات . ونجد أن من يصبح عظيماً سواء أكان من الناحية الاجتماعية أم الخاصة ، وسواء أكان رجلاً أم امرأة ، يكون موضع ملاحظة الآخرين له ، من كلا الجنسين ، الذين يأملون من طريق الاتصال به أن يتخلصوا من النفس الذي يشعرون به .

« الانسان واليورمان » مسرحية تصور على مقحف اشتراكي يدعى جون تانر ، يعين وصياً على أن وايت فيلد ، الفتاة التي تحبه . ونجد في الصفحات الاولى من المسرحية أن تانر يلخص الاتجاه الذي أصبح محور المثات من قصص ومسرحيات القرن العشرين : فكرة التحور بالجيل الاجتماعي والنفس :

« ... بل انني لا استطيع أن انقلب على التحيل نهائياً . اننا نعيش في محيط من الجيل . اننا نحمل مما حولنا ، نحمل من أنفسنا ، من افارينا ، من ايرادنا ، من تصرفاتنا ، من آرائنا ، من تجاربنا ، تماماً كما نحمل من اجسادنا المعارية . يا آبي . بل اننا ، يا عزيزي رامزاد ، نحمل من المشي . من ركوب الباص ، من كراه عربية بدلاً من الاحتفاظ بعربة خاصة » من الاحتفاظ بصفان واحد بدلاً من حصتين . ومن تعيين خادم واحد ، بدلاً من حوذي وفلاح . وكلما

زاد عدد الامور التي ينجذب منها المرء ، زاد احترام الناس له ... (٢٠) ولا يجد نادر أن آن تحبه (ويستغرق الامر فصلين من المسرحية حتى يكشف ذلك) فانه يترك البلاد ويهرب الى اسبانيا - ويسأله في الطريق : «قص عاشر» اسمه مندوزا ويحفظ به ليحظى من وراثته بقية ، ويبدا بعام تافه ليلته في معسكر مندوزا ، يريد حلها ، ويحترق هذا الحلم قلب المسرحية . ان نادر يحلم بانه قد صار جنده . دون جوان ، ويحب نفسه الى الجميع . ولكن الجميع ليس مكاناً لنار والعذاب : وانما هو جميع اللامتنى ، جميع الضاعة والسخافة التي لا نهاية لها . الجميع هو البيت الذي يأنفقه المتنون . ولا يقسم شو البشر الى انصار واثرار : وانما يقسمهم الى متدين ولا متدين . ويذهب اللامتنون الى الجنة ، وأما المتنون فيذهبون الى الجميع . والجميع هو سكان القلة التي لا حدها . مكان الضاعة الايدة . ولطيف الخالد - وكل ما يشترطه اللامتنى الذي يمشي جدياً في الحذف . وقد أرسل دون جوان الى هناك خطأ .

وسرعان ما تصل دونيا كما تتعكر على دون جوان صفو الوحدة التي جلبها اليها ، ويصل بعد ذلك أيضاً الشيطان (مندوزا) ونمائل موتزارت ، الذي هو والد آنا . وهنا تبدأ الاحاديث التي أعتقد انها تمثل اعظم المشاهد التي صورها شو ، والتي تعتبر قمة من قمم الأدب الانكليزي . ان دونيا آنا (آن) يريد ان تعرف لماذا لا يكون الجميع مكاناً للضباب الايد . وبأني واهمسا (التشال) من الجنة ليبحث في الجميع ، لانه كان قد ستم رتبة الحياة في الجنة . ويوضح الشيطان رتبة الحياة في الجنة باستخدام امثلة مقارنة لذلك هي انكفرو (البلد الذي ينجذب باتباع الشيطان - وربما تنافس اميركا انكفرو في ذلك الآن) توجد هناك لغات تمام فيها حفلات الموسيقى الكلاسيكية . كما أن هناك سباقات الخيل أيضاً . ولا شيء يمنع عشاق السباق من الذهاب الى الحفلات الموسيقية . والمعروف ان الحفلات الموسيقية تمثل نوعاً من الاستمتاع أشد روحية من سباقات الخيل . ومع ذلك فإن عشاق السباق لا يذهبون الى الحفلات الموسيقية ، تماماً كما ان سكان الجميع لا يربعدون الذهاب الى الجنة .

وتعجب ذلك محاولة يحاول فيها اللامتنى دون جوان ان يوضح لماذا «يفشل اجتماعياً» في الجميع . فان قوة الحياة فيه تجعله لا يشعر بالراحة حين يجلس دون ان يفعل شيئاً غير ان يمتنع وبسلي نفسه . وهو يقول ان الحياة تكافح من اجل غلبة الروح الكفيلة على المادة . طلاءة والروح صديتان ، وللانسان بعض السيطرة على جسده - فهو يستطيع ان يجعله يقف أو يجلس أو يتقلب - ولكنه لا يستطيع ان يتجنب المرض أو الموت . وهو لا يستطيع أن يحرسه من الحوادث او من ان يقظه شكل ادنى من اشكال الحياة : فان اي جندي روماني امين كان يستطيع ان يقتل اوتحيى . يستطيع الانسان ان يسيطر على المادة من طريق الصبغ الرومي والكفاح من ان يكون شكلاً اهل من اشكال الحياة ؟ ويمثل هذا في تطهير الادراك . فان هدف الحياة هو ان نلهم نفسك .

ثم يتحدث دون جوان عن خيبة امه في الحب وكيف ان طبعه الانزعاجي قد اعد رومانتيكية . وهو يسبق صوفية د. ه. لورنس الجنسية حين يقص كيف أنه يقوده المذوك للمرأة يدبر وجهه فيها دلي ان القبح على الحياة وتطويف بي ان ذراعيها كما يذوق ملاح بقطعة من السك في فم طائر بحري (٢١) . وحين يتعرض الشيطان لثلاثا انه هنا في الجميع ، يملك كل ما يشتهي - الموسيقى والرسم والمغامرات الجنسية . وهكذا ، ويبدأ دون جوان بابطاح خيبة اللامتنى :

«اقول لك انني حين ادرك شيئاً افضل مني فاني لا استطيع ان أشعر بالراحة الا حين اكافح من اجل كصفته في الوجود او التمهيد اليه . وهذا هو قانون حياتي . وهذا هو ما يتركه طموح الحياة الذي لا ينهي في اعماق الادراك ذاتي» أوسع وأعني ولنهم ذاتي» اشد وضوحاً . وقد كان سمو هذا الهدف هو الذي حطى انظر الى الحب باعتباره للخطئة ... (٢٢)

لقد كان شو ، بعبارة اخرى ، قاصياً ، ضر مولوج بالضعف الانساني للحب . الذي ينجذب للامتنين كذلك ... هو رغبة شديدة للخلق والكفاح في سبيل الخطئة . انها القوة التي ينحس اللامتنى في تأييدها .

كما ان « الشكل الاعلى من أشكال الحياة » الذي يكافح دون جوان من أجل خلقه هو سوبرمان ليثته . وقد شعر شو شعوراً غامضاً بان الانسان هو على عتبة شكل أعلى من الشكل الحياة ، فلما ان يكون الامر كذلك ، وأما ان نحقق قوة الحياة ونحاول شيئاً جديداً . ولقد كان محققاً ، رغم أنه ليس كذلك دائماً ، حين قال : ان الانسان هو دائماً على حافة شكل أعلى من أشكال الحياة حين تصل الحضارة الى مرحلة السقوط . والسقوط هو تحد من أجل رفع مستوى الحياة المدركة ، والا فسان تلك الحياة تتحطم . لقد تطور الانسان من القرد بواسطة تطوير ادراكه الديني ، ثم تطور من مجرد فرد في قبيلة تؤمن بالخرافات وذلك بتطويره لقوة العقلية . وقبل ان يكون في مستطاعه ان يتطور الى مرحلة أعلى لان عليه ان يستعيد ادراكه الديني : اذ لا شيء آخر يستطيع ان يحفظ وحدة المجتمع . واذا كان الدين يعني « الدين المطلق » أي مجرد خرافات وطقوس ، فان العقل يجعل وجوده مستحيلاً . ويجب على الدين ان يصبح بالصورة التي يفهمه اللاهوتي بها - مجموعة من الخرافات عن هدف الانسان وعلاقته بالله . واذا استطاعت حضارة كاملة ان تفكر كما يفكر اللاهوتي ، فان ذلك يعني اختفاء المؤمنين اختفاء تاماً . أما نحن الفلاسفة في مواجهة التحدي لسانه لا يعني القضاء على البشرية بالضرورة ، وإنما قد يعني القضاء على الحضارة . ويبقى بدلاً من ذلك مجهود عالمي من أجل خلق « دين مقترح » . وقد لا يؤدي ذلك أيضاً الا الى خلق دين مخلق بعد ذلك ايضاً :

ويهاجم دون جوان المثمن هجوماً أشد اكساحاً من كل ما كان قد قاله جوانتان سويقت :

« لن نقسرك حقيقة لو حقيقتان في قصر الأكاذيب هنا . ان اصداقك هم اشد الكلاب التي أعرفها حولاً وكسلاً . فهم لا يتصرفون بالجمال ، وإنما هم مزقون وحسب ، وليسوا غليظين وإنما هم خفيفو الوجه . وليسوا متأنفين ولكنهم يرتدون آخر ما وصل اليه الطراز ، وليسوا متغيبين وإنما

هم غريجو كتيبت من التاجين وحسب ، وليسوا متدينين وإنما هم يذهبون الى الكنيسة فقط ، ولا يتنازرون بأية اخلاق وإنما هم عبيد التقاليد ، وليسوا فضلاء وإنما هم جبناء ، بل انهم ليسوا أثراً وإنما هم « متسبون خفيفاً » ، وليسوا غنائين وإنما هم شهواتيون ، وليسوا أغنياء وإنما يملكون ثروات وحسب ، وليسوا غليظين وإنما هم خدميون ، ولا يتصرفون بالتواجب وإنما هم خراف ، ولا يتدججون مع الروحانية العامة وإنما هم وطنيون ، وليسوا شجعاناً وإنما هم مبالون الى الخصاص ، وليسوا مصممين وإنما هم خفيفون ، وليسوا سادة وإنما هم مسيطرون وحسب ، ولا يظهرون انفسهم وإنما هم حقى . ولا يحترمون انفسهم وإنما هم تافهون ، وليسوا حطوفين وإنما هم عاطفون ، وليسوا اجتماعيين وإنما هم قطيعيون ، ولا تنهم مشاعر الآخرين وإنما هم مزدون ، وليسوا أذكاء وإنما هم يعملون آراء ويكررونها ، وليسوا تقديسين وإنما هم عصاة ، وليسوا خياليين وإنما هم مغرورون ، وليسوا عادلين وإنما هم متضنون ، وليسوا أكرماء وإنما يسعون لكسب ود الآخرين ، وليسوا قادرين على الانضباط ذاتياً وإنما هم يخلصون لثقتهم ، وليسوا صادقين على الاخلاق : لان كل واحد منهم هو كذاب ، كذاب الى آخر ذرة من أمثاله . » (٢٣)

ثم ينفض ويلهب الى الجنة . وهنا يستفظ ثائر ليرى الشرعة نهاجم المصابة ويجد أن رايت فيلد تبحث عنه . ولما كان اشتراكياً دائماً ، فقد أوضح الشرطة أن المصابة انما كانت تراقبه لتحرسه . وفي الفصل الأخير نقضه آن نهائياً بان يتزوجها بعد محاورته نجد فيها شيئاً من محاورته دون جيوغاني الأخيرة مع التلال :

« ثائر : لن اتزوجك ، لن اتزوجك .
آن : آوه ، بل متفعل ، ستفعل .
ثائر : أقول لك كلا كلا كلا .
آن : بل أقول لك نعم نعم نعم .

تأثر : كلا.

آن : نعم ، وقبل ان تصبح فرصة التوبة ، نعم ا ، (٢٤)

ويدكرنا هذا بما يلي :

القومندان : تب !

دون جيوفاني : كلا.

القومندان : تب.

دون جيوفاني : كلا .

القومندان : نعم .

دون جيوفاني : كلا .

القومندان : نعم .

دون جيوفاني : كلا .

القومندان : نعم ، نعم .

دون جيوفاني : كلا ، كلا .

القومندان : آه ، ليس هناك منقح من الوقت . (٢٥) .

ويتزوج تانريان التي لا تزيد على كونها متعبة تجر حبله ثائرة وحسب . ثم يخفي شبح دون جيوفاني من مسرحيات شو الحلقية .

ومنذ ذلك الحين يبدأ شو بتوضيح فكرة اللامتي بصورة أشد .

ونجد أن المسرحية التالية « جزيرة جون بول الأخرى » تتركز على قس جبالني اسمه كيثان ، وعلى انتصار المسمى النموذجي الاحق برودينيت . ولما نجد شو يطادي برودينيت الذي هو أحمق يقصد مسا بعينه ويخفي ما يقصده - يبداهه احمق مادي ، غير قادر على ادراك أن الفنان والشاعر متعارضان جوهرياً مع كل ما تبشر به المادية . ففي « بيت هارترليك » نجد شو ينفذ موقفاً أشد صلابة .

أما مسرحية شو التالية فهي « ميجر برياره » التي تلقي ضوءاً آخر على فكرة اللامتي . وأما الشخص الرئيسة فيها فهي كاستر ، اسناد الله

الأغريقية الشاب ، واية اندرشافت ، برياره التي تحمل وثبة ميجر (مقدم) في جيش التحرير . واندرشافت هو من ملوك السلاح . ويمكن تلخيص عقيدته بكلمتين : « المال والياورود » ، ومع ذلك فاننا نجد في اندرشافت الكثير من قيصر شو لانه يتميز ينزل الرجل الذي يتمتع بقوة هائلة . وسرعان ما نجده يخاضع كاستر بشأن الدين ونجد في محاوراته الاول أن كاستر يقتطف من يورديس شيئاً يثبت به أن معظم البشر يتفهمون ويشككون ، ولكن السعد هو من يعرف ان مجرد كون الانسان على قيد الحياة هو السعادة بعينها (وضعية كيريلوف في « الشياطين » لبوستوفسكي ، ووضعية ولیم بليك أيضاً .) ويفترض اندرشافت غالباً ان معرفة كون عيش الحياة هو السعادة تتطلب نقوداً كافية لحياة ممتازة وقوة كافية ليكون الانسان سيد نفسه . (ونجد في مسرحية « بيت هارترليك » أيضاً أن شو يضع نفس العبارات على لسان ابلي :

« ابلي : ليس بيسراً الاحتفاظ بالنفس لما يطلبه ذلك من نفقات باهظة ، بل ان صعوبة ذلك لا تقل عن صعوبة الاحتفاظ بسيارة .

شونوغير : أخفأ ؟ ترى كم تأكل نفسك ؟

ابلي : أوه ، كثيراً ، أنها تأكل الموسيقى والصور والكتب والجبال والبحيرات والملابس الجميلة وأناساً للبهدي الصحة . وأنت لا تستطيع ان تحصل على ذلك في هذا البلد دون ان تلعب كثيراً . ولهذا فان فلوسنا جالمة ، صورة قطبة . (٢٦)

أما في الواقع الحاجة الى الفراغ الذي تحدثت عنه في بداية هذا الكتاب ، كما انه السبب الذي حدا باندرشافت الى ان يشر بانجيل القوة . فإذا كان اللامتي يكره الحضارة الحديثة لماديتها الحيوانية فسان جوابه لا يكون الاحتباب منها والصعود الى برج عاجي ، وإنما محاولة السيطرة عليها . وقد صرح ستيفن وولف بان الحضارة الغربية تشجع ضلال الشخصية الذي حاولت الحضارة الشرقية بكل جهدها ان تنجوه . وهو يتهمي -

وغيره انه لا يصح بذلك ، الى ان اللامتنعي يجب ان يغير ظهوره .
لخصارتنا المملوطة بالوضوء والعجالة ، وينصرف الى الوحدة والتمسك .
وكذلك ، شو ، فهو مثل نونيني يريد أن يقول ان اللامتنعي يجب ان
يخلق القوة الكافية لاعادة الحياة الى حضارته . والواقع ان شخصية اندرشافت
قد سبقت فكرة سارتر عن : « الالتزام » - وذلك هو جوهر كل ما
أراد شو أن يقوله ، فلا انسحاب من المسلم ، وانما الارتباط الوثيق
و : « الالتزام » . فلذا كان هدف الروح نهائياً ان تتغلب على المادة فاعلمها
ان تواجه مسؤولية القيام بذلك ، والا تكفي بالتقدم من ان هذا العالم
مضطرب . وإيجابية اندرشافت هي إيجابية البهاكاغادكي . ويمكننا ان نذكر
في البهاكاغادكي أن ارجونا الاسمير البطل يواجه خصمه وهو في عربة
ولمجاهة يقول ان الحرب عديمة الجدوى ، بل ان المرحلة التي يصل اليها هي
مرحلة اللامتنعي من نوع هاملت . وأما كريشنا ، سائق عربة ، فيطلب
منه الا يتحدث شجدة عن لاشيء ، لأن الحياة والموت هما جزء وحسب
من دورة عظيمة قروح ، فيجب الا يضر الموت حرقاً نهائياً في الظلام ،
وانما هو ازعاج بسيط يعانيه الانسان قبل ان يتحول الى جسد آخر ،
ليس هناك وقت لم أكن موجوداً فيه ، وليس هناك أي مستقبل لا
أكون موجوداً فيه . (٢٧)

ويبلغ هذا الالذخ ذروته في عبارة : « انخرج وحارب . فقد ذهبت
هؤلاء الرجال ثواباً ، وهذا يعني ان اعمال الآلهة والابطال قد تم تقريرها
مقنعاً في قانون كولبي ، والملاحظ ان إيجابية اندرشافت ليست مجرد ظنفة
رجل الاممال . فحين تقدم بريادة والدعا الى بيت شيرلي . الذي ينمو
بالفرجة فانها تقول : هوذا والدي : لقد سبق لي ان قلت لك انه رجل
دينوي ، ليس كذلك ؟ ويقول اندرشافت مرتباً : « انه لا يفل في
هذا عن الآخرين في العالم : بل على العكس . فهو متصرف ، ونحن
ان اندرشافت قد بلغ الوضعية التي رأيناها في البهاكاغادكي . وربما لم

يمكن يدرك ذلك .

ويقدم اندرشافت الجيش للتحرير هدية مالية بصلك بحوي خمسة آلاف جنيه ،
فتترك بريادة الجيش لأنها تشتم من قبول الأرباح الناجمة من الحرب والقتل .
ولكننا نرى في نهاية المسرحية انها تواجه مشكلة أعظم . حين يقرر كاستر :
- الرجل الذي كانت ستترجمه ان يوافق على العرض الذي تقدم به اندرشافت
سائلاً : اياه ان يكون خليفته في ادارة اعمال التسليح .

ثم تبدأ المحاوراة الكبرى بين اندرشافت وكاستر ، وهي تدور على اخلاية
صنع السلاح وإعداده للحرب ، ويشعر كاستر بأنه يستطيع ان يرضي ضميره
بأن يبيع المدافع من اجل اية قضية صالحة . ولكن اندرشافت يرفض ذلك
ويقول له ان رجل السلاح يجب ان يكون مستعداً ليه لكل من يطلع الثمن .
ان اخلايته هي اخلاية القوة - لانه يعتقد بأن القوة هي القوة الروحية ، واذا
أراد البشر ان يهبوا الجنس البشري شيئاً من القوة الروحية فان عليهم ان يبدأوا
بالوصول على شيء من القوة السياسية ، ولكن تلك القوة ليست قوة
الحكومات والديكتاتوريين ، وانما هي قوة المال والاراء . ويقول اندرشافت
انه هو المسيطر الحقيقي وراء الحكومات ، وكانت تستطيع ان تشعل الحرب
حين نشاء ، وتحافظ على السلام حين نشاء ايضاً ، وستكشف ان التجارة
تتطلب مقاييس خاصة حين نكون قد قررنا هذه المقاييس (٢٨) .

ومن الواضح ان اخلايته هي اخلاية نيتشه ، اخلاية السيد والعبد . ولكن
ذلك يعود الى ادراكه ان على السيد قبل ان يصبحوا سادة ان يقبلوا زعامة السادة
عليهم . كما لا يصح التسلية استاذاً إلا اذا ذهب الى المدرسة . وهكذا يواجه
اندرشاف مشكلة اللامتنعي الثانية . كانت مشكلة اللامتنعي الاولى : كيف
استطيع ان احصل على القوة لنفسي ، ولعلنا فهو يفرق في الوحدة . واما
مشكلته الثانية فهي : كيف استطاع ان احصل على القوة الحية لحضارة
لامعة ؟ وقد يحاول ان يحل هذه المشكلة ، كما حاول جورج فوكس وجورج
ورلي وسافرنارولا ان يحلها ، ولكن تأثير الواض محدود جداً في حضارة

حفلة مادياً كمحاضراتنا ، لأن على الواعظ أن ينافس السينا والمغفزيون والادب
أرغيس . والوسيلة الوحيدة الباقية هي محاولة اندرشافت ، محاولة الحصول على
القوة الكامنة خلف المجتمع ، والحصول على القوة للبشر الآخرين بأن يكون
المرء نفسه قوياً بينهم .

ولكن شو لا يوضح كيف يعمل اندرشافت وكاستر ليخلفا القوة
الروحية . ويخلص كاستر أسبابه لقبول عرض اندرشافت كالآتي :
« كاستر : أنت لا تستطيعين أن تحصل على القوة ، على فعل الخير ، ما لم
تكن لديك القوة على فعل الشر أيضاً . لأن حليب الام يرضع الفتنة ، تماماً
كما يرضع الابطال .

بربارة : ألست هنالك قوة اسمى من هذا ؟ (متبرة الى وضاعة) .
كاستر : أجل ، ولكن تلك القوة تستطيع ان تدمر القوى العليا ، تماماً كما
تستطيع السمور ان تدمر الانسان ، فعل الانسان ان يسيطر على تلك القوة أيضاً ،
وقد اقررت بذلك حين انهضت الاثراك واليونانيون في الحرب . وقد خرج افضل
تلاميذي ليحارب من اجل هيلاس ، ولم تكن هدية الوداع التي قدمتها اليه نسخة
من جمهورية افلاطون ، وإنما أعطيته مسدساً ومائة طلقة من مصانع اندرشافت .
وقد وسمي هذا في ذلك المكان الى الابد . وقد غلبني تخلي ايليك ، فقبل
استطيع ان اضيف حرباً على حرب ؟ انني استطيع . يسأل يجب .
ولسوف افضل ... » (٢٩)

وبعبارة أخرى ، فإذا كان من الواجب محاولة القضاء على صناد المجتمع ،
فان اللائسي يجب ان يقضي عليه من الداخل وليس من الخارج . ولا يمكننا
ان نعتبر ذلك أكثر ما يقوله شو عن الموضوع . وكل ما كان قد أوضحه على
لسان اندرشافت يمثل في الحقيقة العقالة بأن اللائسي يجب ان يعاد برجه
العاجي حين يبعث الوقت . ولكن الوقت لا يعمل إلا حين يكون قد طال « القوة
الروحية على نفسه . وقد بشر اللائسي أيضاً . كما عمل غودوين .
بأن درجة قوته على نفسه هي دائماً من القلة بحيث ان عليه ان يظل وحيداً

هذه الحقيقة .

وبعد ، « المجر بربارة » كتب شو سلسلة كاملة من المسرحيات الخفيفة
مثل : « حجرة الدكتور » ، « الزواج » ، « الارتباط بالامتثال » ، « اندروكليس
والاسد » ، « بيباليون » .

وفي السنوات العشر بعد عام ١٩٠٥ ، أي حين ألف « المجر بربارة » ،
بدأ تلاميذ شو يشعرون بأن السيد بدأ يخرف ، بعد أن تقدم في السن . وقد كتب
شو مقدمة رائعة لمسرحية « اندروكليس » وحلل فيها المسرحية ، « وأنا مدبر
هذه المقدمة بعدد من الافكار التي أوضحته في مقدمة القسم الثاني من هذا
الكتاب » . ولكن المسرحية نفسها مزيج من الملح والمكر ، وهي تجمع بين
السخرية والمحبة ، الامر الذي يجعلها تلوح رخيصة . ويحوي الفصل الثاني
انطام على فكرة كضخمة هايدنر بشأن « ادراك الحقيقة » الذي يجريه في مواجهة
الموت : « لافينيا .. لقد بدأ اعاني بتسرب لحظة بعد لحظة ، شيئاً اما جالس
هنا ، والموت يقترب ويقترب ، والحقيقة تشد حقيقة ، والقصص والاحلام
تلتقي في الثلاثي » .

الكاتب : وعلى سيكون موتك من اجل لا شيء ؟
لافينيا : لا اعرف . ولو كان امراً صغيراً بحيث تستطيع ان نعرفه ، فلن
يستحق ان يموت من اجله أيضاً . انني سأموت من اجل الله ، إذ لا شيء
خفيفي هنالك غير هذا يستحق ان يموت من اجله الانسان .
الكاتب : وما هو الله ؟

لافينيا : حين نعرف هذا ستكون آلة أنفنا . (٣٠)
وفرى بعد ذلك ان الاسد الراقص يمثل قطعة ناعمة مزججة من السخرية .
واما « بيت هارتريك » فهي مسرحية الكبرى التالية ، وهي محاولة لاشلة
أناليف مسرحية على غرار مسرحيات تشيخوف . وتعتمد طريقة تشيخوف على
الثورة والتطبيع الى الثورات والمآسي تحت سطح من الضاعة والتعب . ولكن شو
ليس كاتباً عاطفياً ، وهو لا يفلح في نقل العذاب المخفي في شخصه . وبالرغم
« من القصد المدرك هذا » فلان مسرحية « بيت هارتريك » تفلح في ان تكون

واحدة من الفصل مسرحيات شو ، وقد ألفها قبل سنتين من نشره مقروط
 الغرب ، ولكنها مع ذلك تحتوي على جو ذلك الكتاب نفسه . وتدور هذه
 المسرحية على حياة تعيش في بيت هارتبريك ، ، وأما الضيوف فهم يظنون
 مقطعا عرضيا من المجتمع الانكليزي . فهناك مائتان رجل الاعمال وابلي
 الفتاة التي ستزوجه لزوجته ، ووالدها المثالي مقصوص الجناح الذي خلقه ماننان ،
 واليادي اولو ويرلد . السيد الانكليزية النموذجية وزوجها الكولونيل الحاكم المولع
 بالخيول ، والرجل الثاقل راندال الذي يعيش على الهامش في المدينة . ولكن
 هناك شخصاً أهم من هؤلاء . وهم الذين يقطنون بيت هارتبريك ، هكتور
 هو شايان الكتاب الجليل الرومانتيكي ، وزوجته هيون ، والكاتب شونوفر .
 وقد اعتبر شو بحق ان شونوفر هو احدى الشخصيات العظيمة التي خلقها .
 وشونوفر عبوز غريب الأطوار ، وهو كاتب بحري مضاعف . وهو الشخص
 الوحيد بين هؤلاء البيت المتسعين . لأنه يملك شيئاً من مفهوم الحقيقة . وهو
 يقضي أيامه محاولاً ان يحقق في نفسه ، الدرجة السابعة ، من التركيز .

وهذه الذكرة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للامتسي . ويحتر توضيح
 شونوفر لما أوضح ما قبل حتى الآن من هدف اللامتسي النهائي . وبالأضافة
 لذلك فان إعادة النظر فيما قاله اللامتسون بهذا الكتاب والكتاب السابق تدلنا على
 ان المشكلة تملك دائماً في : ان العالم يحتوي على أكثر مما يستطيعون تحمله .
 والأمر الذي يقع فيه اللامتسون جميعاً هو رغبتهم المشتركة في التخلص من
 هذه الفوضى التي لاحد لها والتي يميز بها العالم الخارجي والاصحاب معها
 الى نفوسهم . الحقيقة هي الذاتية ، ولها فلا يمكن بلوغها إلا بالتركيز في
 الذات . ونحن نعرف بصورة اعتيادية انه حين يركز الانسان على مشكلة من
 المشاكل فانه ينسحب الى المنطقة المدركة من ذهنه ، الى منطقة التمعن العظمي
 ولكن هناك مناطق أعمق - المناطق التي يغمر فيها الماضي كله . المناطق التي
 تنبثق منها في بعض الاحيان تلك النشرات الرائعة ونخرج الى عالم الاموال .
 واذ دخل الانسان الى اعماق نفسه كما يدخل الى اعماق منجم فانه يكتشف

عند الحياة البرية - وينبوع النشوة الحياتية التي تلتفه بالرغم من المصاعب
 . يميز بها العالم الخارجي . فالحياة كلها كفاح من أجل بلوغ هذه القوة
 لاعابية ومن أجل حل تعقيدات العالم الخارجي التي لا حدها ،
 . تعقيدات التي تقضي على الطاقة وتدمر الشهوة الى الحياة . ويعود سبب
 هذه اللامتسي من نوع باربوس الى كونه قصد اصطياد في عالم الادراك
 حارسي واتصل عن حبه الاصماني للحياة . وتدور مؤلفات
 . لورنس كلها على ذلك الاتصال المماجي . بطوفان انشوة الامامية
 التي يوصلنا اليها الاتصال الجنسي . وحين امسك راماكريشنا بالسيف وأراد
 ان يحرر تركوت روحه في كرة صغيرة في داخله . ولجأة حطت يدرك انه
 كان يحوي على محطة حائلة لتزويد الطاقة الحياتية ، محطة لا يستطيع ان
 يصمها الا بالحدث عن بحر عظيم من الحياة . وكانت تلك رؤياها الاولى
 . وقد اتصل فان غوخ بهذه الطاقة الحياتية عدة مرات ، وكذلك
 . لسل بيته . اما واميو فقد حقق التركيز الاصماني بأن جعل من نفسه
 . في نظر المجتمع وزعيم اللامتسين وكأنه ضد المجتمع . وهذا فقد
 . دراكته من الشعور بأنه كان يصرف انتباهه الى العالم الخارجي .
 ولا حتى البورغ إلا من هذه القابلية على التركيز .

ان الانسان لا يستطيع ان يبلغ التركيز الأكمل بهذا وحده .
 . فالحظات نشوة القاصر لا يمكن ان تدارن بالطاقة الحياتية الثاقبة التي
 . أعانها . ولا يحقق معظم الشعراء الا المرحلة الاولى من مراحل
 . وقد يستطيع قدس مثل راماكريشنا ان يحقق المرحلة الثانية .
 . شونوفر عن سبع مراحل . وكفاح من أجل تحقيقها جميعاً .
 . لا يعمل ذلك بالطبع ، لأنه متقدم في السن . ولكن مجرد حصوله
 . من ذلك يجعله عظيماً . ولا تغل عظمته هذه عن نقطة محطة الطاقة
 . . هكتور قريبه فهو يمثل مرحلة أدنى من مراحل اللامتسي .
 . اليكي تماماً وهو يعيش في عالم الاحلام مع الاعمال الطويلة ،

ويجد ان بين المقاطع الثلاثة في الفصل الاول المتقطع الذي نرى فيه هكتور وحيداً يتحدث مع نفسه ، ويتقبل تمامه خيالات وبارز أصداء خياليين ، ولعبة يدخل شوتوفر ، ويجد هكتور نفسه مضطراً الى تبرير سلوكه ذلك ، وهو يظهر بأنه يؤدي تحريكات رياضية ، ونخب ذلك محاولة شديدة الاهمية بالنسبة لوضعية اللاشمعي . فشوتوفر يحمل بعض الديناميت ، وهو يقول انه قد اعده لقتل امثال مانفان . ويضيف انه سيتم نوعاً من الديناميت لا يستطيع مانفان وامثاله أن ينجروه - حين يحقق المرحلة السابعة من التركيز .

شوتوفر - يجب ان تكون لنا قوة الحياة والموت عليهم ... اني ارفض ان أموت قبل ان اكون قد اخترعت الوسيطة لذلك .

هكتور : ومن نحن لكي نتحكم عليهم ؟

شوتوفر : ومن هم ليحكموا علينا ؟ ومع ذلك فهم يفعلون بلا ادنى تردد . ان هنالك عداء بين بذرنا ، وهم يعرفون بفرتهم ويعملون على ضوء ذلك ، خائفين اروعنا . وهم يؤمنون بانفسهم ، أما نحن ، فستعلمهم .. حين نؤمن بانفسنا .

هكتور : ... لقد فكرت كثيراً بقتل هذه الديدان البشرية ، وقد فكر بذلك الكثيرون ايضاً . وهنالك أناس طييون والوعون في مثل الفخ الذي وقع فيه دانيال : لا يمكن ان يتجوا منه الا بمعجزة ، وهم يظنون على قيد الحياة في الغالب ... أحطني قوة تمكنني من قتلهم ، وستجئني ابني عليهم ...

شوتوفر : (مقاطعاً إياه بحدة) أليديك مشاعر نحو الآخرين ؟

هكتور : كلا ، بل اني مستعد لقتل نفسي لو كنت اؤمن بهذا ، ويجب علي ان اؤمن بأن شعاعتي ، على ضآلتها ، مقدسة . أما الضياء الأحمر على باهم فهو نار الجحيم . يد اني سأبقي عليهم شفقة وحداً وحسب .

شوتوفر : انت لا تستطيع ان تبقي عليهم الا حين تكون لديك القوة

التي تستطيع ان تقتلهم بها . أما في الوقت الحاضر فهم يملكون القوة على قتلك .. هكتور : انهم أشد حقاً من ان يستخدموا قوتهم .

شوتوفر : لا تخدع نفسك ، فهم يستخدمونها بالفعل . بل اننا نقتل الفضل ما في قوتنا كل يوم لنسلمهم ، وان معرفتنا أن هؤلاء القوم موجودون ليقفوا ضد طموحنا تؤدي الى خلق طموحنا في مهله .. (٣٦)

ولكننا نرى في نهاية المسرحية أن مانفان هو الذي يصاب بالقنبلة حين يحاول ان يقتل نفسه ، أما الآخرون الذين يملأون البيت بالضياء على مرأى من الغزاة فانهم ينجون . ولكن العظة التي تخرج بها لا تتمثل في اننا يجب ان نترك كل شيء للنهاية الالهية . فان شو يصبح ثانية بالارتباط : فاللاشمعون يجب ان يملكون السيطرة السياسية على الخنازير ... ونرى دون جوان في « الانسان والوبركان » يشير الى انه بالرغم من كون قوة الحياة حكمة ، فان قوى الموت والاضطراب أشد حكمة . ويمكن تطبيق هذا على اللاشمعين مباشرة ، وكذلك على الممتنعين الذين يقودون المجتمع .

وان ابقي هي لاشمعية ايضاً ، لانها لا تعرف ماذا تريد من الحياة غير الحرية . ويقول لها شوتوفر :

« انت تبحثن عن زوج حي ، أما انا ، فعين كنت في مثل سنك كنت انتصت عن المصائب والمخاطر والرعب والموت ، لكي أحصل بالحياة في أمان بصورة أشد تركيزاً . ولم أودع الخوف من الموت بسيطر على حياتي . وكانت مكافأتي اني ملكت حياتي . أما انت فستركبن الخوف من الموت بسيطر على حياتك . ولن تكافئي على ذلك إلا بأن تأكل ، لا ان جيني . (٣٧)

وهذه هي عقيدة اللاشمعي ايضاً : فانخلاص يكمن في التطرف ، ولكنه لا يستطيع ان يقبل بشيء . بشأن الحل الثاني الذي تقترحه ابلي ، أي الزواج بالامانة . ولا بشأن قولها ان روحها تريد ان تأكل ، تماماً كما يريد جسدها ذلك . ومع هذا فاد شوتوفر متأكد من شيء واحد ، فلا يسد ان

هناك ادراكاً أشد ، وهذا أكثر ، واتجاعاً أوضح ، لا في الفرد قط ،
وإنما في الحضارة كلها . إذا لم تكن مستعظم . أما ما زيني دان . وقد
أبطل المثلث ، فهو يفتق قاتلاً : أن المرء يستطيع أن يلعب في عالم اليلة
إنما يشاء : إذ لا شيء يحدث نتيجة لذلك .

شوتنجر : لا شيء يحدث في البحر لبحر . ولا شيء يحدث في الهواء ... لا
شيء ، لا شيء ، ما عدا أمراً واحداً لا يستحق الذكر .
أبلي : ما هذا أبداً الكائن . يا كابتي العزيز ؟

شولوبز : (بوحشية) لا شيء غير حطام سفينة القبطان الكبير على
الصخور ، وشظايا عشبها المتفنن ، وحطام آتيتها الصلبة ، وخرق البحارة
كالحرفان في المصيدة .

أبلي : مورال ، لا تشرب شيئاً من الخمر ...

شولوبز : هذه كذبة يا طفلتي . هي أي رجل يشرب عشرة براميل
من الخمر كل يوم ، فهو لا يصبح لطيفاً سكيراً إلا بعد أن يكون على
ظهر سفينة لالمة ، وما دام بعدد اتجاهه وذو أمم خلفه فهو ليس سكيراً
قط . أما ذلك الذي يضطجع ويشرب ويسلم لعناية الآلية فهو القبطان
السكير الذي أحميه ، حتى لو لم يكن قد شرب إلا من ماء الأردن ، (٢٣)
وهنا أيضاً يتضح ما يقصده شو : فيجب على اللامتنعي أن يجد اتجاهاً
ويسلم نفسه إليه ، والا يضطجع سائراً من لا معنى العلم .

وبعد بيت هارتريك ، أحد شو نفسه لمجهود الضخم : محاولة حل
مشاكل اللامتنعي بمحوها الواضح . وقد حاول ذلك في مسرحية " العودة
إلى ميتشالغ " . ولمره الحظ فإنه كان ما يزال يتبع عادته المألوفة في
الخط بين المنزل والجنينة ، ولهذا فلا يمكننا أن نقول إن هذه المسرحية
هي أفضل مسرحياته بسبب ذلك الخط فيها . ومع ذلك . وكما هو الأمر
دائماً مع شو ، فإن الإنكار حية ، مهما تكن الانبعاثات الية حاصره . ولا
نقدم هذه المسرحية حلاً كاملاً ، لأن هناك أشياء كثيرة يجب حلها إن

نضيفها إليها ، على الأشخاص التي يلتقيها توينبي وولبيد ، وعلى كل حال ،
فإنها عموماً أفضل مسرحياته .

ولا نجد في فلسفة الطويلة ما إلا فكرة بسيطة ، فكرة بحثنا عن حلول
نصلح هذا الكتاب : وهي غلبة المادة ، والحاجة إلى دين جديد . وتحدث
حده القديمة ، التي هي أعظم مقدمات شو من حيث أسلوبها وروحها ،
عن لايمان المحصر التيكثوري ، وظهور الداروينية والماركسية .

ويقول شو أن داروين أراد أن يجعل الحياة مجرد ميكانيكية حيابة .
وإن لامارك كان قد جاء بنظرية أقوى عن التطور قبل داروين . وقال
لامارك إن الأجسام تتطور لأنها تريد أن تتطور ، أما داروين فهو يقول إنها
تتطور أوتوماتيكياً لطراً لتغير ظروفها . وأخيراً نجد شو يقول : . . . كنت
أعرف دائماً أن الحضارة تحتاج إلى دين وإن حياتها أو موتها يتوقفان على
ذلك . ثم يسأل : أي دين ؟ ، ويقر بأنه هو نفسه قد حار على اتجاه
ديني سهل . وهو الدين الذي أوضحته في " اللامتنعي " . ويدهوه شو
" الحيوية " . ولكن كيف يمكننا أن نجعل هذا الدين حلياً ؟ وهل نستطيع
تدريسه في المدارس ؟ وهل نستدرس التلاميذ نظريات لامارك وداروين بدلاً
من ذكر المسيح لها ؟ كلا : لأن الأساطير وقصص الفلاسفة جوهرية
بالنسبة للدين ، وكذلك الكنيسة . ثم يسأل شو : لماذا لا نصنع كل
الأساطير الدينية في العلم في شكل واحد . ولا ندريس التلاميذ شيئاً من
المسيح وحب . وإنما ندوسهم شيئاً عن غوثاما وزرافشت وكروشنبا
أصلاً ؟ أما في العلم . فهو يقول إن علينا أن نتسلق بالحقيقة ونبدل
الحرافة : إذ ليس علينا أن نؤمن بأن نيوتن اضطلع في بستان قبل أن
يستطيع الإيمان بنظريته في الجاذبية . ولكن معظم الكنائس نصر اليوم
على تسليع الحرافات ونفخ أبها جزء لا يتجزأ من الدين : ومن هذه
الحرافات تخليص المسيح للناس . ونضحيه بنفسه من أجلهم . ويكون اسمه
مقدسه . وغير ذلك ! وتكون النتيجة أن المتقنين يشكون في ذلك ويعتقدون

ان دينهم هو الالسانية .

ومنذ ان جاء شو هذه الفكرة بدأ المتكبرون يتناولونها بالبحث والتحقيق : وخاصة النوس هكسل وآرنولد توينبي . وقال هكسل ان هناك لباً من لباب الحقيقة في كل دين ، وأنه من الممكن ايجاد دين عالي من ذلك كله ، واما توينبي فقد بحث ذلك في كتابه « المؤرخ والدين » .

بيد اننا لا نستطيع أن نلوم أي مسيحي أو يودي مؤمن اذا قال ان هذه الفكرة غير معقولة . فمن الصعب التفكير بإمكانية وجود مثل هذا الدين البديل الذي ان وجد فيكون كالصابون المنظف ! وبسبب كل من يبحث المسألة بتعمق أن يقر بأنه لا طائفة ترجى من الحصول على مثل هذا الدين - خاصة بالنسبة لانجازاتنا العقلية ، ومع ذلك فان عدم وجوده يفسد نواحيه نهايت مفزعة كما أن كل من يفكر بذلك يشعر بالحاجة أن لا يجدد « موقفه » ، أي بسلم نفسه لانحاء معين . في حين أن طبيعة المشكلة نفسها تجعل ذلك مستحيلاً .

ويحاول شو في « ميتوشالغ » بحماسة ان يجدد المشكلة . وهو يبدأ كما يفعل وابتهد في « العالم والعلم الحديث » بان يهاجم المادية العلمية . . . ثم يكتف الناس قادرين على أن يفهموا... لماذا كنت انتفى الداروينية الجديدة واعتبرها حادثة مفزعة ، واهاجم دعاتها بمنف وحدة . (٣٤) ثم يتحدث عن النتائج المفزعة التي تمخضت عنها المادية الداروينية في السياسة - وهو يشير هنا الى حرب ١٩١٤ - ويقول : « مثل توينبي » ان المحاضرات تسقط في اللحظة التي تكون فيها قرة الانسان أشد من قرة الدين . أي أمل هناك اذن في أن تثير الالسانية الى الأفضل ؟ اذا كان الداروينيون الجنده والميكانيكيون لا يعتقدون أن هناك شيئاً من الأسفل ، لأن التطور لا يحدث الا بصورة عرقية لا تدبر فيها ولا حكمة ... بيد ان هذه العقيدة الخفية لا تقيط عزائم أولئك الذين يؤمنون بان الدافع الذي ينتج عن التطور هو خلاق . وقد لاحظوا حقيقة شديدة الساطة ، وهي أن الارادة التي تصر على شيء تقطعه في النهاية ، وهي تستطيع في لحظات معينة من التركيز الذي تبلغه لايمانها بالحاجة اليه أن تخلق وتنظم كياناً جديداً .

وهنا هؤلاء لا يحترقون الجنس البشري لعبة لا ارادة لها . (٣٥)

ثم يعرض شو الفكرة الرئيسية في المسرحية : ان المعرف قد يكون أحد الامور التي يمكن تغييرها بالارادة ، وقد اشار وايزمان عالم الاحياء البارز الذي هبط به الداروينية الجديدة الى مستوى الحياة ، الى ان الموت ليس حالة أبدية في الحياة وانما هو حادث عرضي يفيد التجديد الدائم ، ولتجنب ازدحام الأرض . وبعد هذه الفكرة تتطور في صفحات المسرحية . ويمكن تلخيص تحليل شو لما يبني : ان البشر حتى لانهم لا يملكون الوقت الكافي ليكونوا حكماء ويقذف بهم الى هذا العالم دون ان يعرفوا لماذا وماذا يجب عليهم ان يفعلوا ، ويشعر بعضهم بالفطرة بان الحياة يجب أن تكون ذات هدف ومعنى ، فيحاولون أن يجدوا حياتهم هدفاً واتجاهاً ، ونحن نسمي هذا النوع من الناس النوايخ والعابرة . اما الاغلبية فانها تأخذ العالم كما تجده وتقع بان تعيش وتأكل وتموت كما فعلت الاجساد والاياء . هؤلاء هم المتشائمون . هؤلاء أيضاً غروريون للمحافظة على الجنس البشري - ليكونوا الأساس الثابت الوطيد الذي نبنى عليه الحياة فيها . (ويصير ثوماس مان من اعجابهم بهم بحيث انه يجعلهم أبطال كثير من كتبه) . وحتى النوايخ - أو اللامتمتعون ، والذين هم نوايخ هايزالون في شرائعهم - فانهم لا يجدون الوقت الكافي الذي يمكنهم من ان يستقروا في العالم قدس رصين ويتسلقوا في سبيل خلق ادراك أكثر للجنس البشري شريطة ان يكونوا في الوقت نفسه مدركين لما يفعلونه . لال قوة اللامتنسي والنايضة تنكس في حياته اللامعاقبة . ولان العالم مكان مقدس يتطلب الكثير من الاتيان . على انه في الوقت الذي يكون فيه اللامتنسي قد انتهى من كفاحاته وحصل على الشهادة واللقبة بنفسه وبدأ يشعر « بالراحة في العالم » ، في هذا الوقت نفسه عاد ان عليه ان يفادر العالم . وهناك علاجان واضحيان لهذا : ان يرضع الانسان منكرًا ، او ان يعيش حياة اطفال . ولا يعني الضجيج تحقيق نجاح فني فقط . وانما يعني - صعباً حقيقياً - الضجيج الذي يتحدث عنه غوته في « فلهلم ميسر » والقابلية على فهم معنى وهدف الوجود الانساني - نوي « المودة الى ميتوشالغ » بصور

شو كيف ان البشر يحققون هذه الامور :

ولكن حتى اذا اُطلق اللامتصون في حل مشاكلهم اللاهائية وفي اعادة فترة الحياة لتطيق همتهم الجديدة فيها - لماذا عن المتصين ؟ ولعل شو هذه المشكلة بان يجعل المتصين يموتون تدريجياً باعتبارهم متطهين - ولكن المشكلة الحقيقية هي مشكلة اللامتصين كالمادة . اذ ان عليهم ان يجدوا طريقة يحصلون بها المتصين يفهمون المشاكل وسطولها لقد اخترع لامتن نبي المسيحية ، وجاءت الكنيسة لتطبق وسائلها الخاصة في جعل المسيحية مقبولة لدى الجماهير .

ويوضح شو في مقدمته انه ليس حلاً ان يذهب اللامتصون جميعاً الى جزيرة ، كما يفعلون في المسرحية سويتز كوا المتصين لشؤونهم الخاصة . ان الفرق بين المتصين واللامتصين هو الفرق بين الانسان القادر على التفكير في مظاهره وشهواته الشخصية وحسب ، وبين الانسان الذي يدغم في اعظم من مجرد شخصيته الخاصة . وقد كانت مشكلة اللامتصين دائماً مشكلة في كيفية اتقان المتصين باعادة التوازن ذاتها التي يطبقها اللامتصون . ولهذا الفرض فانهم يفسمون الاديان بكل ما فيها من قوانين ووصايا . وهدف الكنيسة هو دائماً اتقان البشر بان يتصرفوا بصورة تجعلهم يلوحون اعظم من مجرد حزمة من الشهوات والمدارك . وقد قال العلم للانسان في القرن العشرين انه مجرد حزمة من الشهوات والمدارك . وما النتائج فهي ليست مفاجئة ولا تصف بالأساءة وانما تؤدي الى الخلط بطل في مجتمعا . وحتى اذا ادرك اللامتص ان المادة العلمية هي اساس الشر (المادة كما يرمز اليها بوس مانان في بيت هارتريك) ، فان المشكلة تبقى مشكلة في كيفية استصلاحها والايان بشيء آخر بدلاً منها .

ويقول شو . وهو في مقارنته الامثلة : « ما دامت كنيسة الكثرة الخط عقيمة واحدا تتعارض معها عقائد البراهمة والبوذيين والمسلمين وامرس واصحاب كل الديان الاخرى : فانها ... تبقى كما هي في الوقت الحاضر . خطراً على الحكومة . وماذا من صيغة فلس الاقداس » (٣٦) ولكن حله بسيط جداً : « فان ما يجب علينا ان نعلمه هو ان نذهب كل واحدنا في

مجموعة من الاغاني الدينية الشعبية التي تضمها على اساس من الامانة والاخلاص وتقدمها بشر اجمعيين . ونحن اذا حررنا انفسنا من الادعاء والبهتان فاننا نستطيع ان نصل الى جوهر كل ايمان » (٣٧) ولو اجتمع مجلس من الجيريين لبحث مشاكل مجتمعا ، فقد يتفقون على ان المثل الاعلى يتجلى في الحاجة الى خلق كنيسة جديدة يمكن ان تترك اسمها العظيمة للفلسفة اللامتصين بقرونها . واما لسايرها فيمكن ان تؤخذ من كل مصدر - سواء كان « Popat Vula » ام « بروميوس طليفا » ، وتبقى بعد ذلك مشكلة اتقان الانسان العادي بها . ففي هذه القديسة كان الرهبان يمتدنون في ذلك على خوف الانسان العادي من طليعة . اما بورفا فقد استخدم مفهومه لانهائياً : اذ قال ان العالم هو مكان الشقاء وان النظام الذي يستطيع ان يعيد الاساد منه . واعتمد المفكرون المسيحيون على هذا الشعور نفسه : (فقد كان المسيحيون القدامى أقلية مضطهدة) . واستخدموا المسيح عاصماً وافرغوا ان ما بعد الموت هو السعادة للمسيحيين . اما الاسلام فقد وجد المسلمين بجنة حبة بعد الموت . اما في القرن العشرين فقد حل العلماء محل الكهنة والقس في تفسير الكون . ولم تعد العلاقة بين اللامتصين والمتصين مقيمة بالتقوى العقل الذي يوصف به اللامتصون . بل حل العكس : فاللامتص الحديث لا يدعي بأي تفوق عقلي كما يفعل العالم أو الفيلسوف المتص . وانما يتميز « بعلمه » ، وحينئذ التمسر الى المذهب الروحي والفق . ونجد ان حل شو في « ميتاشالغ » يداني بحيث انه يحل كل هذه القضايا .

ومع ذلك - وحتى لو لم يكشف شو عن نفسه اتقان فيظهر مفكراً متسناً مثل كانت وهاغل - فهو ما زال يأنس بادراك الفنان والشاعر العظيم للمشاكل التي يحتملها . وهو يوضح بعض الامور بوضوح وتأكيده شديدين : كاعبسة المسألة الدينية المحتملة في النظام ، في الضبط الذاتي :

« لا لم يكن في الداروينية مجال للارادة الحرة أو أية ارادة اخرى ، فان الداروينية الجديدة تعتقد بأنه ليس هنالك ما يدعى الضبط الذاتي . ومع ذلك فان الضبط الذاتي هو الميزة الوحيدة القيمة البقاء التي تجد ان اختيار الظروف يجب

دائماً ... ان يؤدي إليها في المدى البعيد ، وقد يتم اختيار صفات غير متسقة
لنبتى وتتطور للقرات معينة وفي ظروف معينة . إذا كان النهمون هم الذين
يكافحون أشد الكفاح من أجل الطعام والشراب فإن جهودهم تطور قوتهم
ويزدادتهم في فترة قصيرة جداً بحيث ان أقصى ما في وسعهم ان يبقوا لا يمكنهم
من ان يأكلوا أكثر مما يستطيعون . ولكن أي تغير في الظروف يأتيهم بمقدار
كبير من الطعام يدمرهم . ونحن نرى هذا الأمر يحدث دائماً ، إذ نرى فقيراً
قوياً صحيح البنية يصبح مليونيراً بالصدفة التي غالباً ما تحدث في التنافس
التجاري ، وسرعان ما يبدأ بحفر خندقه بستانه . أما الإنسان المتضبط ذاتياً
فهو يظل على قيد الحياة في تغيرات الظروف لأنه بعد نفسه لها ، فلا يأكل
أكثر من قابلية ولا أقل منها ، وإنما يأكل بالقدر الذي يغمه . فلا هو
الضبط الذاتي ؟ انه لا شيء سوى الحيوية المتطورة ، المتحركة في
الشهوات العادية والمتطرفة لها ، فإذا أضفنا وجود هذا المفهوم العلمي ، وإذا
فشلنا في فهم البنية الواضحة من ان النوع هو الذي يميز من يشق
البقاء ، كما تفعل المادبة الداروينية الجديدة باسم الاصطفاء الطبيعي ، فإن هذا
يلد على حاجة علماء هذه الفكرة الى فهم موضوعهم نفسه . كما انه يدل على
عدم ملاحظتهم للنقطة التي يتم بموجبها الاصطفاء الطبيعي . (٣٨)

وهنا نجد أن شو يعرف كلمة «الدين» بعبارة واضحة . والمعنى الذي يفهمه
اللاسمي : احساس بصفت بالسلو والحيوية وسيطر على الشهوات العادية .
وتعبر الحاجة الى هذه السيطرة على الشهوات والخسعة على الموضوع عند الشاعر
وصاحب الرؤى بحيث ان الأمر لا يحتاج الى المزيد من الأيضاح . اما بالنسبة
للإنسان الشهواني العادي « فليس هناك أية حاجة للسيطرة على الشهوات الا
بمقدار ما يتعلق الأمر بحسن التصرف العادي في المجتمع . ولما لم يكن يعرف شيئاً
عن الرؤى او عن أي شيء يجعله يصبر نفسه أكثر من مجرد وحدة من وحدات
الكيان الاجتماعي ، فليس هناك سبب يدعو الى ممارسة ارادة التغير الذاتي .
والدين الحقيقي يعني قبول اعتراف مدركات الانبياء واصحاب الرؤى واحتواها

محكمة بالنسبة لكل البشر .

ونعتبر « الوحدة الى ميتوشاتش » مشهورة من حيث قصتها الى درجة
انني سأكتفي بتلخيصها بعضي العبارات . نجد في الفصل الاول من
قصتها الخمسة طويلة ان آدم وحواء يقرآن وضع حسب لحيايتها ،
« لان العيش الى الابد أمر لا يحتمل . » « نجد ان مشكلة الخطيئة الاولى
موجودة مقدماً ، فهي لا يستطيعان ان يحتملا العيش بشخصيتها الى الابد .
وتبدأ العبارات اللاتجارية بالظهور حتى في جنة عدن : « انني ضجر من
نفسي ، ومع ذلك فان علي أن احتمل نفسي ، لا ليوم ... وإنما الى الابد »
(٣٩) . ويريد آدم ان يفر من نفسه تماماً كما فعل اللاسميون الذين
صادقاهم في « اللاسمي » ، وهو لكي يفعل ذلك ، يقرر ان يموت ،
وهكذا فهو يختار الطريق المخطوط - طريق آكسيل . وهو لا يدرك ان
طريق الخلاص هو الى الامام ، لا الى الخلف . بيد ان حواء تعرف ان
هناك طريقاً آخر لمخروج من عصابة الزمن : طريق الفناء واصحاب
الرؤى . وهي تتحدث عن بعض انبياء الجبناء الصغار الذين يملكون مع
ذلك قابلية غريبة على الخلق . « ولكنهم لا يملكون ارادة بحلهم بحقوق
بدلاً من أن يحلوا » . وهم ان الانبياء قالت ان كل حلم يمكن ان يتحول
الى خلق باوادة الاقوياء الذين يريدون ذلك . (٤٠)

ويريد آدم أن يطلع شخصيته في كل عام ، كما تنزع الانبياء جلدها -
ويطلع ابن حواء شخصيته ليحقق ارادة الصورت الذي يسمعه بين الخلال .
وطالب آدم من حواء بصبر نافذ ان تسمت وأن تنصرف الى عملها ،
« الا غلبا متزوج . وتحييه حواء كاتبة :

« لا يحتاج الانسان الى ان يعيش بالخيز وحده دائماً . فهناك شيء
اخر لا تعرف ما هو ولكننا سنكتشفه يوماً ، وسنبش عليه وحده ... » (٤١)
لما الفصل الثاني يفتقر فجأة الى عام ١٩٢٠ حين يقرر شقيقان ان
الانسان يستطيع ان يعيش اطول من المئة الاحيادية التي يعيشها البشر ،

أي الأعوام الخمسة والسبعين ، إذا فهم انه لا يمكن التقاط المضادة الا اذا استطاع ان يفعل ذلك . ويحصر هذا الفصل ضمياً وعلا من الثانية المسرحية ، وهو يخص هذا الفصل في الواقع السخرية من لودج جورج واسكوت . ولكن « انجيل الشقيين » « بارناس » هو ذو أهمية كبيرة .

اذ ينشأ هرانكلين بارناس بدلين جديد للتطور الخلاق . « بدلين متحد جذوره في العلم والفلسفة ، تماماً كما امتدت جلور الكنيسة في القرون الوسطى في عالم ارسطو ، وينشأ بظهور نوع جديد من البشر يعيشون لمدة ثلاثمائة عام . وأما الفصل الثالث الذي يفترض ان زمة تمتد بعد عام ١٩٢٠ مائتين وخمسين سنة . فهو سخرية من بعض رجال الحكومة البريطانية ، الذين يكتشفون ، مرتعدين ، ان اثنين من زملائهم ، رجلاً وامرأة ، يلفغان أكثر من مائتي سنة من العمر . وليست هذه سخرية بارعة على كل حال ، بل ان الفصول الثلاثة الوسطى في هذه المسرحية تدور نقد تولستوي لشئ حين قال انه بضع ثائره اذ يحاول ان ينكت . وأما الفصل الرابع فهو سطحي تماماً ، وهو لا يأتي بشيء جديد ، ما عدا ان المميرين طويلا يقيمون محضاً خاصاً بهم ، أما السخرية من الذين يعيشون اعماراً قصيرة فقد صارت في الفصل الرابع محلة تبت على القصر . بل انها لم تعد مشغوعة بالعبارات القصفة المزخرفة التي كانت تغطي فصل الفصول الاولى بعض قوتها . ولعل السام الذي يشر به القارئ حين يصل الى الفصل الرابع هو الذي جعل القارئ يهولون الفصل الخامس ولا يكتشفون روحه وعظمته : بل ان هذا الفصل الأخير بالذات حتى يأنس الهجيات والنقد من جانب القارئ . ولكن هذا يجب الا يؤثر علينا . لان « أحد ما يصل اليه الفكر » هو أصطلم ما كتب شو على الإطلاق .

وتجند في هذا الفصل ان الزمن يتقدم ثلاثين ألف سنة ، ويعود العلم الى سيطرة المضادة الاخرقية القديمة وبعد جماعة من الثيان والنايات رفضون امام مبدأ احتفالاً بمولد فتاة من بيضة وهي حين تولد تكون

كلمة فاضحة نضج ابنة العشرين ربيعاً ! ولا نجد الثيان والنايات ما يثرون انفسهم به الا الرقص والحب والفتور الجميلة - أو العلم ، اذا كانوا يميلون اليه . وبينما هم يرتقصون يمشي رجل عجوز بينهم . وهو غلوق في تأملاته - عجوز عار لا توجد شهوة واحدة في رأسه . وهو يبلغ من العمر عدة قرون . ويخضعون حوله ويأبونه : ألا تشبه حبهاله الطويلة التي قضاه في التأمل ؟ هجيتهم برصانة :

« ان لحظة واحدة من نشوة الحياة كما يعيشها لقتلكم . » (٤٢)

ولكنهم يتفوقون فيها بينهم على اسم اذا بلغوا من الرابعة - العمر الذي تخفي فيه لديهم كل شهوة جديدة - فاجم يقتلون انفسهم . انهم لا يستطيعون ان يصوروا ان هناك ابنة شهوات أخرى عند تلك المنهكة بالجسد والمراطف .

وعمر لحظات ، ثم لشاهد حياة الضج هذه حين يعرض مثال احلث نمائمه : ويرعب الجميع انه لم يكن قد صنع غير تماثيل المميرين القساى . الا انه يروي لهم اسطورة ميكل الجلو الذي بدأ برسم المرأة والعرايا على جدران كنيسة مسيحية ثم انتهى برسم الانبياء والقديسين ، الذين تركز عظمتهم في الفن والنشوة الدهنية فقط .

(ولا نجد المرء يقاً عنا من تذكر أبيات قصيدة ينس . تحت ين بالن : :

« لقد ترك ميكل الجلو برهاناً على مقفه

حيث يستطيع آدم ، وهو نصف بفتان ،

ان يقلق السيدة التي تدرع الكرة الارضية

حتى تضطرم احتلالها

برهاناً على ان هناك هدماً

لنفس الذي يعمل بصورة غبية :

الكامل الملتصق بالجنس البشري . (٤٣)

ومن الغريب ان ينسى ، الذي كثره مؤلفات شو كرها شعباً ، يردد منا أفكار « العودة الى ميتوشالغ » تماماً .

أما « بجماليون » العالم العظيم ، فقد صنع اثنين من البشر - وهو يوضح ان الحياة كالكهرباء ، وانها تجري في شبكة دقيقة مظنة تيه الاسلاك التي تجري فيها الكهرباء . والصعوبة الوحيدة التي تقف في وجه امكانية صنع الحياة في المختبر هي انه من الصعب جداً صنع المادة الضوئية المحفزة التي يمكن ان تحقق فيها الحياة . ولو تم صنع هذه المادة لجرت الحياة فيها ببساطة . وسرعان ما يفقد بجماليون سيطرته على مخلوقه فيقتلانه . وحين يضع الحكيم المعسر يديه على رأسهما ويحاول ان يرضها الى مستوى أعلى من الحياة ، فانها يموتان من شدة الارهاق الروحي . ذلك لانها يشبهان بشر اليوم في حاجتها الى قوة الارادة القادرة الى الخير الذاتي . ويهودنا موتها الى ابدع مشاهد هذا الفصل : محاولة المتمردين الحكماء شرح كيفية حدوث النضج للسان ولثاباته . ويمثل هذا تفصيلاً لما كان نادر قد قاله في « الانسان والوبركان » من : « ان واجب كل فنان هو ان يخلق ادراكاً أكثر . » أنت تستخدم مرآة لترى فيها وجهك . وانت تستخدم الاعمال الفنية لترى فيها وروحك . (٤٤)

ويحاول الفنان ان يحقق لنفسه تركيزاً اشد في الحياة مستخدماً الفن ليسند به قوة ارادته . ويقول الحكيم المعسر : « انه يؤدي الى ادراكك انك لا تستطيع ان تخلق الا نفسك . » (٤٥)

وهذا هو المجهود الذي يبذله المعمرون دائماً : الخلق الذاتي . ويمكن التعبير عن هدفهم ببساطة واحدة : اجعل ادراكك كاملة . بيد ان المعمرين لا يحتاجون الى فن أو أدب ليسندوا بها اراذلهم . لانهم يملكون شعوراً مباشراً بالحياة . وهم قادرين على تغيير اشكالهم الجسدية باستخدام قوة الارادة . وهم لا يتلون البتة . لانهم لم يعودوا بشعرون بالحداجة الى

النوم منذ ان بنوا الرابطة من العمر حين صار العالم العقلي موجوداً بالنسبة اليهم الى درجة انهم صاروا يحثرون النوم انغلاقاً لفتنة الفكرية لاسموتخ له . (ونذكر هنا ان اليها كفاذ كيتا تستند الى ارجونا هذه القوة ذاتها ، وغالباً ما يشاو فيه باعتبار « قاهر النوم » .) ولكنهم يوضحون قائلين ان المشكلة بالنسبة اليهم هي انهم ما يزالون عبيد اجسادهم وانهم ما يزالون محتضنين عليها . فافا استطاعوا ان يحققوا المزيد من قوة الارادة فانهم يملكون ان ذلك سيخضعهم على السيطرة على اجسادهم تماماً بحيث انهم لن يحشوا الموت العرضي : وعند ذلك يصبحون خساليدين . ونسبي المسرحية بشيخي آدم وحواء وهما يستعرضان تاريخ البشر ورسائلان : متى سيتهي ؟ وظني لبيت ، الأم الاولى ، (كالي راماكريشنا) بخطبتها الشهيرة : ... لانحوتهم حياتهم حتى في لحظات دمارهم . (٤٦)

وهكذا ، فان مشكلة اللاشمسي النهائية هي مشكلة طفل الحساسة : مشكلة الخلاص من الشخصية . وقد اقرب ذو في « ميتوشالغ » اكثر من أي كاتب آخر من التحليل الحقيقي لهذه المشكلة ، وحاول ان يجد لها حلاً :

ومن الغريب ان يشر هذا الفصل الأخير من مسرحية شو كثيراً من النقد والتعريض من جانب النقاد ، ويتلخص هذا النقد من جانب الجميع في ناحية واحدة : الشعور بالرعب من فكرته عن المعمرين . والصفات الرئيسية التي تنزى الى معمر شو : هي « كتيب » و « كرية » ، و « قاس » و « مجرد » . ويقول النقاد الذين يمتثلون على شو بروده وقسوته . ان فكرة المعمر هي النتيجة الرهيبة النهائية ، وهم لا يتلون مؤلفاته ، عاماً كما لا يتذوق عاشق موسيقى ايخور نوفيلو احسدى رباعيات يتهولن اللاحقة . ويقد آخرون فكرة المعمر من وجهة نظر د . هـ . لورنس - وتمام . ويقولون انه من السخف اعتبار الجسد غير مهم . واعتقد ان هؤلاء صلتون . فالمعمرين لا يحضرون الجسد « أكثر من احتقار زرادشت .

بطل نيتشه ، له .

ولكن سيطرتهم على الجسد لا تختلف عن سيطرة الرياضي عليه : وما ذلك إلا وسيلة من أجل تركيز أشد في الحياة .

ويعتبر الفصل الثالث في « الإنسان والوبرمان » والفصل الأخير من « ميتشالغ » أفضل ما كتب شو على الإطلاق ، وهذا ثلثان مساحة من جانب شو في الأدب العالي قد لا يدركه الناس جوانبها إلا بعد قرون عديدة ، لأن هذين الفصلين يحويان على رؤية عظيمة مترجمة بوضوح هائل في التعبير : وقد عبر شو في نهاية مقدمة « ميتشالغ » عن أمه في أن الشباب سوف يتفوقون عليه بمرآحل . وقد يستطيع هؤلاء أن يفعلوا ذلك إذا وهوا على كسفي شو ، إلا أنه من المستحيل أن تترك مسرحية « ميتشالغ » باختيارها صادرة عن الخيال للعشيق .

ولم يؤلف شو مسرحيات مهمة بعد « ميتشالغ » . وقد كتب بعد ذلك « القديس بوجنا » وهي حاشية للشرح تماماً ، كما أن الكثيرين يعرفون هذه المسرحية ، وهم لولاها مستعدون لقول بأن ذهنه بعيدة عن الاختلاف مع مشاعر البشر . وهذا يكفي ليجمع كل من يجب مؤلفات شو بشك في هذه المسرحية . واعتقد أن هذه المسرحية أدنى بكثير من مستوى مسرحية الرافنتين « ميجر بريادة » و« بيت هارنريك » : تماماً كما اعتقد أن مسرحية « الملك لير » لشكسبير هي أقل شأنًا من مسرحية « هملت » . وبعد أن تشهد المحاكمة ناجح كل النجاح من الناحية المسرحية ، يد اد هذه المسرحية لا تقدم شيئاً جديداً بالنسبة للتفكير الذاتي . ولكن القراء الذين أساءوا فهم الحرية الكلية التي تحفل بها « ميتشالغ » واعتقدوا أن شو أخضع مرامحه في الكوميديا يجدون في المسرحية التالية برهاناً على خطئهم .

إن « عربة الفلاح » هي أفضل كوميديات شو ، لأنها تحتوي من الوصال والجسد على الكثير الذي يجعلها أهم من كل كوميديات شو الأخرى . ويجد هنا أيضاً أن هذه المسرحية تقوم على تصادم الأدوات . وحده

ماغنس يفت ضد رئيس وزرائه وأعضاء وزلته . وليس لهذه المسرحية « هدف » من الأهداف التي تميزت بها كوميدياته الأولى ، إلا أن شو يثبت فيها على الأقل أن الإنسان يستطيع أن يؤلف في سن الرابعة والسبعين دون يكلفه ذلك كثيراً . بعكس ابن الذي انكس نفسه وبذل كل ما في استطاعته من مجهود ليكمل مسرحية « حين نستقط نحن الموتى » في سن الثاليسه والسبعين .

وقد ألف شو في ربيع القرن الأخير من حياته ثماني مسرحيات كاملة وأحدى عشرة مسرحية صغيرة . ولا يستحق بعض هذه المسرحيات القراءة . ويجد في بعضها شيئاً من الابتكار الطريفة ولكنه لا ينسحقها بمتابة . فثلاً نجد أن « جلولو الجوزر الخيالية » تدور على يوم الليبونة ، أو في الحقيقة على ما تألفت منه خيالة الإنسان في « عين الله » أو قوة الحياة . وحسين يخفق لثلاثة في الصور مطاً اليوم الأخير ، يتلانى الناس الذين لا جدوى فيهم . ويصبحون هباء . « الناس الذين لا جدوى فيهم » الاشرار . ذلك البعض من الاتانيين ، واولئك التكرات من التراندين كنهم يتلشون في الفضاء .. الأرواح اللامجدة ، التي ليس لها معنى ، اللامهائلة ، ستلانى كلها . وسيكون علينا أن نبرر وجودنا أو أن نفنى » (١٧)

والحق أن شو يسمح هنا لفضب لامتبه باد بتعجز سطحاً على متعبه ولكنه لا يحاول أن يوضحها لقبض ما هي المبررات التي تدعم الوجود الإنساني . إن اللاشمي ليشر عريقاً بأن كل البشر فاشلون ، وأنه إذا كان هناك يوم أخير حقاً ، يكون فيه على كل إنسان أن يثبت أنه كان له حاش حياته مستخدماً قوة إرادته على اكمل وجه من أجل هدف . إذا كان ذلك حقاً ، فما أحرانا جميعاً بأن نتلانى هباء .

ومن هذه المسرحيات الأخيرة تبرز واحدة على الأقل حاملة في طياتها نعمة جديدة . فمسرحية « أكثر صلداً من أن يكون صادفاً » هي خيط حريص من الكوميديا الباقية وللمأساة الرائجة لفترة ما بعد الحرب . وهي من

الناحية السطحية مجرد محاولة للكتابة عن « الجليل الجديد » ، الجليل الذي كانت تصوره ايفلين وو بصورة تبعث على الإعجاب ، وعلى هذا المستوى فإن هذه المسرحية تعتبر اكلوبية مخيبة للأمل ، ويسر فصلها الأول والثاني الى هدف حامين معها كاريكاتوراً للشخصية ت. ي. لورنس التي يفترض شو أنها المقياس الصحيح بالنسبة للشخصيات الأخرى . واما في الفصل الثالث فيظهر رجل عجوز - وهو والد أحد أبناء « الجليل الجديد » - ويلقي الخطب الطويلة التي تمثل المرأة الأولى التي يظهر فيها حاتم الثلاثي الحديث لدى شو - العالم الذي يتحدث عنه سارتر والدوس هكسلي .

« أجل يا سيدي ، كرون اسحق نيوتن ... قد نهاوى .. أمام قد آينشتاين . وقد كان كرون نيوتن دهامة التصميم الذهني : وكان في الوسخ حساب كل شيء : وكان كل شيء يحدث لأنه كان يجب ان يحدث ... والآن والآن ماذا يبقى ؟ كل شيء هو وهم : العالم الذي كان حسابه ممكناً صصار صعباً على الحاسبين .. » (٤٨)

والحق ان علماً يذكرنا بجارات « العقل في مستهى حدود الاحتمال » لويتر :

« لقد وجدت حل الحياة خرابة مفزعة . ان الحوادث التي حدثت حتى الآن تتميز بنوع من المعقولة والمنطقية ، تماماً كما يضبط قانون الجاذبية الأجرام السماوية . أما الآن ، فيلوح ان ذلك التسلسل قد انقطع » (٤٩) ويتحدث معتر شو بنفس هذه اللفظة :

« لا شيء يمكن أن ينقلنا من السقوط التام في الوحدة التي لا قهر لها ، إلا عقيدة يمكن ان نرسخ عليها اقلنا ، ولكننا حاملنا نؤمن بذلك ، وفي اللحظة التي نوافق فيها عليه ، نجد أن العقيدة الوحيدة التي نستحق الايمان بها هي أنه لا عقيدة هناك - ففي الوقت الذي أنف فيه هنا فاني - اسقط أسفل تلك المأوية ، أسفلها ، أسفلها - وكلنا ساقطون فيها .. » (٥٠) وفي نهاية المسرحية يلقي ابن العمر موعظة طويلة تدور حول صيغة

الايمان والعقيدة بسبب الحرب - وعلى رغبة الجليل الجديد الشيطانية في تمرير الحياة كل المري - (وقد يكون شو قد فكر أثناء كتابته هذه « بيوليسيس » لجيمس جويس ، أو بمؤلفات كتاب آخرين من الواقعيين الذين اعقبوا جويس) . والفصل الأخير من المسرحية هو خليط من العظمة والكوميديا العادية . وهو يكتشف عن ان شو كان يريد أن يؤلف مسرحية عظيمة عن فترة ما بين الحربين . واننا لنشعر « كما شعر تولستوي » ، بأنه كان من الأفضل ألا يلجأ شو الى شيء من الكوميديا في هذه المسرحية . واننا لنجد ان شو كان في أواخر أيامه يشعر بالخيبة والمرارة لأنه كان يجد ان تأثيره حل عصره لم يكن ملموساً ولا واضحاً . ولكن الخطأ كان خطأه هو ، إذ لو انه استمر في التأليف بالرصانة التي اتصف بها الفصل الأخير من « ميتوشالغ » ، فان تأثيره على عصره كان سيقف تأثير درستوفسكي .

وتتمتج عظمة شو النبوية السامية بالسخرية والفكاهة بحيث انها تلوح في بعض الأحيان طفولية . (لعل ذلك يرجع الى ان نكاته ايرلندية . ويقال ان جويس انه مشهور بمثل هذه النكات ، ولكن ذلك يقتصر على حياته الخاصة فقط) .

وبعد عشرة أعوام على الاقل من تأليفه هذه الكوميديات الغامضة تمسنى كثيرون من عشاق شو لو انه كتب عن الكتابة . ولكن ، كما هو الامر مع شو دائماً حين يقاضى قراءه بما لا يتوقعون منه ، نجده يقدم بعد ذلك مسرحية أخرى من المسرحيات الرائعة وهي « في أيام الملك شارلز الصالح العذبة » .

ومرلاً أخرى . نجد ان هذه المسرحية تتركز على تصادم الارادات ايضاً . وحاملي مشهداً في بيت اسحق نيوتن . حيث يحضر الملك شارلز لزيارته كعضو في مجلس جورج فوكس والسر غودفري فيلار . (كان شو يريد ان يأتي « منه » . وكان يتمنى لو انه استطاع ان يحضر امبراطرت ، ولكن هذا السلام ناشى في عصر آخر ، الأمر الذي اضطر شو الى احضار فيلار) .

وتحضر أيضاً بعض عشقات الملك ، ولعل شو لم يكن يفكر ما كان يفعله حين كان يصور ذلك المشهد الذي يرمز في الواقع لمشكلة الحضارة الغربية كلها ، لأنه باحضاره جورج فوكس الخارج على الدين واسحق نيوتن الذي جاء بالشك الحديث الى العلم دون ان يشعر . يكون قد لمس جوانب مشكلة ثنائية الطبيعة : لان فوكس ونيوتن يمثلان مظهرين مختلفين من مظاهر سقوط الكنيسة وفترة الانسانية الحديثة . ونحضور شاولز - هادي يرمز الى دون جوان - فان شو رمز دون أن يشعر الى مزاجه الخاص هو : الفكر ، النبي ، والماهر ، وحاشى الحياة .

وبعد هذه المسرحية لا تبقى إلا مسرحية كاملة واحدة هي : مصلح العالم ، وقد ألفها شو حين كان في الحادية والسبعين . ولو قسمناها بقياس مسرحيات ١٩٢٠ - ١٩٣٠ لوجدناها مسرحية ممتازة . وهي تحتوي أيضاً على ما يشبه كلمة شو الأخيرة بشأن مشكلة اللامتنى ، ونجد في بدايتها أباً يسأل ولده عن هدفه من حياته لا ونجيب الابن قائلاً : أن أكون مصلحاً للعالم . ويوضح ان اصلاح العالم هو واجب المثالي العملي : رسكن وافلاطون والمسيح وغوتاما ولولتر ووليم موريس . وفي هذا العدد العديد من الامثلة تظهر لنا فكرة اللامتنى واضحة ، اذ نجد رسكن المزيج المؤلف من الجبال السوداء والاحياءية العملية يضعه عدد من المعاصرين الذين . واعتبراً موريس ، الرجل الذي استطاع ان يعيش حياة متوازنة بين اللاتائية الرومانتيكية والخلق العملي .

ولكن شو لا يفعل شيئاً بفكرته هذه ، اذ يبدو انه ليس لبقية المسرحية صفة بذلك . ان العاصي يقابل فتاة وسط الغابة وينجها عائداً الى لندن محاولاً اقناعها بان تزوجه ، واما هي . فلها ابنة بل بويت . المليونير المحجور . ونجد ان الفصل الأخير من المسرحية هو محاولة يشترك فيها كل أفراد أسرة بويت . وأكثر افراد الأسرة طرافة هو سكندريون . هاوي الرياضيات الذي يقول : لا اريد ان أكون سيحياً . وانما أريد ان أكون حياً

فعلماً . (٥١) . ونجتم سكندريون المسرحية بالحديث عن ذكريات لا طائل ورامها تتعلق بفكرة شو عن للممرين :

« من هو الذي يجري على قول بأن الرياضيات والاستنتاجات العقلية ليست عواطف ؟ ان الادراك الرياضي هو أمي قابليات الانسان . ان هذه الزهرة التي تقول ان الرياضيات ميتة ، لا روح فيها وانها ليست انسانية هي مخالفة لكسب حقائق الحياة والتأريخ . ترى ما الذي قاد أذهاننا أهدماً غير الادراك الرياضي ؟ ان الله ليس الحب ... والحب ليس كالياً ، وانما الشهوة الى المزيد من الحقيقة ، المزيد من المعرفة واللغة والنفس ، هي أكثر كونية . بل ان أمي الاحياء ممتاز بشي . من هذه القابليات : وان العواطف الرياضية وحدها لا تحدث رجماً : وانما نشوتها هي التي تحدث التطور الذي تكون فيها الحياة نشوة ذهنية تفوق نشوة القلبين . » (٥٢)

واما مسرحية شو الأخيرة ، ولماذا لا تفعل ؟ فهي تلور حل فكرة مسرحية « مجبر بريارة » : ان الانسان يجب ان يكالغ من أجل الكفافة الاجتماعية ، وإلا فان كل مجهودات اللامتنى الروحية لا تساوي شيئاً . وفي النهاية ، نجد شو صامداً صموده في البداية : فأنخر ابطاله فاس أيضاً ، إلا ان القسوة هي نشوة الانسان الذي لا يخلص إلا للحياة نفسها ، الحياة التي تضم المتناقضين ، العمار والخلق ، الذين ترمز اليها كالي آفة المندوس . ولو بحثنا مسرحيات شو منذ الحرب العالمية الأولى ، فلن ندعشنا لشه في أحداث أي تأثير على الاجيال التي نشأت منذ تلك الحرب . فان الاعوام العشرة الأولى من هذا القرن تميزت بتداول باهت نوعاً ، ولكن الحرب طورت الحساسية الفنية التي حدثت في بعض الاحيان الى المزاج السوداوي الذي امتازت به سنوات ١٨٩٠ - ١٩٠٠ . لقد كان شو ، لشربون وولز وبيوك شخصيات تعبر عن معتقداتها . اما ولفردي أرين ، جويس واليوت وباوند وهمنغواي فقد حاولوا جميعاً ان يبحوا شخصياتهم . فمصهم وان يكونوا من جديد وكانهم آلات حاسة للتسجيل . وأما

فترة ١٩٠٠ - ١٩١٤ فقد امتازت بالثقل ، في حين ان فترة ١٩١٨ - ١٩٣٠ كانت فترة الشعر التي كان عليها الأعلى « القابلية السلبية » . ومن الطبيعي ان يشعر الناس بأن شو كان محروماً من تلك القابلية السلبية ، وقد فوت مسرحيات ١٩٢٠ - ١٩٣٠ هذا الانقطاع .

ولكن ذلك لم يكن صحيحاً ، فان القابلية السلبية - كانت موجودة عند شو - الاهتمام المركز بمشاكل اللامتسي التي حاولت ان آيين انها كانت الفكرة المركزية في مؤلفات ككتاب ما بعد الحرب . ولا شك في انه لو كان شو قد مات بعد ان ألف « ميجر برابرة » فقد كان محطاً ان يعاد الحكم عليه على ضوء مؤلفاته السابقة . وأشار اليوتالي ان مسرحية « جزيرة جون بول الاخرى » ذات فكرة دينية عميقة . ولكن شو استمر هابطاً بشهرته الى الحضيض ، لأنه كان نائراً في عصر كانت آادابه تطمح الى الشعر . وماذا عن عصرنا ؟ ان « الثقل » يعود الى الظهور . والعقائد الذاتية تجد من يعمر عنها ايضاً ، ولكن ذلك لا يمثل مجرد عود كما يعود بتدور الساعة بصورة حتمية . - وانما هو وقت للضم ، وقت نفث فيه لتعب النظر في السنوات الخمسين المنصرمة من هذا القرن بصورة عامة . ومن الممكن النظر الى شو للمرة الاولى من حيث علاقته بولز من ناحية ، وبالبيوت وجويس من ناحية أخرى ، وسيظهر لنا في الحال انه ينتمي الى فترة أعظم من مجرد فترة « ثقل » في القرن العشرين . انه ينف مع غوته ونيشه وكيركغارد كمفكر وجودي مشغول مقدماً بالتطور النهائي ، الثقافي ، والديني .

ومن الصعب علينا ان نلخص ما قدمه شو بخصوص مشكلة اللامتسي : لأن مساهمته في ذلك تشمل نواحي عديدة . فقد بدأ لامتسياً ، و«انتبكيماً» يسر في طريق عمل بارز ، أي انه بدأ لامتسياً ، ولكنه كان مؤمناً بأن مشاكل اللامتسي قابلة للحل حتماً . وكان محظوظاً لأنه ولد بهذه النظرة الصحيحة الى الامور . ولكنه لم يكن واقعياً تحت تأثير أنه نظرة تشاؤمية.

وقد تنصت في البداية مؤلفات ديكتز وفيلدليك وشكسبير وموتزارت . ثم مؤلفات ماركس وهنري جورج . ولو انه سمع طاغتر وقرأ شيلر وستندال وطوبير في البداية لكانت مؤلفاته قد حظيت بقبول أشد من جانب أجيال هذا العصر ، بل على الاقل كان الناس سيكتشفون بصوبة أقل علاقته الوثيقة بنيشه وكيركغارد . وكان من الممكن ان تنجح مؤلفاته الصغرى وتضممه الاول - ولكن ذلك كان سيؤدي الى فشل أعماله الكبرى . وكان شو قد نشأ فتاة كلاسيكية . ولهذا فان أسلوبه ينصف بما تنصف به النماذج الكلاسيكية من حيث صعوبة تلخيصها . ولقد ثار اليوت وجويس ويونفد على الرومانتيكية في النهاية وصاروا « كلاسيكيين جداً » . دون ان يدركوا ان شو كان كلاسيكياً جديلاً طيلة الخمسين عاماً الماضية . وقد كان شو نائراً دائماً . ففي السبعين حين ألف « مصطلح العالم » كان ما يزال نافعاً على الفكرة الخاطئة التي كانت تمزج بين الضعف والانسانية ، وبين العاطفية والبداهة ، تلك الافكار التي كان أصحابها يعتقدون بأن هدف الانسان في حياته يمثل في السعادة . وان فكرة « الذهن » هو فعالية لا انسانية . لا مجدية . وكان ما يزال يكالغ ويناضل في الميدان ذاته الذي تحذر فيه نيشه قبله بسنين عاماً .

لقد فشل شو ، ولكنه سما على كل الكتاب « الناجمين » في عصره . ان مؤلفات ربع القرن الأخير من حياته تظهر هبوطاً ببطء . الامر الذي حادس مع فكرته الرئيسية القائلة بأن البشر يجب ان يعيشوا مدة أطول أو بشرا عظيمة . ترى أين يكمن فشله ؟ لقد توقف عن التطور في نقطة ما من حياته . ويمكننا ان نخدعها بانتهاءه من تأليف « العودة الى ميتوشالغ » « النظر » - بالتحريف الوجودي - وهي غلبة مستمرة على المصاعب . والحل « الحق » لتعقيدات . ويجد حق في « ميتوشالغ » ان شو طور فكرة اللامتسي من حد ادراكه الحاجة الى دين جديد ، الى الحد الذي رأى فيه ان « اللامتسي » تصبح في النهاية مشكلة التاريخ والحضارة . وبعد

« ميتوشالغ » استراح شو فلما المجدول حل بجيبه وقطع بإعادة ما كتبه في السابق . وأما مؤلفه الرئيسي الثاني فقد كان « تحليل المرأة الذكية لدى الاشتراكية » (١٩٢٨) ، وهو إعادة لكل ما كان ذكره في كتابه « كراوية » . وفي فصل عن « الحد الطبيعي للحرية » يبدأ بأن يقول : « لنا مولودين أحراراً ، ولا يمكننا ان نكون أحراراً . وحتى لو تم ذبح كل الطغاة ، فسيظل الطاغية الأكبر الذي لا يمكن القضاء عليه : الطبيعة » (٥٢) .
وانا لنقر بأنه يتحدث الآن عن الاشتراكية وليس عن أهداف الإنسان الرئيسية . وهذا ليس لي وسعاً ان نعرض لاثنتين انه يتراجع في الحقيقة عما كان قاله في « ميتوشالغ » - الا ان صديقه ولتر كان قد ألف كتابه « ملخص التاريخ » منذ فترة وجيزة . وهذا فلم يكن هناك ما يمنع شو بعد تأليفه « الدليل الى الاشتراكية » من تجربة قلبي في فلسفة التاريخ لبحث المسائل الدينية التي كان قد أثارها في « ميتوشالغ » . وكان لي وسعاً أن يبحث مسألة الحرية اللبالية (باعتبارها متميزة عن الحرية الاجتماعية) وكان لي وسعاً ان يوسع ويطور صولية الكتابين شوتوفر . ولكنه بدلاً من ذلك استراح عدة عشرين عاماً ، وصار يؤلف بلا اكترتات ، الأمر الذي أساء اليه وفناه من قائمة المؤلفين الرصينين .

وحين محاول ان تقرأ مؤلفات شو حل ضوء الافكار الوجودية نظهر لنا وضعية فلسفية جديدة ، وضعية لم يكن يدركها هو نفسه ، وهي : انه بالرغم من ان الحقيقة النهائية قد تكون لا حائلة ، إلا أن علاقة الانسان بها ليست كذلك . ان الوجودية تعني ادراك حقيقة ان الحياة راوية صغيرة وصل اليها النظام عرضاً في كون اسمه الفوضى . ويدرك الشر جميعاً هذه الفوضى ، إلا أن البعض يفرون من وجهها ، وهؤلاء هم المتمدون الذين يمثلون أخلية البشر . وأما اللاعتمشي فهو الاسد الذي يواجه الفوضى ، فإذا كان فيلسوفاً مجرداً ، ككوبلر ، فإنه يحاول ان يبين ان تلك الفوضى ليست فوضى في الحقيقة ، وإنما يمكن فيها نظام لا

يدرك . ولو كان وجودياً فإنه سيعترف بأن الفوضى هي الفوضى ، وأنها انكار للحياة - أو أنها انكار للظروف التي يمكن ان تتوفر فيها الحياة . وإذا لم يكن هناك شيء آخر غير الحياة والفوضى فإن الحياة صيغة هالكة - كما يحشد سارتر وكامو . ولكن لو حدث ووجدت علاقة حائلة بينهما ، فن الممكن يجب التناؤم النهائي ، لأنه يجب تجنبه . إذا كان اللاعتمشي يريد ان يعيش على الاطلاق ، وهذه المسألة هي التي محل شو مفتاحاً للفكر الوجودي .

تلكاكت ورد الفعل الطائفة، وصرحات ما بدأ يحيل إلى المشاكل الرياضية التي تفرس
بناه ممكنات الطسارات وتعاميها . ثم انقل بعد ذلك إلى الرياضيات العصرية .
وسجل بعض تعاميه في جماعة الطيران . وبالرقم من ولعه بالمشاكل الطبية،
فان سنوات التروسة لم تكن سنوات سبعة . ويقول صديقه فون وايته (الذي
اعتمدت على وراثة لسيرة تيكستاتين في تعاملي هذه) أن فيكتستاتين كان
يعيش على حافة المرض العقلي . وكان يخشى دائماً أن يصبح مجنوناً . ومن
محتمل أن يكون ولعه في العلم والرياضيات محاولة متصودة من جانبه ليلازم
شيئاً من الميول ، المبهضة الكمية ، في ذهنه . ولوح أن الموضوع الذي تشعب
به معظم كتاباته الهامة بضم في داخله شيئاً من الخوف من الموهوض وحسب
المفوض . وقد أثر عليه مؤلف شونهار ، العالم كإعادة والفكرة ، فأقرأ شيئاً
حين كان في شبابه . وشجعه على نظره الرومانيكية التي كان ذلك الكتاب
قد شجعها في بيته أيضاً . لهذا السبب . مثل بيته ، تماماً ، التقت فيكتستاتين
إلى الدقة والنسب العلين ليصارح بها تلك الميول . (وقد قرأ بيته علم
تلقه أيضاً)

الفصل السابع

ولد لودفيك ليكنشتاين في فيينا في عام ١٨٨٩. وكانت أسرته مرموقة في فيينا. وكان والده مهندساً، ولد ذلك ملك حساسة الفولاد في نساء. وكان ذكياً ذا شخصية قوية. أما والدته فكانت تتميز بطبع الفنان. كانت شاعرة بالهدوء الشديد بالموسيقى، وكانت مسيطرة مقربة لبرامبر. وقد جعلت من بينها مركزاً متميز في منزلهما. وكان لودفيك أصغر أبناء ثمانية كانوا هم من الأربعة. ولد تنضم في البيت حوالي بلغ الرابعة عشرة من العمر. ثم انضم إلى مدرسة في ليت لمدة ثلاث سنوات. وكان مولعاً بالعلوم منذ صباه، ولما زاد اللبوس غمره ان يركب على المنصة. وكان قد أظهر براعة فائقة في علم الآلة. بعد ذلك وقد صنع ماكينة للخيالة حين كان صغيراً. أما في سن مراهقته فقد أصبح يميل إلى الطيران والطائرات. وكان الإخوان وايت قد صنعوا أولى طائرة بقوة محرك في عام ١٩٠٣. وكان ليكنشتاين آنذاك في الرابعة

المجلة العلمية في الدراسات الإنسانية في لبنان، العدد 1، 1997.

الرياضيات . - وكان جي . اي مور في ذروة تألقه . وكان هناك أيضاً ج . هـ . هاردي ، وهو أحد الثالوثين في عالم الرياضيات في ذلك العصر ، وكان هناك أيضاً جي . ام . كينيذ الذي قال عنه رسل إنه يتميز بأفكار ذهنية عظيمة ، وكان هذا اقتصادياً . وكان فنتكشتاين - بطبعه التروتونكي الكبير وانطوائه الذاتي . قد وجد كامبرج أمراً لائق فهمه فقد كانت مملوءة بالميلو القليلة بالنظم والتفكير الحر . ويرى أن فنتكشتاين كان مرة يشرب القهوة مع رسل ومور ، حين التفت رسل الى مور وقال له فجأة : « انك لا تحبني يا مور ، اليس كذلك ؟ » . وفكر مور بعض الوقت ، ثم قال : « كلا ! » ثم انتقل البحث الى مواضيع أخرى . ورأى فنتكشتاين الأمر جنوناً مطلقاً ، وقد ادعته جداً ما رآه من قابلية على تقسيم الذهن الى مناطق متخصصة .

ولم يكرس نفسه للرياضيات تماماً . وظلت الموسيقى من اهتماماته الرئيسية . فقد كان متعادلاً على سماعها منذ طفولته - وصار يقوم بتجارب في الانبعاث الموسيقي آملاً أن يوفق في الفاء بعض الضوضاء على المشاكل الجبرية . وفي عام ١٩١٣ ذهب الى التروبيج وعاش في أحد الحقول مدة عام . وكان « كايين بلده لينوا - الشاعر الذي مات مجنوناً في عام ١٨٥٠ » يؤمن إيماناً عاطفياً ، بالحياة البسيطة . (رغم انه لم يذهب الى أبعد من اعتبار غابات امبركا المكان المناسب للفيلسوف) . وفي عام ١٩١٤ وحتى ١٩١٨ ، أي في سني الحرب ، حارب في الجبهة الشرقية ثم في شمال إيطاليا . ولا أسر في عام ١٩١٨ ، كان يعمل معه في حقبة العسكرية مسودات كتابه المشهور « بحث في فلسفة المنطق » الذي اقترح مور تسمية ترجمته بالانكليزية باسم اقرب الى اللاتينية . وأوصلت المخطوطة الى رسل كينيذ وفريكة . ونشر رسل ترجمة انكليزية له (مع مقدمة أغضب فنتكشتاين) وكان ذلك في عام ١٩٢٢ . ويجدر بي أن اتركك تلحس هذا الكتاب الى ما بعد انتهائي من عرض حياة فنتكشتاين .

وحين ترك فنتكشتاين الجيش في عام ١٩١٩ . كان أول ما فعله هو انه هلك من كل امواله . وكان موت والده في عام ١٩١٢ قد حمله وروياً له و

طالقة . (وكان يهب امواله الى ريلكه - رغم انه لم يذكر اسمه ورغم انه كان يعصر بانه كان لا يميل الى الشعر وبلكه - مدحياً انه شعر مصطنع) ثم قرر أن يكون مدرساً ، وظل يدرس لمدة ست سنوات في مختلف قرى النمسا .

ومن الصعب فهم البيولوجية الكامنة خلف أعماله هذه ، ولعله مشغول يوماً ما وسائل يمكن أن تلقى بعض الضوء على ذلك . ولعل أحد أسباب ذلك أنه كان خلال الحرب قد فقد إيمانه بفلسفة رسل « فلسفة الرياضيات » ، وبدأ يبحث مشاكل الشخصية . والارادة الحرة ومعنى الحياة والموت . (وكانت النتيجة أن وجدنا « البحث » ينقسم الى قسمين مختلفين من اقسام التفكير ، لا يتعلق باللفظ الا اولها فقط) . ولكنه كان قد قرأ مؤلفات تولستوي الأخيرة أيضاً ، وأثرت عليه تأثيراً كبيراً . وبدأ يقرأ الانجيل أيضاً . وقد امتنع في « البحث » أنه كان قد حل كل مشاكل الفلسفة . ولا شك في انه شعر بأن المرحلة التالية كانت مرحلة المأزومة الروحية . والضبط الذاتي نصف الديني . ولعل ما جعله يتخار حياة التدريس لم يكن يختلف عن الدافع الذي حدا به ت . ي . لورنس الى الانضمام الى سلاح الطيران .

وعلمت ست سنوات قضاها مدرساً انه يتخلى عن ثروته قد حرم نفسه من وقت الفراغ ، وكان غشله في حياة التعليم بين القرويين لا يقل عن فشل فان عوج في سعادة بوريناج . لقد كان أولئك القرويون نافهين مضايقين . وفي عام ١٩٢٦ ترك التدريس الى الابد . وكان بلا مال ، وفي حاجة الى ما يسد رمقه . وفكر أولاً في دخول الدير - والحق انه فكر بذلك عدة مرات خلال حياته . واشتغل بالقليل مساعداً لجنائي في دير قريب فيينا ، وذلك لانه لم يريد ان يطيع بقائه في الدير بطابع ديني . وكان في ذلك الحين قد صار لاعتماً تماماً ، ولم يكن يعرف ما يفعله ، أو جانباً بشي اليه . ومن حسن حظه أن جاءت إحدى شقيقاته لاتقاده . وطلبت منه ان يصمم ويبنى بيتاً لها في فيينا . وقضى ستين في هذا العمل . وكانت النتيجة أنه أتم بيتاً رائعاً جميلاً مبنياً بالاجتهاد والرجاح والبرولاد . وكان في تلك الاثناء قد مال الى النحت أيضاً . وصار ياربعاً في صنع

ومن الملاحظ ان الفلسفة الرومانتيكية الألمانية في القرن التاسع عشر استغضت هذه الطريقة في التفكير (« شطايا نرفاليس الفلسفية » على سبيل المثال) . كما ان كثير كمعاد اختار عنوان « شطايا فلسفية » (أو مزق) لواحد من كتبه ليؤكد على كرهه للكتب الضخمة المنسقة .

وفي عام ١٩٣٧ حصل فكتشتاين على كرسي أستاذ الفلسفة في كامبرج بعد مرور . الا انه لم يكن أستاذاً شديداً الاهتمام باتباع الأشياء المقررة سابقاً . كثيره من اساتذة الجامعات . وكان يلقي محاضراته في منزله . ولم تكن غير مناقشات يحكم بزمامها يسيده . ولم يلبس ربطة عنق . وإنما كان يرتدي ستره عتيقة . أو ستره جلدية على قبض ناعم . وكان يكره كامبرج والحياة الزائفة فيها (وقد أنكر كارل برينون مرة انه لم يعرف أنه كان قد عاد الى كامبرج الا حين سمع طالباً يقول لآخر « آوه ، حقاً ؟ ») . ولم يتناول طعامه على مائدة فظة يوماً - اذ لم يكن ميالاً الى الأحداث المسقة . وقد حدث مرة أن دعي الى واحدة من هذه المناسبات . ولكنه سرعان ما غادر الحفل واضعاً يديه على أذنيه . مناوفاً . وقال : « انهم لا يستمعون بفلك البتة » . ولم يكن منزله ليحوي غير فراش ومنضدة صغيرة وكرسي صغير . ولم يكن يملك كتباً (لأنه كان يشعر بان قراثة الكتب تمنع الناس من التفكير لأنفسهم) . ولم يستطع مور أو رسل أن يشعرا بالمثل يوماً الى تيوتونيت وروسانته . وكان مور يخضر مناقشاته وهو معارض دودا . (وقد اعترف بعد ذلك انه لم يفهم الا القليل مما كان يقال) .

وكان يلجأ في ذهنه فكرة تقول إن ما يدعوه الناس الفلسفة ما هو الا أسماء مهملة . وهو يقول في « الأخوات » : « الفلسفة هي معركة ضد حواسنا » . يحدم فيها أفكارنا . . وكان ما أراد ان يعمله في الفلسفة نفسها كما أراد جيمس جويس أن يفعله في الأدب . اذ لم يرد جويس أن يذهباً ويوضح مداه من ماريش تشار المواقف . وإنما أراد أن يوضح . حديد في الكتابة . في حين ان العامة والمؤلفين وغيرهم

وبالرغم من اختيار فكتشتاين العزلة لنفسه ، فإنه لم يكن منزلاً ككل الانعزال عن حياة عصره الفلسفية . وأقبل فرانك رامزي (الذي كان طالباً في كامبرج ، والذي وضع دراسة مستفيضة عن كتاب فكتشتاين) « وأراد أن يزوره » . وكان هناك أيضاً أستاذ من اساتذة فيينا ، اسمه موريتز شليك ، وكان مولماً بزيارة فكتشتاين ومناقشته . وكان شليك ينتمي الى « مفكري فيينا » ، الذين يجرون الأوايل بين الانجائين المنطقيين . ولكن فكتشتاين نفسه لم يكن انجائياً منطقياً (والانجائية المنطقية نوع من المادبة الماركسية في الفلسفة) .

وأعاد فكتشتاين الى الفلسفة محاضرة ألقاها برووار بالديسي . ويمكننا اننا نقول عنه انه انجائي منطقي رياضي . في عام ١٩٣٩ عاد الى كامبرج . وحصل على الدكتوراه بأن قدم « البحث » كأطروحة . وفي عام ١٩٤٠ صار زميلاً في جامعة ترينيتي .

وفي السنوات القليلة التالية فنكر لعدد من الأفكار التي كان قد وضعها في « البحث » . وبدأ يضع نظرية جديدة تماماً في اللغة . وصارت هذه النظرية بعد ذلك . كما هي الحال مع « البحث » ، أساساً لدراسة فلسفية عرفت باسم « مدرسة التحليل اللغوي » . وهكذا يكون فكتشتاين مؤسس مدرستين من المدارس الثلاث الرئيسية التي ظهرت في الفكر الإنساني في السنوات الثلاثين الأخيرة . أما الثالثة فهي الوجودية بالطبع . وسأحاول أن أبين كيف ان نظريته هي أقرب الى الوجودية منها الى المدرستين الأخرين .

وفي عام ١٩٣٥ فكر في الاستقرار في روسيا . ولكنه اسقط الفكرة من حسابه بعد ذلك - ولعل ذلك كان بسبب التطهير الذي قام به ستالين . ولكنه زار روسيا ثم زار النرويج مرة أخرى حيث عاش وحيداً في كوخ لمدة عام . وبدأ بتأليف كتابه الثاني « بحوث فلسفية » . وحاول عدة محاضرات لوضع خطة عامة للكتاب . ولكنه كف عن ذلك نهائياً . وترك الكتاب مارة عن مجموعة من المذكرات والأقوال الحكيمية (وقد نشر في عام ١٩٥٢ بعد موته) .

ذلك كانت تمنحه من ذلك ، وكان في الحقيقة يقوم بتجارب في اللغة .
وكل ذلك كان فنكشتاين . وقد كان « البحث » الذي كتبه يشبه « بوليس »
بجيمس جويس : نوعاً من رشاشة يصلي بها كل النماذج الفلسفية السابقة .
وكان سيكون المحمداً من جانبه إلى القوة الحقيقية لو أنه حاول أن يغلف
فلسفة رسل ووايتهد . وبدلاً من ذلك ، فإنه ركز جهوده على مشكلة
« الطريقة الجديدة » في الفلسفة ، والاستخدام القوي الجديد للغة ، وبث
الحياة في لغة الفلسفة . وهو لا يقوم في « الأبحاث » إلا بوضع أسس تلك
الطريقة ، قبل ، ان يشرع بالفلسفة .

ولم يكن سعيداً بوظيفته في كامبرج . وفكر في نبذ تلك المهنة وأراد
أن يصبح مديراً موسيقياً . ولا اشتغلت نيران الحرب رأي فيها محرراً
له من لقاء المحاضرات ، وذهب إلى لندن خلال الفترات الجوية الصعبة .
واشغل في أحد المستشفيات ، ثم ذهب إلى نيوكاسل ليحصل في خبر
طبي . (وكان قد فكر قبل ذلك في ترك الفلسفة ودراسة الطب ولكنه لم
ينفذ فكرته تلك .)

وفي عيد عام ١٩١٧ التي محاضراته الأخيرة في كامبرج ، ثم فكر في
المعودة إلى حياة الوحدة والتأمل من جديد . وفر رأيه هذه المرة على
أيرلند - الساحل الغربي ، قرب غالوي . وهناك هناك في كوخ
واهمك في تأليف « الأبحاث » . وكان الناس الذين عرفوه هناك يتحدثون
عن قوته الغريبة على الطيور . وقد أخبرني أحد سكان تلك المنطقة أنه رأى
فنكشتاين مغطى بالطيور ، إلا أنها طارت جميعاً حين اقترب منه .
ولكن الحياة في الكوخ صارت قاسية جداً . خاصة حين حل الشتاء .
وفي نهاية عام ١٩٢٨ انتقل إلى فندق في دبلن حيث انتهى « الأبحاث » .
وفي عام ١٩٢٩ سافر إلى الولايات المتحدة ثم عاد إلى كامبرج . وهناك
عرف أنه كان مصاباً بالسرطان . ومات في عام ١٩٥١ . وقد استمر
السنوات الأخيرة من حياته في العمل المتواصل الذي لم يتوقف عنه إلا في

الأيام القليلة التي سبقت وفاته . ولم ينشر من « الأبحاث » حين كان مستمراً
على تأليفها إلا جزء واحد في عام ١٩٥٧ .
وكت قد قلت توأ ان فنكشتاين كان يعتقد بأن عنه قد حل جميع
مشاكل الفلسفة ، وبمكتا بضخص الكتاب أن نعرف لماذا كان
يعتقد ذلك .

هناك ، كما قلت سابقاً ، اتجاهان في التفكير في « البحث » : الأول
هو نتيجة دراسة لرسل وفريكه ، ولا نجد داعياً لتخصيص هذه الفكرة هنا
مطلقاً . ولكننا نستطيع أن نلخص النتائج التي يصل إليها ، فهو يقول ان
كل الفرضيات المهمة هي « حقائق مبنيّة » من الفرضيات الأولية .
(« الحقيقة المبنيّة » من فرضية بسيطة هي فرضية تصمد حقيقتها على حقيقة
فرضية بسيطة ، فإذا قلنا فرضية بسيطة مثل « هنتر ميت » فإن « الحقيقة
المبنيّة » تكون عبارة مثل : « لا تهرور في ألمانيا اليوم لأن هنتر ميت » .
وأدى هذا إلى ان يعرف فنكشتاين « الحقيقة المطلقة » بقوله أنها تكرار .
وعمل كل حال لأن هذا المظهر من مظاهر البحث ، لا يهنا هنا ،
ولم أذكره إلا لإكمال عرضنا له . أما المهم في « البحث » فهو أنه
يحدد الفلسفة .

ويصل فنكشتاين هذا بتعريف اللغة قالاً : « أنها صورة الحقيقة »
أي ان كل ما هو غير حقيقي لا يمكن أن يقال .
ثم يال : وما هو الحقيقي ؟ وبجيب :
« كل حقائق الكون » . وبدأ الكتاب هكذا : « العالم هو كل ما هو
الحال » ، (أي ان العالم هو كل ما يستطيع المرء أن يقول عنه : « هذا
صحيح » - العالم هو كل حقائق الكون » .
ثم يشر (الفرضية ٦ / ٤١ - والبحث مقسم إلى فرضيات مرقمة
لعرض الموضوع) :

« ان معنى العالم يجب ان يكون خارج العالم . فكل شيء في العالم هو

كل ما هو - يحدث كما يحدث - وليست فيه أية قيمة ..
ومعكنا ، فليست هناك فرضيات اعتدالية . لأن الفرضيات لا تستطيع
أن تنبع عن شيء أصح - ومن الواضح أن الأخلاق لا يمكن أن تنبع عنها .
٢٣ - ولا نستطيع أن نتحدث عن الإرادة من حيث حدوثها
للأخلاق (٢)

وبعبارة أخرى . وأنه ليس من شأن الله أن يحاول التعبير عن الفرضيات
المساهمة بالأخلاق أو الإرادة أو الحياة أو الموت . فإذا كان معنى العالم
يمكن خارج العالم . فأننا لا نستطيع أن نعبر عنه بالله التي لا تنبع إلا
عما هو في العالم .
ويستمر فكشائين ليبر عن بعض الأفكار بشأن الموت والحضور
والموضوعات المتداخلة بها :

وإن الموت ليس حادثاً في الحياة . والموت لا يحدث
إذا كانت الأهمية لا يقع منها الاستمرار الوقت الذي لا نهاية له .
وأما اللاهوتية . فإن كل من يعيش الآن يعيش أبداً . (٣)

وهنا يمثل البحث . إلى عالم التصوف . أن العيش الآن . لا يعني
الأيقورية . وأما يعني تلك اللحظات التي يعيشها شخص دوسوفسكي .
اللحظات التي تعادل كل واحد منها مليون سنة . ثم يستمر فكشائين
مكتراً مفهوم خلود الروح (بلطف المسيحي) ، وسألك

هل يحل عيشي إلى الأبد أي لأز (١) . وإنه بعد لا يباحي لا
ما يمكن أن يدعى المسيحية الساذجة . أو الفكرة الروحية للقائمة بأن
الإنسان يستمر دون تنبع في عالم آخر بعد الموت . ونحن نعرف ذاتي
الإنسان . حبل تماماً التعبير عن الرؤيا السعيدة بالكلمات . وهو كما يقول :
يقضي منه فكشائين كل الاتفاق . أو . كما نعرف . - إلهي مطلق
موجود حين قال . وأن ما لا يمكن أن يقال لا يمكن . بل لا
يمكن أن يفسر به . (ونذكر هنا أن جون فالفير بعد هذه الجملة

مع هنري شريكو في الفصل الثاني من : الإنسان والسيرومان (٤)
وسألك فكشائين

٥ . إلا تحييراً لطيفاً الإلهية كما تحييراً حياتنا هذه ؟ إن حل لنز حياة
المكان والزمان يمكن بخرج المكان والزمان ... ولا يتركز التصوف في
كيف . هو العالم . وأما في : الله هو (٥)

وهذه هي صيغة كبر باول في : الشياطين . أن مجرد وجود شيء
هو حقيقة صورية . ورقة أو حبة رمل . ويستمر فكشائين فالفلا
أن الشعور بالعالم ككل محدود هو الشعور الصوفي .
لأنه لا يمكن التعبير عن السؤال الذي لا يمكن التعبير عن جوابه
إن الفكرة غير موجود .

ولو كان في الوهم وضع السؤال . ففي الوهم . الإجابة عليه .
لأننا نشعر بأنه حتى إذا كان في الوهم أن نحب على كل الاستدلال
لعلمية الممكنة . فإن مشاكل الحياة تظل غير محلولة . طاقاً . وبالعالم لا
يقضي بعد ذلك أي سؤال . وهذا فقط هو الجواب .

إن حل مشكلة الحياة يظهر عند اختفاء هذه المشكلة
(ليس هذا هو السبب الذي جعل البشر الدين ... تصبح مع معنى
الحياة . لا يستطيعون أن يقولوا أي شيء عن هذا المعنى)
مناقش حقا ما لا يمكن التعبير عنه . وهذا يكشف : عن معنى
الروحاني

(لاحظ هذه الحقيقة الصوفية التي تكشف عن نفسها رغم أنه ليس في
أوسع التعبير عنها)

أما الطريقة الوحيدة لفلسفة طيفي . إلا يقال إلا ما يمكن أن يقال في
أرضيات علم الطبيعة . أي الشيء الذي لا علاقة له بالفلسفة . وإذا أراد
أحد آخر أن يقول شيئاً ميتافيزيقياً . فوجب دائماً أن يذكر أنه لم يعا
من لاشارات وقد يكون هذا الشر

هنا الآخر - وإنما ستكون الطريقة الوحيدة للضبطية .

وعلى هذا فإن فرضيتي واضحة : ان من يفهمني يدرك نهايتها أنها لا تعني شيئاً ، إذا نفذ فيها ، عليها ، فوقها . (ويجب عليه إذا جاز لنا القول ان يخلط بالسلم بعد أن يكون قد تعلق عليه) .

عليه ان يرقى فوق هذه الفرضيات ، ليرى العالم بصورة صحيحة :

على المرء ان يصمت ولا يذكر ما لا يستطيع أن يقوله (٦)

وهذه هي العبارة الأخيرة في « البحث » . وكنت قد ناقشت من الصفحات الثلاث الأخيرة معظمها تقريباً ، وإنما حذفت أرقام المقاطع . وليس هذا الكتاب ضخماً - فهو لا يعدو ثمانين صفحة ، ومع ذلك فقد استطاع فتكشتاين في هذه الصفحات الثمانين أن يقول أكثر مما قاله معظم الفلاسفة في ثمانمائة صفحة . ويصير حديثه عن « الله السلم » محاولة منه لسبق الاعتراف التالي : إذا كانت كل العبارات عن معنى العالم لا معنى فيها ، ترى ألا يجعل هذا عبارات فتكشتاين نفسها ، في « البحث » ، عديمة المعنى أيضاً ؟

إذا كانت عبارة ما « عديمة المعنى » لأنها تشبه سلباً لا درجات فيه ، ولأنها فلا يستطيع أحد ان يرتقي عليه . وإذا استطاع أحد ان يصعد عليه الى درجات أعلى من الحكمة ، فإنه ليس حديم المعنى بالمعنى بالمفهوم الذي ذكره فتكشتاين حين قال ان الميتافيزيقيات عديمة المعنى . ان عبارته هذه تشبه العقيدة البوذية التي تفترض إعادة الأرواح الحكيم عدة مرات حتى يتضح معناها . فإذا تم ذلك ، فلا داعي لاعادتها بعد ذلك . ولقد حاول فتكشتاين ، باعتباره استاذاً للفلسفة ، أن يفعل ما كان يبتغى بهدف اليه : ان يثير الناس ليفكروا ، لا ان يقبلوا ما يقوله لهم وحسب .

ولنحاول الآن ان نلخص ما يريد فتكشتاين أن يقوله في « البحث » لنوضح تلك المقاطع المظلمة . ان اللغة هي صورة الحقيقة . تماماً كما يحدد الصور الموضوعية في الاعلانات تمثل حقيقة المنتجات الملصق عليها . ولهذا

فان اللغة لا تستطيع ان تصور إلا ما « هو » بالفعل . وما الثاني « هو » ؟ كل حقائق العلم ، أي ليست الأشياء الموجودة في الكون وحسب ، وإنما كل لتتراج يمكن بين هذه الأشياء أيضاً .

إذا كان هناك معنى للحياة - فلا بد انه خارج الحياة ، أي انه موجود في الحياة باعتبارها كلاً . وهكذا ، فإن كل الميتافيزيقيات (التي تتحدث عن الله ، والهدف ، والخير ، والشر ، الى غير ذلك) لا معنى لها ، لأنه لا يمكن التعبير عنها باللغة . وهذا لا يعني ان « الله ليس موجوداً » . أو « انه لا يوجد هناك ما يسمى خطيئة » ، وإنما يعني انه اذا استخدم المرء كلمة « الله » في عبارة منطقية فإنها تجرد العبارة من المنطق ، تاركة إياها عديمة المعنى .

وعبارة « الله غير موجود » (أي « لغير الحياة ») صارت بعد ذلك سلباً في يد الإيجائيين المنطقيين يشنون بها ان كل المسائل التي تدور حول معنى الحياة هي عديمة المعنى . وهم في هذا يشجعون منطقيين سابقين يتحدث فيها فتكشتاين عن اللغز بوضوح : « ألا نجربنا الحياة الأبدية كما نجربنا هذه الحياة ؟ » ان حل اللغز يكمن في خسارج المكان والزمان . كما ان آخر عبارة من عباراته تشير . كما قال ذاتي أيضاً ، الى ان المرء يصل نقطة معينة لا يستطيع بعدها ان يستخدم الكلمات . وقد اقتطف الإيجائي منطقي عبارة فتكشتاين الأخيرة : « على المرء ان يصمت ولا يذكر ما لا يستطيع ان يقوله » ، واضافة عليها : « هنا حسن - على شرط ان نكون متفقين على انه « ليس هناك شيء . نصمت عن ذكره » . إلا ان فتكشتاين قال بصراحة ان هناك ما يجب ان نصمت عن ذكره . ولهذا فان المنطقي الإيجائي لم يكن يتحدث إلا عن مزاجه الخاص - عن مزاج انيائي - وكان يحاول ان يعلن ان ذلك يناسب العالم كله . (ويبحث ولم يجس هذا مفصلاً في « انواع من التجارب الدينية » .

وهكذا فان الإيجائي المنطقي يصر على احوال عبارة فتكشتاين القائلة بأن

صادقين ، اننا نستطيع ان نرى شكل الغازومتر من خارجيه لا من
داخله . ولهذا فان شكل الغازومتر لا يمكن ان يكون في الغازومتر .
وكذلك معنى الحياة ، فهو لا يمكن ان يكون في الحياة . ولكن هذا
لا يعني ان الانسان الموجود في الغازومتر يجب ان يخرج من لوى شكله .
كل ما عليه ان يفعله هو ان يوجه انفسه الى المستقبل ، وبذلك يتضح
الشكل في الداخل اتضاحه في الخارج . وهكذا في الوضع اكتشاف معنى
الحياة بالقطرة للصوبة ومن الاعمال .

والمعروف في "أي" وبين ان هناك قطرة يكف فيها الانسان عن
الحديث ويبدأ بالخضوع للنظام ، وقد نضع فتكشتاين تحت تأثير وصل الذي
كان بلين والسا بأن الانسان يستطيع ان يتحدث عن طريقه الى احواله يكون ،
وان المطلق يكفي لذلك . وقد كان البحث في مثل ثورة فتكشتاين على هذا
الرأي ، كما كانت حياته نفسها بكل ما فيها من اللقطة والتغير الدائم والخوف
من الجنون والرهبة المتجذرة في المشاكل جديدة من التعبير الذي تمثل ذلك
ايضا . بل ان فتكشتاين ليعت لنا ان مشكلة التعبير الثاني هي مشكلة اللامتسي
الرئيسية ، فقد صار مهنتاً وحالاً ورياضياً ونساذاً وراجياً وعائاً وطبيعياً
وموسيقياً وعاملاً . وفي نهاية البحث ، أدرك ان الوقت قد حان له ليصنع
ويبدأ بالعمل ، مستلياً لنظام اللامتسي . ولكن ، معه ، لم يكن مرغياً ،
شأنه في ذلك شأن هان غوخ ولورنس ونجسكي .

لقد كان فتكشتاين حلالاً متحرراً ، وكانت تلك هي مشكلته . ولو انه
الظل من البحث ، الى تأليف قصة مثل الاشيرة كاراماروف ، ومن قبله
على التوصل الى السامادي ، كما فعل راماكريشنا ، وكافح ليجتهد لعله
للتذكر الذي كما فعل اوسبسكي ، لتوفر له التعبير الثاني . ولقد كان يعرف
الوضوح ، مثل غورديف ، ان هدفه الانسان الوحيد من المعرفة هو ان يكون
أكثر . وهو يعرف عن هذا في الاعمال الفلسفية والبرهانية ، ويعتقد ،
واما خلق يتضمن اللفظ بنائية وحس . لها اداة القاسم . وقد كان يدركه

انه كان يستطيع ان يصل الى مرحلة يستطيع فيها ان يعبر بوضوح واضح . ولكنه
مع ذلك لا يستطيع ان يغير نفسه . فتمسكه هدف واحد ، كالقن ، وهذا
الهدف هو : امتلاك الانسان على وجهه . ونحن نعلم الفلسفة الصغير لأول مرة
ان يستخدم عقله لان ذلك بشره بقوة وتلذذ بقوة العقلية . وفي هذه المرحلة
يساعده استخدام الخلق ليعتد في تغيير نفسه وتطويعها . واذا ظل تلميذاً ذكياً
لاحماً ، ولكنه غير ناضج عاطفياً وجسدياً ، فانه يكون أسوأ من الفلاح العادي
الذي يجده على الاقل يعيش حياة متوازنة .

وقد ساء القرن العشرون بعدد هائل من هؤلاء ، التلاميذ الاديكار . وما
برتراند رسل وآرثر كوبرنر وأندوس هكسل الانماذج . ولكن من غير العدل
أن ندعي أن هؤلاء هم الامثلة الوحيدة . ويصير التلميذ الذكي ، صورة مطابقة
للمضادة الغربية . فهو ناضج ذهنياً ولكنه غير ناضج في الامور الانسانية .
أهل فنن ، اذكياء ، أكثر مما يجب . وقد كان شكبير بينهم شرط الحياة
الاساسي حين مدح بروكس بعبارة : كان هذا رجلاً . ان الحياة يجب ان تكون
كاملة متعادلة . وعلى المضادة أيضاً أن تكون كاملة متعادلة اذا ارادت ان تحيا .
في حين ان الفلسفة المجرعة هي علامة المضادة الغربية ، واللامتسي هو
الانسان الذي يتورع على التجريد وعلى حضارته التي سقت نفسها في حين انها
ما تزال طفلة . اللامتسي هو الانسان الذي يتعرق شوقاً للعودة الى الخائيس
القديمة - الخائيس التي تعتبر ، للدكاء ، شيئاً خاصاً بالعقل فقط ، وان الحكمة
هي مزيج متقد من العقل والعواطف والوجد .

وقد فشل فتكشتاين كما فشل جميع اللامتسين الذين بحثنا أمرهم . واما
قياس فشله فيمكن ان نلخصه في اثنين : فترتان باسمة هما الاجابية المنطقية
والتحليل الغوري . والتحليل الغوري ينحصر بتحليل ما كان قائله فلاسفة الماضي
لنفسهم . ولكذلك لا يستطيع أن يقول ذلك . أو هذا عدم المعنى ...
نقل ما كان يحتاجه المحلل الغوري في الواقع هو أن يقول ان الفلسفة المجرعة
هو مصد قياسي من لاسها ، بدلاً من أن يفرق في تحليلاته المملة ، اذ لا

جنه في هناك في بحر حسان ميت . ولكن فنكشتاين فشل لأنه لم يستطع أن يقاوم أمراء العقل . ولم ينبع العقل كل شيء ، ومنه خلقا بصورة قائمة . وكان عليه أن يعود إلى التفكير والتخيل . لأن ذلك كان أسهل على ذهنه من أي شيء آخر . والعقل وحده هو شيء قاتل . ولهذا لم يفلح فنكشتاين في استسلمه هائلا لنفث التفاهة . بل لم تكن له القوة والأدراك اللذان يمكنهما أن يتغلبا على حدود العقل . وبالرغم من أنه لم يفلح إلا يمكن للإنسان أن يتحدث عن الأشياء العامة حقاً ، إلا أنه استمر يتحدث طيلة حياته

ولا أقصد به أن المال من أهمية فنكشتاين ، فهو واحد من عارضة أوروبا الكبرى بعد ديكرات . وكان مثل لينته . شعر بأنه كان بكم نوع جديد من البشر . وأخيراً أن الناس لم يهتموا أهمية به . ولأن عقله ذلك إلا بعد أن نشر كتابه كاهن ويلف تاويج مطول من حياته

وأما الفرد ثورث وايتهد قبل فنكشتاين فكان :

أعتقد أن أهميته عند فنكشتاين ، لأن اسمه شمس من جوانب الحياة من الواضح التي تشمل عليها نسخة فنكشتاين ، ويمكن أن نحسن فهمها إذا أخذنا على غيره . فثورث . ومن الناحية الأخرى التي لا ريب أن أقدم صورة كاملة من تفكير وايتهد ، لأن فلسفته صفة بركة . لا اختصاص ، ولأنه لم يهتم بها أن يقرأ إلى ذكر كل شيء . من

من لهذا الإلهي كما يستطيع أن يتوله من حياة وايتهد ، ... الخلق الذي نمره . مأخوذ من تجديده كتابه هو نفسه لكنه ظهر ... الفلاسفة الأسماء . وقد ولد في عام 1871 . وأما كتابه ... شيئاً بروتستانتي . وقد وفق لمعوله نرواوب في قصصه . وقد اطلع في ذلك الوقت ... قصة ويتشوروي ، التي تبدأ في لوموان والفرديس أو غططه ...

فرد ثورث وايتهد السادس عشر والسابع عشر . ودخل مدرسة شاربورن حيث كان في الخامسة عشرة . وللقانون أن الملك الفرد الكبير كان للبيد في هذه المدرسة كما أن المدرسة تصمم هنداً من قبل أمراء الساكسون . وبعد أربع سنوات دخل كلية تريتي في كامبرج . وأحب وايتهد المكان . بعكس فنكشتاين ، وظل هناك للآتين عاماً ، تلميذاً في البداية ثم استاذاً . وصار زميلاً في تريتي عام 1888 . ومارس عيشاً واحداً . ثم عمل استاذاً للرياضيات ، وكان برنولد وصل ، أحداً من تلاميذه . وتزوج في عام 1890 . وكان للبيد في زواجه على غير المعتاد . وعاش وايتهد وزوجته في البيت الذي عاش فيه روبرت بروك في فرانكسبر . وفي عام 1920 انتقل إلى لندن . وبعد ذلك أمضى حتى عام 1924 كان وايتهد استاذاً في الكلية الإمبراطورية العلوم في كنسغ . وفي عام 1924 دعي وايتهد إلى جامعة هارفرد . وقد عاش ودرس هناك إلى أن مات في سن السادسة والثلاثين . وكان ذلك في عام 1927 . وقد كانت حياته بصورة عامة هذه معتدلة . - الحياة المثالية سيانور

ولم يرحم وايتهد حظه حتى في أميركا . وعمله الثاني . ولم يعد يلعب شيء من مؤلفاته في الكثرة . ما عدا العلم والعالم الحديث ، و ، مفاهيم الأفكار ، الذي توحيد منه طبيعة شعبية الآن ، وعمومه مقالان

وتجمل عظمة وايتهد في أنه بدأ في الفلسفة مجرداً ، موضوعياً ، ثم صار يرفض التجريد شيئاً شيئاً إلى أن صار من أوسع وأعمق الدهنيات بعد الملاحون .

ويمكننا أن نقسم مؤلفاته إلى ثلاث فترات : الرياضيات ، والعلمية ، والفراية . فثورث . وتبدأ من هذه الفترات الثلاث الفترة الأخيرة ، ولكنها مع ذلك سر من محضراً لتقريبه الأولى والثانية

كان كتابه الأول هو ، الجبر ، . ولم يكن هذا الكتاب معداً للتدريس في من (كما قد يفهم من العنوان) وإنما كان محاولة لاختراع طريقة للوصول إلى منطقية بولسقة لرموز . ويمكن أن يفسر في هذه المعركة ، إذ ذكر ... أن استطاع أن يتوصل إلى التعبير عن الأفكار بالرموز الجبرية . عاد فكتب

كله سيصبح علماً متركزاً على هذه الرموز فيما بعد. ولومض ليعترق تفهيد فكرته هذه، ومن قرن ونصف من الزمان، وظهور فساد عيني اسمه بول في الكتابة، واختراع منطقاً رمزياً وتحدث عنه في كتابه «قوانين التفكير». وقرأ وايتهيد هذا الكتاب، ثم قرأ آراء ألدري في كتابه «فلسفة ذلك ان يحاول انتزاع عدد من الرموز، بهدف منها الى «أن كل تفكير جدي عما هو ليس بفلسفة... ولا أدباً خيالياً، يجب ان يكون رياضياً...» (٧). ويجدر بنا أن نلاحظ هنا ان وايتهيد يستبعد الفلسفة، ويختلف عن رسل الذي كان يعتقد بأن الفلسفة هي متعلق حتم.

وأما كتابه المهم الثاني فهو «المقاصد الرياضية لعالم المادي»، وهو يستلزم فيه آينشتاين في بعض المفاهيم عن نظرية النسبية العامة. (وقد قرأت أطروحة وايتهيد في الجمعية الملكية في عام ١٩٠٥، وفي ذلك العام نفسه ظهرت أطروحة آينشتاين عن النسبية).

وفي عام ١٩٠٣ كان رسل قد ألف كتابه «قواعد الرياضيات» الذي بحث فيه بعض الاسس التي كان وايتهيد قد بحثها في كتابه الاول، وهكذا انضم وايتهيد ورسل على العمل سوياً لتوسيع العمل المنطقي. ولاحقاً انتشرت أعمالهما متواصلة جدياً، وانتجا بعد ذلك كتابهما المشهور «Principia Mathematica». وقد كان رسل ووايتهيد يعتقدان بأن الرياضيات هي فرع من فروع المنطق، وأنه لما كان جميع المقاصد الرياضية يمكن أن تحول الى منطق. وهذا هو ما يسطع به كتاب «Principia Mathematica». ولما كانت الكتاب شديد التعقيد بل انه اساندة الرياضيات انفسهم يجدونه شديد الصعوبة. فامنا لا نستطيع ان نقرر ما اذا كان ناجحاً او فاشلاً. ومن الامثلة على الصعوبات المتعبة التي كان على رسل ووايتهيد ان يواجهها «مشكلة مشهورة ادركها رسل أولاً» وهي تسمى مشكلة المجموعات التي تنتمي الى نفسها (والمنجرفة هي عدد من الاشياء: فالدوات الشاي هي مجسرة، وكذلك مجموعة اللاتس اللاتسجة)، وهناك نوعان من المجموعات، العادية ومرتبة العادية. والمجموعة فوق العادية

هي المجموعة التي تنتمي الى نفسها باعتبارها واحدة من الاشياء الموجودة في نفسها. فمثلاً: «مجموعة كل المبادئ الثلاثة من سبع كلمات تنتمي الى نفسها لانها هي أيضاً عبارة تضم سبع كلمات. ولكن هذا النوع من المجموعات غير مأروف، إذ ان معظم المجموعات لا تنتمي الى نفسها: مجموعة الاشياء التي هي مرتبة كلها، ومجموعة الأشياء الطبيعية كلها، وهكذا، وهذه هي مجموعات عادية. ولتتناول مجموعة «كل المجموعات العادية»، ولندعوا من قبل ان س تنتمي الى نفسها؟ اذا كان الجواب كلا، فامنا لا يمكن أن تكون مجموعة «كل» المجموعات العادية. أما اذا كان الجواب نعم، فان س هي مجموعة غير عادية وهي تنتمي الى نفسها... وهذا مخالف لتعريف الذي يقول ان س هي مجموعة كل المجموعات العادية.

ولست هذه المسألة عامة أو عميقة. وهناك مسألة أخرى مشهورة أيضاً. فلماذا قلت انني أكتب وأكتب بالفعل، فاني أقول الحقيقة، أما اذا قلت انني أكتب والي أقول الحقيقة خطأ فاني أكتب. وحل كل حال لم يجد الرياضيون يتلاقون بحل هذه المسألة الثانية.

ومن عام ١٩١٩ حتى ١٩٢٣ ألف وايتهيد ثلاثة كتب: «المقاصد المعرفية الطبيعية»، «مفهوم الطبيعة»، و«النسبية». وهذه هي مؤلفاته العلمية. وقد كانت محاولات لوضع فلسفة طبيعية. وقد حرق الطبيعة كلها... التي فلاحظها.. بالحواس. وبعبارة أخرى فان وايتهيد حامل الطبيعة بعكس الفكرة الموجودة تماماً، لأنه نظر اليها وكأنها تقع في نهاية نسكوب. وهذه الطريقة المألوفة بالنسبة للعالم (الذي يعتبر الطبيعة شيئاً موجوداً في نهاية النسكوب - أو الميكروسكوب) هي طريقة «الفلسفة المجردة». أما بليك وورد زورث فقد اعتبروا الطبيعة كلاً حياً لا يمكن أن يفهمه أحد الا اذا اعتبره انكساراً في أو الروح الانسانية. واستمر وايتهيد في تحليل المكان والزمان وجبر الأبعاد الأربعة عن اجل إيجاد فلسفة كاملة فطبعة، ما تقرأ اليها كما ينظر اليها العالم. ولكنه سرعان ما

أيدىواجه المصاعب . فقد اكتشف ان الفيلسوف سرعان ما يجد نفسه مضطراً الى الحديث عن الذهن الذي يقوم بملاحظة الطبيعة . ولا يسعنا في هذا المجال ان نذكر كيف حدث ذلك (بالإضافة الى ان هذه الكتب الثلاثة مملوكة بالمصطلحات الرياضية وبمسائل المكان والزمان والحوادث وغير ذلك من الأمور التي لا ينهها الا التقاربي الذي كان قد قرأ كتيبه السابقة) . وكل ما علينا ان نقوله هو أن وابتهد بدأ يشعر بأن البحث العلمي في الفلسفة أمر مستحيل . وبدأ ذهنه المنطق يتقاصر بمآله عن دور الانسان الذي يقوم بملاحظة الطبيعة . فلي ، قواعد المعرفة الطبيعية ككتب يقول : « ... لن نحل شيئاً من التعقيدات الخاصة بالطبيعة - بمجرد صودنا الى اعتبار أن الذهن يعرفها . » (٨) ولكنه صار يكتشف أيضاً أن فكرة « الذهن الذي يعرفها » لا يمكن أن تنبأ نهائياً . وليس ذلك وحسب وإنما ادرك انه لا يمكن أن تكون هناك فكرة عن الطبيعة دون ان تكون هناك فكرة الذهن الذي يعرفها .

نرى في أي شيء يختلف وابتهد في نظريته النسبية عن نظرية آينشتاين ؟ لا يمكننا أن نجيب عن هذا السؤال دون أن نلم بشيء عن نظرية آينشتاين . وعلينا أن نذكر أن نسبية آينشتاين تتحدث عن « تقوس المكان » والمفاهيم الأخرى . بل انها تقول ان المكان لا يدركه الا الرياضي . (وقد نشر جينز واينشتاين هذه الافكار عن تقوس المكان و « التواء » حول الأشياء الموجودة فيه - بالإضافة الى فكرة ان المكان هو في الحقيقة العلاقة بين الاجسام المادية ، وأنه ليس « شيئاً » في نفسه) . وشعر وابتهد بأن هذه الفكرة عن « نقاط » في المكان غير مضبوطة - فانت لا تستطيع أن تدعي « نقطة » في المكان بقلم الجبر ، مثلاً تدعي نقطة على الورق . ولذلك فإنه استبدل « نقاط » آينشتاين بفكرة « الحوادث » وطور نظرية عن المكان باعتبارها علاقة بين الحوادث . وهذا هو كل ما ينبغي ان يقال من الأمور ، مع الاحتفاظ بالوضوح . ولكن هذا ليس مهماً بالنسبة لنا أريد

أن أقوله عن وابتهد : اذا حتى لو انتشرت فكرة وابتهد هذه فإن الأمر ما يزال يتطلب تصحيحاً لفكرة آينشتاين تماماً .

وقد ذكر وابتهد في « النسبية » شيئاً مهماً عن « نسبية الطبيعة » اذ قال انه اذا حطم العالم الذرة الى اجزاء فإنه لا يرى الا ضياء غاطفاً ، ثم يقول هذا للعالم : « أجل - هذا هو ما رأيته » انا ، يحدث (الضوء الغاطف) ، ولكن ما حدث بالفعل هو ... ، وهكذا فهو يحدث ازدواجاً حساساً (قصة « في العالم الى أشياء كما هي بالفعل وأشياء كما نظهر . » ويتبع وابتهد قائلاً ان « الطبيعة هي .. كل » يضم التجارب الفردية ، ولهذا فيجب علينا ان ننبذ التمييز بين الطبيعة كما هي بالفعل وتجاربنا التي هي ميكولوجية تماماً . » (٩) وهكذا فإن تجاربنا للمسلم الظاهري هي الطبيعة نفسها .

ونأتي الآن الى أهم نوات وابتهد ، وتلك هي فترته الميتافيزيقية التي استمرت حتى موته ، والتي يمكن ان تلقى بعض الضوء على مشاكل اللاشعور .

ونجد في « العلم والعالم الحديث » ، وهو الذي ألفه بعد أن صار استاذاً في هارفرد ، انه يهاجم الفلسفة المجردة - ذلك الهجوم الذي لم ينتازل عنه طيلة ربع القرن الذي بقي له من الحياة . وهو يقول :

« ان فكري هي بث الجبوية في حالة ذهنية في العالم الحديث ... ونأثر ذلك على القوى الروحية الأخرى » (١٠) ويجدان عبارة « بث الجبوية في حالة ذهنية هي عبارة دقيقة جداً في هذا المجال . اذ ان ذلك هو ما حدث بالفعل حين بدأ العلم يتطور ، اذ ان ذلك وصف الطلاء خاتمة ذهنية خاتمة - خاتمة خاتمة - مثال الانسان الذي يريد ان يصبح آخا بواسطة المعرفة . ويند ان وابتهد يقول لنا في « العلم والعالم الحديث » لماذا لم يستطيع الانسان ان يصبح كذلك .

ونحن حتى لو قرأنا هذا الكتاب قراءة سطحية فأننا لن نجسمه كتاباً عادياً ، إذ لا يتوقع المرء أن يجد في كتاب فلسفي منه مقتطفات من ملن وشيلي وورد زويرث والانجيل ، ونجسد أيضاً أن ذهنه وإتهيد تنبع في طرب الأمثلة من الأدب والفلسفة الساع ذهنية تويني . (كان وإتهيد وتويني مثاريين في التفكير) . وإن الفكرة التي يدور عليها للكتاب هي فكرة صادفتها كثيراً في عتنا هذا . أن نتيجة لقاء أهمية عقل على العقل هي القوضى والتضحية . ولو كان وإتهيد قد تعرف على شينغر وتويني لقال أن هذه القوضى هي السبب الرئيسي في سقوط حضارتنا .

وهو يضع السؤال بصورة واضحة جداً : أن المادية الطبية تنتهي بالقول بأنه لا عقل هناك ، وإنما هناك مادة فقط ، و (الروح) هي حصة المادة . ولقد ذهب بيركلي إلى النهاية المتطرفة الأخرى فقال أن لا مادة هناك وإنما هناك عقل فقط . لقد كان بيركلي متقفاً ، وكان يحاول أن يعظم الفكرة المادية هي الكون . ولكن وإتهيد قال أن الحقيقة تكمن بينها . فالمادية التامة تذكر أن الإنسان يحلأ أية ذرمة ، وهي تقول أن الجسم الإنساني والعقل الإنساني خاضعان لقوانين الطبيعة ، وأن الطبيعة ميتة ، وليس هناك إلا بديل سطحي واحد لهذا : غرير أن الطبيعة حية ، وأن الجسد الإنساني أكثر حياة ، وأن العقل الإنساني أكثر وأكثراً حياة ، وأن الحياة تمثل الطبيعة كلها ، تماماً كما كان الناس يعتقدون في الماضي أن الأثير ، كان يملأ الفضاء الخارجي كله . (وهذا هو رأي من آراء شولجيما ، إذ أنه عبر عنه في العودة إلى ميتشالغ) . أن وإتهيد ينكر أن « فكرته المضمرة » (حسب تسميته لها) هي ثلاثة « الحيوية » . ولكنه إنما ينكر صحة حيوية برسون ، التي نجد فيها أن الحياة تنفق طريقها إلى المادة عبر نفرة صغيرة تسمى « الأجساد الحية » (الإنسان هو « كائن أعلى » لأنه نفرة أكبر من الحيوان) أن وإتهيد ينظر إلى الطبيعة كلها كمضمرة واحدة ، كمحمد هي واحدة - كما يشمل شولجي « ميتشالغ » -

وكل الحوادث فيها « كسجيرات عضوية » . (وهو يتحدث عن الحوادث أكثر من حديثه عن الأشياء لأنه يعتبر الطبيعة كتلة ذات أبعاد أربعة .) لقد حاول وإتهيد في « العلم والعالم الحديث » أن يعلن أن الشعراء محزون وأن العلماء غشون . « إن الطبيعة » التي أحبها وردزويرث وجعلها هي أقرب إلى الحقيقة من « الطبيعة » التي تحدث عنها ليون . ولكن وإتهيد لا يريد أن يترك هذا الموضوع عند هذا الحد ، وإنما يريد أن يبي نظرية علمية عن الطبيعة لا يمكن لأحد أن يهاجمها ، نظرية تنفق مع مبركات شعراء مثل شيلي ووردزويرث ، وهذا هو جوهر « الفلسفة المضمرة » .

ولا شك في أن القراء قد اكتشفوا الصلة القوية بين هدف وإتهيد ، وهذا (في « اللامتسي ») لأن فكرتي وفكرته تبدآن بنق المادية الطبية (وما تطلع من لبس للدين) وتلجأ إلى الأسس البيولوجية للمفاهيم العامة . ولا يستطيع أحد أن يحمل نصف الحياة من أجل أهداف العلم ، ثم يدعي أن نتائج العلم تنطلي صورة كاملة دقيقة لمعنى الحياة . أن كل بحث من « الحياة » يبدأ بوصف موضع الإنسان على نقطة من المادة في المكان ، في تيار تطوري لا نهائي ، هو بحث نصف ، لأنه يحمل معظم الجوارب التي تبسنا باعتبارنا بشراً . أن فكرة العلماء الصامتة (« الفلاسفة المنجودين » الذين يريدون أن يخرجوا الكون في حزمة أيقنة -) قول أن « الفن » لا يجدي ، وأنه ناتج مرضي لا معنى له ناتج من إهمالنا الحيوانية . ولو قارنا هذا الموقف بموقف بنهوفن الذي قال : « إن من يفهم موسيقي لي تطلبه مصاعب الحياة العادية » لوجدنا أن بنهوفن كان يشعر أنه « كائنات » قد امتدخلم الموسيقى ليحصل على سيطرة معينة على حياته الخاصة ، على تقديرات تحيرته الخاصة ، فإن موسيقاه الشهومة بالفطرة لملم الآخرين أن يفقهوا بذلك السيطرة ذاتها .

ونأى هنا إلى أحد المفاهيم العامة لدى وإتهيد ، وذلك هو المفهوم

الذي يؤلف حلقة الارتباط بينه وبين الوجودية ، وذلك المفهوم هو فكرة التاريخ الشخصي ، أي السيرة ، من غويته . وقد اعتقد غويته أيضاً بأن الطبيعة كلها هي عضوية حية واحدة . - تلك هي فكرة وايتهد عن الفهم الذهني ، ويمكننا أن نعرف هذا بالتكاتف شيء من كتابه الأخير « أعمال التكبر » :

« ... ان فكرة الحياة تتضمن مطلقة معينة من الاستمتاع الذاتي . ولا بد ان هذا يعني فردية مباشرة معينة هي عملية متصلة من التكيف بين مختلف المدلولات التي تتمتع منها كيفية حدوث الطبيعة المادية في وحدة وجود . ان الحياة تعني المطلق ، الاستمتاع الذاتي الفردي المنبثق من عملية التكيف هذه . وقد كنت ، في كتاباتي الأخيرة ، قد استغفرت كلمة « الفهم » للتعبير عن عملية التكيف هذه . كما انني سميت كل عمل فردي من أعمال الاستمتاع الذاتي « تأثير » مناسبة تحدث فيها تجربة . واعتقد ان وحدات الوجود هذه ، المناهيات التي تحدث فيها التجربة ، هي في الواقع أشياء حقيقية ... تألف منها الكون المتطور ، في طريقه العالم نحو التقدم الخلاقي . » (١١)

الفهم ، إذن ، هو عملية ادراك التجربة . وهكذا فاد ، المجموع الى التجربة ، الذي يتحدث عنه هنري جيس في ايزابل أوسر وبابل نيل هو جوع للفهم ، وقد كان نسق ظهلم يستر في التربة والتفتيت الذاتيتين عملية لفهم ، والفهم هو مجهود الروح من اجل فهم تجربتها . ونحن سأل ايلان ستراوده كيف تستطيع روح الانسان ان تظهر بالسيطرة على اردءاءه ؟ فانه كان يريد ان يقول : « كيف تستطيع روح الانسان ان تفهم اردءاءه ؟ » ان الفهم هو عملية السيطرة على التجربة . والسؤال الوحيد الذي يهم الوجودية بالنسبة لكائن بشري هو : « سيد أم عبد ؟ » سيد تفهيد الخامس أم حده ؟ والفهم هو أشد نشاطات الحياة جوهرية . ان الانسان هو مخلوق اسمي من الاميا ، لانه طور في نفسه قوى أشد لفهم ، وغالبية على السيطرة على

فوضاء ، وسين يموت المطلق الذكر (الذي صوته يجاليلون في غشوه) ويقول : « انني متبعض المزج : وانجاية عصب تشيل جنداء ، فانه يعترف بعدم قدرته على القيام بفهم تفهيد العالم في عام ١٩٢١ بعد المسيح . ويجد ان لعبه شر » متبعض المزج » (الذي يريد لأول مرة في القسم الرابع من « ميتوشالغ ») هو رد الفعل الطبيعي لفهم ، وايتهد .

الفهم إذن هو المصطلح الجوهري في أية فلسفة وجودية . وهو يعني ما يعني « التاريخ الشخصي » عند غويته ، ولكنه يعني أكثر من مجرد « التفهيد » ، « التفهيد » هو النموذج المدرك في المعرفة . أما « التاريخ الشخصي » فهو يفهم مفهوماً أوسع عن ، النموذج النموذج ، إلا ان هذا النموذج واضح هو الى حد بعيد غير مدرك ، كما ان المجهود المدرك الذي ، بلده ، لعدو هو أفضل من ان يستحق الذكر . ولكن اعتراض ايلان الفال بأنه لن يكون أشد حكمة من آياله (الذي بدأت به هذه الكتاب) بليت حقيقة ان الانسان ينمو للفردية محدودة فقط . ثم يتوغل ، ويتطلب الأمر بعد ذلك مجهوداً مدركاً لفهم . ومسا « يفهم » الانسان هو الوحدات العقلية من تجربته الحية التي يدعوها وايتهد « الحوادث » أو « مناسبات التجربة » .

وفي عام ١٩٢٦ ألف وايتهد أصغر كتابه وأعظمها على الاخلاق : « صيرورة الدين » ، وهو يسير من حده في المقطع الأول منه ، وهو بحث في المبررات التي تدعم الاعان بحالة الدين . وهو يجتلب انباء القاريه الى الفرق بين الدين والرياضيات . فقد بدأ فهم الرياضيات في اللحن البشري منذ زمن بعيد كشكل بسيط من لشكال السطيقا الموضوعية : بقرة + بقران = ثلاث بقرات . - بيد ان الفلين لم يبرز كحقيقة موضوعية ، وانما كان دائماً حانة ولحنية في الانسان . ويستطيع المرء ان يضع لمانه حقائق الرياضيات ويتأملها ، أما الفلين فهو مرتبط بأعماق الانسان ، والانسان لا يعرف نفسه كمبرحة ان ١ + ١ = ٢ . والدين هو علاقة الانسان بالحياة والموت ، وهو منبثق من أجزاءه التي لا يعرف عنها الا احتليل : ارادته ومفهومه عن الهدف :

« الدين هو قوة الإيمان التي تنقي الأجزاء الإيمانية ، ولهذا فإن أول الفضائل الدينية هي الاخلاص ، الاخلاص الثالث ، والدين هو فن ونظرية حياة الانسان الإيمانية ... » (١٢)

وينكر وايتهد ان الدين هو في أصله حقيقة اجتماعية ، ويعلن مثوله الحقيقي بمصطلحات لا انتائية :

« .. معظم علم النفس هو علم نفس القطيع ، ولكن كل المواضع الاجتماعية لا تتناول الحقيقة النهائية المفترضة التي هي الكائن البشري المدرك لوحده مع نفسه من أجل نفسه .. الدين هو ما يفعله الفرد بوحده هو .. وهكذا فالدين هو الوحدة ، وإذا لم تكن وحيداً قط فليس لديك دين أبداً . » (١٣)

وأخيراً فإننا نجد وايتهد يقول في نهاية بحثه الذي يعتبر أعظم بحث نافذ في الدين منذ « أنواع التجارب الدينية ، جيمس . » انه هو الضعالية الحادثة في العالم ، والتي تتجه أهدافنا بسببها الى النهايات التي هي في إدراكنا غير متحازة لمصالحنا الخاصة . انه ذلك العنصر في الحياة ، الذي تتسع الاحكام بسببه الى ما وراء حقائق الوجود ، الى قيم الوجود . » (١٤) و « حقائق الوجود » تلك « الحقيقة التي لا يمكن انفاصها » التي كتب عنها في « مقدمة العلم والعالم الحديث » تمثل العنصر الذي ينجم منه اللامعنى - تماماً كما جلس روكانثان بطل سائر على المصطبة وشعر بأنها غريبة لا شكل لها . لا اسم لها ، وإذا فقد الذهن غايته لفهم فان العليمة كلها متلوح كتلك المصطبة . ان عدم المقدرة على الفهم هو « غيان » . والتميز عن الله في العليمة يتم في هذا المجهود الانهائي من أجل الفهم . بيد انه ليست هذا المجهود من أجل الفهم كما أشار وايتهد ، أية حلاقة عابثتنا الشخصية المباشرة ، وإنما هو من أجل شيء أعظم . ان الانسان يصبح عظيماً مادام يعبر عن ارادة الله التي هي ضالاة الفهم الخائنة في الحياة .

ويصف وايتهد موقفه بصورة جلية في كتابه الضخم « كيفية الحدوث

وواقع » الذي ظهر في عام ١٩٢٩ . ويعتبر هذا الكتاب أهم مؤلفات وايتهد ، ولكنه لا يمكن ان يلمح في هذا المجال الضيق . وهو يبدأ بمبارته المشهورة : « ان الفلسفة هي مجهود من أجل نظام مبادئ منطقي ضروري ، نظام من الافكار العامة الموضوعية بمصطلحات تكون كافية لتفسير كل عنصر من عناصر تجربتنا . » (١٥) - لاحظ عبارة « كل عنصر » - لا الاشياء التي نستطيع ان ندركها وحسب ، انما الاحساس الذي نشعر به حين نستمع الى الموسيقى ، وتأثير القوّة ، تلك اللحظات التي يحدث عنها بروست ، حين يعود الماضي كله فجأة بسبب كلمة او حادثة هارصين . ولم يعتبر وايتهد الفلسفة مجالاً محدوداً كما فعل فكتشتاين ، وإنما أعلن ان الفلسفة يجب ان تكون ناقدة للتجريد ، وانها يجب ان تضع المبررات في أماكنها المناسبة ، وه تكملها بمقارنتها ببدايات من الكون ، أشد وجوداً منها . » (١٥) وهو يفسر في « غامط التفكير » ما يقصده ببدايات أشد وجوداً منها :

« لا يمكننا ان نحذف أي شيء ، فهناك تجربة سكرانة وتجربة صابحية ، نائمة ومستيقظة ، نعلانة ونشطة ، مدركة لذاتها وناسية لها ، ذهنية وجسدية ، دينية ومنتشكة ، متلطفة ولا أهلية ، تقديمية ورجعية ، سعيدة وحزينة ، متأثرة بالمعاطفة وغير متأثرة بها ، تجربة في الضياء واخرى في الظلام ، وتجربة مألوفة واخرى شاذة . » (١٦)

ولكن فكتشتاين قد يجيب على ذلك قائلاً ، انه لم تخترع حتى الآن اللغة التي تستطيع ان تعبر عن هذه الأمور كلها في الفلسفة بيد انه مع ذلك قد يقر (ويفعل وايتهد ذلك ايضاً بالتاكيد) بان القاص يستطيع ان يعبر عن هذه التجارب كلها تعبيراً أفضل من تعبير الفيلسوف عنها . ولقد اقرب شكبير وتولستوي منها أكثر مما فعل هيجل .

وبعد « العلم والعالم الحديث » نجد ان الكتاب التالي الذي يستحق القراءة هو « مغامرات الافكار » . ولا نجد هنا شيئاً من التعقيد وصعوبة الاسلوب اللذين تميز بهما كتابه « كيفية الحدوث والواقع » ، وإنما نجد ثانية بلداً الى

المادة الحسيفة فلم تعد تشبه تصوير شبنظر القاضيه الاتي عنها . ولكنها مع ذلك ما تزال نفس الفكرة :

« ان فكرة التأثير يجب ألا تفصل عن فهم عالم القيمة . كما ان فكرة الاستمتاع الناتج المجرد بالقيم دون الاشارة الى التأثير بالفعل كانت خطأ الجوهرى الذي ساد الفلسفة الاغريقية ... وهذا الخطأ ظاهر في عالم الثقافة الحديثة أيضاً . » (٦٨)

وبالرغم من ان وايتهيد يستخدم مصطلحات عظيمة ، إلا انه يقرر ما قرره اندرسون أيضاً : « ان الذي يتقد القيمة من فضاة التجريد هو تأثيرها على .. الخلق » .

وهو يكرر هذه الفكرة عن الضرورية بوضوح :

« الخطأ الذي غلب على الأدب الفلسفي عبر القرون يكمن في فكرة « الوجود المستقل » . في حين انه ليس هناك مثل هذا الوجود ، لأنه لا يمكن ان يهيم أي كيان إلا على ضوء علاقته المتشابكة مع الكون » (٦٩) .
ويستر وايتهيد لاثلاً : « ان الهوية الشخصية هي انصهار القيمة مع عالم القمائية ، وان الكائن البشري هو مظهر عالم القيمة في عالم القمائية .
وانه كلما كان الانسان عظيمًا ، زادت « القيمة » التي يكتشف عنها .

ان « عالم القيمة » هذا ، الذي يتحدث عنه وايتهيد هو مفهوم الحبائم حد شو ، لان شو يعتبر الحياة منتشرة في المكان والزمان ، ولا تستطيع ان تطور نفسها الا بالنفوذ الى المادة وبفرض عالمها المنظم ونموذجها على فوضى المادة . بل ان مجرد وجود « فواتين طبيعية » هو اظهار للحياة . فالما لم تتوزع الحياة في المكان والزمان ، فان كون المادة يصبح فوضى وحسب ، كما ان دوران الأرض حول الشمس هو اظهار للحياة أيضاً ، وهذا هو مفهوم وايتهيد في ضروريته .

ثم يبدأ بتحليل وايتهيد بالتفصيل في عالم « التصوف » :

« ان تجارب حواسنا مطبوعة لتفشل في الكشف عن الاستمتاع الداني

اختلاف الامثلة الادبية والفلسفية وأمثلة من مصادر أخرى . وعلى هذا الكتاب تطيق وايتهيد للفلسفة الضرورية في تحفظ حول التجربة العملية للانسان . فهناك بحث طويل في « علم الاجتماع » واكثر عن الحضارة ، ويحضر هذا الكتاب صاحب القراءة . ونحن انه لم يؤلف كتاباً سهلاً للقراءة فقط . ولكنه يكتشف عن توسيع وايتهيد لآفاقه باستمرار ، وعن اهتمامه بالحقول الأخرى بالاضافة الى الفلسفة . ولم يؤلف وايتهيد بعد ذلك الا كتاباً خطيراً واحداً وهو « انماط التفكير » (١٩٣٨) وهو يكشف عن التطورات التي مرت به منذ تأليفه « العلم وعالم الحديث » . ويشتمل هذا الكتاب على المقطع الذي نقتطعه من « التجربة » ، والذي يظهر من أن أفق وايتهيد ، بالنسبة للفلسفة ، قد اتسع بصورة لم يسبقه إليها أحد منذ افلاطون . ولئن توقع ان يجد مثل هذا المقطع لدى ديكرات أو ليستر أو كانت . ولهم انه في بحثنا ان نجد عند غوته . ويمكننا ان نعرف موقف وايتهيد الاخير من حضارته « الخلود » التي افلاها في حارفره عام ١٩٤١ . ولست هذه للحاضرة ، كما يتوقع البعض . محاولة لإثبات ان الانسان هو روح خالدة ، أو انه يعيش بعد الموت . وانما بقول وايتهيد فيها ان العالم الذي نعيش فيه هو عالم الفوضى ، واللاهائية والعدم . اما العلم الاخرى فهو عالم القيمة . ان مؤلفات افلاطون تنفي بالنسبة لثمة اليوم ما كانت تنفيه حين أنها قبل ٢٥٠٠ سنة ، ولهم ان افلاطون الرجل ميت الآن . ان البشر يتكون هذه القمائية على يث القيمة التي هي اعظم من ذواتهم الفردية الجسدية : « يهدمنا الخلق الى القيمة ، في حين ان الذي يتقد القيمة من فضاة التجريد هو تأثيرها على كبرية حدوث الخلق . ولكن القيمة تحفظ بشيودها في هذا الانصهار ترى كيف يشتق العدل الخلاق الخلود من القيمة ؟ هذا هو موضوعنا حاضرتنا » . (٧٠)

ثم يبدأ وايتهيد بعرض الأفكار التي وجدناها عند شبنظر : ان القياسات يجب ان يكون الانسان الصالح . وقد طور وايتهيد هذه الفكرة بطريقته

لغائل المثبت من المحدث الجسدي الاحتمالي . كما انه يمكن تشبيه التجربة الانسانية بغير من الاستماع الذاتي تدخل عليه التنوع قطرات من الفكرة المبركة وقطرات من التوقع المدرك .

وطريقة وايتهيد في التعبير عن ذلك واضحة مأثورة الى درجة ان الهزري الدهش لما يقوله لا يجلب انتباهنا لأول وهلة . وقد أوضح كيريلوف نفس هذه الفكرة في « الشياطين » لدوستوفسكي . اذ قال : انه استطاع في لحظة صعبة ان يعرف ان كل شيء كان غيراً ، وانه اوقف الساعة ليدكر نفسه بادواكه تلك الخفيفة ، ونجد في « الضرب » لكاسو ان البطل يدرك في لحظة الموت « انني كنت سعيداً ، وانني ما ازال سعيداً » . ولقد وضع وايتهيد احببه على جوهر كل لحظات البهجة المطلوبة :

« وبينما كنت أسجل في المحل والشارع

شمرت جسدي بلهيب

ولاح لي في مدى عشرين دقيقة أو اقل

ان سعادي كانت من العظمة والروعة

بحيث اني شمرت بانني صرت مباركة ، وانه في امكاني

ان ابارك » . (٢١)

وستمر وايتهيد ملخصاً دور الذاكرة والتوقع ، فبدون الفكرة تكون الحياة مجرد لقطات من الحوادث ، والانسان بلا فكرة ليس افضل من المتوه ، ولكن وجود الذاكرة ، معها كانت باعثة يحدث ، وجمعاً مد البطرة المادية . وهكذا فان الكون مادي مناسب مع قيود الذاكرة والتوقع (٢٢) والذاكرة هي وسيلة ادراك الانسان . كما انها ، كما يقول برومست . مفتاح الفهم . وكفاح الحياة بالاعلان عن نفسها في عالم القضاة بوحلة الذاكرة والادراك هو التعريف النهائي للطولة التالية . فالطولي هو كفاج القيمة ضد اللامنى . وشهوة اللامنى للطولي هي الشهوة للقيمة .

ويختم وايتهيد محاضراته بالعودة الى التأكيد على اصول ذكرته المتوية . وهو يقول انه ليس هناك ما يدعى « الوجود المستقل » وليس هناك « وصف دقيق لحقيقة موجودة » ، وكل شيء مرتبط بكل شيء آخر . انه يطلق قبة ضخمة في الهواء . في حين ان هدفها كسبان يمكن ان يكون الماركسية أو الاجتماعية المنطقية :

« يرتكز معظم الفكر الفلسفي على « الدقة المرفقة » ليهض تفاصيل مختلف اشكال التجربة الانسانية ...

وأود ألا يفهم من هذا اني انكر أهمية تحليل التجربة : بالعكس ، فان التقدم الفكري الانساني ينشئ من المعرفة التقدمية التي ينتجها الفكر الانساني نفسه . انما اجبني اعترض على الثقة السخيلة في ذلك معارفاً . ان قوة التفتيش بانفسهم هي مأساة الحضارة المضحكة .

ليست هناك عبارة تعطي معناها بصورة دقيقة . فهناك دائماً أساس من الفرضيات السابقة يتحدى التحليل بسبب لانهائية (٢٣) ويختم تلخيص الفكر حياته كلها قائلاً :

« والنتيجة هي ان النطق ، مفهوماً باعتباره التحليل الدقيق للفكر التقضي . ما هو إلا زيف . انه لا دالة لمجازة ، ولكنه حاجة الى اساس من المفاهيم العامة ..

وأريد ان اقول هناك ان نظرة الفكر الفلسفي النهائي لا يمكن ان تتركز على العبارات المبسطة التي يتألف منها أساس علوم الاختصاص .

ان الضبط والدقة مزيجان (٢٤)

وقد ظلت تجربة الفكر المجرد مسيطرة منذ القرن السابع عشر الى مناوع . وحاول القرن العشرون أن يحولها الى الجبر ، وكان وايتهيد واحداً من أولئك الذين حاولوا ذلك ، كما انه كان الرجل الذي يبين ان الفكر المجرد غير دقيق . ولم يكن « مجرد شاعر » مثل بليك . وانما كان رياضياً وعالماً عظيم للولعب . وانها لاحدى معجزات تاريخ الفلسفة ان يبدأ رجل حياته

« فيلسوفاً مجرداً » ويتبع بالإنجاز موقف صاحب الروى الخبيء .

والفكر وايتهيد صحة الغاية ، كما ان اسلوبه في النشر ليس سهلاً ، ولما كان التخصص السابق قد يلوح عبقراً ، وانني لادرك ايضاً انني لم اطلع في جمل تفكير وايتهيد بخطب اهتمام القراء السليين قرأون مؤلفاته لأول مرة ، ومع هذا فاني اعتقد انه سيأتي يوم يعتبر فيه بين فلاسفة القرن العشرين العظيم ، وسوف يحين اليوم الذي يحتاج فيه الناس الى ملخص لفكره . وان انكثروا نظلم مفكرها دائماً ، اذ لو كان وايتهيد المتأني لا يخصص فرع كامل في إحدى الجامعات في دراسة افكاره .

ان ما يلحشنا بشأن لا اكتراث الانكليز فيلتفريقيات - هو انه لم يلاحظ احد ان وايتهيد قد اوجد وجودية خاصة به ، وان وجوديته اكمل وأقوى من وجودية اي مفكر في القارة . فقد كان وايتهيد يميل وكبر كفارده جميعين في رجل واحد . ان « العلم والعالم الحديث » هو « المضحك اللاعظمي » للقرن العشرين - أضف الى ذلك انه اسهل على القراء منه .

ان وايتهيد يضيف على الداء الكليك الذي يقدمه لنا دوستوفسكي في « الانسان الصرصار » ، أي النقاش المأزق . ولكن وايتهيد لا يبدد المنطق ، رغم اعلاانه انه زيف . فهو يقرر دور المنطق بدقة في احسن كتب الأول « مقدمة الرياضيات » :

« انه صدق هائل عظيم ... ان تعود انفسنا على التفكير فيها نضله
فالمطالبة تتقدم بتوسيع حدة امور عامة نستطيع ان نبرزها دون ان نفكر بها . والتميزات الفكرية هي كهجات هرسان في حركة - محدودة الضمد ، تتطلب خبراً لا جديدة دائماً ، ويجب ألا تستخدم إلا في المحطات الخاصة » (٢٥)

والمنطق يقيد في الاقتصاد بالوقت وفي اعطائنا المزيد من الحرية ، إلا اننا نواجه هنا سؤالاً زرادشت : حرية من اجل ماذا ؟ فالنيلسوف للمنطقي يقتصد في الوقت كالخيل الذي يقتصد في المال ، ولا يوجه نظمه

الى هدف آخر ، ولكن الوقت الذي يقتصده لا يمكن ان يستخدم بعد ذلك لسوء الحظ . لان الزمن كله ضائع اذا لم يكن مصحوباً بالخلق :

تقد بدأت هذا الكتاب باقرار ان « اللامتناهي » يعني لانني اجل للنسي حتمياً كل الغاية بمشاكل التوتر اللغوي ، والحالات السايكولوجية المتطرفة ، الا انني ذهبت في هذا الكتاب الى أبعد من مسائل سايكولوجية الانسان وتغللت في عالم الالكار . وانني مدرك انني بهذا اكون قد تركت مشاكل أمثال فان غوخ ودوستوفسكي ونجسكي خلفي . فان مشكلة الحياة الرقيقة ليست في تعليم كيفية التفكير بصورة صحيحة وانما في كيفية البش « ان قابلية التفكير لا تستطيع ان تتقدم وحدها ، لانها كالخيل متعلق الجبال مربوطة بجمل مزدوج مع رفيقها العواطف والجسد ، فهي تستطيع ان تسير الى حيث تشاء لكنها لا تستطيع ان تتقدم ، إلا اذا أخرجت رفيقها بأن يلحقها . وكنت في نهاية « اللامتناهي » ما أزال مشدوداً الى بعض الخيال ، أما الآن فقد مرت الى أبعد ما يستطيع وفيهاي الأخران انه يصبحاني فيه .

لقد كان « اللامتناهي » محاولة لبحث مسألة « ان الانسان ليس كاملاً » بدون دين . وقد أفضني في تأليفه كتاب « ولم جيمس » واتواء التجارب الدينية . وقد حاول جيمس ايضاً بطريقة الخاصة ان يصل ما حاول باسكال وهوله وايتهيد ان يفهموه . وقد وصل لغاية الى ما يلي :

يكون الانسان كاملاً أعظم كماله حين يكون خياله على اشد التركيز . والخيال هو قوة الفهم ، ويلونه يكون الانسان محتوماً ، لا ذاكرة لديه ولا يستطيع ان يفهم ما يراه وما يشعر به . وكلما سما شكل الحياة زادت قوته على الفهم ، ويصبح فهم هذا الانسان فعالية متحركة نستطيع ان نسبها الخيال . فاقا ارادته الخيلة ان تتقدم خطوة اخرى اسمى من القرد : من

الإنسان العادي ، وحتى من الفنان ، ظن يكون ذلك إلا من طريق تطهير
قوة الفهم ، وهذا الشوق لتكثير أعظم في الخيال يمثل في الشهية الدينية ؛
ومن الطبيعي أن يكون هذا متوقفاً على فكرة البطولة . بل إن البطولة في
قصص همنواي تصنف بمنزلة ديني نهائي .

كنت قد بدأت « اللامتي » من هذه النقطة وكانت فكرتي تلتخص في
أن الذين يبدأ بالمرض الذي يجه البطولة الخيال . وقد كان لا يتصور الحصول الأول
جائزين للبطولة ، فالتين في عصر لا بطولي . وكان شدوهم ، كلامتين ، مثلاً
في عاولتهم لصنع « البطولة » لأنفسهم . وكانت شكوى روكاتان تلتخص
في أنه « ليست هناك أية مفارقة » . وقد أشار في ذلك إلى أن هذا امر حسي
في حطارة حديثة .

وحاولت أن أبين أن الخلق تركيز شديد في الخيال (الذي يعني بالاضبط
تركيزاً شديد في الحياة : « أن تكون لك الحياة بوفرة أكثر ») يأخذ هذا الخلق
شكل البحث عن البطولي . وهذا الخلق إلى البطولي والمصح كل الوضوح في
حياته فإن غوغ ، وت. ي. لورنس ، وراسبو ، وكوكان . (ولقد أشار
كيدوروجيرو إلى كوكان وراسبو فالتاها « قلبان وجوديان » ، وقال
- بدقة تامة - أن الوجودية تتناول الحياة في شكل قصة) . ونجد أن ميكتور
هوشاها في « بيت هارتبريك » هو رمز لبطولي في العصر الحديث - فتيده
حضارة بلغت ما بلغت من الرقي ، فحضر إلى تنفيذ بطولته في الخيال - وبصبح
البطل هزوة .

وقد حاولت أن أبين كيف أن البطولة هي أساس حياة كل شخصية دينية
عظيمة . فحين ترك جورج لوكس يته وطق يتجرول واعتقاد الناس . كان قد
المهمتك المسبح البطولي . وكانت قيمة المسبح كبطل هي التي جعلت دوسوفسكي
يتخذ منه مركزاً يدير عليه مؤلفاته . كما أن تعذيب القديس نفسه . وتسله
لنظامها من أعمال البطولة أيضاً .

وقد عرف نبته أن الحل الأعلى « السلام الكوني » هو مثل زائف ، لأن

الإنسان يحاول دائماً أن يجد الفرص التي تتيح له أعمال البطولة . وما حروب
القرن العشرين إلا تعبير عن حين نصف مدرك واسع الانتشار . وقد كان
كبر كفارده عتاً حين قال إن السلم هو الشر الحقيقي في العالم . أما الذين لهم
مقياس البطولي ، ورمز حاجة الإنسان في التكفاح من أجل الفهم ، وفشل الدين
والحروب العظيمة امران متلازمان حتماً .

كالت هذه هي فكرة « اللامتي » وقد اختتمته بؤالي : ماذا نستطيع أن
نفعل ؟ ولكن ذلك الكتاب أوضح أيضاً الاتجاه الذي يقود إليه البحث . (وقد
قال ناقد أمريكي أن كتابي الثاني لا بد منهم ، الذين الجديدي الذي أخرجه » .
وقد اضطررتي البحث هذا إلى توسيع لمطابق التحليل الذي فت به ، وكان
واجباً عليّ أن أبحث اللامتي كظاهرة من ظواهر الحضارة الحديثة . وقد
استجبت من ذلك أنه عرض الظاهرة الموشكة على السقوط ، ولكن ذلك حل
كل حال هو علامة طيبة .

واعضد أن أية حضارة تصل لحظة ازمتها يوماً ما ، وإن الحضارة الغربية
قد بلغت هذه اللحظة الآن . واعتقد أن هذه الأزمة تهدد : بالدمار ، أو بالسمو
إلى أشكال أعلى . والمعروف حتى الآن أنه لم تواجه أية حضارة هذا التحدي
الأو وكانت فشل بمواجهته . وقاربع هو دراسة للثقافة العظيمة التي خلفتها
الحضارات القديمة ، تماماً كمايكل العظيمة التي خلفتها الحضارات المتقدمة
كالتينرصور .

وفي قسم الثاني من هذا الكتاب حاولت أن أبين « لماذا » بلغ العالم الغربي
لحظة ازمت . وحاولت أن أبين كيف أن الدين « المود الفقري للحضارة » قد
تيسر في كتيبة لم يعتمد يقبل بها اللامتمون ، واللامتمون - أولئك الذين
يكافحون من أجل الرؤية - يصحون عصاة . ونجد في حالتنا أن التقدم المعاصر
الذي ساعدنا كثيراً على دحر صعوبات الحضارة قد سبب منا الدافع الروحي ،
الأمر الذي زاد في عصبان اللامتمين : فهو عاص ضد الكتيبة المعترف بها ،
وعاص ضد مبدأ اللادية اللامتمرف به . ومع ذلك فاللامتمين هو المورث الحقيقي

للانبياء ، وريث المسيح والقديس بطرس والقديس اوغسطين وبيطرس ووالده ،
والذين اتفقوا في اي عصر موجود عند العصاة الروحانيين في ذلك العصر ، ولا
يمكننا ان نستفي القرن العشرين من هنا .

لقد اعتقد نيتشه وشوان القوة الكامنة في الحياة تهدف الى خلق نماذج اسمي
واسمي من الانسان - وفي النهاية : السوبرمان او القديس اوفه - واعتقدوا ايضاً
بان الحياة تهدف الى المخلوق الالهي ببطء ولكن بصورة حتمية ، تماماً كما
تتحرك نلجاجة جبيلة . ولكن ما نخرج به من هذا الكتاب يشير الى نموذج مختلف
فكلاً وصلت حضارة الى لحظة ازمتها ، صارت قاذوة الى خلق نموذج اسمي من
الانسان و « يمتد » نجاح استجاباتها للأزمة الى خلق نموذج اهل من الانسان .
وليس ضرورياً ان يكون ذلك سوبرمان نيتشه ، اذ يمكن ان يكون نموذجاً من
الانسان بادوارك اوسع وهديفية اخف من ذي قبل . ولا تستطيع الحضارة ان
تستمر في وضعيتها العمياء الحاضرة ، نتيجة للاجابات افضل وشائنت اوسع
للسبب ، مجرد البشر باستمرار من كل معنى للحياة الروحية . ان اللازمي هو
محاولة الطبيعة لحقابة موت المدنية هذا بالكل . وهذا التهديد مباشر ويطلب
لاستجابة عاجلة من كل من يفهمه هنا .

وفي هذه الظروف يكون من السخف ان نتحدث عن « البلاغات » بل اننا
لا نستطيع ان نتحدث عن الازعاج ايضاً لان ذلك ما يزال في غير حينه . وقد
تحدثت في اهم فصول « اللازمي » ، وهو فصل « محاولة السيطرة » من ثلاثة
نماذج من الانظمة : العقل والجسدي والعاطفي ، وكان يمثل هذه النماذج ث . هـ :
لورنس ونيتسكي وفانز لونغ . ويلاحظ ان حضارتنا تشكو من مرض لورنس :
فهي عاقلة اكثر مما يجب ، مع ما يستتبعه ذلك من جوع عاطفي وجسدي .
والوجودية هي احتجاج من اجل الكمال والتماثل - بيد انه من الصعب الاعتناء
الى وصفة تنفيذ اللازمي القرد ، ومن المستحيل تقريباً الاعتناء الى وصفة تنفيذ
الحضارة . ومع هذا فان الوجودية تلعب في القرن العشرين نفس الدور الذي
لعبته المسيحية في الامم اطورية الرومانية في القرن الاول . ولا يمكننا ان نقول

ان النتيجة ستكون ماثلة ، ولكن ذلك قد يتبع لتجنب الشكوك البام .
والحل بالنسبة لللازمي القرد هو ان يستمر في محاولة الحصول على مدركات
جديدة . وثبتت الظروف الحالية سبباً الى الدرجة التي كان يجب ان تكون
عليها . بل ان مقارنتها بالظروف التي اعقبت الحرب العالمية الاولى تجعلها تلوح
باعتى حل التنازل ، فهناك الآن ميل الى ثورة عقلية ، مع ان العبء ما يزال
ملقى على عاتق اللازمي القرد . وليس هناك « ارتباط » سهل - رغم كون
لموقف خطيراً للدرجة لم يسبق لها مثيل . واذا كان صبرنا « يقف » على حالة
الخطوات الاعيرة ، كالحضارة الاخرية في عهد الملائون فان اللازمي يستطيع
فقط ان يرقب ذلك بفضول علمي ويستمر - مثل الملائون في تأمل في مشاكل
اخرى اقل مباشرة من ذلك . وهذه العزلة هي الشرط الاساسي لبقاء حل قيد
الحياة ، كما انها علامة التنازل النهائي :

- كل الانبياء تملط ، وتنبئ من جديد
- وجود اولئك الذين يبنونها ثانية
- ال شعور بالهزيمة . - (١٦)

وقد كتب ييتس عن ثلاثة شيوخ حزينين ينظرون الى التحلل حضارة ومن
الممكن اعتبار موقفهم جواباً على سؤال اللازمي عن الارتباط :

- انهم يحفظون في المشهد المجمع .
- ويريد احدهم ان يسمع اغنيات حزينة ،
- وتبدأ الاصابع الماهرة بالزف .
- ان هبونهم التي يحيط بها التشنج ، هبونهم ،
- عيونهم المصدرة ، البراقة ، تفيض قبضة .

انتهى

برنارد شو (المسرحيات الكاملة)	١
نينته (الحكمة المنعة)	٥
بليك (شعره ونثره)	٦
دورا فينبروك (ريلكه . رجلا وشاعرا)	١
بليك (شعره ونثره)	٨
ريلكه (ماله لاورينز بليك)	٩
	١٠
	١١
ريلكه (ملاح دوينر)	١٢
	١٣
ينيس (القصائد الكاملة)	١٤
رياكه (قصائد الى اورليوس)	١٥
غوثيه (غاوست) - القسم الثاني - الفصل الخامس	١٦
	١٧
	١٨
ريلكه (ملاح دوينر)	١٩
	٢٠
	٢١
ريلكه (قصائد الى اورليوس)	٢٢
ينيس (القصائد الكاملة)	٢٣
منج (مسرحياته . شعره . ونثره)	٢٤
	٢٥
رامبو (الزروق الكران - ٣٦ قصيدة لرامبو)	٢٦

فهرست المصادر

•

الرقم	المصدر
	المقدمة
١	برنارد شو (المسرحيات الكاملة)
٢	
٣	ت. م. البوت (القصائد الكاملة)
٤	
٥	(انجيل العالم) مجموعة من ملحقات العبيد
٦	ديوبيرت برووك (القصائد الكاملة مع المذكرات)
٧	وليم بليك (شعره ونثره)
	القسم الاول
	الفصل الاول
١	ت. م. البوت (القصائد الكاملة)
٢	و. م. ينيس (القصائد الكاملة)

٢٧ ترجمة انطوني هارنلي (باقة من الشعر الفرنسي || الجزء الثالث

٢٨ راسبو (الزورق السكران)
٢٩

٣٠ ترجمة المؤلف

٣١ راسبو (فصل في الجحيم)

٣٢ آرثر مايزير (ذلك الجانب من الجنة)

٣٣ سكوت لترجرالد (الفسحة القاصية)
٣٤

٣٥ مايزير (ذلك الجانب من الجنة)

٣٦ لترجرالد (الفسحة القاصية)

٣٧ لترجرالد (كاتسبي العظيم)

٣٨ روبرت بروولد (القصائد الكاملة)

٣٩ مايزير (ذلك الجانب من الجنة)

٤٠ روبرت بروولد (القصائد الكاملة)
٤١

٤٢

٤٣ لترجرالد (الفسحة القاصية)

٤٤

٤٥

المجلد الثاني

٤٦ هينواي (أول نبع وأرجح أفعروحة)

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠

١١ ترجمة السر جورج بونك

١٢
١٣
١٤

كروولد تويني (بحث في التاريخ)

١٥ هيرمان هسي (سيمون وولف)

١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١

تويني (بحث في التاريخ)

٢٢ برنارد شو (المقدمات)

٢٣	توبيني (بحث في التاريخ)
٢٤	

القسم الثاني

المقدمة

١	١	ت. س. - البوت (القصائد الكاملة)
٢	٢	برنارد شو (المقدمات)
٣	٣	نيتشه (فجر النهار)
٤	٤	بليك
٥	٥	بيتس (القصائد الكاملة)

الفصل الاول

١	١	و. ه. لورنس (عشيق اللادي تشاترلي)
٢	٢	(اعترافات يعقوب بومعه)
٣		
٤	٤	بومعه (طبيعة كل الاشياء)
٥	٥	بومعه (موركن رونه)
٦	٦	بومعه (نقاط نبوسوفية)
٧	٧	بومعه (موركن رونه)

٨	٨	(اعترافات يعقوب بومعه)
٩		
١٠		
١١		

١٢	١٢	نيتشه (عبد المبح)
١٣	١٣	(اعترافات يعقوب بومعه)

الفصل الثاني

١	١	بيتس (توارينج حياة)
٢		
٣		

الفصل الثالث

١	١	الامتف موريس (باسكال)
٢		
٣	٣	بليك
٤	٤	باسكال (المتأمل)

الفصل الرابع

١	١	نور برينج (سويليرج)
٢	٢	شيكستيدت (قصة سويليرج)
٣	٣	سويليرج (Apocalypsis Revelata)
٤	٤	بيتس (القصائد الكاملة)

الفصل الخامس

١	١	اقياس هنري تالو (وليم نو)
---	---	-----------------------------

- كبير كنز (معنى الطاب)
- نيتته (الحكمة المستط)

الفصل الثامن

- ١ بليك
- ٢ القوت (القالات المختارة)
- ٣ بيتي (القصائد)
- ٤ ديوجينيس بروولا
- ٥ برنارد شو (المقدمات)
- ٦ برنارد شو (المسرحيات الكاملة)
- ٨ برنارد شو (المقدمات)
- ٩ برنارد شو (المقدمات)
- ١٠ برنارد شو (محاضرات من شره)
- ١١ برنارد شو (محاضرات من شره)
- ١٣ (العودة الى ميتوشاليج) شو
- ١٤ شو (محاضرات من شره)

وليم لو (نداء حار لحياة مكرمة مقدسة)

١٠ بليك

الفصل التاسع

- ١ نيومان (شره وشره)
- ٢ نيومان (شره وشره)
- ٣ نيومان (أسس الإيمان والتواضع)
- ٤ (الجليل العالم) مجموعة من فلسفات الصين
- ٥ نيومان (شره وشره)
- ٦ نيومان (أسس الإيمان والتواضع)
- ٧ (الجليل العالم) مجموعة من فلسفات الصين
- ٨ نيومان (شره وشره)

الفصل العاشر

١ مورين كبير كنز (مجموعة من لثوال كبير كنز)

شو (المرحيات الكاملة)	٢٩
	٣٠
	٣١
	٣٢
ينس (المقدمات)	٣٣
	٣٤
	٣٥
شو (المرحيات الكاملة)	٣٦
	٣٧
	٣٨
وتر (الفصل في مستوى حدود الاحتمال)	٤٩
	٥٠
شو (المرحيات الكاملة)	٥١
	٥٢
شو (دليل المرة الدكية الى الاشتراكية والراسالية)	٥٣

الفصل التاسع

لومينغ فكتستين (الاعاث القلمية)	١
-----------------------------------	---

شو (المرحيات الكاملة)	١٥
	١٦
	١٧
	١٨
	١٩
	٢٠
	٢١
	٢٢
	٢٣
	٢٤
مون جيو فالي (الفصل ٢ المشهد ٥)	٢٥
شو (المرحيات الكاملة)	٢٦
(الهاكافاد كيتا)	٢٧
	٢٨
شو (المرحيات الكاملة)	٢٩
	٣٠
	٣١
	٣٢
	٣٣
	٣٤
	٣٥
شو (المقدمات)	٣٦
	٣٧
	٣٨

(آلهة وابتهايد)	٢٢
	٢٣
	٢٤

وابتهايد (فلسفة الرياضيات)	٢٥
ينس (القواعد)	٢٦

Tractatus Logico-Philosophicus	٢
لودفيغ الفكتشتاين	٣
	٤
	٥
	٦

الفردي نورث وابتهايد (مقالة عن الجبر الكوني)	٧
وابتهايد (بحث في قواعد المعرفة الطبيعية)	٨
وابتهايد (قواعد النسبة)	٩
وابتهايد (العلم والطب الحديث)	١٠

الابتهايد (مجموعة مقالات)	١١
	١٢

	١٣
	١٤
وابتهايد (مجموعة مقالات)	١٥
	١٦

اللسغة وابتهايد ()	١٧
	١٨
	١٩
	٢٠

ينس (القواعد)	٢١
-----------------	----

فهرست

صفحة

•

حياتي الخاصة

القسم الأول

١. تحليل الخيال

٥٩

ويلاكه

٧١

رامبو

٩٤

سكوت فتر جرد

١١١

٢. اللامتسى والتاريخ

١٢٦

شيفر

١٢٦

نيكو وبالاتش وآدمز وآخرون

١٤٢

قسم الثاني

۱۷۱	تجهیز
۱۹۳	۱. بومعه
۲۱۹	۲. نیکولاس طرار
۲۲۶	۳. بلیز باسکال
۲۴۹	۴. جانویل سونبورخ
۲۶۲	۵. وایم لو
۲۷۴	۶. جون هنري نیرمان
۲۹۰	۷. سورین کبر کفاره
۳۰۲	۸. برنارد شو
۳۱۲	۹. فلکشتاین و واینهید
۴۰۰	فهرست المصادر

للمؤلف كولن ونسون
من منشورات دار الآداب

• ضياع في سوهو	(رواية)	ترجمة يوسف شرورو وعمر بنق
• الشك	(رواية)	ترجمة يوسف شرورو وعمر بنق
• القفص الزجاجي	(رواية)	ترجمة سامي خشة
• الحاتم	(رواية)	ترجمة سامي خشة
• إنه المتأخرة	(رواية)	ترجمة سامي خشة
• طفوس في الظلام	(رواية)	ترجمة فاروق محمد يوسف
• اللامنتهي	(دراسة)	ترجمة أنيس زكي حسن
• ما بعد اللامنتهي	(دراسة)	ترجمة يوسف شرورو وسيمر كتاب
• أصول الدافع الجنسي	(دراسة)	ترجمة يوسف شرورو وسيمر كتاب
• الإنسان وقواء الحقيقة	(دراسة)	ترجمة سامي خشة
• رحلة نحو البداية	(دراسة)	ترجمة سامي خشة
• الممقول واللاممقول في	(دراسة)	ترجمة أنيس زكي حسن
الأدب الحديث	(دراسة)	ترجمة عمر الدراوي
• الشعر والصوتية		

المفسرة يتألف من الأسطورة والعقيدة لا من « الحقيقة العلمية » . وهكذا نجد ان المسيحي لا يكون كذلك إلا إذا آمن بأن المسيح هو الله متجسداً . وان بولس جيمياً يخلصون بواسطته . فإذا أعلنت الكنائس طرداً ان المسيح لم يكن أفضل من كريسنا أو محمد لأن ذلك سيؤدي إلى لبك الناس للمسيحية . وان ذلك يؤدي إلى الرثاء . الا انه صحيح بالفعل - كما أشار المفتش العام أيضاً - وإذا كان الدين لا يختلف بالنسبة للفرد المعادي عنه بالنسبة لثقفيس أو الفيلسوف فلا بد أن يكون الدين أكثر من مجرد ادراك الفيلسوف « الحقيقة الخالدة » - لا بد انه اسطورة وعقيدة ومقدس .

ولكننا لا نستطيع ان نهاجم نوبيني من هذه الزاوية ، لأن الجواب المهم فيه يمثل في الامور الاعجابية التي يتوصل اليها . إذ نجد في هذا الكتاب كل ما نعلمه أو نقرأه أو نسمعه أو نسمعه نوبيني في حياته . وهكذا فهو سفر روحية - يتسارع فيها الانسان الحديث بأسلحة جون ميتوارت مل و ت. ه. هكسلي . ويسلك في الوقت نفسه عدم كفاية التفكير العقلي الخالص . فيحاول أن يعثر على إيمان ما . أما النتيجة التي يخرج بها نوبيني من رؤياه فلنأخذ في ادراكه ان التاربيخ هو محاولة الروح من أجل فهم المادة . ولكنه يصل إلى السؤال ذاته الذي وصلنا اليه في « اللامنتهي » . كيف يستطيع الانسان ان يرى رؤى ؟

ويوضح نوبيني ان التاربيخ يؤديه إلى الرؤيا :

« ان الهام المؤرخ بعده تجربة وصفها الذين اتبعته لهم بأنها « رؤيا السارة » . (١٦)

وتسبب الحظ فالتا لا نستطيع ان نشك في ان معتقدات نوبيني هي التي تقدم بمؤرخي الاكاديمية إلى كراهية . إن كتاب « بحث في التاربيخ » يبدأ وينتهي بالمفاهيم الاخلاقية . اما السؤال الثاني فهو ان هناك امورا كثيرة هي من شروط نوبيني الشخصية في كتابه . إن الجزء الأخير (الذي يعتبره معظم القراء أفضل الاجزاء) وأشد ما إنعاضاً) يوضح بالتفصيل كيف تم تأليف الكتاب . هو يعتبر تاريخاً روحياً حياة نوبيني . وتصوره الذاتي . وترجع أهمية الكتاب

(خاصة في أميركا) إلى هذا المنصر الشخصي القوي وإلى ذلك المفهوم الاخلاقي . ونجد ان هاتين النقطتين كانتا في الوقت نفسه سبباً في كراهية بقية المؤرخين لنوبيني .

وقبل ان نحدث عن التاربيخ الشخصي الروحي الذي يضيفه نوبيني إلى كتابه . علي ان أجيب على سؤال خطير : سؤال يعيدنا إلى جلد مشكلة اللامنتهي . وهنا نتذكر ان كراهية كيركفارد هيجل ترتكز على محاولة هيجل ان يشرح الكون كله في « نظام » . في حين ان كيركفارد ينجح قالاً : « ان أكون عنصراً وحيداً في نظامك . اتني أنا » . ويمكننا ان نجد محاولة هيجل من أجل بناء هذا النظام في كتابه « فلسفة التاريخ » و « فلسفة الدين » . وهو يتوصل في هذين الكتابين إلى ما توصل اليه نوبيني أيضاً : إذ يكشف في التاريخ « معنى » . ويصرح بأنه يتجه إلى اظهار الله . وهكذا فلما لم يكن في وسعنا الاتفاق مع هيجل . ترى كيف ستقف مع نوبيني ؟

هناك بيان : أولها هو ان كيركفارد لم يقرأ شيئاً ل هيجل . وانما قرأ بعض ما كتب عنه . . . في حين ان أفكار هيجل هي أعينق من المستوى الذي فهمه به كيركفارد . (بل ان تراكيب هيجل النهائية ارتكزت على تجربة صوفية . بالإضافة إلى انه لم يكن فيلسوفاً محضاً خط .) بيد ان السبب الثاني يعتبر أشد أهمية : ان نوبيني يضع الدين أولاً . أما هيجل فقد كان يعتبر الدين والفن أقل شأناً من الفلسفة في التعبير عن علاقة الانسان بالطلق . وبالرغم من كسل منطقاته الدينية . فقد كان يشوبه شيء من التعقيد الساذجة . وهنا نجد أيضاً لماذا يعتبر المؤرخون الآخرون آراء نوبيني أشياء مثكوكاً لبهاء لأن رد الفعل ضد التعقيد لم يصل إلى عالم الاكاديمية بعد . وانما لم يزل امتازة جامعات أدكلترا وأميركا عارفين في أبحاثهم القرن التاسع عشر . ولم تؤثر عليهم الثورة الوجودية بعد . اما في القارة الأوروبية فقد حظيت المرحوعة بالفول مند عام

« بعد الحداثة » منظور الروح « دراسة أول من « نظام »

« بعد الحداثة » منظور الروح « دراسة أول من « نظام »